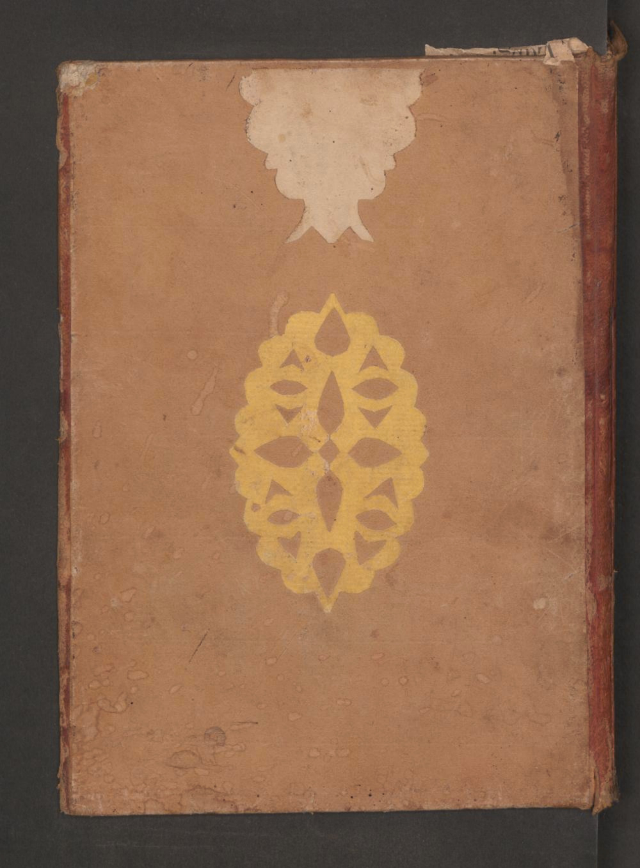
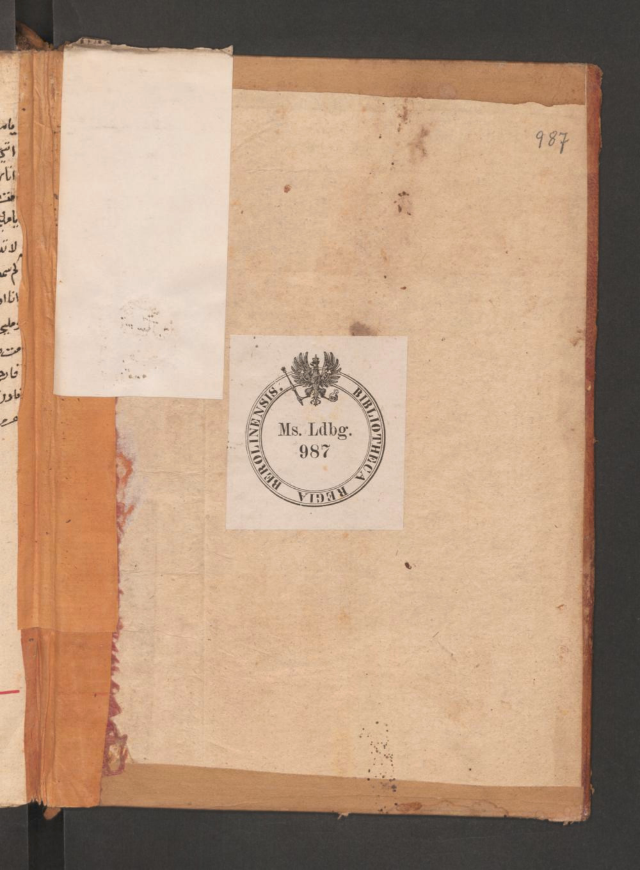



987
BIBLIOTHECA REGIA BEROLINENSIS.
Ms. Ldbg.
987

اول ١/ ١٤ ١٤٠ بحر ١

هذا شرح الاربعين للامام الشبراخيتي رحمه الله تعالى

يا مليحا والبدر في مجلاك وشموس السما تروم تراك والثريا تاهت بنور سناك بك دلالا فانت اهل لذاك

اتني في جوا هواك تراضي ارتعي حول جنة ورياضي انا عبد وانت مولاي وماضي

انا راض بكلما تعذبني ومطاع بكلما تامرني فعلى العز جافني واهجرني

مت شوقا واني ميت حي وفؤادي عن غيركم في واطي ودموعي تجري بكم خيفة اللي

يا مليحا له الدلال نوم وله الوصل للصبابة صوم وله الحسن مبرز وهو روم

لا تدعني بيالحج مجال واذقني في الدهر بعض وصال يا مليكا وياعزيز منال

كم سمعنا في الحب قول البشر وكتمنا سر الهوى دون ستر ولعمري فالان من غير نكر

انا افديك مهجتي وحشاي حيث امسيت مقصدي ومرجاي لست في الحب زاهد او مرائي

يا مليحا هواه في القلب ساكن ولهيب الغرام للقلب راهن لا تخلني الى العذر راكن

مت صبرا وانت تبلو بهجر وتلاشى الفؤاد في قيد اسر ثم اري العمر ينطوي بعد فجر

فارحم الآه صوتي مع ولوعي وترفق بعقلتي ودموعي لا تكلني الى كثير دروعي

فادوا من رحيقنا صاح الحان وهيئ بعد التباعد منا كم صوت البشير براق فتحا

عدم القلب والنواظر يوما ارتقي النجم في الدجى اصعلتها ونجمي لي صبوة هام صبا

وتحكم في الحب قد اعطاك

ولك الامر فاقض ما انت قاض في قلبي الذي قد رآك

وعجا بثبت من هواك اجرني في رجائي ملكا فيه رضاك

علم الشوق مقلتي بسهر الليل فكانت من غير نوم تراك

يا حياة النفوس لو كان يوم ينقضي وناظري لا يراك

بخلا جنة بلا دلال هم واستعز العذاب في هواك

شبع المرجون عنك بالهجر واشتغلوا في سلوتي عن هواك

حشر العاشقون تحت لوائي وجميع الملاح تحت لواك

كلمن في حماك يهواك لكني انا وحدي بكلي في حماك

كنت تجفو وكان لي بعض صبر احسن الله في اصطباري عزاك

بانكساري بذلتي بخضوعي باعتقادي بفاقتي بغناك

لا تكلني الى قوى جلد خان فاني اصبحت من ضعفاك

وبقلبي لي معلق عليه ما قبل موتي لعلها من براك

ملك
الفقير السيد
محمد شا
مي


محمد بن تركي التركي

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي وفق لحمل الحديث من اصطفاه من الانام وهدى من ارتضاه
لفهم ما فيه من الاحكام واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الملك العلام واشهد ان سيدنا محمدا عبده ورسوله
الذي اوتي جوامع الكلم وبدايع الحكم العظام صلى الله عليه وعلى آله وصحابته الكرام صلاة متضاعفة مترادفة
على ممر الشهور والايام وسلم تسليما وبعد فيقول العبد الفقير الضعيف الملتجي الى مولاه القوي اللطيف
ابراهيم بن مرعي بن عطية الشبرخيتي المالكي ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه وبلغه في الدارين مطلوبه ان
اولى ما انفقت فيه نفايس الاعمار وصرفت اليه جواهر الافكار واستعملت فيه الاسماع والابصار حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت الاربعون التي الفها ولي الله العلامة محيي الدين ابو زكريا يحيى بن شرف
النووي من جوامع كلامه صلى الله عليه وسلم المشتملة على ابلغ المعاني واحكم المباني حتى وصف اكثرها بانه عليه
مدار الاسلام وابنية الاحكام فلذا عن لي ان اكتب عليها شرحا متمثلا بقول القايل اسير خلف ركاب النجب ذا عرج
مؤملا جبر ما لاقيت من عوج فان لحقت بهم من بعد ما سبقوا فكم لرب السما في الناس من فرج وان ظللت بقفر
الارض منقطعا فما على اعرج في ذاك من حرج جعله الله خالصا لوجهه الكريم محصلا للفوز بجنات النعيم
ونفع به في الحياة وبعد الممات انه قريب مجيب الدعوات وسميته الفتوحات الوهبية بشرح
الاربعين النووية ثم انه ينبغي ان ننبه على المهم بالتعريف وذلك بذكر نسبه وبعض ماثره على وجه
لطيف لانه كان علما بين اقرانه فريدا في عصره واوانه فنقول هو يحيى بن شرف بن مري بضم الميم وكسر الرا كما وجد
مضبوطا بخط ابن حسن بن حسين بن محمد بن جمعة بن حزام بكسر الحا المهملة وبالزاي المعجمة الحزامي النووي ثم الدمشقي
والنووي نسبة لنوى والنسبة اليها بحذف الالف على الاصل ويجوز كتبها بالالف على العادة وقد اقام الشيخ بدمشق
نحوا من ثمانية وعشرين سنة واستند لابن المبارك بقول من قال من اقام ببلد اربع سنين نسب اليها
ولد في العشر الاول من المحرم سنة احدى وثلاثين وستماية وقيل في العشر الاوسط منه سنة ثلاثين وستماية وهذا
هو المعتمد بنوى قرية من قرى دمشق ونشا بها وقرا بها القران ولله در القايل حيث قال لقيت خيرا يا نوى
ووقيت من الم الجوى فلقد نشا بك عالم لله اخلص ما نوى وعلى علاه وفضله فضل الحبوب على النوى فلما
بلغ سبع سنين وكانت ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان نام جنب والده فانتبه نحو نصف الليل وايقظه
وقال يا ابت ما هذا النور الذي قد ملأ الدار فاستيقظ اهله جميعا فلم يروا شيا فعرف والده انها ليلة القدر
فلما بلغ عشر سنين وكان بنوى الشيخ ياسين بن يوسف المراكشي من اولياء الله تعالى فراى الصبيان يكرهونه
على اللعب معهم وهو يهرب منهم ويبكي لاكراههم له ويقرا القران في تلك الحال قال فوقع في قلبي محبته وجعله ابوه
في دكان يشتغل بالبيع والشرا عن القران قال الشيخ ياسين فاتيت الشيخ الذي يقريه القران فوصيته به وقلت له
هذا الصبي يرجى ان يكون اعلم اهل زمانه وازهدهم وينتفع الناس به فقال امنجم انت فقلت لا وانما انطقني
الله الذي انطق كل شي بذلك فذكر ذلك لوالده فحرص عليه الى ان ختم القران وقد ناهز الاحتلام قال الشيخ
فلما كان عمري تسع عشرة سنة قدم بي والدي الى دمشق سنة تسع واربعين يعني وستماية فسكنت في المدرسة
الرواحية وبقيت نحو سنتين لم اضع جنبي الى الارض وكان قوتي بها جراية المدرسة لا غير قال بعضهم
وكان يتصدق منها ايضا ومما وقع له ملازمته لحية عظيمة في بيته بالرواحية ويراها كل قليل تخرج اليه
ويقدم اليها لبابا تاكله حتى ان بعضهم راه في غفلة وهو يطعمها اللباب فقال يا سيدي ما هذه وخاف

قال

قال هذه خلق من خلق الله لا تضر ولا تنفع اسيلك بالله ان تكتم ما رايت ولا تحدث احدا قال وحفظت
التنبيه في اربعة اشهر ونصف وبقية المهذب في باقي السنة قال فلما كانت سنة احدى وخمسين
حججت مع والدي وكانت الوقفة بالجمعة وكانت رحلتنا من اول رجب فاقمت بمدينة النبي صلى الله
عليه وسلم نحوا من شهر ونصف قال والده ولما توجهنا للرحيل من نوى اخذته الحمى الى يوم عرفة ولم
يتاوه قط فلما عدنا الى نوى ونزل الى دمشق صب عليه العلم صبا قال الشيخ ومرضت بالمدرسة الرواحية
فبينا انا في بعض الليالي في الصفة الشرقية ووالدي واخواني وجماعة من اقاربي نايمون الى جنبي
اذ نشطني الله وعافاني من الالم فاشتاقت نفسي الى الذكر فجعلت اسبح فبينا انا كذلك بين
السر والجهر اذا انا بشيخ حسن الصورة جميل المنظر يتوضا على حافة البركة وقت نصف الليل او
قريبا منه فلما فرغ من وضوئه اتاني وقال لي يا ولدي لا تذكر الله تعالى تشوش على والدك واخوانك ومن
في هذه المدرسة فقلت له يا شيخ من انت فقال انا ناصح لك ودعني فوقع في قلبي انه ابليس
فقلت اعوذ بالله من الشيطان الرجيم ورفعت صوتي بالتسبيح فاعرض عني ومشى الى ناحية باب
المدرسة فتبعته فوجدته مقفلا وفتشتها فلم اجد فيها احدا غير من كان فيها فقال والدي ما خبرك
فاخبرته فجعلوا يتعجبون وقعدنا كلنا نسبح ونذكر قال ابن العطار واخبرني الشيخ القدوة
ولي الدين ابو الحسن قال مرضت فزارني الشيخ محيي الدين فلما جلس عندي جعل يتكلم بالصبر فلما
تكلم جعل الالم يذهب قليلا قليلا حتى زال فعرفت انه ببركته وكان شديد الورع والزهد شديدا
على خشونة العيش حتى ان رجلا من اصحابه قشر خيارة ليطعمه اياها فامتنع من اكلها وقال اخشى
ان ترطب جسمي وتجلب النوم وكان لا يدخل الحمام وقلع ثوبه فغلاه بعض الطلبة وكان فيه قمل فنهاه
فقال دعه وكان تاركا لجميع ملاذ الدنيا ولم يتزوج ولم ياكل في اليوم والليلة الا اكلة واحدة بعد
العشا مما يوتى به من عند ابويه ولا يشرب الا شربة واحدة عند السحر ولا يشرب المبرد اي المنقع
فيه الثلج وكان لا يجمع بين ادامين ولا ياكل اللحم الا عندما يتوجه الى نوى وكان يلبس ثوب قطن وعمامة
سنجابية ولم يتناول فواكه دمشق لشبهة ما فيها قال ابن العطار فسالته عن ذلك فقال دمشق كثيرة
الاوقاف واملاك من هو تحت الحجر والتصرف ولا يجوز الا على وجه الغبطة والناس لا يفعلونها
وقال الشيخ تقي الدين السبكي ما اجتمع بعد التابعين المجموع الذي قد اجتمع في النووي ووجد
في مجموع بخط الشيخ شمس الدين النووي ان الابواب الرواحية حكى وقال ذهب الشيخ بالليل
فتبعته فانفتح الباب بغير مفتاح فخرج ومشيت معه خطوات فاذا نحن بمكة فاحرم الشيخ
وطاف ثم طاف وسعى ثم طاف الى اثنا الليل ورجع فمشيت خلفه فاذا نحن بالرواحية قال
الذهبي وتولى مدرسة دار الحديث الاشرفية بعد موت ابي شامة سنة خمس وستين وفي البلد
من هو اسن منه واعلى سندا فلم ياخذ من معلومها شيا الى ان مات ولما مرض مرض الموت اشتهى التفاح
فجي له به فلم ياكله فلما مات راه بعض اهله فقال ما فعل الله بك فقال اكرم نزلي وتقبل عملي
واول قرى جاءني التفاح وتوفي يوم الاربعا رابع عشري رجب سنة ست وسبعين وستمايه ودفن
ببلده طيب الله مضجعه روي انه انشد ابياتا عند الوفاة منها هذان البيتان وزيد ما بعدهما

وفي رحلتي يصفو هنائي وحبذا
وبالسير روحي يوم تسري اليهم
تباشر قلبي في قدومي عليهم

مقام بهم حط الرحال لديهم ولا زادلي الايقينا بانهم لهم كرم يغني الوفود عليهم واشتهر ان الخضر عليه السلام كان
يجتمع به قال بعض الاخيار انه روي فيما يري النايم رايات كثيرة قال وسمعت نوبة تضرب فعجبت من ذلك فقلت
من هذا فقيل في الليلة قطب يحيى النووي فاستيقظت من منامي ولم اكن اعرف الشيخ ولا سمعت به
قبل ذلك واتفق اني دخلت المدينة يعني في حاجة فذكرت ذلك لشخص فقال الشيخ في دار الحديث
الاشرفية وهو الآن جالس فيها للميعاد فاستدللت عليها ودخلتها فوجدته جالسا فيها وحوله جماعة فوقع
بصره علي فنهض قايما الي جهتي وترك الجماعة ومشى الي طرف ايوانها ولم يتركني اكلمه وقال اكتم ما معك ولا
تحدث به احدا ثم رجع الي موضعه ولم اكن رايته قبلها ولم اجتمع به بعدها وحكي اليافعي في اخر الحكاية
الثامنة والثلاثين من روض الرياحين فيما بينه ان الشيخ خطف سارق عمامته وهرب فتبعه الشيخ
يعدو خلفه ويقول ملكتك اياها قل قبلت والسارق ما عنده خبر من ذلك وقد افتتح رحمه الله كتابه
بقوله بسم الله الرحمن الرحيم اقتدا بالكتاب العزيز وعملا بقوله صلى الله عليه وسلم كل امر ذي بال
اي شان يهتم به شرعا لا يبدو فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو اقطع وفي رواية ابتر وفي رواية اجذم بالجيم
والذال المعجمة وفي بعض الروايات بحمد الله وهو من التشبيه البليغ في العيب المنفر ومعنى الجميع انه
ناقص قليل البركة او مقطوعها وان تم وكمل حسا فلا يرد ما قيل انا نرى كثيرا من الامور التي يبدا فيها ببسم
الله لا تتم ونرى امورا بالعكس وخرج بذي بال الحرام والمكروه وفي وصف الامر بذي البال فايدتان
الاولي رعاية اسم الله حيث يبدا به في الامور التي لها شان وخطر والثانية التيسير علي الناس في عدم
طلبها في محقرات الامور واورد ان البسملة امر ذو بال فتحتاج الي سبق مثلها فيتسلسل واجيب بان
المراد الامر الذي يقصد لذاته بحيث لا يكون وسيلة لغيره واورد عليه طلبها للوضو مع انه غير مقصود لذاته
دون الصلاة مع كونها مقصودة لذاتها والاولي ان يقال انها كما تحصل البركة لغيرها تحصل مثل ذلك لنفسها
كالشاة من الاربعين تزكي نفسها وغيرها والبا للاستعانة متعلقة بمضمر يحتمل ان يكون اسما وان يكون فعلا
عاما او خاصا متقدما او متاخرا والاولي ان يكون فعلا وان يكون خاصا وان يكون موخرا اما اولوية الفعلية
فلان العمل للافعال بالاصالة واما اولوية كونه خاصا فلان التالي لها في كل محل يعين العامل المحذوف ولهذا
يضمر كل فاعل ما جعل التسمية مبدا له قال الشيخ سعد الدين لا خفا ان العامل المضمر هو الفعل النحوي والتسمية
انما جعلت مبدا للفعل الحسي ففي الكلام حذف مضاف اي لفظ ما جعلت التسمية مبدا له انتهى اي
فيضمر المسافر اسافر والاكل اكل واما اولوية التاخير فلان المقصود الاهم البداءة باسمه تعالي ردا علي الكفار
في ابتدايهم باسما آلهتهم ولانه ادل علي الاختصاص واورد علي ان التقديم للاختصاص قوله تعالي اقرا
باسم ربك فانه لو كان التقديم مفيدا لذلك لوجب ان يوخر الفعل ويقدم باسم ربك لان كلام الله تعالي احق
برعاية ما يجب رعايته واجيب بان الاهم فيه القراة لانها اول ما نزل الي الامام بعلم فكان الامر بالقراة اهم باعتبار
هذا العارض وان كان ذكر اسم الله تعالي اهم في نفسه وبان باسم ربك متعلق باقرا الثاني ومعنى اقرا الاول اوجد
القراة من غير اعتبار تعديته الي مقرو كما في فلان يعطي والجواب الاول للزمخشري والثاني للسكاكي قال ابن عادل
وفي الثاني نظر لان الظاهر علي هذا الجواب ان يكون اقرا الثاني توكيدا للاول فيكون قد فصل بمعمول الموكد بينه وبين
ما اكده مع الفصل بكلام طويل اه واجيب عن ذلك بانه لا يمنع الفصل بين الموكد والموكد ولو باجنبي الا ترى

واجيب بانها كالشاة من الاربعين تزكي نفسها وغيرها وهو حسن

ان

الا قوله تعالى كلهن توكيد للنون في قوله ولا يحزن مع الفصل بقوله ويرضين بما اتيتهن ويبحث في هذا
الجواب بان التوكيد هناك معنوي وما نحن فيه لفظي وربما يجوز في الاول الفصل دون الثاني لانه لما كان التوكيد
في اللفظي هو افقا للاول في لفظه ومعناه فالفصل بينهما كالفصل بين اجزا الكلمة ولا كذلك المعنوي وبان
الثاني لا يصلح ان يكون توكيدا لان الاول عام والثاني خاص اذ الاول امر بايجاد القراة مطلقا والثاني
بقراة مقيدة ونظيره الذي خلق خلق الانسان من علق وكسرت البا ومن حق الحروف المفردة ان تفتح
قال البيضاوي لاختصاصها بلزوم الحرفية والجر قال بعضهم مبينا للتعليل المذكور لاختصاصها من
بين حروف الجر بمجموع امرين كونها لازمة للحرفية وكونها لازمة للجر لا توجد بدونه وفي كل منهما
مناسبة للكسر اما الجر فلموافقة حركتها اثرها واما الحرفية فلاقتضايها السكون الذي هو عدم الحركة
وكون الكسر بمنزلة العدم لقلته حيث لا يوجد في الافعال ولا في غير المنصرف من الاسما ولا في الحروف الا
نادرا كجير وانما جعلنا المقتضي للعدول الى الكسر اختصاصها بمجموع الامرين ولم نجعل كلا منهما وجهاه
مقتضيا على حدته ليلا ينتقض لزوم الحرفية بواو العطف وفايه فانهما لازمان للحرفية وبلزوم الجر بكاف
التشبيه وهي لازمة له واذا انفكت عن الحرفية فاه قيل فكل من واو القسم وتاوه لازم للحرفية والجر
معا وليس مبنيا على الكسر فلينتقض بهما اجيب بان هذه ليست عللا حقيقية وانما هي مناسبات وحكم
لا يلزم اطرادها ولا انعكاسها وقال بعضهم ان عملها لم يكن بطريق الاصالة بل بطريق النيابة عن البا لحملها
عليها وحذفت الالف من بسم الله لكثرة الاستعمال ولذا لم تحذف من اقرا باسم ربك وغيرها وطولت
البا عوضا عنها ولانهم ارادوا ان لا يفتح كلام الله الا بحرف معظم مطول والاسم عند البصريين اصله
سمو بضم اوله او بكسره وهو من الاسما التي حذفت اواخرها لكثرة الاستعمال وبنيت اوايلها على السكون
وادخل على مبداها همزة الوصل لان من دابهم ان يبتدوا بالمتحرك ويقفوا على الساكن واشتقاقه من
السمو اي بضم السين وكسرها وهو العلو واما عند الكوفيين فاصله وسم بفتح الواو حذفت الواو وعوض عنها
همزة الوصل واشتقاقه عندهم من السمة وهي العلامة وايد مذهب البصريين بان الحذف من الاواخر اولى
قال ابو العباس بن عطا الباء برة لارواح الانبيا بالهام الرسالة والنبوة والسين سره مع اهل
المعرفة بالهام القدرة والانس والميم منته على المومنين بدوام النظر اليهم بعين الشفقة والرحمة
وقال ابو بكر بن طاهر البا بر العارفين والسين سلامه عليهم والميم محبته لهم وقال جعفر بن محمد البا
بقاوه والسين سناوه والميم ملكه واضافته للجلالة من اضافة العام للخاص والله علم على الذات
الواجب الوجود المستحق لجميع المحامد واصله عند البصريين اله فدخلت عليه ال فاجتمع همزتان
بينهما ساكن غير حصين وهو اللام فصار كانه اجتمع همزتان فحذفت الثانية ونقلت حركتها اللام
الساكنة قبلها فاجتمع لامان متحركان فسكنت الاولى لانه حتمها وادغمت في الثانية وفخم وانما لم تحذف
الهمزة الاولى لانها مجتلبة لسكون اللام وعند الكوفيين لاه فادخلت عليه الالف واللام وادغمت وفخم
واصل لاه لوه تحركت الواو وانفتح ما قبلها فقلبت الفا وهو اعرف المعارف وحكي بن جني ان سيبويه
روي بعد موته في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال خيرا وذكر كرامة عظيمة فقيل له بم فقال بقولي ان اسم

مشتق عند البصريين من اله اي عبد فهو بمعنى ماله اي معبود وهو الاكثر تقديرا في الجلالة
وعند الكوفيين من لاه اي ارتفع واحتجب فهو مرتفع محتجب او من وله اي تحير فهو
متحير فيه جلالا لعظمته والاصح انه مرتجل جامد لا اشتقاق فيه عربيا وهو اسم الله الاعظم علم عليه
تعالى من قبيل زيد ولله المثل الاعلى ولا ينصرف فتصريفه قلة ادب لم يسم به احد تسمى به
قبل ان يسمى واتى به على ادم في جملة الاسماء فهو قديم كساير اسمايه وصفاته والله اعلم

الله اعرف المعارف وبه يقيد قول النحاة اعرف المعارف الضمير والمختار انه ليس بمشتق وروي الخليل بن احمد بعد
موته فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بقولي في اسمه انه غير مشتق وقيل انه مشتق من اله يأله كعلم يعلم اذا
تعبد وقيل اذا تحير لان العقول تتحير في معرفته وفي عظمته وقيل غير ذلك قال بعضهم وحيث ذكر الاشتقاق
في اسماء الله تعالى فالمراد به ان المعنى ملحوظ في ذلك الاسم والا فشرط المشتق ان يكون مسبوقا بالمشتق منه
واسماء الله تعالى قديمة لا نهاية في كلامه على ان الاختلاف المذكور انما هو في لفظة اله لا في الجلالة والرحمن الرحيم
صفتان مشبهتان بنيتا للمبالغة وفعله رحم بالكسر كغضبان من غضب وهو متعد كرحمك الله والصفة المشبهة
انما تبنى من اللازم كظريف وشريف من ظرف وشرف لتنزيل رحم المتعدي منزلة اللازم او بجعله لازما بنقله
الى فعل بالضم والفرق بين ما ينزل منزلة اللازم وما جعل لازما ان الاول متعد للمفعول لكن يقطع النظر
عن مفعوله لفظا وتقديرا كالحاكم فلان يعطي ومنه قوله تعالى واذا رايت ثم رايت نعيما فرايت الاول لازم اي
اوجدت الرؤية بخلاف ما جعل لازما فانه يعتبر غير متعد ولا مفعول له اصلا والرحمة رقة في القلب
وانعطاف تقتضي التفضل والاحسان وهذا المعنى محال في حقه تعالى فهي في حقه تعالى بمعنى الانعام او ارادته
فهي صفة فعل على الاول وصفة ذات على الثاني والرحمن ابلغ من الرحيم لان زيادة البنا تدل على زيادة المعنى
كما في قطع وقطّع بتخفيف احدهما وتشديد الاخر وذلك انما يوخذ تارة باعتبار الكمية اي الافراد واخرى باعتبار
الكيفية اي الصفات فعلى الاول قيل يا رحمن الدنيا لانه يعم المومن والكافر ورحيم الاخرة لانه يخص المومن
وعلى الثاني قيل يا رحمن الدنيا والاخرة ورحيم الدنيا لان النعم الاخروية كلها جسام واما النعم الدنيوية
فجليلة ودقيقة ونقض كون زيادة البنا تدل على زيادة المعنى بحذر فانه ابلغ من حاذر واجيب بان ذلك
اكثري لا كلي وبان ذلك عند اتحاد نوع المشتقات قال الزمخشري ومما طن على اذني انهم يسمون مركبا
من مراكبهم بالشقدف وهو مركب خفيف ليس في ثقل محامل اهل العراق فقلت في طريق الطائف لرجل منهم
ما اسم هذا المحمل اردت المحمل العراقي فقال اليس اسمه الشقدف قلت بلى قال فهذا اسمه الشقنداف فزاد
في بنا الاسم لزيادة المسمى وانما قدم الرحمن والقياس يقتضي الترقي لتقدم رحمة الدنيا ولانه صار كالعلم
فلا يوصف به غيره تعالى بل قيل انه علم واما قول الشاعر وانت غيث الورى لا زلت رحمانا فاجاب عنه
الزمخشري بان ذلك من تعنتهم في كفرهم قال التاج السبكي وهو غير سديد لانه لا يفيد جوابا بل ذكر
السبب الحامل لهم على الاطلاق والجواب السديد ان المختص به تعالى هو المعرف باللام دون غيره ٥٥
تنبيهات قال ابو بكر بن عبد الله المزني الرحمن بنعم الدنيا من المال والاهل والولد والرحيم بنعم الدين
من المعرفة والايمان والشهادة وقال جعفر بن محمد الصادق الرحمن للمرادين والرحيم للمريدين وقيل الرحيم
بنعمه الظاهرة والرحمن بنعمه الباطنة وقيل الرحمن بالدفع والرحيم بالنفع الثاني نقل الدماميني
في حاشية البخاري عن بعض المتاخرين انه قال صفات الله تعالى التي على صيغة المبالغة كرحيم وغفور كلها
مجاز اذ هي موضوعة للمبالغة ولا مبالغة فيها لان المبالغة هي ان تثبت للشي اكثر مما له وانما يكون ذلك فيما
يقبل الزيادة والنقص وصفاته تعالى منزهة عن ذلك قال وهي فايدة حسنة ولا شك ان ذلك ياتي تفريعا
على ان هذه الاسما صفات فان قلنا انها اعلام فلا يرد ذلك لان العلم لا يقصد مدلوله الاصلي من مبالغة ولا
غيرها الثالث الرحمن الرحيم فيهما سبعة اوجه جايزة رفعهما ونصبهما وخفضهما ورفع الاول مع نصب

الثاني وعكسه وخفض الاول مع رفع الثاني او نصبه ووجهان ممتنعان رفع الاول او نصبه مع خفض
الثاني لامتناع الاتباع بعد القطع فايدة روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تقل تعس
الشيطان لا تقل ذلك فانه يتعاظم عنده ولكن قل بسم الله الرحمن الرحيم فانه يصغر حتى يصير اقل
من الذباب وروي ان موسى عليه الصلاة والسلام مرض واشتد وجع بطنه فشكا الى الله
تعالى فدله على عشب في المفازة فاكله فعوفي باذن الله تعالى ثم عاوده ذلك المرض في وقت
آخر فاكل ذلك العشب فازداد مرضه فكلم ربه فقال يا رب اكلته اولا فانتفعت به واكلته
ثانيا فضرني فقال له لانك في المرة الاولى ذهبت مني الى الكلا فحصل الشفا وفي المرة الثانية
ذهبت منك الى الكلا اما علمت ان الدنيا سم قاتل وترياقها اسمي الحمد لله مصدر حمد
وهو لغة الوصف بالجميل على الفعل الجميل الاختياري على جهة التعظيم سوا كان في مقابلة نعمة
او لا وسوا تعلق بالفضايل وهي الصفات التي لا يتعدى اثرها للغير كالحسن واللطافة ام
بالفواضل اي الصفات المتعدي اثرها اليه كالانعام والتعظيم والشجاعة وعلم من قولنا الوصف
انه لا يكون الا بالكلام لان الوصف قول الواصف فمورده اي محله خاص ومتعلقه اي السبب الباعث
عليه عام ولا حاجة لزيادة على وجه التعظيم لان من اثنيت عليه بجميل صفاته فقد عظمته ولا حجة
في قوله تعالى ذق انك انت العزيز الكريم لخروج ذلك بالجميل اذ لم تكن صفة الكافر اذ ذاك العز
والكرم بل ضدهما وهو الذلة والاهانة واورد على قيد الاختيار وصفه تعالى بصفاته الذاتية
كالعلم والقدرة والارادة لان تلك الصفات ليست بافعال ولا يوصف ثبوتها بالاختيار
واجيب بانها لما كانت مبدا الافعال اختيارية كان الحمد عليها باعتبار تلك الافعال واما
الحمد عرفا فهو فعل ينبي عن تعظيم المنعم بسبب كونه منعما سوا كان ذلك الفعل قولا باللسان
بان يثني عليه به او اعتقادا بالقلب بان يعتقد اتصافه بصفات الكمال او عملا وخدمة
بالاركان والجوارح بان يجهد نفسه في طاعته فمورده عام وهو اللسان وغيره ومتعلقه خاص
وهو النعمة وهذا هو الشكر لغة واما اصطلاحا فهو صرف العبد جميع ما انعم الله به عليه من
السمع والبصر وغيرهما الى ما خلق لاجله من الطاعات كان يصرف البصر الى الاطلاع على ما في مصنوعاته
من دقايق الصنع العجيب والحكمة الانيقة ويصرف القلب الى التفكر فيها والاستدلال بها على
وجود الصانع وصفاته بان يستدل بوجود الاثر على وجود المؤثر وباتقان الاثر واحكامه
على علم المؤثر وقدرته وكان يصرف السمع الى تلقي ما ينبي عن مرضاته من الاوامر والنواهي
وقس على ذلك ساير النعم الظاهرة والباطنة ولعزة هذا المقام قال تعالى وقليل من عبادي
الشكور واهل في الحمد للاستغراق وقيل للجنس وحكي عن الشيخ ابي العباس المرسي نفعنا الله به
انه قال قلت لابن النحاس النحوي ما تقول في الالف واللام من الحمد لله اجنسية هي ام عهدية فقال
يا سيدي قالوا انها جنسية فقلت الذي اقول انا عهدية وذلك انه تعالى لما علم عجز خلقه عن
كنه حمده حمد نفسه بنفسه في الازل نيابة عن خلقه قبل ان يحمدوه ثم امرهم ان يحمدوه بذلك الحمد

قال الشاعر
افادتكم النعماء مني ثلاثة
يدي ولساني والضمير المحجبا

اي حقيقته

فقال يا سيدي اشهد انها عبدية وهذا معنى حسن وقدم الحمد على الجلالة لاقتضاء المقام من يد اهتمام
به وان كان ذكر الله اهم في نفسه كما مر في اقرا باسم ربك والمختار المنصر الاسمية لانها مفتتح الكتاب
العزيز ولانها تدل على الدوام والثبوت فان قيل حمد العباد حادث والله تعالى قديم ولا يجوز قيام
الحادث بالقديم فما معنى حمد العباد له تعالى فالجواب ان المراد تعلق الحمد ولا يلزم من التعلق القيام
كتعلق العلم بالمعلوم وجمع بين الابتداء بالبسملة والحمدلة عملا بالروايتين السابقتين واشارة
الى انه لا تعارض بينهما اذ الابتداء حقيقي واضافي فالحقيقي حصل بالبسملة والاضافي حصل بالحمدلة
وقدم البسملة عملا بالكتاب والاجماع تنبيهات الاول اختلف في افاضل من الحمد فقيل الحمد لله
بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها وما لم اعلم زاد بعضهم عدد
خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم اعلم وقيل اللهم لا احصي ثناء عليك انت كما اثنيت على
نفسك وقيل الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده وفي رواية الحمد لله رب العالمين حمدا يوافي
نعمه الخ وقيل ليس كمثله شيء وينبني عند ذلك مرع وهو ما اذا حلف الحالف ليحمدن الله بافضل المحامد
ومن اراد ان يخرج من الخلاف فليحمدن الله بجميعها وسياتي في الحديث الثالث والعشرون
شيء من هذا ايضا ولو حلف ليثنين على الله عز وجل احسن الثناء يقول لا احصي ثناء عليك انت
كما اثنيت على نفسك زاد بعضهم فلك الحمد حتى ترضى الثاني قال ابن ناجي الحمد لله ثمانية احرف
وابواب الجنة ثمانية من قالها فتحت له ابواب الجنة الثمانية الثالث قال ابن عطية اختلف العلماء
هل الافضل قول العبد الحمد لله رب العالمين او قول لا اله الا الله فذهبت طائفة الى الاول لان في ضمنه
التوحيد ففي قوله الحمد لله توحيد وحمد وفي قول لا اله الا الله توحيد فقط واحتجوا بما روي من
حديث ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال لا اله الا الله
كتب له عشرون حسنة وحط عنه عشرون سيئة ومن قال الحمد لله رب العالمين كتب له ثلاثون
حسنة وحط عنه ثلاثون سيئة وذهبت طائفة الى الثاني لانها تنفي الكفر وعليها يقاتل الخلق
واحتجوا بقوله صلى الله عليه وسلم مفتاح الجنة لا اله الا الله قال ابن عطية نقل انه اختار هذا
الحاكم بذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله وحده
لا شريك له رب يحتمل معاني ثلاثة الاول كونه اسم فاعل واصله راب ادغمت احدى
البائين في الاخرى وحذفت الالف لكثرة الاستعمال ورد بانه خلاف الاصل الثاني انه صفة
مشبهة واصله ربب على وزن سمع الثالث كونه مصدرا بمعنى التربية وهي تبليغ الشيء
شيئا فشيئا الى الحد الذي اراده المربي ثم سمي به السيد المطاع ومنه قوله تعالى اذكرني عند
ربك اي عند سيدك والمعبود ومنه ربنا الله والمالك ومنه قوله تعالى رب السموات والارض
وقوله صلى الله عليه وسلم لرجل ارب ابل انت ام رب غنم فقال من كل اتاني الله فاكثر واطيب
وقول صفوان لابي سفيان لان يربني رجل من قريش احب الي من ان يربني رجل من هوازن

والمعبود

قوله يوافي اي يلاقي ويقابل وفي ... ويكافي اي يقوم ببعض شكر نعم الله المزيده والضمير في مزيده عايد على الله عز وجل اهـ

تغنية ثعلب اه

والمعبود ومنه قول الشاعر أربٌ يبول الثعلبانِ برأسه ؟ لقد ذل من بالت عليه الثعالب
والثابت ومنه قولهم رب بالمكان وارب به اي اقام به والمربي ومنه الربانيون سموا
بذلك لتمسكهم بالرب اولانهم يربون المتعلمين بصغار العلم قبل كباره اي بالتدريج ومما
مات ابن عباس قال محمد بن الحنفية مات رباني هذه الامة والمصلح ومنه الحديث الك
نعمة تربها اي تصلحها وقيل سمي الربانيون بذلك لقيامهم بالكتب واصلاحهم لها ويصح
اطلاقه الخمسة على الله تعالى الا انه بالثلاث الاول من صفات الذات وبالباقي من صفات
الفعل ويطلق على الصاحب ومنه قوله تعالى حكاية عن سيدنا يوسف انه ربي احسن مثواي
وذكر الحسين بن الفضل ان في الرب قولا شاذا وهو ان الرب بمعنى الثابت من قولهم رب بالمكان
وارب به والب به وفي الحديث انه كان يتعوذ بالله من فقر مرب او ملب قال الشاعر
رب بارض ما تخطاها غنم :. واعلم ان وجوه تربيته تعالى لخلقه لا يحيط بها غيره سبحانه وتعالى
فمنها تربيته النطفة اذا وقعت في الرحم حتى تصير علقة ثم تصير مضغة ثم يصير منها عظام
وغضاريف ورباطات واوتار واوردة وشرايين ثم يتصل بعضها ببعض ثم يصير في كل قوة
خاصة كالبصر والسمع والنطق كذا في ابن حجر وقوله غضاريف بالضاد المعجمة جمع غضروف وهو
الين من العظم واصلب من غيره اي ساير الاعضا ومنفعته اتصال العظام بالاعضا اللينة
ليلا يتاذى اللين بمجاورة الصلب بلا واسطة ويليه العصب وهو جسم ابيض لدن لين
صعب الانفصال لِلُدُنه سهل الانعطاف للينه ومنفعته اتمام الحس والحركة للاعضاء
والرباطات جمع رباط وهو جسم يشبه العصب لاحس له والاوتار جمع وتر وهو جسم ينبت
من اطراف اللحم يشبه المفصل وعبارة القانون شبه العصب يصل بين العظام اذ لا يمكن
اتصالها بالعصب للطفه وصلابتها ولا بد مع الرباط لعدم زيادة حجمه زيادة تبلغ ذلك
والاوردة جمع وريد وهي العروق غير الضوارب ونباتها من الكبد ومنفعتها توزيع الدم
على الاعضا والشرايين جمع شريان بكسر المعجمة وسكون الراء وتحتية ومنفعتها ترويح القلب
ونفض البخار عنه وهي العروق الضوارب انتهى ملخصا من شرح النقاية للجلال السيوطي
ويختص المحلى بال دون المضاف بالله تعالى وقول الجاهلية للملك من الناس الرب من كفرهم قال
القرطبي في تفسير سورة الفاتحة متى دخلت الالف واللام على الرب اختص بالله تعالى لانها
للعهد وان حذفتا صار مشتركا بين الله تعالى وبين عباده اه وهو مخالف لقول البيضاوي
ولا يطلق على غيره الا مقيدا كقوله ارجع الى ربك فان قضية الاول ان الممنوع منه انما هو
المعرف فقط واما المنكر فلا منع منه وان لم يكن مقيدا وقضية الثاني منع المنكر ايضا حيث
لم يقيد وهو الذي يصار اليه قال بعضهم وفي لفظ رب خصوصية لا توجد في غيره من اسمائه تعالى
وهي انك اذا قرأته طردا كان من اسمائه تعالى واذا قلبته كان من اسمائه تعالى وهو بر بفتح الباء بمعنى محسن

قوله محمد بن الحنفية
هو ابن علي اخ الحسنين
من ابيهما فقط ابن الحنفية
رقيقة من بني حنيفة اهل
اليمامة قوم مسيلمة
الكذاب لعنه الله
اه

العالمين جمع عالم بفتح اللام اسم لما يعلم به غيره وهو مشتق من العلم فيختص بذوي العلم على ما يأتي او العلامة
لانه علامة على موجده وانه متصف بصفات الكمال وانما جمع للتحقيق سمي لم نكل جنس مما يسمى
به واختلف في العالمين فقال قتادة والحسن ومجاهد هم جميع المخلوقات وقال الفرا وابو عبيدة
هم عبارة عما يعقل وهم اربع امم الانس والجن والملائكة والشياطين ولا يقال للبهايم عالم وقال مقاتل هم
ثمانون الف عالم نصفها في البر ونصفها في البحر وقال الضحاك ثلاثماية وستون عالما حفاة عراة لا يعرفون خالقهم
وستون عالما يلبسون الثياب وقال ابن المسيب لله عز وجل الف عالم ستماية في البحر واربعماية في البر
وقال وهب ثمانية عشر الف عالم عالم الدنيا عالم منها وما العمران في الخراب الا كفسطاط ضرب في
الصحرا وقال ابو سعيد الخدري ان لله اربعين الف عالم الدنيا من شرقها الى غربها عالم واحد
ونقل ايضا عن ابي انه قال العالمين هم الملائكة وهم ثمانية عشر الف ملك منهم اربعة الاف وخمسماية
ملك بالمشرق واربعة الاف وخمسماية ملك بالمغرب واربعة الاف وخمسماية بالكنف الثالث
من الدنيا واربعة الاف وخمسماية بالكنف الرابع من الدنيا مع كل ملك من الاعوان ما لا يعلم عددهم
الا الله تعالى ومن ورايهم ارض بيضا كالرخام عرضها مسيرة الشمس اربعين يوما طولها لا يعلمه الا
الله تعالى مملوة ملائكة يقال لهم الروحانيون لهم زجل بالتسبيح والتهليل لو كشف عن صوت
احدهم لهلك اهل الارض من هول صوته منتهاهم الى حملة العرش وقال معاذ النحوي هم بنو آدم
فقط وقال ابو الهيثم خالد بن يزيد هم الانس والجن لقوله تعالى ليكون للعالمين نذيرا ورواه ابن
جبير عن ابن عباس وقال ابو عمرو بن العلا هم الروحانيون وهو معنى قول ابن عباس كل ذي روح دب
على وجه الارض لكن قال الشهاب الهيتمي تخصيصه بذي الروح او بالناس او بالثقلين والملائكة
او بالثلاثة مع الشياطين او ببني آدم او باهل الجنة والنار او بالروحانيين يحتاج لدليل
وقال كعب الاحبار لا يحصي عدد العالمين احد الا الله سبحانه وتعالى قال تعالى وما يعلم جنود ربك
الا هو وال في العالمين للاستغراق ومنع ابن مالك كون العالمين جمعا لعالم وقال بل هو اسم جمع له
لئلا يلزم ان المفرد اعم من جمعه لاختصاص العالمين بالعقلا وشمول العالم لهم ولغيرهم فهو كنظير قول
سيبويه ليس اعراب لكونه لا يطلق الا على البدوي جمعا للعرب لشموله له وللحضري وجوابه منع اختصاص
العالمين بالعقلا بل يشمل غيرهم كما صرح به الراغب وانما غلبوا في جمعه بالواو والنون لشرفهم وعلى
التنزل ان العالمين خاص فهو جمع لعالم مراد به العاقل فلا محذور وحينئذ قيوم وزنه فيعول
من القيام واصله فيووم بواوين قبلها ياء ساكنة فابدلت الواو الاولى ياء وادغمت
في اليا الساكنة فصار قيوم واختلف في معناه فقال قتادة معناه القايم بتدبير خلقه وقال
سعيد بن جبير معناه القايم على كل نفس بما كسبت وقال ابن عباس معناه الدايم القايم بتدبير
خلقه وحفظهم وهو احسن الاقوال واجمعها قال تعالى ان الله يمسك السموات والارض ان تزولا
وعليه فمعنى القيوم في وصفه تعالى انه المدبر والمتولي لجميع الامور التي تجري في العالم والحافظ

لها

قوله فسطاط هو الخيمة من الشعر كالبيت اه

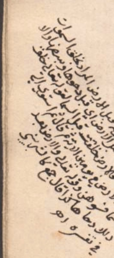
قوله الكنف بفتح النون الجانب اه

٤ هو احد القرا السبع اه

٢ هو تابعي جليل كان من احبار اليهود العظام اه

6/

لها ومعنى قيوم السموات والارضين مقيمهما وموجدهما وحافظهما وقال عبد القاهر ان اخذنا القيوم من
معنى القيام على النفوس بارزاقها واجالها والجزا لها على اكسابها كما قال تعالى افمن هو قايم على كل نفس
بما كسبت كان من اسمايه المشتقة من افعاله ولم يكن من صفاته الذاتية وان اخذناه من معنى الدوام
لحق له تعالى الا ما دمت عليه قايما اي مواظبا مداوما للقيام كان من صفاته الازلية لانه يكون من معنى
الباقي ويتعاوم صفة ازلية اه وفيه اربع لغات قيوم بتشديد اليا وقيئوم بالهمز وقيم وقيام وبهما
قري شاذا السموات جمع سما وهي الجرم المعهود وتطلق على كل مرتفع وقدمها لشرفها وعلو مكانها
وجمعها للتباين اجناسها قال الاستاذ القشيري الاولى موج مكفوف والثانية من النحاس والثالثة
من الفضة والرابعة من الذهب والخامسة من الياقوت والسادسة من الزمرد والسابعة
من النور والعرش من جوهرة خضرا والكرسي من النور وقال الربيع بن انس السما الدنيا موج
مكفوف والثانية مرمرة بيضا والثالثة من حديد والرابعة من نحاس والخامسة من فضة
والسادسة من ذهب والسابعة من ياقوتة حمرا وجاء عن سلمان الفارسي لكن بسند واه السما الدنيا
من زمردة خضرا والثانية من فضة والثالثة من ياقوتة حمرا والرابعة من درة بيضا والخامسة
من ذهب والسادسة من ياقوتة خضرا والسابعة من نور والارضين بفتح الرا
وقد تسكن جمع ارض مونثة وكان حقها لواحد منها ارضة لكن لم يقولوه وجمعها باليا والنون
شاذ قيل وانما جمعت جمع العقلا جبرا لنقصها بعدم ظهور علامة التانيث فيه وهي مشتقة
من ارضت القرحة اذا اتسعت فسميت ارضا لاتساعها ولا عبرة بقول من قال سميت
ايضا لانها ترض بالاقدام لان الرض مكررا لضاد ولا همز فيه وجمعها وان كان خلاف ما في الايات
لرعاية الفواصل وللاشعار بان الاصح انهن سبع لقوله تعالى ومن الارض مثلهن اي في العدد
لا في الهيئة والشكل فقط فهي سبع طباق بين كل طبقتين كما بين السما والارض خلافا للضحاك
الذي زعم انه لا فتق فيها ويدل كونها سبع طباق الحديث المتفق عليه من ظلم قيد بكسر القاف اي
قدر شبر من ارض طوقه من سبع ارضين وزعم ان المراد من سبع اقاليم خروج عن الظاهر
لغير دليل ولا وجه لتحميل شبر لم ياخذه ظلما بخلاف طباق الارض فانها تابعة ملكا وغصبا
وفي حديث البيهقي اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين السبع وما اقللن
وانما افردت في القران لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم ان الحكمة في افرادها في القراة
ثقل جمعها لفظا وخص السموات والارضين بالذكر لان المفرد والمنكر يعترف بهما لقوله
تعالى ولين سالتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله فان قلت ما الحكمة في خلق السما بغير
عمد وما الحكمة في خلقها قبل الارض فالجواب كما قال النيسابوري خلقها ليعلم ان فعلها خلاف
افعال الخلق لانه خلق اولا السقف ثم الاساس ورفعها على غير عمد ليدل على قدرته وجعل الكهف



ابواب باب المطر وباب الرزق وباب التدبير وباب تنزل منه الملايكة والروح وباب صعود الاعمال وباب
تنزل منه الملايكة بالبشارة كما قال تعالى تتنزل عليهم الملايكة وباب الرحمة فان قيل لم جعلها خضرا ومن
اي شي خضرتها قيل انما جعلها خضرا لتكون اوفق للبصر لان الاطبا يامرون بامعان النظر الى الخضرة
ليكون قوة للبصر قال الغزالي رحمه الله تعالى في النظر الى السما عشر فوايد منها انه يزيل الهم ويذهب
السودا ويقوي البصر وزينة للناظرين وعيدك من الانشراح بعد رمافي بينك من السما واما خضرتها
فقيل من جبل قاف لانه من زمرد اخضر وهو مغيب الشمس بسنة وخضرة السما منه وقيل خضرتها
من الصخرة التي تحت الارض السفلى تحت الثور المشار اليها بقوله انها ان تك مثقال حبة من خردل
فتكن في صخرة او في السموات او في الارض يات بها الله وجعل الله الشمس طباخة للثمار والفواكه ولولا
الشمس ما نبت زرع ولا خرجت فواكه وجعلها تطبخ في فوق والناس يطبخون بالنار من تحت
وجعل القمر صباغا لساير الوان الفواكه وجعل الله في الشمس من الخواص انها تذبل الورد وتجفف
العضب والورق وتجمد الملح وترطب بدن الانسان اذا نام في الشمس وتجعل الماء الحار او البطيخ
باردا وتبيض الثياب وتسود وجه القصارين تنبيه الارض العليا افضل مما تحتها
لاستقرار ذرية ادم فيها ولانتفاعنا بها ودفن الانبيا فيها وهي مهبط الوحي وغيره من
الملايكة قاله في كشف الاسرار ونقل عن بعضهم ان السما الدنيا افضل مما سواها لقوله تعالى
ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح قال الجلال السيوطي قلت قد ورد الاثر بخلافه اخرج عثمان
ابن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال سيد السموات
السما التي فيها العرش وسيد الارضين الارض التي نحن فيها وقد رفع العلامة للسيوطي رحمه
الله سوالا صورته يا عالم العصر لازالت انامكم تحمي وجودكم نام مدا الدهر فقد سمعت خصاما
بين طايفة من الافاضل اهل العلم والسنن في الارض قد خلقت قبل السما وهل بالعكس جا اثر يا نزهة الزمن
منهم قال ان الارض منشاة بالخلق قبل السما فوجلي السنن ومنهم من اتى بالعكس مستندا الى كلام امام ماهر فطن
اوضح لنا ما خفي من مشكل وابن بجاه ربك من وزر ومن محن ثم الصلاة على المختار من مضر ماجي الضلالة هاد الخلق للسنن
فاجاب رحمه الله بما صورته الحمد لله ذي الافضال والمنن ثم الصلاة على المبعوث بالسنن الارض قد خلقت
قبل السما كما قد قصه الله في حم فاستبن ولاينافيه ما في النازعات اتى فدحوها غير ذاك الخلق للفطن
فالحبر اعني ابن عباس اجاب بذا لما اتاه به قوم ذوو لسن وابن السيوطي قد خط الجواب لكي
ينجو من النار والاثام والفتن قال القاضي عياض وليس في غلظ الارض وطبقاتها وما بينهما حديث
ثابت ثم ان الارض وردت في القران لمعان الاول ارض الجنة كقوله تعالى في الزمر وقالوا الحمد لله الذي صدقنا
وعده واورثنا الارض يعني ارض الجنة والثانية الارض المقدسة بالشام كقوله تعالى ونجيناه ولوطا
الى الارض التي باركنا فيها يعني الارض المقدسة الثالث ارض المدينة كقوله تعالى في العنكبوت يا عبادي

فرع نهى النبي عن الجلوس في حالة يكون بعضه في الشمس وبعضه في الظل ذكره ابن العماد اهـ

الذين

الذين امنوا ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون يعني ارض المدينة الرابع ارض مكة خاصة كقوله تعالى
في الرعد اولم يروا انا نأتي الارض ننقصها من اطرافها قال بعضهم يعني ذهاب العلما الخامس ارض
مصر كقوله تعالى في يوسف اجعلني على خزاين الارض وكذا قوله تعالى وكذلك مكنا ليوسف في الارض
يعني ارض مصر السادس ارض العرب كقوله تعالى في المايدة او ينفوا من الارض وكقوله تعالى في الكهف
ان ياجوج وماجوج مفسدون في الارض يعني ارض العرب السابع جميع الارضين كلها كقوله تعالى في هود
وما من دابة في الارض الا على الله رزقها مدبر امور الخلايق جمع خليقة بمعنى مخلوقة وترد
بمعنى الخلق والطبيعة ومنه وان تلك قد ساتك مني خليقة البيت وبمعنى الجديرة قال الشاعر
خليقته بكل مدح خليقة اي طبيعته بكل مدح جديرة والمراد الاول اي مصرف امور الخلق بقدرته
على وفق مشيته من ايجاد واعدام واعطا ومنع وغير ذلك على ما تقتضيه حكمته البالغة ولا يحسن
ان يقال مدبر الخلايق على ما تقتضيه المصلحة لان في الخلق من عاقبتهم في النار وهم الكفار الا ان يراد
تدبير الخلايق في الدنيا فيصح لان عموم رحمته تعالى اقتضت افاضة المصالح الدنيوية على المومن
والكافر واما حمل الخلايق على انه جمع خليقة بمعنى الخلق والطبيعة فهو خلاف الظاهر والتدبير في
صفات البشر التفكر في عواقب الامور قال تعالى افلا يتدبرون القران ومعناه افلا يتفكرون في
معانيه يقال تدبرت الامور اذا تفكرت في عواقبها ولا يوصف الاكرم سبحانه بالتفكر في الامور
فانه لم يزل عالما بها قبل وقوعها واختلفوا في قوله عز وجل في صفة الملايكة فالمدبرات امرا فمنهم
من قال معناه انها تاتي بالتدبير من عند الله عز وجل قال ابو عبيدة يقال دبرت الحديث
اي حدثت به عن غيري فالمدبرات امرا المحدثون عن الله عز وجل بامره ونهيه واخباره وفي
الحديث اما سمعت عن معاذ بن جبل تدبره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وانما جمع الخلايق
ليعلم ان التدبير اليه في العالم العلوي والسفلي من اعلى العرش الى تحت الثرى لا يشغله شان
عن شان قال عز وجل يدبر الامر من السما الى الارض فان قيل اذا كان تدبير الله نافذا في
السما والارض وما بينهما فلم انتهى التدبير الى الارض في الذكر فالجواب ان الى بمعنى مع كما
في قوله الى المرافق وفي قوله من انصاري الى الله فهو من باب دخول الحد في المحدود فهو المدبر
للارض والسما وما بينهما اجمعين تاكيد ناص على شمول تدبيره سبحانه وتعالى لكل مخلوق او
اتي به للسجع باعث لطفا منه وفضلا منه لا وجوبا خلافا للمعتزلة مشتق من البعث اي مرسل صح
وهو الارسال كما في قوله تعالى ولقد بعثنا في كل امة رسولا وقوله ثم بعثنا من بعده رسلا ويطلق
بمعنى النشر والاحيا بعد الموت ومنه قوله عز وجل فاماته الله ماية عام ثم بعثه وقوله تعالى ثم
بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون وكذلك البعث من النوم اي الايقاظ ومنه قوله
عز وجل في حق اصحاب الكهف وكذلك بعثناهم ليتسالوا بينهم ويطلق بمعنى الاثارة والانهاض

يقال منه بعث فلان بعيره اي اثاره فثار ونص الرسل جمع رسول وهو من البشر انسان حر ذكر اكمل معاصريه
غير الانبيا عقلا وفطنة وقوة راي وخلقا بالفتح وعقدة موسى عليه السلام اذ زيلت بدعوته عند الارسال
كما في الآية معصوم ولو من صغيرة سهوا وقبل النبوة على الاصح سليم من دناءة اب وخنا ام وان عليا
ومن منفر كعمى وبرص وجذام ولا يرد بلا ايوب وعمى يعقوب على انه حقيقي لطروه بعد الانباء والاعلام
فيما قارنه والفرق ان هذا منفر بخلافه فيمن استقرت نبوته ومن قلة مروءة كالاكل بطريق ومن دناءة صنعة
كحجامة اوحي اليه بشرع وامر بتبليغه وان لم يكن له كتاب ولا نسخ كيوشع فان لم يومر فنبي فقط
فبينهما عموم وخصوص مطلق وهو افضل من النبي اجماعا لتميزه بالرسالة التي هي على الاصح افضل
من النبوة خلافا لابن عبد السلام ووجه تفضيل الرسالة على النبوة كما قال القرافي ان الرسالة
تثمر هداية الامة والنبوة قاصرة على النبي فنسبتها الى النبوة كنسبة العالم الى العابد ثم ان محل الخلاف
بينهما مع اتحاد محلهما وقيامهما معا بشخص واحد اما مع تعدد المحل فلا خلاف في افضلية الرسالة
على النبوة فقط ضرورة جمع الرسالة لها مع زيادة ولما كانت الصلاة على الانبيا مطلوبة اذا ذكروا
لقوله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله اذا ذكرتموهم فانهم بعثوا كما بعثت رواه ابن عساكر قال
صلاته اي رحمته المقرونة بتعظيم وخص لفظها بهم تعظيما لهم وتمييزا لرتبتهم على غيرهم
وتنظير بعض الشراح في تفسيرهم لها بالرحمة لانها عطفت عليها في اولئك عليهم صلوات من
ربهم ورحمة ولانها مستحيلة في حقه تعالى وتصويبه انها المغفرة غير سديد لانها اخص من
مطلق الرحمة وعطف العام على الخاص صحيح مفيد ولان المراد بها كما مر في حقه تعالى غايتها
كسائر الصفات المستحيل ظاهرها عليه تعالى كذا في شرح الهيتمي نعم يرد ان الرحمة فعلها متعد
والصلاة فعلها قاصر ولا يحسن تفسير القاصر بالمتعدي كذا قيل وفيه بحث وفي بعض النسخ صلواته
بالجمع وسلامه اسم مصدر بمعنى تسليمه اي تحيته او تسليمه اياهم من كل افة ونقيصة عليهم
كلمة على هنا مجردة عن المضرة كما في قوله تعالى فتوكل على الله فلا يرد ان الصلاة بمعنى الدعاء واذا
استعمل مع كلمة على يكون للمضرة مع انه يمكن الفرق بين صلى عليه ودعا عليه الى متعلق باعث
المكلفين جمع مكلف وهو البالغ العاقل من الانس وكذا من الجن بالنسبة لنبينا صلى الله عليه وسلم
اذ هو مرسل اليهم اجماعا خلافا لمن وهم فيه كما بينه السبكي في فتاويه واما بقية الرسل فلم
يرسل احد منهم اليهم كما قاله الكلبي وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما واما حكم سليمان
فيهم واطاعتهم له فليس من جهة رسالته بل لكونه ملكا عليهم فكان له تسلط عليهم بالملك
وايمانهم بالتوراة كما دل عليه قوله تعالى يا قومنا انا سمعنا كتابا انزل من بعد موسى لا يدل
على انهم كانوا مكلفين به لجواز ايمانهم به تبرعا منهم وليس منهم رسول عن الله تعالى عند
جماهير العلما واما قوله الم ياتكم رسل منكم فالمراد به احدكم وهو الاكثر على حد قوله
تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وجعل القمر فيهن نورا وكذا من الملائكة بالنسبة

لنبينا ايضا لانه مرسل اليهم على الاصح عند جمع من المحققين كما يدل عليه خبر مسلم وارسلت
الى الخلق كافة زاد السبكي انه مرسل الى جميع الانبياء والامم السابقة وان قوله بعثت الى
الناس كافة شامل لهم من لدن آدم الى قيام الساعة بل اخذ بعض المحققين بعمومه حتى
للجمادات واستدل له بشهادة الحجر والشجر له صلى الله عليه وسلم قال الحافظ السيوطي وازيد
من ذلك انه مرسل الى نفسه وقول الرازي في تفسير ليكون للعالمين نذيرا الشامل لهم
اجمعنا على ان المراد الانس والجن دون الملائكة مردود او مؤول بان مراده اجماع الخصم
اذا اجمعنا انما يقال لذلك غالبا لا اجماع كل الامة على انه هذا لا يوخذ من مثل الرازي بل من
مثل ابن المنذر وابن جرير واما غير نبينا فغير مرسل اليهم قطعا ومعنى ارساله للملائكة
وهم معصومون انهم كلفوا بتعظيمه والايمان به واشادة ذكره وللجمادات انها ركب فيها
ادراكات لتؤمن به ولتخضع له وان من شيء الا يسبح بحمده اي حقيقة بلسان المقال كما
قاله الحافظ ابن عبد البر والقاضي عياض والسهيلي في الروض الانف في غزوة احد وابن
المنير والسيوطي في حاشية الموطا وغيرهم وهو المعول عليه لا بلسان الحال خلافا للبيضاوي
في سورة الاسرا اذا تقرر هذا فاطلاق المص بعث الرسل الى المكلفين ليس المراد به
عمومه كما عرفت فان قلت تكليف الملائكة من اصله مختلف فيه فالجواب كما قاله الشهاب
الهيتمي ان الحق تكليفهم بالطاعات العملية قال الله تعالى لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يؤمرون بخلاف نحو الايمان فانه ضروري فيهم فالتكليف به تحصيل الحاصل وهو محال
تنبيهان الاول ذكر ابن جماعة ان المكلفين ثلاثة اقسام قسم مكلف من اول الفطرة
قطعا وهم الملائكة وآدم وحواء وقسم لم يكلف من اول الفطرة قطعا وهم اولاد آدم
وقسم فيه نزاع والظاهر انهم مكلفون من اول الفطرة وهم الجن الثاني قال في
شرح الترغيب والترهيب ما نصه سئل النووي هل ياجوج وماجوج من ولد آدم
وحواء عليهما السلام وكم يعيش كل واحد منهم فاجاب هم من ولد آدم وحواء
عليهما السلام عند اكثر العلماء وقيل انهم من ولد آدم من غير حواء فيكونون اخواننا من الاب
اي انهم خلقوا من مني آدم خرج في غير حال الجماع ووقع في الارض وخلقوا منه ولم يثبت
في قدر اعمارهم شيء ونقل عن ابن عبد البر الاجماع على انهم من ولد يافث بن نوح وان النبي
صلى الله عليه وسلم سئل عن ياجوج وماجوج هل بلغتهم دعوتك فقال جزت ليلة
اسري بي فدعوتهم فلم يجيبوا فهم من اهل النار وصرح بان الصحيح انه لم يرسل
اليهم وانهم من ذرية آدم بدليل حديث ان الله تعالى يقول يوم القيمة يا آدم اخرج
بعث النار الحديث وروى الطبراني انه صلى الله عليه وسلم قال ياجوج لها اربعماية

امير وكذلك ماجوج لا يموت احدهم حتى يري الى الف من ولده انتهى المراد منه وانظر على هذا الصحيح من
انه لم يبعث اليهم لم عذبوا وقد قال تعالى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ودعوي انه ارسل اليهم
غيره خلاف ما يظهر من كلام الجماعة وكيف يدعوهم مع كونه لم يبعث اليهم لهدايتهم مصدر مضاف
لفاعل او المفعول اي لاجل ارشادهم ودلالتهم اياهم على سلوك سبيل الهدي وتجنب طريق الردي
قال المولى سعد الدين التفتازاني في شرح العقايد والمشهور ان الهداية عند المعتزلة هي الدلالة
الموصلة الى المطلوب وعندنا الدلالة على طريق توصل الى المطلوب سوا حصل الوصول والاهتدا او لم
يحصل اه وكل من القولين منقوض اما الاول فمنقوض بقوله تعالى واما ثمود فهديناهم فاستحبوا
العمى على الهدى واما الثاني فمنقوض بقوله تعالى انك لا تهدي من احببت واحتمال التجوز مشترك
والهادية من كل شي اوله وما يتقدم منه ولهذا قيل اقبلت هوادي الخيل اذا ظهرت اعناقها واما الذي
روي انه عليه الصلاة والسلام خرج في مرضه يهادي بين اثنين فمعناه انه يميل بينهما ويعتمد عليهما
من ضعفه وكل من فعل ذلك باحد فهو يهاديه وتهادت المراة في مشيتها اذا تمايلت وفي امثال العرب
في معنى الهداية قولهم اهدي من الانساة الى فيه واهدي من يد الى فم واهدي من قطاة واهدي من
حمامة لان القطاة والحمامة يسيران من وكريهما ومنهليهما مسافة ايام كثيرة ثم يهتديان اليهما
واللام في كلام المص لبيان حكمة الارسال وغايته لا للعلة الباعثة عليه لان افعاله تعالى لا تعلل بالاغراض
لما يلزم على ذلك الذي ذهب اليه المعتزلة قبحهم الله مما هو مقرر في محله والهدي يتعدى بنفسه
وبحرف الجر يقال هداه الطريق والى الطريق اي دله عليه وبيان البيان والتبيين عبارة عن الظهور
بعد الخفا وذلك انهما مشتقان من البينونة والابانة وهي عبارة عن التفريق بين امرين متصلين
فاذا حصل في القلب اشتباه صورة بصورة ثم انفصلت احداهما عن الاخرى فقد حصلت البينونة
فلذا سمي بيانا وتبيينا شرايع جمع شريعة فعيلة بمعنى مفعولة وهي لغة مشرعة الما اي
مورده الذي للشارب واصطلاحا ما شرعه الله من الاحكام لعباده من شرع بمعنى بين وبمعنى سن
ومنه قوله تعالى شرع لكم من الدين اي سن الدين هو لغة يطلق على امور منها الطاعة ومنه قول زهير
لئن حللت بواد في بني اسد في دين عمرو وحالت بيننا فدك اراد في طاعة عمرو والجزا ومنه قوله
تعالى يومئذ يوفيهم الله دينهم الحق اي جزاءهم الحق الذي وعدوا به وقوله تعالى ان الدين لواقع
اي الجزا لواقع يوم القيمة والحساب ومنه قوله تعالى ذلك الدين القيم اي الحساب الصحيح وقوله
تعالى انا لمدينون اي لمجزيون وقال لبيد حصادك يوما ما زرعت وانما يداه الفتى يوما بما هو دائن
ومن كلام العرب كما تدين تدان اي كما تجازي تجازى والتوحيد ومنه قوله تعالى الا لله الدين الخالص
اي التوحيد وبمعنى الملة ومنه قوله تعالى ورضيت لكم الاسلام دينا ويعبر به عن داء من ادواء
القلب ومنه قول الشاعر يا دين قلبك من سلمى وقد دينا والعادة والعمل ومنه قوله

ان اردت لها وضيني فهذا دينه ابدا ودينى والوضين للهودج بمنزلة البطان للقتب والحزام للسرج
والسياسة ومنه قول ذي الاصبع ولا انت دياني فتخزوني والحال ومنه قول النضر بن شميل سالت اعرابيا
عن شي فقال لو لقيتني على دين غير هذا لاخبرتك اي على حال غير هذا والقهر والخضوع ومنه قول العرب
دنته فدان اي قهرته فخضع واصطلاحا وضع الهي سايق لذوي العقول باختيارهم المحمود الي ما هو
خير لهم بالذات تخرج بقوله الهي الاوضاع الصناعية وبقوله سايق الوضع الالهي غير السايق كانبات
الارض وامطار السما وقوله لذوي العقول افعال الحيوانات المختصة بالاختيار وبقوله باختيارهم الاوضاع
السايقة لا بالاختيار كالوجدانيات وبقوله المحمود الكفر وبقوله بالذات متعلق بسايق اي ان الوضع الالهي
بوضعه ذلك سايق اي بذاته لانه ما وضع الا كذلك ويمكن تعلقه بالخير ومعناه ان ذلك الخير هو ما وضع
الكريم بذاته خير والاضافة في تشريع الدين بيانية لان ما شرعه الله لعباده من الاحكام هو الدين ويصح
ان تكون على معنى اللام بان يراد بالشرايع الاحكام وبالدين الملة والاسلام وفي اثباته الشرايع للدين
استعارة تخييلية ويصح ان تكون من اضافة المشبه به الى المشبه فيكون تشبيها موكدا اي وبيان الدين
الذي هو لعذوبته كالشريعة كما قال الشاعر والريح تعبث بالغصون وقد جرى ذهب الاصيل على لجين الماء
بالدلايل متعلق ببيان جمع دلالة بتثليث الدال بمعنى الدليل قال ابن قاسم في الايات البينات الدليل
بزنة فعيل وفعيل جمع على فعايل غير مقيس واجيب بانه يحتمل ان يراد بالدلايل جمع دلالة والدلالة
تصدق على الدليل كما قاله المحلي وجمع على دلايل جمع مقيس والدليل في اللغة المرشد الى المطلوب
وفي اصطلاح اهل الميزان ما يلزم من العلم به العلم بشي اخر وفي اصطلاح اهل الاصول ما يمكن التوصل
بصحيح النظر فيه الى علم او ظن فالاول كالنصوص المثبتة للبعث والحساب والثاني كخبر انما الاعمال
بالنيات وذهب اكثر المتكلمين الى انه لا يستعمل الدليل الا فيما يودي الى علم واما ما يودي الى الظن فليس
بدليل ثم هو كما قال الزركشي في البحر ثلاثة اقسام سمعي وعقلي ووضعي فالسمعي كالكتاب والسنة
والاجماع والعقلي ما دل بنفسه كدلالة الحدث على المحدث والوضعي ما دل باسناده كالعبارة
الدالة على المعاني ووصفها بقوله القطعية اي الادلة الموديه للعلم ليخرج الدلايل الظنية ووصفت
المودية للعلم بالقطعية لانها تقطع معارضة الخصم او للقطع بمقدماتها نحو كل انسان جسم
وكل جسم مركب فكل انسان مركب قال الشارح الهيتمي فان قلت اكثر ادلة الشريعة ظنية
لان مقدماتها كذلك نحو الطمانينة ركن في الصلاة وكل ركن واجب والوضوء عبادة وكل عبادة يشترط
لها النية فكان ينبغي له حذف القطعية قلت انما صارت ظنية بالنسبة الينا بخلافها لمن سمعها
من النبي صلى الله عليه وسلم فانها بالنسبة اليه قطعية والكلام انما هو في بيان الرسل للشرايع
وذلك جميعه قطعي ويصح ان يراد بدلايلهم معجزاتهم الدالة على صدقهم وكلها قطعية لاستفادتها
من دليل مولف من مقدمتين قطعيتين نحو الرسل جاووا بالمعجزات وكل من جا بالمعجزة صادق
فالرسل صادقون اما الصغرى فضرورية حسية والكبرى ضرورية عقلية اذ المعجزة خارقة

للعادة وخرقها لا يقدر عليه الا الله سبحانه وتعالى وهولا يويد كاذبا وقد ايدهم بها فلا يكونوا كاذبين بل صادقين
وواضحات البراهين هو من اضافة الصفة للموصوف اي البراهين الواضحة التي لا اشكال فيها جمع برهان
وهو لغة الحجة وايضاحها اي المبرهنة وهي البيضا من الجواري واصطلاحا ما تركب من مقدمات يقينية متى
سلما لزم لذاتها قول ثالث كالعالم متغير وكل متغير حادث ينتج العالم حادث وعطفه على ما قبله من عطف
المغاير لان البرهان لا يكون الا مركبا والدليل بخلافه احمده اي اصفه بجميع صفاته الجميلة وذكر الحمد مرتين
للجمع بين نوعيه الواقع في مقابلة صفاته تعالى والواقع في مقابلة نعمه وخص الاول بالجملة الاسمية الدالة
على الثبوت والاستمرار والثاني بالجملة الفعلية الدالة على التجدد والتعاقب لقدم الصفات واستمرارها
وتجدد النعم وتعاقبها على جميع نعمه جمع نعمة بكسر النون بمعنى المنعم به واما بفتح النون فهي التنعم قال
تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين وبضمها السرور وحمل بعض المحققين النعمة في كلام المص بمعنى الانعام لا بمعنى
المنعم به لان الاول وصف قايم بذاته تعالى دايم مستمر والثاني اثره والحمد على الانعام الذي هو من وصف
المنعم ابلغ منه على اثره الواصل الينا وفي الحديث ان الله يحب ان يرى نعمته على عبده واختلف الناس
في ذلك ثم مذهب الصوفية ان النعمة في الاعطا للخلق وان عري عن وجلع ومذهب الفقها حسن اللبس والنعمة
هي المنفعة الخالية من الضرر ولذا اختلف هل لله نعمة على كافر في الدنيا فقيل نعم وعليه القاضي الباقلاني
وصوبه الرازي لقوله تعالى يا بني اسرايل اذكروا نعمتي التي انعمت عليكم وذكر ايات كثيرة فيها دلالة لذلك
وقيل لا وعزي للاشعري لانه وان اوصل اليه نعم لكنها قليلة حقيرة ولا اعتداد بها بالنسبة الى الضرر الدايم
في الاخرة ومن ثم قال تعالى ولا يحسبن الذين كفروا انما نملي لهم خير لانفسهم انما نملي لهم ليزدادوا اثما
الاية قال بعض المحققين والخلاف لفظي اذ لا خلاف في وصول النعم اليهم وانما النزاع في انها اذا حصل عقبها ذلك
الضرر الابدي هل تسمى حينيذ في العرف نعما اولا فهو نزاع في مجرد التسمية واستبعده بعضهم وقد
اختلف ايضا هل هو منعم عليه في الاخرة اولا فذهب الى الاول المعتزلة رايين ان ما من عذاب
الا وفي قدرة الله اشد منه لكن لا يقال انه في نعمة وذهب غيرهم الى الثاني قال بعضهم واول نعمة
انعم الله تعالى بها على العبد المومن من النعم الدنيوية الحياة التي يتوصل بها الى ادراك اللذة التي
لا يعقبها ضرر لا اجلا ولا عاجلا خلافا للمعتزلة في انه اولها الحياة في الجملة ويلزمهم ان اصحاب النار المقيمين
فيها منعمون والاجماع على خلافه واعظم النعم الدينوية الايمان خلافا للمعتزلة في انه ليس من النعم
البتة لنا انه سبب الخلود في الجنة دون ساير الاعمال فوجب كونها اعظمها واعظم النعم الاخروية
مشاهدة الذات العلية في جنة عالية قطوفها دانية واسيله من السوال وهو كما قال
الراغب استدعاء معرفة او ما يودي الى معرفة واستدعاء مال او ما يودي الى مال فاستدعاء
المعرفة جوابه على اللسان واليد خليفة له بالكتابة والاشارة واستدعا المال جوابه على
اليد واللسان خليفة لها اما بوعد او برد والسوال اذا كان للتعريف تعدى للمفعول الثاني

ثاني

تارة بنفسه وتارة بالجار نحو سالته كذا وسالته عن كذا وبعن اكثر نحو ويسالونك عن الروح واذا
كان السوال لاستدعا مال فانه يتعدي بنفسه او بمن نحو واذا سالتموهن متاعا واسيلوا الله
من فضله اه والسوال من الادني للاعلي دعا وعكسه امر ومن المساوي التماس وقال بعضهم السوال
والدعا مترادفان وليس بينهما وبين الامر والالتماس فرق من جهة الصيغة التي تدل علي طلب الفعل
دلالة وضعية وانما يحصل الفرق بالمقارن وذلك لانها ان قارنت الاستعلا فهي الامر وان قارنت
التساوي فهي التماس وان قارنت الخضوع فهي سوال ودعا فالسوال ما دل علي طلب الفعل دلالة
وضعية مقارنة للخضوع وهكذا المزيد العوض عن المضاف اليه اي مزيد النعم من فضله
هو لغة ضد النقص واصطلاحا العطا عن اختيار لا عن ايجاب كما تقول الحكما ولا عن وجوب كما
تقول المعتزلة اه ومعني لا عن ايجاب انه تعالي تصدر عنه افعاله باختياره لا بغيره كما تقول الحكما
فانهم يجعلونه علة او طبيعة تحصل اثارها من غير اختيار كالعلة ومعلولها الطبيعية
ومطبوعها ومعني قوله ولا عن وجوب انه تعالي لا يجب عليه ذلك خلافا للمعتزلة القايلين
بانه يجب عليه فعل الصلاح والاصلح ورد بانه لو وجب عليه ذلك لما وقعت محنة دنيا
ولا اخروي ولا تكليف بامر ونهي وعلي هذا فمن للتعدية ويصح كونها للتعليل اي من اجل اتصافه
بالفضل وساير صفات الكمال اذ لا يسال حقيقة الا من هو كذلك وكرمه فيه الوجهان
المذكوران وهو بذل اي اعطا الكثير لغير علة اي دنيوية او اخروية ويضاده اللوم ويطلق
الكرم بمعني ايثار الصفح عن الجاني من عجيب ما يقال كل عيب يغطيه الكرم الا عيب الدين
وحكي اليافعي في روض الرياحين ان شخصا انشد ليحيي بن خالد هذين البيتين فاعطاه
بكل حرف من الحروف الف درهم وهما سالت الندي هل انت حر فقال لا ولكنني عبد ليحيي بن خالد
فقلت شراء قال لا بل وراثة توارثني عن والد بعد والد واشهد اي اعلم واتحقق واذعن
فلا يكفي العلم من غير اذعان كما هو شان كثير من اهل الكتاب كانوا في زمنه صلي الله عليه وسلم
ان لا اله اي لا معبود بحق موجود او في الوجود الا الله بالرفع علي البدلية من الضمير المستتر
في الخبر المقدر العايد علي اسم لا علي المختار عند ابي حيان وهو الاشهر وقيل علي البدلية من لا اله لان
محل لا مع اسمها رفع بالابتدا ويجوز نصبه علي الاستثنا علي البدلية من اسمها لان لا انما تعمل
في نكرة منفية ولفظ الله معرفة مثبت واتي بالشهادة هنا لما رواه ابو داوود وغيره عنه صلي
الله عليه وسلم انه قال كل خطبة ليس فيها تشهد فهي كاليد الجذماء الواحد في ذاته اذ لا
يتبعض ولا يتجزي وصفاته وافعاله بمعني عدم مشاركة غيره له فيهما فهو الغني علي الاطلاق
الذي لا يحتاج الي غيره قال بعض المحققين فان قلت نطق القران بالواحد والاحد فقال تعالي
والهكم اله واحد وقال تعالي قل هو الله احد فهل بينهما فرق من جهة المعني قلت من الناس
من فرق بينهما معني وهو الحق ومنهم من قال الوحدة راجعة الي الذات والاحدية الي الصفات

نفي

اي واحد في ذاته واحد في صفاته ومنهم من عكس ومنهم من قال الوحدة راجعة الي نفي المثل والاحدية الي نفي الجزء ومنهم من عكس كذا في شرح الرسالة القشيرية لشيخ الاسلام الانصاري القهار من القهر لانه لا من مخلوق الا وهو مقهور تحت قدرته ومسخر بقضائه او الذي قهر الجبابرة في الدنيا بالدمار وقهر جميع اعدائه في الاخرة بالبوار الكريم المنعم المتفضل الذي يعطي من غير مسيلة ولا يكدر عطاءه بالمن والاذي او السيد الذي يمنع عن ان ينال بامتهان من قولهم اكرم نفسه عن الهوان وقد سمي الله القران كريما لامتناعه عن ان يعارض بمثله واكريم على الله تعالي بخلاف السخي لعدم وروده ولاشعاره بجواز الشح الغفار من الغفر وهو ستر الشي وتغطيته اي ستار القبائح والذنوب باسبال الستر عليها في الدنيا وترك المواخذة بها في العقبي ويقال للجنة الراس مغفر لانه يغفر الراس اي يغطيه والعرب تقول اصبغ ثوبك فانه اغفر للوسخ واعلم ان الغفور ابلغ من الغافر لان فعولا موضوع للمبالغة والغفار ابلغ من الغفور لانه للتكثير بغير حصر فاذا ستر علي عبده في الدنيا وعفي عن عقوبته في الاخرة ولم يفضحه بذنبه فهو غفار له واذا ستر عليه مرة فهو غافر له وان ستر عليه مرارا فهو غفور واذا دام الستر عليه فهو الغفار له وقيل من غفر له بعض ذنوبه في الاخرة وعاقبه علي الباقي فهو غافر له وان غفر له اكثر ذنوبه وعاقبه علي القليل فهو غفور له وان غفر له جميع ذنوبه فهو غفار له وبين الغفار والقهار طباق معنوي لاشعار الاول بالقهر واستحضاره يبعث علي الخوف والثاني بالرحمة واستحضاره يبعث علي الرجاء واشهد ان محمدا علم منقول لا مرتجل من اسم مفعول المضعف مشتق من الحمد الذي هو ضد الذم سماه به جده عبد المطلب بالهام من الله ليكون علي وفق تسمية الله له به قبل الخلق بالفي عام علي ما ورد عند ابي نعيم وليطابق اسمه صفته لكثرة خصاله المحمودة ورجاء ان يحمده اهل السما والارض وقد حقق الله رجاءه ومحمد ابلغ من محمود باعتبار فعليهما وان تساوي الاسمان في عدد الحروف اذ الاول من الثلاثي المضعف والثاني من الثلاثي المجرد وذكر المص هذا الاسم دون غيره لانه اشهر اسمايه ولذكره في القران متكررا دون غيره ولشرفه اذ هو مشتق من اسمه تعالي كما قال حسان رضي الله عنه وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد روي ابن عساكر عن كعب الاحبار ان ادم راه مكتوبا علي ساق العرش وفي السموات وعلي كل قصر وغرفة في الجنة وعلي نحور الحور العين وعلي ورق شجرة طوبي وسدرة المنتهي واطراف الحجب وبين اعين الملائكة ولم يسم به احد قبله لكن لما قرب زمنه صلي الله عليه وسلم ونشر اهل الكتاب نعته وظهر قبل ظهوره للوجود الخارجي ان نبيا يبعث اسمه محمد سمي قليل من العرب اولادهم رجاء النبوة لهم والله اعلم حيث يجعل رسالته ومنع الله كلا منهم ان يدعي النبوة او يدعيها له احد او يظهر عليه سبب يشكك احدا

ولا وسيلة او ما امتنى او وز الذي تقبل العشرات الاجر ويضاعف الحسنات صح

في امره

11

في امره وعدتهم اما خمسة او ستة او اربعة عشر او خمسة عشر او سبعة عشر والذي اقتصر عليه الشارح
الهيتمي انهم خمسة عشر كما بينه بعض المحققين قال شيخ الاسلام واحمد لم يتسم به احد قبله فما اعلم
عبده قدمه امتثالا لما في الحديث الصحيح ولكن قولوا عبد الله ورسوله وللرد على اليهود وا
لنصارى حيث زعمت الاولى ان العزير ابن الله والثانية ان المسيح ابن الله تعالى عما يقول
الظالمون علوا كبيرا وانظر الى اول مقالة المسيح لما طلبت منه اجابة القوم عنها وهي اني عبد الله
ولان العبودية اشرف اوصافه عليه الصلاة والسلام ولذا وصف بها في اشرف المقامات فذكره
في انزال القرآن عليه في مما نزلنا على عبدنا انزل على عبده الكتاب نزل الفرقان على عبده وفي
مقام الدعوة اليه وانه لما قام عبد الله يدعوه وفي مقام الاسرا والوحي في اسرى بعبده
فاوحى الى عبده ما اوحى فلو كان له وصف اشرف منه لذكره في تلك المقامات العلية وليس
للمؤمن صفة اتم ولا اشرف من العبودية ولقد احسن القاضي عياض حيث قال
ومما زادني شرفا وتيها   وكدت باخمصي اطأ الثريا   دخولي تحت قولك يا عبادي   وان صيرت احمد لي نبيا
وعن احمد اخي الغزالي ان القاري قرا عنده يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم فقال شرفهم بياء
الاضافة الى نفسه بقوله يا عبادي ثم انشد   وهان علي اللوم في جنب حبها   وقال الاعادي انه لخليع
اصم اذا نوديت باسمي وانني   اذا قيل لي يا عبدها لسميع   وقد خيره الله بين ان يكون نبيا
ملكا او نبيا عبدا فاختار الثاني ومن ثم لم يقل لشيء فعله خادمه اف قط ولا ضرب عبدا ولا
امة وهذا شيء لا يسعه الطوق البشري الا بتاييد الهي ورسوله الواو فيه
للعطف فعول بمعنى مفعول وهو لغة المرسل واصطلاحا مر تفسيره كالنبي واثر ذكره اشارة
الى رد ما عليه ابن عبد السلام من تفضيل النبوة على الرسالة وقد سلف رده والاضافة فيه
وفيما قبله للتشريف وحبيبه فعيل بمعنى الفاعل ياتي بمعنى محب كاليم بمعنى مولم قال الشاعر
اني تودكم نفسي وامنحكم   حبي ورب حبيب غير محبوب   وقيل بمعنى المفعول اي محبوبه
الاعظم ماخوذ من الحبة وهي خالص كل شي وقيل من حبب الاسنان وهي صفاء بياضها
ونضارتها فهي صفاء المودة وقيل من الحباب وعليه فهي غليان القلب وثورانه عند
العطش الى لقاء المحبوب وخليله الاعظم فعيل بمعنى فاعل وهو الذي يخاللك اي يوافقك
في خلالك اي خصالك او يسايرك في طريقك والخل الطريق في الرمل او يسد خللك كما يسد
خلله او يدخل خلال منزله او الذي تخلل الحب شغاف قلبه من الخلة بالفتح وهي الحاجة
لانقطاعه الى ربه وقصر حاجته عليه ولذا وصف بها ابراهيم عليه الصلاة والسلام لما قصر
حاجته على ربه حين جاءه جبريل عليهما الصلاة والسلام وهو في المنجنيق بفتح الميم وكسرها
ليرمي به في النار فقال له الك حاجة فقال اما اليك فلا او من الخلة بالضم وهي صفاء
المودة وتخللها في القلب فلا تدع فيه محلا الا ملاته وهي توجب الاختصاص بالاسرار
كما قال ابو العلا المعري   والخل كالماء يبدي لي ضمائره   مع الصفا ويخفيها مع الكدر
او من الخلة بالكسر وهي نبت تستحليه الابل ومن امثالها الخلة خبز الابل والحمض فاكهتها

افضل ع

والثاني هو المختار كما قال الواحدي لان الله خليل محمد ومحمد خليل الله ولا يجوز ان يقال الله تعالى خليل محمد
من الخلة بالفتح التي هي الحاجة واختلف هل درجة المحبة او الخلة ثالثها انهما سوا واحتج للاول بخبر البيهقي
انه تعالى قال ليلة الاسرا يا محمد سل تعط فقال يا رب انك اتخذت ابرهيم خليلا وكلمت موسي تكليما
فقال له الم اعطك خيرا من هذا الي قوله واتخذتك حبيبا او ما في معناه وبان الحبيب وصل بلا واسطة
بخلاف الخليل قال الله تعالى في يوم لا يخزي الله النبي والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب قيل
له نبيا الي قوله فكان قاب قوسين او ادني وقال في حق ابرهيم عليه السلام وكذلك نري ابرهيم
ملكوت السموات والارض والخليل قال ولا تخزني والخليل قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل
قال واجعل لي لسان صدق في الاخرين والحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سوال والخليل
قال واجنبني وبني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ورجح
الزركشي تبعا لابن القيم وغيره الثاني لان المصطفي صلى الله عليه وسلم اخبر ان الله اتخذه خليلا ونفي
ان يكون له خليل غير ربه مع اخباره بحبه لعايشة وابيها وفاطمة وبنيها ولعمر بن الخطاب وكثير
من الصحابة واهل بيته قال ابن القيم وظن ان المحبة ارفع وان ابرهيم خليل ومحمد حبيب غلط وجهل
واما ما احتج له الاولون مما مر فانه انما يقتضي تفضيل ذاتي ابرهيم عليهما الصلاة والسلام مع قطع
النظر عن وصف المحبة والخلة وهذا لا نزاع فيه انما النزاع في الافضلية المستندة الي احد الوصفين
والذي قامت عليه الادلة استنادها الي وصف الخلة الموجودة في كل من الخليلين فخلة كل منهما
افضل من محبته واختصاصهما بها لتوفر معناها السابق فيهما اكثر من بقية الانبيا وكون هذا
التوفر في نبينا اكثر منه في ابرهيم كانت خلته ارفع من خلة ابرهيم صلى الله عليهما وسلم اه وفيه
دلالة على ثبوت وصف الخلة والمحبة لكل منهما لقوله فخلة كل منهما افضل من محبته افضل المخلوقين نبينا
كلهم من الجن والانس والملايكة حتى امين الوحي لخبر انا اكرم الاولين والاخرين على الله ولا فخر وخبر
انا اكرمكم على ربي وقوله انا سيد الناس يوم القيمة وقوله انا سيد ولد ادم يوم القيمة ولا فخر وبيدي
لوا الحمد ولا فخر وما من نبي ادم فمن سواه الا تحت لوايي ومن احسن هذا وصريح الاول لين علمت افضليته
على ادم وقوله انا سيد ولد ادم اما للتادب مع ادم او انه علم فضل بعض بنيه عليه كابرهيم
فاذا فضل نبينا الافضل من ادم فقد فضل ادم بالاولى ولفظ ولد في الحديث يطلق على الواحد
والجماعة فيعم كما قال التلمساني فاندفع ما يقال انه لا يقتضي العموم الا لو قال اولاد واما التفضيل
بغير باقي الانبيا والملايكة ففيه طرق سياتي ذكرها ولا ينافي التفضيل بين الانبيا عليهم الصلاة
والسلام قوله تعالى لا نفرق بين احد منهم ولا قوله صلى الله عليه وسلم لا تفضلوني وخبر واية لا تخيروني
على الانبيا ولا قوله ايضا لا تفضلوا بين الانبيا ولا قوله لا تخيروني على موسي ولا قوله ما ينبغي لعبد ان
يقول انا خير من يونس بن متى ولا قوله من قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب لان عدم التفرقة
بينهم انما هو في الايمان بهم وبما جاوا به واما النهي فانما هو عن تفضيل يودي الي تنقيص نفس النبوة

محمد على ذات ح

اتفق المسلمون على انه افضل الخلق ولم يشذ الا الزمخشري فجعل من مذهبه تفضيل جبريل عليه اهـ

او

او الرسالة فان الانبيا كلهم مشتركون في ذلك من غير تفضيل او عن تفضيل يودي الى تنقيص
المفضول او يودي الى الخصومة والفتنة او قاله صلى الله عليه وسلم تواضعا واحتراما
لاخوانه الانبيا او قاله قبل ان يعلمه الله تعالى بتفضيله عليهم وان ما استبعد بانه رواه ابو
هريرة وما اسلم الا في سنة سبع فبعيد انه لم يعلمه الله بتفضيله عليهم الا بعد هذا او اجاب
جمع كمالك وامام الحرمين عن خبر يونس بما حاصله نفي لتوهم التفاوت بينهما في القرب لاختلاف
محلهما الصوري برفع نبينا صلى الله عليه وسلم الى قاب قوسين ونزول يونس الى قعر
البحر اي لا تتوهموا من هذا التفاوت تفاوتا في القرب والبعد من الله تعالى بل نسبة
كل اليه واحدة وان تفاوت مكانهما لتعاليه عن الجهة والمكان وحكى السهيلي عن شيخه
القاضي ابي بكر بن العربي عن شيخه ابي المعالي ان سايلا من العوام سيل ابا المعالي في مجلسه عن
الدليل على ان الله تعالى لا يوصف بالجهة ولا يحدودها فقال نعم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تفضلوني على يونس بن متى فقال الرجل انا اريد ان اعرف وجه الدليل فقال صاحبي الليلة
ضيف له على الف دينار وقد شغلت بالي فلو قضيته عني قلته فقام رجلان من التجار
فقالا في ذمتنا فقال ابو المعالي لو كان رجل ضمنها لكان احب الي فقال احد الرجلين
او غيرهما هي في ذمتي فقال نعم ان الله سبحانه وتعالى اسرى بعبده الى فوق سبع سموات
حتى سمع صرير الاقلام فلم يكن سيدنا محمد في مكانه باقرب الى الله تعالى من يونس في بعد
مكانه فان الله تعالى لا يتقرب اليه بالاجرام والاجسام وانما يتقرب اليه باحسن
الاعمال المكرم على غيره من ساير الرسل بالقران العظيم الذي لا ياتيه الباطل من
بين يديه ولا من خلفه وهو الكلام المنزل عليه صلى الله عليه وسلم للاعجاز بسورة
منه المتعبد بتلاوته مصدر قرا اذا جمع لجمعه السور المختلفة وعلوم الاولين
والاخرين والمقراة الحوض اذا جمع فيه الماء سميت قرية لجمعها اهلها وقيل مصدر
قرا اذا القى لحسن نظمه وتاليفه العزيز من عز الشي يعز بكسر العين في المضارع اذا
لم يكن له نظير فهو البالغ في العزة والعظمة الغاية التي لا ترتقى او بمعنى الغالب
من قولهم عز فلان فلانا يعزه بضم العين اذا غلبه ومنه قوله تعالى وعزني في الخطاب
اي غلبني وفي المثل من عز بز اي من غلب سلب لانه غلب فصحا العرب وبلغاوهم
واعجزهم او بمعنى المنيع والعزة المنعة ومنه قوله تعالى ايبتغون عندهم العزة
اي المنعة لامتناعه لرصانة مبانيه وصحة معانيه عن الطعن فيه المعجز
اسم فاعل ماخوذ من العجز المقابل للقدرة وهي من حيث هي كما قال الرازي
امر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة قال السعد انما قال امر

واصح مما ذكره الصدر في الدليل السمعي
ما رواه [illegible] صلى الله عليه وسلم انه
[illegible] سيل اين كان ربنا قبل ان يخلق خلقه فقال
كان في عماء ما فوقه هواء وما تحته هواء والعماء
لغة سحاب رقيق والمراد به هنا احتجابه
عن خلقه بجلال عظمته وانوار القدس
ولم يزل على ما كان عليه لان التغير [illegible] الحدوث
وهو منزه عنه [illegible]

القرية صح

ليتناول الفعل كانفجار الماء من بين الاصابع الشريفة وعدمه كعدم احراق النار ابراهيم
عليه الصلاة والسلام ومن اقتصر علي الفعل جعل المعجزة هنا كون النار بردا وسلاما
وبقا الجسم علي ما كان عليه من غير احتراق واحترز بقوله المقرون بالتحدي عن الخارق
الواقع من غير تحد فيسمي كرامة والخارق المتقدم علي التحدي كتسليم الحجر عليه صلي الله عليه
وسلم وكاظلال الغمام له فانه لم يقع له صلي الله عليه وسلم الا قبل النبوة خلافا لمن وهم
فيه فيسمي ارهاصا اي تاسيسا للنبوة من ارهصت الحايط اذا اسسته والمتاخر
عنه نحو ما روي بعد وفاته من نطق بعض الموتي بالشهادتين وشبهه مما تواترت به
الاخبار فيسمي كرامة والتحدي دعوي الرسالة وقيل طلب المعارضة لشاهد الدعوي
والراجح الاول ولا يشترط في صدق الدعوي تعيين الخارق بل لو قال انا اتي بخارق
لا يقدر عليه غيري كفي والمتبادر من السياق ان ذلك الخارق موافق للدعوي
فيخرج الخارق المكذب للمتحدي به كما وقع لمسيلمة اللعين انه تفل في بير ليكثر
ماوها فغار ودعا لشخص اعور فعميت عينه الصحيحة فيسمي استدراجا واذلالا
واهانة ويخرج ما اذا قال معجزتي نطق هذا الحجر فنطق بانه مفتر كذاب بخلاف
ما اذا قال احيا هذا الميت فنطق بانه مفتر كذاب لان المعجز في احيايه وهو
بعده مختار قدم الكفر علي الايمان وقد يظهر الخارق علي يد عامي تخليصا له من
فتنة ويسمي معونة واحترز بقيد عدم المعارض عن السحر والشعبذة فانه
يمكن معارضتهما بتعليمهما ثم ان قيد التحدي لا بد منه لكن لا يشترط عند كل معجزة
لان اكثر معجزاته صلي الله عليه وسلم صدر من غير تحدي بل قيل لم يتحد بغير القراة
وتمني الموت وانما الشرط وقوعها اي المعجزة ممن سبق منه تحدي فتامل ذلك
ليندفع به ما اطال به النقاش في تفسيره من ابطال اشتراط ذلك وتزييفه
ولا يرد ما سيقع علي يد الدجال من الخوارق العجيبة لانه مدع للربوبية لا الرسالة
وقد دلت القواطع علي كذبه وان ظهور ذلك علي يديه محض فتنة لا غير وقد
علم مما سبق اشتمال التعريف بالعناية علي القيود السبعة التي اعتبرها المحققون
في المعجزة اولها ان تكون فعلا لله تعالي او ما يقوم مقامه كالترك ليتصور كونه
تصديقا منه تعالي للاتي بها وثانيها ان يكون خارقا للعادة اذ لا اعجاز دونه

وثالثها

13

قوله بان تراخى الخ فى بعضها دونه قلت اى تراخى الخارق عن التحدى مو

وثالثها ان يكون ظهورها على يد مدعي النبوة ليعلم انه تصديق له ورابعها ان يكون مقارنا
للدعوى حقيقة او حكما بان تراخي التحدي عن زمان ظهور الخارق تراخيا يسيرا بحيث لا
يعده العرف منفصلا عنه وخامسها ان يكون موافقا للدعوى اذ المخالف
لا يعد تصديقا كفلق الجبل عند دعوى مدعي الرسالة ان معجزته فلق البحر حيث عين
الخارق وسادسها ان لا يكون مكذبا له ان كان ممن يعتبر تكذيبه كقوله معجزتي
نطق هذا الجماد فنطق بانه مفتر كذاب فانه يدل على كذبه بخلاف ما اذا قال معجزتي
نطق هذا الانسان الميت او احياؤه فحيي وشهد انه مفتر كذاب لانه لا يدل على
كذبه لان المعجزة انما هي نطقه او احياؤه وبعد ذلك هو مكلف مختار فربما اختار
الكفر على الايمان كما سلف وسابعها ان تتعذر معارضته الا من نبي مثله فان هذا
هو حقيقة الاعجاز وزاد بعضهم ثامنا وهو ان لا يكون الخارق واقعا في نقض العادات
فما يقع عند قيام الساعة وفيها لا يعد مصدقا ثم ان هذه الشروط جميعها موجودة
في القرآن فكان معجزة لانه صلى الله عليه وسلم دعاهم الى معارضته بالاتيان بمثله
فعجزوا والعرب العرباء مع كثرتهم كثرة رمال الدهنا وحصى البطحا وشهرتهم بانهم فرسان
الفصاحة وشجعان البلاغة وافراطهم في العصبية وحمية الجاهلية فعجزوا حتى انهم
اثروا مقارعة السيوف على معارضة الالفاظ والحروف ووجه اعجازه كما قال الجمهور
كونه في الطبقة العليا من الفصاحة والدرجة القصوى من البلاغة على ما يعرفه
فصحاء العرب بسليقتهم وعلماء العرب بمهارتهم في فن البيان واحاطتهم باساليب
الكلام هذا مع اشتماله على الاخبار عن المغيبات الماضية والاتية وعلى دقائق
العلوم الالهية واحوال المبدأ والمعاد ومكارم الاخلاق والارشاد الى فنون
الحكمة العلمية والعملية والمصالح الدينوية والدنيوية على ما يظهر للمتدبرين ويتجلى
على قلوب المتفكرين ومما يدل على ان فصحاء العرب انما تقاعدوا عنه لخروجه في فصاحته
وبلاغته عن طاقتهم انهم كانوا اذا سمعوه تعجبوا من حسن نظمه وبلاغته وفصاحته
وسلاسته وحلاوته ويرقصون رؤسهم عند سماعه حتى ان اعرابيا سجد عند سماع
قوله فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين وقال سجدت لفصاحة هذا الكلام
وقالت جارية خماسية او سداسية من فصحاء العرب للاصمعي لما رأته تعجب من فصاحة
حديثها او تعد هذا فصاحة بعد قوله تعالى واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية

فقد جمع فيها بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين وقال بعض بطارقة الروم لعمر اسلامه
لعمر بن الخطاب رضي الله عنه ان اية من القران جمعت كلما انزل على عيسى من احوال الدنيا
والاخرة وهي ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وستاتي هذه باتم من هذا
في شرح قوله بجوامع الكلم المستمرة اي الدايمة وفي بعض النسخ المستمر وصفا له باعتبار
لفظه على تعاقب اي توالي السنين تشهد بصدق دعواه فيما جا به وترشد الى الايمان به
واما من قبله من الانبيا فخصه الله تعالى من المعجزات بما تثبت به دعواه بحسب زمانه فاذا انقضى
زمانه انقضت معجزته كقلب العصى حية واخراج اليد بيضا في زمن موسى لان الغلبة فيه
كانت بالسحر فاتاهم بما فوق ذلك وفي زمن سليمان بالملك فاتاهم بملك لم ينله غيره وفي زمن عيسى
بالطب فاتاهم بما هو ابهر منه اعني احيا الموتى وفي حديث البخاري ما من نبي الا اعطي ما مثله
آمن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحاه الله تعالى الي وفي معناه قولان غير
متنافيين يرجع حاصلهما الى ان معجزات الانبيا انقرضت بانقراض اعصارهم مع كونها حسية
تشاهد بالابصار كعصى موسى وناقة صالح فلم يشاهدها الا من حضرها ومعجزة القران تشاهد
بالبصيرة فيشاهدها كل من جا بعد الاول وانما كانت اكثر معجزات الامم حسية لبلادتهم واكثر
معجزات هذه الامة عقلية لفرط ذكاهم والمكرم بالسنن جمع سنة فعلة بمعنى مفعولة
وهي لغة الطريقة القويمة يقال فلان على السنة اي على طريق الاستوا لا يميل الى شي من الاهوا واصطلاحا
اقواله صلى الله عليه وسلم وافعاله واحواله والمراد بها هنا ما سنه اي شرعه صلى الله عليه وسلم من
الاحكام فرضا كان او نفلا من سن الما يسنه اذا والى صبه فكان اجراوه على نهج واحد او من
سننت النصل اذا احددته او من سن الابل اذا احسن رعيها وتطلق السنن ايضا على الامم
قال بعضهم ما عاين الناس من فضل كفضلهم ولا راوا مثلهم في سالف السنن ونازع الزجاج
في ذلك وقال المعنى اهل السنن بحذف المضاف المستنيرة اي ذات النور المكنى به عما تضمنته
واشتملت عليه من هداية العالمين وايقاظ الغافلين بخلاف غير المستنيرة كالبدع فانها
تشبه بالظلمات مما يتخيل فيها من سواد وظلام او هو للايضاح تشبيها لها لوضوحها
واهتدا الناس بها وظهور احكامها بذات النور بما يتخيل فيها من بياض واشراق ثم
ان استنارتها وان ظهرت لكل احد الا انها لا تتضح كل الايضاح الا للمسترشدين
جمع مسترشد وهو طالب الرشاد ضد الغي المخصوص من الله تعالى عن ساير الانبيا
والرسل عليهم الصلاة والسلام بجوامع الكلم من اضافة الصفة للموصوف
اي الكلم الجوامع كما في خبر مسلم اوتيت جوامع الكلم وفي خبر الصحيحين بعثت

بجوامع الكلم وفي خبر احمد اوتيت مفاتح الكلام وخواتمه وجوامعه وتخصيص الهروي جوامع
الكلم بالقران مردود وجوامع واحدها جامعه والمراد انه يجمع في القليل من كلامه ما يغني
عن الكثير من كلام غيره كقوله فيما سياتي انما الاعمال بالنيات وقوله ان تعبد الله كانك تراه
وقوله لمن سال الوصية لا تغضب وقوله اتق الله حيث ما كنت واتبع السيئة الحسنة
تمحها وخالق الناس بخلق حسن وقوله كن في الدنيا كانك غريب او عابر سبيل وقوله
من بطي به عمله لم يسرع به نسبه وقوله الناس كاسنان المشط والمرء كثير باخيه
والمرء مع من احب ولا خير في صحبة من لا يرى لك مثل ما يرى لنفسه الناس معادن
كمعادن الذهب والفضة ما هلك امرء عرف قدره رحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت
فسلم جبلت القلوب علي حب من احسن اليها الخلق السيء يفسد العمل كما يفسد الخل
العسل ليس الخبر كالمعاينة اليد العليا خير من اليد السفلي ما قل وكفي خير مما كثر والهي
البلاء موكل بالمنطق وزعم ابن الجوزي وضعه مردود جمال الرجل فصاحة لسانه الحيا كله
خيرا الدال علي الخير كفاعله كل معروف صدقة حبك للشي يعمي ويصم وليس بموضوع بل حسن
خلافا لمن وهم فيه ما جمع شي الي شي احسن من حلم الي علم زر غبا تزدد حبا القناعة مال
لا ينفد وكنز لا يفني الاقتصاد في النفقة نصف المعيشة والتودد الي الناس نصف
العقل وحسن السوال نصف العلم النساء حبايل الشيطان الظلم ظلمات يوم القيمة وجوز
ابن حبيب ان يكون المراد بجوامع الكلم ما جا انه صلي الله عليه وسلم كان يكلم كل قبيلة بلسانها
وان لم يكن يراها قبل وجنح ابن العربي الي غير ذلك فقال اعلم ان ادم عليه الصلاة والسلام حامل
للاسما ومحمد صلي الله عليه وسلم حامل لمعاني تلك الاسما التي حملها ادم وهي المراد بحديث
اوتيت جوامع الكلم ثم قال فعلم ان من حصل الذوات فالاسما تحت حكمه وليس كل من
حصل الاسما يكون المسمي محصلا عنده ولذلك فضلت الصحابة علينا لانهم حصلوا الذوات
وحصلنا نحن الاسم ولما راعينا الاسم مراعاة الذات ضوعف لنا الاجر والمشهور الاول ومن
القران ان الله يامر بالعدل والاحسان وايتاء ذي القربي وينهي عن الفحشا والمنكر والبغي
زاد الحسن لم تترك هذه الاية خيرا الا امرت به ولا شرا الا نهت عنه وذكر ان عمر بن الخطاب رضي
الله عنه بينما هو نايم في مسجد النبي صلي الله عليه وسلم فاذا رجل من بطارقة الروم عند راسه
يقول اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقال عمر ما شانك قال اسلمت لله قال هل
لذلك سبب قال نعم اني قرات التوراة والانجيل والزبور وكثيرا من كتب الانبيا فسمعت
اسيرا يقرا اية من القران جمع ما فيها كل ما في الكتب المتقدمة فعلمت انه من عند الله فاسلمت
قال ما هذه الاية قال قوله تعالي ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فاوليك هم
الفايزون قال عمر قال النبي صلي الله عليه وسلم اوتيت جوامع الكلم قال بعضهم

وجوامع الكلم التي فتحت له سجدت لها البلغا والاقلام اي خضعت وسماحة الدين
لقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحا اي السهلة لخلوها عن التكاليف الشاقة التي كا
نت على اليهود كتعيين القصاص في القتل عمدا كان او خطا ولا تجزي الدية وقطع الاعضا الخاطية وفقء
العين في النظر الى ما لا يحل وقتل النفس في التوبة وقرض موضع النجاسة من الجلد والثوب وربع المال
في الزكاة واسترقاق السارق للمسروق منه وتحريم الغنايم ومجالسة الحايض ومواكلتها ومضاجعتها
والاشتغال يوم السبت واذا اذنب احدهم حرم عليه كل طيب بشد المثناة التحتية من الطعام واصبح
ذنبه مكتوبا على بابه فيجد وخلوها عن التفريط المعزط المفوت لمحاسن الاداب الذي كان في النصرانية
من نحو مخامرة النجاسة وجماع الحايض وتعين العفو عن القود والمراد بالحنيفية الملة الابراهيمية
مقتبسا من قوله تعالى ملة ابراهيم حنيفا والحنيف عند العرب من كان على دين ابراهيم عليه السلام
ثم سموا من اختتن وحج البيت حنيفا والحنيف المايل عن الباطل الى الحق سمي ابراهيم حنيفا لانه
مال عن عبادة الاوثان والسمحا في الحديث صفة الحنيفية ومعناها السهلة والملة السمحا هي
الملة التي لا حرج فيها ولا تضييق على الناس وهي ملة الاسلام وجمع بين كونها حنيفية وكونها
سمحا فاي حنيفية في التوحيد سمحا في العمل ولما صلى على جميع الرسل عموما اعادهما عليه صلى الله
عليه وسلم خصوصا ثم على الانبيا والرسل عموما فقال صلوات الله وسلامه عليه اظهارا
لعظمته واداء لبعض ما يجب له صلى الله عليه وسلم اذ هو الواسطة بين الله وبين العباد
وجميع النعم الواصلة اليهم التي اعظمها الهداية للاسلام انما هي ببركته صلى الله عليه وسلم وعلى
يديه وامتثالا لقوله تعالى يا ايها الذين امنوا صلوا عليه وسلموا تسليما واغتناما للثواب
الوارد في قوله صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملايكة تستغفر له وفي رواية
تصلي عليه ما دام اسمي في ذلك الكتاب قال الشيخ احمد زروق يحتمل ان يكون المراد كتب
وهو اظهر او قرا الصلاة المكتوبة وهو اوسع وارجى اهـ وذكر بعض شيوخنا ان صورها اربع
وان الفضل المذكور يحصل لمن كتب ذلك او قراه ان كان مكتوبا واما من صلى عليه باللفظ في
كتاب ولم يكتبه ولم يكن مكتوبا فيه فانه لا يحصل له الفضل المذكور وهو ظاهر ويدل له قوله
ما دام اسمي الخ اذ هو في هذه الحالة لم يدم اسمه في ذلك الكتاب فتامله ويفهم
ممن ذكر انه لو جمع بين الكتابة والصلاة لفظا يحصل له الفضل المذكور بالاولى فان
قيل لم اكد سلموا دون صلوا في قوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما قيل لتاكيدها
بان ولتقدم ذكر الصلاة من الله والملايكة اولا ولان الصلاة من الله الرحمة ومن
الملايكة استغفار وذلك واقع منهم بلا تردد واما البشر فلما صدر منهم من بعضهم ما
صدر من اذيتهم وتنقيصهم امروا مع الصلاة بالتسليم من النقايص والانقيا دواكد
لوقوع الانكار والصلاة عليه صلى الله عليه وسلم واجبة في العمر مرة كالشهادتين

لاذهاج

والذي ... هذا مذهب ... ان ... في وجوبها في كل صلاة
... عبد ... اهـ

15

والذي يظهر ان حكم السلام في الوجوب في العمر مرة حكم الصلاة كما قاله ابو عبد الله محمد الرصاع
تنبيه قال ابن الجوزي في مفتاح الحصن واما الجمع بين الصلاة والسلام فهو الاكمل الاولى
والافضل لقوله تعالى صلوا عليه وسلموا تسليما ولو اقتصر على احدهما جاز من غير كراهة فقد
جرى عليه جمع منهم مسلم في صحيحه وهلم جرا حتى الامام الشاطبي في قصيدته اللامية
والرائية قال وعند النووي وقد نص العلما على كراهة الاقتصار على الصلاة عليه من
غير تسليم اه لا اعلم احدا نص على ذلك من العلما ولا من غيرهم وذكر شيخنا ابو الفضل ابن
الخطيب ان الشافعي اقتصر على الصلاة دون تسليم في خطبة الرسالة وكذا الشيخ ابو
اسحاق الشيرازي في تنبيهه وكذا النووي في خطبة عقيدته اه من اذكار الشامي وقال
الحطاب في شرح خطبة المختصر شاع في كلام كثير من العلما كراهة افراد الصلاة عن السلام
وعكسه وممن صرح بالكراهة المولف قال السخاوي في القول البديع وتوقف شيخنا يعني
الحافظ بن حجر في اطلاق الكراهة وقال فيه نظر نعم يكره ان يفرد الصلاة ولا يسلم اصلا
اما لو صلى في وقت وسلم في وقت فانه ممتثل اه ويتاكد عا في خطبة مسلم والتنبيه
وغيرهما من مصنفات ايمة السنة من الاقتصار على الصلاة فقط وقال قبله ثم
استدل بحديث كعب وغيره على ان افراد الصلاة عن التسليم لا يكره وكذا العكس لان
تعليم السلام تقدم قبل تعليم الصلاة انتهى المراد منه وقال بعض شيوخنا وقع في
كتب اهل المذهب المتقدمين وقوعا شايعا ذكر السلام دون الصلاة عليه حتى
اخبرني من يوثق به انه راي نسخة من المنتقى بخط الباجي لم يذكر فيها سوى السلام
في كل محل ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم وهو يدل على عدم كراهة افراد السلام عن الصلاة
خطا واذا كان لا يكره افراد السلام فافراد الصلاة اولى لان الصلاة واجبة قطعا
وجرى خلاف في وجوب السلام وتقدم في كلام السخاوي ان اقتصار مسلم وصاحب
التنبيه وغيرهما على كتابة الصلاة فقط يدل على عدم كراهة الافراد وعلى ساير بمعنى
باقي كما قال الازهري والحريري والقاضي عبد الوهاب والشيخ تقي الدين بن دقيق العيد
وابن الصلاح من السؤر وهو بقية نحو الما وهو المشهور فيها الذي عليه الاكثر واختلفوا
هل هو الباقي مطلقا او الباقي الاقل والاول هو الصحيح وبمعنى الجميع كما قاله الجوهري
والجواليقي وابن بري من سور المدينة وهو حايط محيط بها وعليه قول القايل هو
الزم العالمون حبك طرا فهو فرض في ساير الاديان النبيين جمع نبي بالهمز من النبا
وهو الخبر لانه مخبر بفتح الباء عن الله بما يوحى اليه او بنبوته او بكسرها على ما قاله بعضهم
لانه يخبر نفسه بذلك ولقول بعضهم انه يجب عليه ان يخبر غيره بنبوته وان نظر فيه
وبترك الهمز وهو الاكثر اما مخففا من المهموز بقلب همزته ياء واما مشددا من

النبوة وهي الرفعة لان النبي مرفوع الرتبة على غيره من الخلق وبعضهم رجح هذا والمرسلين واسما الانبيا
كلهم اعجمية الا اربعة محمد وشعيب وهود وصالح قاله التتاي في شرح الرسالة القيرواني وزاد
ابن ناجي اسماعيل وفيه نظر اذ لفظ اسماعيل اعجمي نعم الانبيا كلهم عجم الا خمسة محمد واسماعيل وهود
وصالح وشعيب والحاصل ان محمدا وهودا وصالحا وشعيبا ذواتهم عربية ولذا اسماوهم واما اسماعيل
فذاته عربية واسمه اعجمي وآل اصله اهل ابدلت الها همزة فتوالت همزتان فقلبت الثانية
الفا ويدل له تصغيره على اهيل كذا قيل وهو غير منتج اذ يجوز ان يكون اهيل تصغير اهل لا تصغير
آل وقيل اصله اول تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت الفا ولا يضاف الا لمن له شرف
من العقلا الذكور فلا يقال آل اسكاف ولا آل مكة ولا آل فاطمة واما قوله تعالى ادخلوا آل فرعون
الاية فلتشرفه الدنيوي كذا قيل والحق ان القيود كلها اغلبية لقولهم آل الله وآل البيت وقول عبد
المطلب وانصر على آل الصليب وعابديه اليوم آلك والصحيح جواز اضافته للمضمر ومنه حديث
اللهم صل على محمد وعلى آله وقول عبد المطلب المتقدم كل اي آل كل واحد من الشيئين بحذف المضاف اليه
لولا لزم السياق عليه والذي اختاره الامام مالك والازهري ورجحه النووي في شرح مسلم
ان آله صلى الله عليه وسلم اتباعه وهم امة الاجابة وهو اللائق بمقام الدعا لكن قيده القاضي حسين
وغيره بالاتقيا منهم ويويده قوله تعالى ان اوليائه الا المتقون قيل فيحمل كلام من اطلق عليه وقيل ينبغي
على اطلاقه بان يراد بالصلاة الرحمة المطلقة وخبر آل محمد كل تقي سنده واه جدا وروي عن جابر من
قوله بسند ضعيف وجرى فيه خلاف في بابي الزكاة والفي والمشهور من مذهبنا اختصاصه فيهما
باقاربه المومنين من بني هاشم وزاد الشافعي والمطلب وساير الصالحين وهم القايمون بحقوق
الله وحقوق عباده فدخل الصحابة كلهم لثبوت وصف الصلاح والعدالة لجميعهم ودخل غيرهم
ممن اتصف بذلك جعلنا الله تعالى منهم آمين كذا في الشارح الهيتمي وايضا الصحابة داخلون
في آله سوا فسرناه بمطلق اتباعه او بالاتقيا منهم تتمة في منع الصلاة على غير الانبيا والملايكة
استقلالا او كراهتها وكونه خلاف الاولى خلاف والاصح الكراهة وقوله صلى الله عليه وسلم اللهم على
آل ابي اوفى من خصايصه واما تبعا كما هنا فجايزة اتفاقا اما بعد اي بعد البسملة والحمدلة
والتشهد والصلاة والسلام على من تقدم واتى بها تاسيا به صلى الله عليه وسلم لانه كان ياتي بها
في خطبه وكتبه وهي يوتى بها للانتقال من اسلوب الى اخر واصلها مهما يكن من شي بعد البسملة
والحمدلة وما معهما فاقول قد روينا الى اخره فوقعت كلمة اما موقع اسم هو المبتدا وفعل هو الشرط
وتضمنت معناهما فلتضمنها معنى الشرط لزمتها الفا اللازمة للشرط غالبا ولتضمنها معنى
الابتدا لزمها اللصوق الاسم اللازم للمبتدا اقضا للحق بما كان وابقاء له بقدر الامكان قاله
في المطول وقوله غالبا قيد لقوله اللازمة للشرط لا لقوله لزمتها الفا لان لزوم الفا لاما

على

كلي اذ لا يجوز حذفها الا في ضرورة الشعر كقوله فاما القتال لا قتال لديكم وقوله لزمها الصوق الاسم يرد عليه قوله تعالى فاما ان كان من المقربين الاية والجواب ان في الكلام حذفا اي فاما المتوفي ان كان الخ كما اختاره صاحب الكشاف واما الجواب بان الرضي وصاحب المغني جوزا وقوع ان الشرطية بعدها فلا يتم واما هذه حرف شرط وتوكيد دايما وتفصيل غالبا وبعد ظرف مبني على الضم كغيره من الظروف المقطوعة عن الاضافة لمشابهته الحرف لاحتياجه الى معنى ذلك المحذوف وانما بنيت على حركة تنبيها على ان لها عرقا في الاعراب وعلى الضم جبرا باقوى الحركات لما لحقها من الوهن بحذف ما تحتاج اليه وليكمل لها جميع الحركات لانها في الاعراب اما مجرورة بمن او منصوبة على الظرفية او لتخالف حركة بنايها حركة اعرابها واختلف في اول من تكلم بها فقيل داود عليه الصلاة والسلام وهو الاشهر وهي فصل الخطاب الذي اوتيه لانها تفصل بين المقدمات والمقاصد والخطب والمواعظ وقيل اول من تكلم بها يعقوب وقيل ايوب وقيل سليمان وقيل قس بن ساعدة الايادي وقيل كعب بن لوي وقيل يعرب بن قحطان وقيل سحبان بن وائل وعليها ففصل الخطاب الذي اوتيه داود هو البينة على المدعي واليمين على من انكر لكن القول بان اول من تكلم بها سحبان فيه نظر لان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقولها في خطبه وهو قبل سحبان اجماعا اذ سحبان كان في زمن معاوية واجيب بان المراد اول من قالها بعد النبي صلى الله عليه وسلم وصحة هذا الجواب تتوقف على انها لم تصدر من اصحابه بعده ولا من غيرهم الى زمن سحبان والظن خلاف ذلك لما علم من كمال محافظتهم على الاقتدا به في ذلك والاولى في الجواب انه اول من تكلم بها في الشعر لقوله لقد علم العوم اليما نون انني اذا قلت اما بعد اني خطيبها وبعد ظرف زماني باعتبار النطق ومكاني باعتبار الرقم فقد روينا قد للتحقيق والنون نون العظمة اظهارا للنعمة التلبس بالعلم المتاكد تعظيم اهله امتثالا لقوله تعالى واما بنعمة ربك فحدث مع الامن من الاعجاب ونحوه والا كان مذموما وايضا العرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجمع ليكون اثبت واوكد وقد يقال النون ليست للعظمة بل للمتكلم مع غيره اشارة الى ان هذا الحديث قد تداولته الرواة الذين هو منهم طبقة بعد طبقة وانه متعارف مشهور بينهم لا تختص روايته به والرواية الاخبار عن عام لا ترافع فيه الى الحكام وروينا بفتح اوله مع تخفيف الواو المفتوحة عند الاكثرين

من روي يروي اذا نقل عن غيره وقال جمع الاجود ضم الرا وكسر الواو مشددة اي صيرونا رواة عنهم باجازتهم
لنا عن علي اول من اسلم من الصبيان وله سبع سنين او ثمان او تسع او عشر وشهد المشاهد كلها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم سوى تبوك فان رسول الله صلى الله عليه وسلم خلفه في اهله فقال يا رسول
الله تخلفني في النسا والصبيان قال اما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير انه لا نبي بعدي وعنه
انه قال انطلقت انا والنبي صلى الله عليه وسلم حتى اتينا الكعبة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم
اجلس وصعد على منكبي فذهبت لانهض به فراى مني ضعفا فنزل وجلس لي نبي الله صلى الله عليه وسلم
وقال اصعد على منكبي فصعدت على منكبيه قال فنهض بي فانه يخيل لي اني لو شيت لنلت افق
السما حتى صعدت على البيت وعليه تمثال من صفر او نحاس فجعلت ازاوله عن يمينه وعن شماله وبين
يديه ومن خلفه حتى استمكنت منه قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اقذف به فقذفت به فتكسر
كما تتكسر القوارير ثم نزلت فانطلقت انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم نستبق حتى توارينا
بالبيوت من خشية ان يلقانا احد وعن سهل بن سعد ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر
لاعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله قال فبات
الناس يذكرون ايهم يعطاها فلما اصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجوان
يعطاها فقال اين علي بن ابي طالب فقيل له يا رسول الله انه يشتكي عينيه قال فارسلوا اليه
فاتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فبرئ حتى كان لم يكن به وجع فاعطاه
الراية فقال علي يا رسول الله اقاتلهم حتى يكونوا امثلنا فقال انفذ على رسلك حتى تنزل على ساحتهم
ثم ادعهم الى الاسلام واخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه فوالله لان يهدي الله بك رجلا واحدا
خير لك من ان تكون لك حمر النعم وكان له من الولد اربعة عشر ذكرا وتسع عشرة انثى وعن الارقم
انه قال رايت عليا وهو يبيع سيفا له في السوق وهو يقول من يشتري مني هذا السيف فوالذي
فلق الحبة لطال ما كشفت به الكرب عن وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولو كان عندي ثمن
ازار ما بعته وجاء رجل من مراد اليه وهو يصلي في المسجد فقال احترس فان اناسا من مراد يريدون
قتلك فقال ان مع كل رجل ملكين يحفظانه مما لم يقدر فاذا جا القدر خليا بينه وبينه فان
الاجل جنة حصينة واستشهد غداة الجمعة سنة اربعين من ضربة عبد الرحمن بن ملجم المرادي
من الخوارج لسبع بقين من رمضان وقيل لثلاث عشرة بقين منه وقيل ليلة احدى عشرة وقيل يوم
الاحد وله ثلاث وستون سنة وغسلاه ابناه وعبد الله بن جعفر وصلى عليه ابنه الحسن ودفن في
السحر عند مسجد الجماعة في الرحبة مما يلي ابواب كندة قاله الصغاني او في قصر الامارة عند
المسجد الجامع وغيب قبره ومدة خلافته خمس سنين الا ثلاثة اشهر ونقش خاتمه الله الملك
وكنيته ابو الحسن وابو تراب كناه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نايما في المسجد وقد
علق التراب بجسمه فايقظه وقال قم ابا تراب ولقبه ايضا حيدرة ومرويه مائة خمسمائة
وستة وثمانون حديثا ابن ابي طالب واسمه عبد مناف بن عبد المطلب وعبد الله بن مسعود

الهذلي

الهذلي صاحب سواك رسول الله صلى الله عليه وسلم وطهوره ونعليه توفي بالمدينة سنة اثنين
وثلاثين ودفن بالبقيع وهو ابن بضع وستين او سبعين سنة ومروياته ثمانمائة وثمانية
واربعون وسياتي عند ذكره شي من مناقبه ومعاذ بضم الميم وفتح المهملة وبالمعجمة ابن جبل
بالتحريك ضد السهل الانصاري شهد معاذ بدرا وما بعدها وبعث الي اليمن قاضيا ومعلما
مات في طاعون عمواس بالاردن سنة ثمان عشرة وهو ابن ثلاث وثلاثين ومروياته مائة
وسبعة وخمسون وسياتي عند ذكره شي من ماثره وابي الدرداء بفتح المهملتين وسكون
الراء عويمر بن زيد وقيل ابن عامر الانصاري الخزرجي كان فقيها عابدا زاهدا شهد المشاهد
كلها وهو حكيم هذه الامة باخبار المصطفى صلى الله عليه وسلم وسكن الشام وولاه عمر بن الخطاب
القضا بدمشق وكان ابو الدرداء يقول اطلبوا العلم فان عجزتم فاحبوا اهله فان لم تحبوهم
فلا تبغضوهم وعنه ايضا رضي الله عنه تفكر ساعة خير من قيام ليلة وكتب الي مسلمة بن مخلد
الانصاري اما بعد فان العبد اذا عمل بطاعة الله احبه الله فاذا احبه الله حببه الي
خلقه واذا عمل بمعصية الله ابغضه الله فاذا ابغضه الله بغضه الي خلقه وعنه ايضا
استعيذوا بالله من خشوع النفاق قيل وما خشوع النفاق قال ان ترى الجسد خاشعا
والقلب ليس بخاشع وقيل له لم لا تقول الشعر فانه ليس رجل له بيت في الانصار الا وقد
قال شعرا قال وانا قد قلت فاسمعوا فقال رضي الله عنه يريد المرء ان يعطا مناه
ويابى الله الا ما ارادا يقول المرء فايدتي ومالي وتقوى الله افضل ما استفادا وعنه ايضا
ادركت الناس ورقا لا شوك فيه فاصبحوا شوكا لا ورق فيه ان فقدتهم فقدوك وان تركتهم
لا يتركوك قالوا فكيف نصنع قال تقرضهم من عرضك ليوم فقرك ولما اشتكى دخل عليه اصحابه فقالوا
ما تشتكي قال ذنوبي قالوا فما تشتهي قال الجنة قالوا افلا ندعوا لك طبيبا قال هو الذي اضجعني
ومات بدمشق سنة اثنين وثلاثين وقيل سنة احدي وثلاثين في خلافة عثمان ومروياته
مائة وتسعة وعشرون وعبد الله بن عمر بن الخطاب الرجل الصالح بشهادة المصطفى صلى
الله عليه وسلم وكان الزم الناس متابعة للنبي صلى الله عليه وسلم في افعاله واداته ولد قبل
الوحي بسنة توفي بمكة سنة ثلاث او اربع وسبعين ومروياته الفان وسبعمائة وثلاثون وسياتي
عند ذكره ايراد شي من ماثره وعبد الله بن عباس حبر الامة وعالمها وترجمان القران ودعا له النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل ومات بالطايف سنة ثمان وستين
وهو ابن سبعين سنة ومروياته الف وستمائة وثمانية وستون وسياتي عند ذكره شي مما يتعلق به
وابي حمزة انس بن مالك الانصاري مازحه النبي صلى الله عليه وسلم بقوله يا ذا الاذنين وخرج
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الي بدر وانما لم يعد في البدريين لانه لم يكن في سن من يقاتل
مات بالبصرة بعد ان عمر اكثر من مائة سنة وهو اخر من مات من الصحابة بها ومات سنة احدي

او اثنين او ثلاث وتسعين ومروياته الفان ومايتا حديث وستة وثمانون حديثا وسياتي عند ذكر ايراد
شي مما يتعلق به وابي هريرة عبد الرحمن بن صخر الدوسي على الاصح في اسمه واسم ابيه قال الشافعي احفظ
من روى الحديث في دهره ابو هريرة وكان صاحب قيام وصيام يسبح في اليوم اثني عشر الف تسبيحة
ولي امارة المدينة ومات بها سنة تسع او سبع وخمسين وله ثمان وستون سنة واحاديثه المرفوعة
خمسة الاف وثلاثماية وستون حديثا وسياتي عند ذكره شي من اموره وابي سعيد الخدري بالمهملة نسبة
الى خدرة قبيلة من الانصار مات سنة اربع وسبعين وله اربع وستون سنة ودفن بالبقيع ومروياته
الف ومائة وسبعون وسياتي عند ذكره التعرض لشي مما يتعلق به من طرق كثيرات بروايات متنوعات
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اسم شرط جازم حفظ اي نقل وان لم يحفظ اللفظ ولا عرف
المعنى اذ به يحصل انتفاع المسلمين لا بحفظ ما لم ينقل اليهم قاله المص واعترض تفسير الحفظ بما ذكر
بانه لا يبعث في زمرة الفقها والعلما يستدعي معرفة المعاني اذ لا يسمى فقيها عالما الا به واجيب بان
حفاظ الحديث تختلف درجاتهم فمنهم مقتصر على الرواية دون الدراية فهذا يحشر في زمرة الفقها
العلما لقوله صلى الله عليه وسلم من تشبه بقوم فهو منهم فمن تشبه بالعلما يكرم كما يكرمون وان لم يكن منهم
حقيقة ومنهم من ضم الى الرواية الدراية بان نقل الاحاديث وفهم ظواهر معانيها وفهمها لغيره فهذا
يكتب في زمرة العلما ويحشر مع الشهدا ومنهم من فيه اهلية التخريج واستنباط الاحكام كالبخاري
ومسلم وشبههما فذا فقيه عالم حقيقة فيبعث يوم القيمة على ما مات عليه واجاب الهيتمي بان
بعث الحفاظ في زمرتهم لا يستدعي انه مساو لهم بل يكفي انه منسوب اليهم نسبة ما الخ فهو غير
ظاهر لان قوله في بعض طرق الحديث كتب في زمرة العلما يابا اذ الكتابة في قوم تقتضي انه منهم
ولا يعترض على المص بانهم فسروا الاحصا في حديث ان لله تسعة وتسعين اسما من احصاها دخل
الجنة بمن حفظها مستظهرا وبينوا الاستظهار بان المراد به قراتها كلمة كلمة على سبيل الترتيل او علمها
وتدبر معانيها او القيام بحقها والعمل بمقتضاها وحملوا الاول للعوام والثاني للعلما والثالث
للاوليا لان المقصود ثم التعبد باللفظ وهنا النفع المتعدي وهو لا يحصل بمجرد اللفظ بل بالنقل
وصرح جمع منهم العلامة نجم الدين الطوفي بعدم الاكتفا بالكتابة ولو مرارا فيخرج من حفظها
بقلبه ولم ينقلها لم يشمله الوعد وان كتبها في عشرين كتابا ونظر فيه الهيتمي بان كتابتها نقل لها اه
والحفظ ضبط الشي ومنعه من الضياع والانصاف انه لا يدخل في الوعد الا من حدث باربعين له
بها رواية او نقلها اليهم عن احد دواوين الاسلام المعروفة المعول عليها او المرجوع لها على امتي
الامة في الاصل الجماعة قال الاخفش هي في اللفظ واحد وفي المعنى جمع وكل جنس من الحيوانات امة وفي الخبر
لولا ان الكلاب امة من الامم لامرت بقتلها والمراد بها هنا امة الاجابة اربعين حديثا نصبه على التمييز
وخص هذا العدد دون غيره لانه اقل عدد له ربع عشر صحيح وفي الخبر ادوا ربع عشر اموالكم من كل اربعين درهما
درهم اي بشرط بلوغ الدراهم مايتي درهم اذ لا وجوب في اقل من ذلك فهذا لحديث الزكاة على تطهير ربع العشر للباقي

فكذلك

فكذلك العمل بربع عشر الاربعين حديثا يخرج باقيها عن كونه غير معمول به ولذا قال بشر الحافي يا اهل
الحديث اعملوا من كل اربعين حديثا بحديث من تبعيضية امر اي شان دينها احترز به
به من المتعلق بامر دنياها فلا يكون بهذه المثابة بعثه الله يوم القيمة في زمرة الزمرة
الجماعة من الناس الفقهاء العارفين بالفروع الفقهية من الفقه وهو لغة الفهم والعلما
هو اعم مما قبله لانه يشمل المفسرين والمحدثين والفقها من العلم وهو صفة توجب تمييزا بين
المعاني لا يحتمل النقيض ومن ثم قال السلفي استفتيت شيخنا ابا الحسن الكيا الطبري
فيمن اوصى بثلث ماله للعلما والفقها هل يدخل كتبة الحديث فكتب نعم كيف لا تدخل وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم من حفظ على امتي اربعين حديثا من امر دينها بعثه الله يوم القيمة
فقيها عالما واسند ابو الحسن القابسي الى علي بن الجعفر جا رجل الى سفيان الثوري فقال اني
حلفت بالطلاق اني عالم فقال ان كان مستدركه علم فلان وابي فلان فقد حنثت وان كان
عندك اربعون حديثا من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم فانت لم تحنث ولما كان البعث
في زمرة الفقها والعلما لا يستلزم ان يكون منهم بين المراد بذكر الرواية الثانية بقوله وفي رواية
ذكرها ابو نعيم في الحلية بعثه الله فقيها عالما وفي رواية ابي الدرداء وكنت له يوم اليوم
الشرعي من طلوع الفجر الى الغروب وليس مرادا وانما المراد به القطعة من الزمان ومنه قول
الشاعر فيوم علينا ويوم لنا ويوم نسا ويوم نسر القيمة مصدر قام يقوم ودخلها التاء
للمبالغة وسميت بذلك لقيام الخلق من قبورهم وقيل غير ذلك شافعا من الشفاعة وهي
سوال الخير للغير والمراد هنا سوال التجاوز عن الذنوب والجرائم وشهيدا وفي رواية
ابن مسعود قيل له ادخل من اي ابواب الجنة شئت وفي رواية ابن عمر كتب في زمرة
العلما هذه الرواية مغايرة للرواية السابقة وهي بعثه الله في زمرة الفقها والعلما وحشر
في زمرة الشهدا جمع شهيد وهو قتيل المعركة سمي شهيدا لان الله وملائكته يشهدون
له يوم القيمة بالجنة او لشهادة ملايكة الرحمة له او لشهادة حاله بصدق نيته او لشهادته
الحاب ولا يحاسب او لان معه شاهدا وهو الدم لانه يبعث وجرحه يثعب دما او
لسقوطه على الشاهدة وهي الارض او لانه يستشهد به يوم القيمة على الكفار وهي غير متباينة
يمكن اجتماعها الا ان الشهادة لا تختص بالقتل في المعترك واتفق الحفاظ اي اكثرهم على انه
اي الحديث المذكور حديث ضعيف وقال ابن حجر وجمعت طرقه في جزء ليس منها طريق
تسلم عن علة قادحة واما ذكر ابن الجوزي له في الموضوعات فهو تساهل منه والصواب
انه ضعيف لا موضوع فان قلت سلمنا عدم وضعه لكنه شديد الضعف والحديث اذا
اشتد ضعفه لا يعمل به ولا في الفضايل كما قاله ابن السبكي وغيره وح فكيف عمل به جمع من

الحافظ من حفظ مائة الف حديث متنا واسنادا ولو بتعدد الطرق والاسانيد او ما رويه ووعى
ما يحتاج اليه ولاهل الحديث مراتب اولها الطالب وهو المبتدي ثم المحدث وهو من تحمل روايته
واعتنى بدرايته ثم الحافظ وقد ذكر ثم الحجة وهو من احاط بثلاثمائة الف حديث ثم الحاكم
وهو من احاط بجميع الاحاديث المروية ذكره المطرزي ه م د

لتبعوا انفسهم ع

الايمة في تخريج الاربعينات اعتمادا عليه قلت لا نسلم انه شديد الضعف لانه الذي لا يخلو طريق
من طرقه من كذاب او متهم بالكذب وهذا ليس كذلك كما دل عليه كلام الايمة ولو سلمنا ذلك فهم
لم يعتمدوا عليه بل علي ما سيذكره المص من الاحاديث الصحيحة واما حديث من حفظ علي امتي حديثا
واحدا كان له كاجر احدى وسبعين نبيا صديقا فهو موضوع قاله الهيتمي وقد صنف العلما
رضي الله عنهم في هذا الباب ما لا يحصي من المصنفات اي ولي بهم اسوة فاول من علمته صنف فيه
ابو عبد الرحمن عبد الله بن المبارك بن واضح الحنظلي التميمي من تابع التابعين احد الايمة الاعلام
قال ابن مهدي الايمة اربعة سفيان ومالك وحماد بن زيد وابن المبارك وقال احمد لم يكن في زمن
ابن المبارك اطلب للعلم منه وكان صاحب حديث حافظا وقال ابن معين ما رايت من يحدث
لله الا ستة منهم ابن المبارك وكان ثقة عالما مستنبطا صحيح الحديث وكان كتبه التي حدث
بها عشرين الفا ولد سنة تسع عشرة ومائة وقيل سنة ثمان وتوفي منصرفا من الجهاد سنة احدى
وثمانين ومائة وله ثلاث وستون سنة وكان ابوه مملوكا لرجل من همدان ثم محمد بن مسلم بن سالم بن زيد
الطوسي بضم الطا نسبة الي قرية من قري بخارى العالم الرباني وصفه بذلك لقول ابن خزيمة هو
رباني هذه الامة لم تر عيني مثله والرباني منسوب الي الرب بزيادة الالف والنون للدلالة
علي كمال الصفة وهو شديد التمسك بدين الله وطاعته وعن المبرد انه منسوب الي ربان الذي
يربي الناس بالتعليم واصلاحهم وقال الصوفية انه الكامل من كل الوجوه في جميع المعاني وفي البخاري
الرباني الذي يربي بصغار العلم قبل كباره وقال الشارح الهيتمي هو من افيضت عليه المعارف الالهية
فعرف بها ربه وعرف الناس بعلمه اه صنف المسند وجوده كان من الثقات الحفاظ والاوليا
الابدال واقدم شيخ له النضر بن شميل وكان شبيها باحمد بن حنبل توفي في المحرم سنة اثنين
واربعين ومائتين ثم محمد بن خراسان الحسن رحل البلدان في طلب العلم وسمع وصنف وكان له
كرامات وتوفي سنة ثلاث وثلاثمائة بن سفيان بتثليث السين النسوي بفتح النون نسبته الي
نسا مدينة بخراسان صاحب المسند وابو بكر محمد بن الحسين بن عبد الله البغدادي صاحب كتاب
الشريعة والاربعين وله تصانيف كثيرة كان عالما ثقة دينا حدث ببغداد ثم انتقل الي مكة وا
ستطابها فقال اللهم في هذه البلدة ولو سنة فسمع هاتفا يقول له لم سنة ولكن ثلاثين سنة
فلما كملت قيل له قد وفينا بالعهد فمات بمكة سنة ستين وثلاثمائة الاجري بهمزة مفتوحة
ممدودة وابو بكر محمد بن ابراهيم بن علي كان ثقة علي من حفظ الاصبهاني بكسر الهمزة وفتحها
وبالفاء والبا كذا في الهيتمي وقال السعد بالفا والبا مع كسر الهمزة وفتحها والفتح افصح وقال
ابن ارسلان نسبة الي اصفهان بلدة من بلاد فارس توفي في صفر باصفهان سنة ست وستين

واربعمائة

وارىعماية وابو الحسن علي بن عمر بن احمد بن مهدي صاحب السنن والعلل والافراد وغير ذلك الدارقطني
بفتح الرا نسبة الي دار القطن محلة كبيرة ببغداد وقال الحاكم اوحد عصره في الفهم والحفظ والورع
امام القرا والمحدثين لم يخلق على اديم الارض مثله وقال الخطيب كان فريد عصره وامام وقته
انتهي اليه علم الاثر والمعرفة بالعلل واسما الرجال مع الصدق والثقة وصحة الاعتقاد وقال
رجا بن محمد المعدل قلت للدارقطني هل رايت مثل نفسك فقال قال الله تعالى فلا تزكوا انفسكم فالححت
عليه فقال لم ار احدا جمع مثل ما جمعت وقال ابو ذر الحافظ قلت للحاكم هل رايت مثل الدارقطني
فقال هو لم ير مثل نفسه فكيف انا وكان عبد الغني اذا ذكر الدارقطني قال استاذي وقال
القاضي ابو الطيب الدارقطني امير المومنين في الحديث وقال البرقاني املى علي كتاب
العلل من حفظه ولد في ذي القعدة سنة خمس او ست وثلاثماية ومات لثلاث خلون من
ذي القعدة سنة خمس وثمانين فسنه تسع وسبعون سنة وابو عبد الله الحاكم محمد بن
عبد الله بن محمد بن رويه بن نعيم الضبي النيسابوري صاحب المستدرك والتاريخ وعلوم
الحديث والمدخل والاكليل ومناقب الشافعي وغير ذلك ولد سنة احدى وعشرين
وثلاثماية في ربيع الاول وكان يعرف بابن البيع وسمع من نحو الفي شيخ قال ابو عبد
الرحمن السلمي سالت الدارقطني ايهما احفظ ابن منده او ابن البيع فقال ابن
البيع اتقن حفظا وقال ابن طاهر قلت لسعد بن علي اربعة من الحفاظ تعاصروا ايهم
احفظ قال من قلت الدارقطني ببغداد وعبد الغني بمصر وابن منده باصفهان والحاكم
بنيسابور فسكت فالححت عليه فقال اما الدارقطني فاعلمهم بالعلل وعبد الغني
اعلمهم بالانساب واما ابن منده فاكثرهم حديثا مع معرفة تامة واما الحاكم
فاحسنهم تصنيفا دخل الحاكم الحمام بنيسابور ثم خرج فقال آه وقبض وهو متزر
ولم يلبس قميصه وذلك في صفر سنة خمس واربعماية وابو نعيم احمد بن عبد الله بن
احمد بن اسحاق بن موسى بن مهران الاصفهاني اجاز له مشايخ الدنيا وله ست
سنين قال الخطيب لم ار احدا اطلق عليه اسم الحافظ غير ابي نعيم وابي حازم
وقال ابن مردويه لم يكن في افق من الافاق احفظ منه ولما اشتد صنف
الحلية والمستخرج على البخاري والمستخرج على مسلم ودلايل النبوة ومعرفة
الصحابة وتاريخ اصفهان وفضايل الصحابة وصنف في الطب وغيره ولد في
رجب سنة ست او سبع وثلاثين وثلاثماية ومات بكرة يوم الاثنين لعشرين
من المحرم سنة ثلاث واربعماية وابو عبد الرحمن محمد بن الحسين صاحب

تورع

قال ابن صح

الحقايق و طبقات الاوليا كان عدلا ثقة استاذ ابي القاسم القشيري و شيخ ابي سعيد بن
ابي الخير واثني عليه الشيخ عبد الله الانصاري كثيرا وقد طعن فيه ابن الجوزي كما هو دابه
في شان الايمة السلمي بضم السين و فتح اللام نسبة الي سليم بن منصور قبيلة مشهورة توفي
يوم الاحد ثالث شعبان سنة اثنتي عشرة واربعماية ودفن في نيسابور وابو سعيد صوابه
كما قال ابن الاثير والسمعاني ابو سعد محمد بن محمد بن احمد بن عبد الله بن حفص كان ثقة متقنا صنف
وحدث ورحل الي مصر فمات بها في شوال سنة اثنتي عشرة واربعماية الماليني بفتح الميم وكسر
اللام ثم بتحتية ثم نون نسبة الي مالين قري مجتمعة من اعمال هراة يقال لجميعها مالين واهل هراة
يقولون مالان وابو عثمان اسماعيل الصابوني نسبة الي عمله و محمد بن عبد الله الانصاري
الهروي منسوب الي الانصار وهم الاوس والخزرج ولد سنة خمس وتسعين وثلثماية وكان
كثير السهر قويا في نصرة الدين حدث و صنف و توفي بهراة يوم الجمعة من ذي الحجة سنة احدي
وثمانين واربعماية وابو بكر احمد بن حسين بن علي بن موسي البيهقي نسبة الي بيهق قرية بناحية
نيسابور علي عشرين فرسخا منها قال فيه امام الحرمين كل شافعي فللشافعي عليه المنة الا البيهقي
فان له علي الشافعي المنة ولد في شعبان سنة اربع وسبعين وقيل اربع وثمانين وثلثماية والف
شعب الايمان ومات في جمادي الاولي سنة اربع وخمسين واربعماية بنيسابور ونقل في تابوت
الي بيهق مسيرة يومين واورد المص لفظ ثم في الاولين لعلمه بالتاخر الزماني فيهما بخلاف الباقين
ولما خص المشاهير بالذكر عمم فقال وخلايق لا يحصون من المتقدمين والمتاخرين ولما كانت
الاستخارة مطلوبة في جميع الامور لقوله صلي الله عليه وسلم ما خاب من استخار اي الله ولا ندم
من استشار اي من نصحه ولا عال من اقتصد اي ولا افتقر من استعمل القصد في نفقة عياله
قدمها المص علي التاليف لتعود بركتها عليه فقال وقد استخرت الله لانه يطلب من كل قادم علي
امر يجهل عاقبته ان يستخير الله تعالي في الاقدام والاحجام وقد كان صلي الله عليه وسلم يعلم الناس
دعا الاستخارة كما يعلمهم السورة من القران وكان يامرهم بذلك وفي الحديث الذي رواه ابن
السني عن انس رضي الله عنه اذا هممت بامر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر الي
الذي يسبق الي قلبك فان الخير فيه وصفتها ان يصلي ركعتين يقرا بعد الفاتحة في الركعة
الاولي وربك يخلق ما يشا ويختار الاية الي قوله يعلنون وقيل قل يا ايها الكافرون الخ وفي الركعة
الثانية قوله تعالي وما كان لمومن ولا مومنة الي قوله ضلالا مبينا وقيل قل هو الله احد الخ ثم
يدعو بعد السلام من الركعتين بان يقول اللهم اني استخيرك بعلمك واستقدرك

بقدرتك واسيلك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا اقدر وتعلم ولا اعلم وانت علام الغيوب اللهم ان كنت تعلم
ان هذا الامر خير لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجل امري واجله فاقدره لي ويسره لي ثم بارك لي
فيه وان كنت تعلم ان هذا الامر شر لي في ديني ومعاشي وعاقبة امري او قال عاجل امري واجله فاصرفه
عني واصرفني عنه واقدر لي الخير حيث كان ثم رضني به اهـ قال ويسمي حاجته قال الشيخ خليل في منسكه
ثم يمضي بعد الاستخارة لما انشرحت له نفسه قال ابن حجر ينبغي التفطن لدقيقة يغفل عنها فلم ار من نبه
عليها وهو ان الواو في المتعاطفات التي بعد خير على بابها والتي بعد شر بمعنى او لان المطلوب تيسره
لا بد ان يكون كل من احواله المذكورة من الدين والدنيا والعاجل والاجل وغيرها خيرية والمطلوب
صرفه يكفي فيه ان يكون بعض احواله المذكورة شرا وفي ابقا الواو على حالها ايهام انه لا يطلب صرفه الا ان
كانت جميع احواله لا بعضها شرا وليس مرادا كما هو ظاهر قال النووي والظاهر ان صلاة الاستخارة تحصل
بركعتين من الرواتب وبتحية المسجد وغيرها من النوافل واعترض طلب الاستخارة هنا اذ لا استخارة الا في الامور
المبهمة واما هذه فطاعة لا شك فيها والجواب انه انما استخار في هذه مخافة من عدم اخلاص النية او لان
غيرها من الطاعات قد يكون اولى منها لكونه اهم واعلم ان الاستخارة لا تكون في واجب ولا في محرم ولا مكروه ولا
في فعل مندوب وتركه وانما تطلب في الجايز وفي تقديم بعض المندوبات على بعض في جمع اربعين حديثا اقتدا
بهولا الايمة الاعلام جمع علم بفتحتين وهو ما يهتدي به الى الطريق ويطلق العلم على الجبل لانه يهتدى به
كما قالت الخنسا وان صخرا لتاتم الهداة به كانه علم في راسه نار وفي قولها وان صخرا هو اسم اخيها لطيفة
اتفاقية لمناسبة الجبل وسمي العالم علما لانه يهدي الناس بعلمه كما يقال فلان جبل في العلم كالعلم او لعلو قدره
واشتهاره وحفاظ الاسلام فايدة قال السيوطي روينا عن البخاري في اداب طالب الحديث اثرا طريفا
اخبرني ابو الفضل الازهري وغيره سماعا اخبرنا ابو العباس المقدسي قال اخبرتنا عايشة بنت علي اخبرنا ابو
عيسى بن علاق اخبرتنا فاطمة بنت سعد الخير اخبرنا ابو نصر اليونارتي سمعت ابا محمد الحسن بن احمد السمرقندي
يقول سمعت ابا بكر محمد بن احمد بن محمد بن صالح بن خلف يقول سمعت ابا ذر عمار بن محمد بن مخلد التميمي يقول سمعت
ابا المظفر محمد بن احمد بن حامد البخاري قال لما عزل ابو العباس الوليد بن ابراهيم بن زيد الهمداني عن قضا
الري ورد بخارى فحملني معلمي ابو ابراهيم الختلي اليه وقال اسيلك ان تحدث هذا الصبي بما سمعت من مشايخنا
فقال ما لي سماع فقال فكيف وانت فقيه قال لاني لما بلغت مبلغ الرجال تاقت نفسي الى طلب الحديث
فقصدت محمد بن اسماعيل البخاري واعلمته مرادي فقال يا بني لا تدخل في امر الا بعد معرفة حدوده والو
قوف على مقاديره واعلم ان الرجل لا يصير محدثا كاملا في حديثه الا بعد ان يكتب اربعا مع اربع كاربع
مثل اربع في اربع عند اربع باربع على اربع عن اربع لاربع وكل هذه الرباعيات لا تتم الا باربع مع اربع
فاذا تمت له كلها هان عليه اربع وابتلي باربع فاذا صبر على ذلك اكرمه الله في الدنيا باربع واثابه في الاخرة
باربع قلت له فسر لي رحمك الله ما ذكرت من احوال هذه الرباعيات قال نعم اما الاربع التي يحتاج
الى كتبها هي من اخبار الرسول صلى الله عليه وسلم وشرايعه والصحابة ومقاديرهم والتابعين واحوالهم

وسائر العلما وتواريخهم مع اسما رجالهم وكناهم وامكنتهم وازمنتهم كالتحميد مع الخطبة والدعاء مع التوسل
والبسملة مع الفاتحة السورة والتكبير مع الصلاة مثل المسندات والمرسلات والموقوفات والمقطوعات
في صغره وفي ادراكه وفي شبابه وفي كهولته عند شغله وعند فراغه وعند فقره وعند غناه بالجبال والبحار
والبلدان والبراري على الاحجار والاصداف والجلود والاكتاف الى الوقت الذي يمكنه نقلها الى الاوراق عمن
هو فوقه وعمن هو تحته وعمن هو مثله ومن كتاب ابيه الذي يتيقن انه بخط ابيه دون غيره لوجه الله تعالى
طالبا لمرضاته والعمل بها وافق كتاب الله منها ونشرها بين طالبيها والتاليف في احيا ذكره بعده ثم لا تتم
هذه الاشيا الا باربع هي من كسب العبد معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو مع اربع هي اعطا الله
تعالى الصحة والقدرة والحرص والحفظ فاذا صحت له هذه الاشيا هان عليه اربع الاهل والولد والمال والوطن
وابتلي باربع شماتة الاعدا وملامة الاصدقا وطعن الجهلا وحسد العلما فاذا صبر على هذه المحن اكرمه الله في الدنيا
باربع بعز القناعة وبهيبة اليقين وبلذة العلم وبحسن الادب واثابه الله في الاخرة باربع بالشفاعة لمن اراد
من اخوانه وبظل العرش حيث لا ظل الا ظله ويسقي من اراد من حوض محمد صلى الله عليه وسلم وبجوار النبيين
في اعلا عليين فقد اعلمتك يا بني بمجملات جميع ما كنت سمعت من مشايخي متفرقا في هذا الباب فاقبل الآن
على ما قصدتني له او دع وقد اتفق العلما على جواز العمل بالحديث الضعيف في فضائل الاعمال في ذكر الاتفاق
نظر لان ابن العربي قال الحديث الضعيف لا يعمل به مطلقا قال المولف في الاذكار ذكر الفقها والمحدثون
انه يجوز ويستحب العمل في الفضائل والترغيب والترهيب بالحديث الضعيف ما لم يكن موضوعا واما
الاحكام كالحلال والحرام والمعاملات فلا يعمل فيها الا بالحديث الصحيح والحسن الا ان يكون في احتياط في
شي من ذلك كما اذا ورد حديث ضعيف بكراهة بعض البيوع والانكحة فان المستحب ان يتنزه عن ذلك ولكن
لا يجب اه ومحل كونه لا يعمل بالضعيف في الاحكام ما لم يكن تلقته الناس بالقبول فان كان كذلك تعين
وصار حجة يعمل به في الاحكام وغيرها كما قاله الامام الشافعي ومن ذلك ما نقله الحافظ جلال الدين
السيوطي في الخصائص الصغرى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ما وطي على صخر الا واثر فيه وعزاه
للحافظ زين الدين العبدري اه وقد اعتضد هذا الحديث بشواهد كثيرة قال السخاوي في كتابه
القول البديع سمعت شيخنا ابن حجر رحمه الله تعالى مرارا يقول شرائط العمل بالحديث الضعيف ثلاثة
الاول متفق عليه وهو ان يكون الضعف غير شديد وشديد الضعف هو الذي لا يخلو طريق من
طرقه من كذاب او متهم بالكذب والثاني ان يكون مندرجا تحت اصل عام فيخرج ما يخترع بحيث
لا يكون له اصل اصلا والثالث ان لا يعتقد عند العمل به ثبوته لئلا ينسب الى النبي صلى الله عليه
وسلم ما لم يقله والاخيران عن ابن عبد السلام وابن دقيق العيد والاول نقل العلائي الاتفاق عليه
وعن احمد انه يعمل به اذا لم يوجد غيره وفي رواية عنه ضعيف الحديث احب الي من راي الرجال اه
وذكر ابن حزم الاجماع على ان مذهب ابي حنيفة ضعيف الحديث اولى عنده من الراي والقياس
اذا لم يوجد في الباب غيره وقد تحصل ان في العمل بالحديث الضعيف ثلاثة مذاهب الاول

لا يعمل

لا يعمل به مطلقا الثاني يعمل به مطلقا الثالث يعمل به في الفضايل بشروط ومع هذا الذي ذكرته
من جواز العمل بالحديث الضعيف في الفضايل فليس اعتمادي على هذا الحديث وحده بل على قوله
صلى الله عليه وسلم في الاحاديث الصحيحة ليبلغ الشاهد اي السامع ما اقول منكم الغايب
عنه بالنصب على المفعولية وهذا تحريض على التعليم والتعلم فانه لولاه لانقطع العلم بين الناس
كذا في بعض النسخ وفي بعضها تقديم حديث نضر الله على هذا وقوله صلى الله عليه وسلم نضر الله
بفتح الضاد المعجمة روي مخففا ومشددا قال بعضهم اكثر الشيوخ يشددون واكثر اهل
الادب يخففون قال في البحر وهو افصح من النضارة وهي حسن الوجه وبريقه ومعناه
البسه الله النضرة وخلوص اللون يعني جمله الله وزينه او معناه اوصله الى نضرة الجنة
وهي نعيمها قال الله تعالى تعرف في وجوههم نضرة النعيم وجوه يومئذ ناضرة ولقاهم نضرة وسرورا
وقال جرير طرب الحمام بذكرهن فشاقني لا زلت في فنن وايك ناضر اي مورق غصن من
ثم قال سفيان بن عيينة اني لارى في وجوه اهل الحديث نضرة وجمالا لهذا الحديث يعني لانها
دعوة اجيبت وخص حاملي السنة بالدعا لانه سعى في نضارتها وتجويدها فجازاه في دعايه
بما يناسب حاله وذكر سيدي محمد الشاذلي في كتابه البيان ما نصه اختص اهل الحديث من دون
ساير العلما بانهم لا تزال وجوههم نضرة لدعوة النبي صلى الله عليه وسلم لهم بقوله نضر الله امرا سمع
مناحديثا فحفظه حتى بلغه غيره فرب حامل فقه الى من هو افقه منه ورب حامل فقه ليس
بفقيه رواه الترمذي وحسنه عن زيد بن ثابت والنضرة الحسن والرونق والمعنى خصه
الله بالبهجة والسرور لانه سعى في نضارة العلم وتجويد السنن فجازه بدعايه بما يناسب حاله
في المعاملة ومن نظم الحافظ جلال الدين السيوطي رحمه الله في فن الحديث
منظاه من اهل الحديث فانه ذو نضرة في وجهه نور سطع
اذا النبي دعا بنضرة وجه من ادى الحديث كما تحمل واتبع
ومن نظمه رحمه الله تعالى اهل الحديث لهم محافظ هم
وهم نجوم في البرية زاهرة في اي مصر قد ثووا تلقاهم
حقا اعداء الشريعة قاهرة بالنور قد ملئت حشاشة صدرهم
فكذا وجوههم تراها ناضرة وقيل معنى الحديث حسن الله
وجهه في الناس اي جاهه وقدره فهو مثل قوله صلى الله عليه وسلم اطلبوا الحوايج الى حسان
الوجوه يعني الوجوه من الناس وهم ذوي الاقدار الا ان هذا بعيد لانه مخالف للظاهر من غير حامل
عليه وليس نظير اطلبوا الحوايج الخ لذكر الوجوه فيه المحتمل لان يراد به جمع وجه من الوجاهة
وهي التقدم وعلو القدر وحكى ابن العربي عن ابن بشكوال انه بالصاد المهملة وهو شاذ وقوله
نضر يحتمل الخبر والدعا وعلى كل فيحتمل كما قال الحافظ العراقي كونه في الدنيا وكونه في الاخرة
وكونه فيهما امرا سمع مقالتي فوعاها فاداها كما سمعها اي من غير زيادة ولا نقص
فمن زاد او نقص فهو مغير لا مؤد فيكون الدعا مصروفا عنه وليس في قوله كما سمعها منع

لرواية الحديث بالمعني خلافا لمن زعمه لان المراد ادي حكمها لا لفظها وقد راي بعض العلما المصطفى
صلى الله عليه وسلم في المنام فقال انت قلت نضر الله امرا الخ قال نعم ووجهه يتهلل بالسرور
انا قلته وكرره ثلاثا وفي الحديث من ادي الي امتي حديثا واحدا يقيم به سنة او يرد به
بدعة فله الجنة رواه الحاكم في الاربعين فايدة اختلف هل ثواب قاري الحديث كثواب قاري
القران قال الجلال السيوطي في الفية الحديث له وهل ثواب قاري الاخبار كقاري القران خلف جاري
وانظر هل ثواب مستمعه كثواب مستمع القران وقد عد ممن يوتي اجره مرتين ام لا ثم من العلما
من جمع الاربعين في اصول الدين الاصول جمع اصل كفلوس جمع فلس وفي اللغة الاساس وفي الاصطلاح
ما يبتني عليه غيره وان شيت قلت ما يتفرع عليه غيره والمراد بها هنا الالهيات والنبوات
والحشر والنشر وبعضهم جمعها في الفروع اي المسايل الفقهية وبعضهم في فضل الجهاد وبعضهم
في فضل الزهد وبعضهم في الاداب بالمد جمع ادب كاسباب جمع سبب فهو استعمال ما يحمد
قولا وفعلا اي بحسب الاحوال والاخلاق واجتماع الخصال الحميدة من بسط الوجه وحسن اللقا
وحسن التناول والاخذ وبذل المجهود وترك السفه وقال ابن عطا الله الادب الوقوف مع
المستحسنات وقيل الاخذ بمكارم الاخلاق وقيل هو تعظيم من فوقه والرفق بمن دونه وقيل غير
ذلك وينقسم كما قال بعضهم قسمين طبيعي كالكرم والشجاعة وكسبي كمعرفة النحو واللغة والشعر
واضاف بعضهم الي ذلك معرفة الكتاب والسنة وعلومها وصوفي وهو ضبط الحواس ومراعاة
الانفاس انتهي زاد بعضهم وشرعي وهو اجتناب المنهيات وامتثال المامورات ولبعضهم
وما كل وقت ترى مسعفا فكن حافظا لطريق الادب ترى الله يكشف ما قد خفي فتحظى بلجر ونيل الرتب
قال بعض المتقدمين كما ان قوة الاجساد بالاطعمة المصنوعة كذلك قوة العقل بالاداب المسموعة
وبعضهم في الخطب جمع خطبة وهي كلام يلين القلوب القاسية ويرغب الطبايع النافرة مشتق
من الخطب لانهم كانوا اذا الم بهم خطب خطبوا له ليجتمعوا فيحتالوا في دفعه والمراد الخطب التي
كان يخطب بها النبي صلى الله عليه وسلم في نحو جمعة وعيد واستسقا وكسوف وعرفة وعند نزول
الامور المهمة وقدوم الوفود عليه ونحو ذلك وقولي في الخطب كالاربعين الودعانية وبعضهم
في التصوف وكلها مقاصد جمع مقصد بكسر الصاد صالحة لشمول الاحاديث السابقة لجميعها
رضي الله عن قاصديها وقد رايت من الراي جمع اربعين اهم من هذا كله وهي اربعون حديثا
مشتملة على جميع ذلك اي على جميع اصول الشريعة وفروعها والجهاد في سبيل الله والزهد في الدنيا
والتخلق بالاداب الحسنة وغير ذلك ولا يرد عليه قولي وقد رايت جمع اربعين زيادته حديثين
لان مفهوم العدد لا يفيد حصرا على الصحيح او ان ذكر القليل لا ينفي الكثير كما قيل به في رواية
صلاة الجماعة افضل من صلاة الفذ بخمس وعشرين مع رواية سبع وعشرين او انه هنا
كان عزمه على الاربعين وعند فراغه عن له زيادة الحديثين الاخيرين لما فيهما من المناسبة
لان احدهما فيه الوعظ من مخالفة الهوي وثانيهما من باب الرجي فكان ختم الكتاب بهما

قال النبي صلى الله عليه وسلم [illegible] رب حامل فقه غير فقيه ورب حامل فقه الى من هو افقه منه [illegible] للمعني لا للفظ [illegible] ورب مبلغ اوعى من سامع [illegible] الخبر

مناسبا

وهو يا ابن ادم انكم ما دعوتني ورجوتني غفرت لك ولا ابالي الخ

ثانيهما وهو لا يومن احدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به اه

مناسبا والحديث منها قاعدة من قواعد الدين القاعدة من القعود بمعنى الثبات وهي لغة
الاساس والعمد وخشبات يركب الهودج فيها واصطلاحا امر كلي يتعرف منه احكام جزئيات
موضوعها كالامر للوجوب فانه دليل اجمالي ومن جزئياته اقيموا الصلاة والنهي للتحريم
دليل اجمالي ومن جزئياته لا تقربوا الزنا وكيفية استفادة الحكم من ذلك ان تجعل الدليل
التفصيلي مقدمة صغرى والدليل الاجمالي مقدمة كبرى فينشا عنهما نتيجة هي الحكم كان
يقال اقيموا الصلاة امر والامر للوجوب فينتج ان الصلاة واجبة وبهذا يعلم ان القاعدة
بهذا المعنى ليست مرادة للمصنف لان تلك الاحاديث كلها من باب الاحكام التفصيلية دون
القواعد الاجمالية وانما اراد بالقاعدة العمدة والاصل الذي ترجع اليه الاحكام او كثير منها
وقد وصفه العلماء بان مدار اي غالب احكام الاسلام عليه كحديث ان الحلال بين والدين
النصيحة قال ابن رسلان كحديث من راى منكم منكرا فليغيره بيده لان اعمال الشرع اما
معروف يجب الامر به او منكر يجب النهي عنه فهو نصف بهذا الاعتبار او هو نصف الاسلام
او ثلثه كحديث انما الاعمال بالنيات فان ابا داود قال انه نصف الاسلام والشافعي قال
انه ثلثه قال ابن رسلان لان كسب العبد بجوارحه وقلبه ولسانه والنية احد
الثلاثة او نحو ذلك اي كالربع كحديث لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه ما يحب لنفسه
ثم التزم في هذه الاربعين ان تكون صحيحة ليعمل بها في الفضائل وغيرها والمراد بالصحيحة
غير الضعيفة فتتناول الحسنة ومعظمها اي غالبها في صحيحي شيخ الحديث وطبيب علله
في القديم والحديث ابي عبد الله محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري قال
الشيخ تاج الدين السبكي في طبقاته كان البخاري امام المسلمين وقدوة المومنين وشيخ
الموحدين والمعول عليه في احاديث سيد المرسلين وقال ابن كثير كان امام الحديث
في زمانه والمقتدى به في اوانه والمقدم على ساير اقرانه قال محمد بن عبد الرحمن كتب
اهل بغداد الى محمد بن اسماعيل كتابا فيه المسلمون بخير ما بقيت لهم وليس بعدك خير حين تفتقد
قيل كان يحفظ وهو صغير سبعين الف حديث وكان اذا نظر في الكتاب مرة واحدة حفظ ما
فيه وقال رضي الله تعالى عنه احفظ مائة الف حديث صحيح واحفظ مايتي الف حديث
غير صحيح وكان يختم في رمضان كل يوم ختمة ويقوم بعد التراويح كل ثلاث ليال بختمة وكان
يصلي وقت السحر ثلاث عشرة ركعة وقال دخلت بلخ فسالوني ان املي لهم لكل من
كتبت عنه فامليت الف حديث عن الف شيخ ومن اعجب العجيب ما رواه البغدادي
الخطيب انه قدم بغداد فسمع به اهل الحديث فاجتمعوا وعمدوا الى مائة حديث فقلبوا
متونها واسانيدها وجعلوا متن هذا الاسناد لاسناد اخر واسناد هذا المتن لمتن اخر
ودفعوها الى عشرة انفس فدفعوا لكل رجل عشرة احاديث وامروهم اذا حضروا المجلس ان

يلقوا ذلك على البخاري واخذوا الموعد للمجلس فحضر المجلس جماعة من اصحاب الحديث من الغرباء من
اهل خراسان وغيرهم ومن البغداديين فلما اطمان المجلس باهله انتدب اليه رجل من العشرة فسأله
عن حديث من تلك الاحاديث فقال البخاري لا اعرفه فما زال يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من
عشرته والبخاري يقول لا اعرفه فكان الفقهاء يلتفت بعضهم الى بعض ويقولون فهم الرجل ومن كان منهم
غير ذلك يقضي على البخاري بالعجز والتقصير وقلة الفهم ثم انتدب اليه رجل اخر من العشرة فسأله
عن حديث من تلك الاحاديث المقلوبة فقال البخاري لا اعرفه فسأله عن اخر فقال لا اعرفه
فلم يزل يلقي عليه واحدا بعد واحد حتى فرغ من عشرته والبخاري يقول لا اعرفه ثم انتدب اليه
الثالث والرابع الى تمام العشرة حتى فرغ كلهم من الاحاديث المقلوبة والبخاري يقول لا اعرفه
فلما علم البخاري انهم قد فرغوا التفت الى الاول منهم فقال له اما حديثك الاول فهو كذا وصوابه
كذا والثاني والثالث والرابع على الولاء حتى اتى على تمام العشرة فرد كل متن الى اسناده وكل اسناد
الى متنه وفعل بالاخرين كذلك رد متون الاحاديث كلها الى اسانيدها واسانيدها الى متونها
فاقر الناس له بالحفظ واذعنوا له بالفضل وههنا تخضع للبخاري الرقاب فما العجب من
رد الخطا الى الصواب بل العجب من حفظه للخطا القليل الفايدة على ترتيب ما القوه عليه ولا
عجب لانه في سرعة الحفظ طويل الباع وهو امام الحفاظ والنقاد ولما خرج من بغداد لحصول
المحنة فيها بمسيلة خلق القران واراد الذهاب الى سمرقند فلما بلغ خرتنك بفتح الخا المعجمة
وفتح المثناة وسكون النون وهي قرية على فرسخين من سمرقند بلغ انه افتتن اهل سمرقند
في دخوله فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهون ذلك فاقام بها حتى انجلى الامر فضجر ليلة فدعا
وقد فرغ من صلاة الليل اللهم قد ضاقت على الارض بما رحبت فاقبضني اليك فمات في ذلك
الشهر فان قلت كيف انه دعا بالموت وقد خرج في صحيحه لا يتمنين احدكم الموت لضر نزل
به فالجواب ان المراد بالضر الضر الدنيوي واما اذا نزل به ضر ديني فانه يجوز تمنيه خوفا
من تطرق الخلل للدين وقد قال عبد الله بن حماد وهو شيخ البخاري وددت اني شعرة في
صدر اسماعيل البخاري وقال ابو زيد المروزي الشافعي واجل من روى البخاري عن الفربري محمد بن صح
كنت نايما بين الركن والمقام فرايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال يا ابا زيد
الى متى تدرس في كتاب الشافعي ولا تدرس في كتابي قلت يا رسول وما كتابك فقال جامع
محمد بن اسماعيل البخاري يعني هذا الصحيح وقال محمد بن يوسف الفربري سمعت ابا جعفر
محمد بن ابي حاتم الوراق يقول رايت محمد بن اسماعيل البخاري في النوم خلف رسول الله صلى الله
عليه وسلم وكلما رفع النبي صلى الله عليه وسلم قدمه وضع البخاري قدمه موضعه وقال الفربري
رايت النبي صلى الله عليه وسلم في النوم فقال اين تريد فقلت اريد محمد بن اسماعيل البخاري
فقال اقرايه مني السلام وحكي عنه انه كان يوما في المسجد وحوله اصحابه للدرس في العلم فراى

بعضهم

23

بعضهم علي لحيته قشة فرماها عن لحيته في المسجد فاخذها الامام البخاري وصرها في حرقة واخرجها
ورماها خارج المسجد وقال للذي رماها عن لحيته انت ما رضيت ان تكون هذه القشة علي
لحيتي وانا عبد الله وابن آدم فكيف ارضى ان ارميها في بيت ربي وفي مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال رضي الله عنه ما وضعت في كتابي حديثا حتى استخرت الله تعالى
وتيقنت صحته وقال ما كتبت في كتابي الصحيح حديثا الا اغتسلت قبل ذلك وصليت
ركعتين بين الروضة والمنبر وقراته علي النبي صلى الله عليه وسلم ثم اضطجعت فياتيني
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاقول يا رسول الله بلغني عنك انك قلت كذا وكذا واقرا
عليه ذلك الحديث فيقول نعم صحيح ذلك قال وارجوا ان يبارك الله فيه للمسلمين فحقق
الله ظنه ورجاه وكان اذا فرغ من الحديث او التصنيف قام فركع وروي انه كان
يحضر مجلسه اكثر من عشرين الفا ياخذون عنه ومن كلامه رضي الله عنه
اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى ان يكون موتك بغتة كم صحيح رايت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلتة
قال المولف اتفقوا علي ان البخاري ولد ببخارى بعد صلاة الجمعة لثلاث عشرة ليلة خلت من شوال
سنة اربع وتسعين ومائة ومات رحمه الله ليلة السبت عند صلاة العشا ليلة عيد الفطر
وقيل بل بعد الظهر بخرتنك وهي قرية من قرى سمرقند علي فرسخين منها سنة ست وخمسين
ومائتين وله من العمر اثنان وستون سنة الا ثلاثة عشر يوما قاله في تهذيب الاسما واللغات
وما احسن قول الكمال بن ابي شريف ولد في صدق وتوفي في نور ولما دفن فاح من قبره رائحة
الغالية اطيب من المسك واستمرت اياما كثيرة حتى تواتر عند جميع اهل البلاد وسياتي
ايضا شي مما يتعلق به عند ذكره في استخراج الحديث الاول وابي الحسين مسلم بن الحجاج
بن مسلم القشيري واذكرها محذوفة الاسانيد جمع اسناد وهي حكاية طريق المتن
والسند الطريق الموصلة الى المتن فقولك اخبرنا فلان الخ اسناد ونفس الرجال
سند وقال البدر بن جماعة الاسناد هو الاخبار عن طريق المتن والسند هو رفع الحديث
الى قايله قال والمحدثون يستعملونهما لشي واحد وفيه نظر واخذه اما من السند وهو
ما ارتفع وعلى من سفح الجبل لان المسند يرفعه الى قايله او من قولهم فلان سند اي
معتمد سمي بذلك لاعتماد الحفاظ في صحة الحديث وضعفه عليه ولذا قال الثوري
السند سلاح المومن فاذا لم يكن معه سلاح فبم يقاتل وقال بعضهم انه كالسيف للمقاتل
وقال بعضهم مشيرا اليه السند كالسلم يصعد عليه وقال ابن عيينة حدث الزهري
بحديث فقلت له هاته بلا اسناد فقال ترقى السطح بلا سلم وفي اول صحيح مسلم عن
عبد الله بن المبارك الاسناد من الدين ولولا الاسناد لقال من شا ما شا وقال الشافعي
رضي الله عنه الذي يطلب الحديث بلا سند كحاطب ليل يحمل الحطب وفيه افعى وهو لا يدري

قال ابو علي الجياني خص الله هذه الامة بثلاثة اشيا لم يعطها من قبلهم الاسناد والانساب والاعراب
ومن ادلة ذلك ما رواه الحاكم وغيره عن مطر الوراق في قوله تعالى او اثارة من علم فقال اسناد الحديث
واما المتن فهو الالفاظ الحديث التي تقوم بها المعاني قال الطيبي وقال ابن جماعة هو ما ينتهي اليه غاية
السند واخذه اما من المماتنة وهي من المبالغة في الغاية لان المتن غاية السند او من متنت
الكبش اذا شققت جلدة بيضته واستخرجتها فكان المسند استخرج المتن بسنده او من المتن
وهو ما صلب وارتفع من الارض لان المسند يقويه بالسند ويرفعه الى قائله او من تمتين القوس
اي شدها بالعصب لان المسند يقوي الحديث بسنده ليسهل حفظها لقلة الفاظها واذا سهل
حفظها كثرت حفاظها فيعم الانتفاع بها كما قال ويعم الانتفاع بها ان شا الله تعالى لانه ولي كل شي
والقادر عليه وقد حقق الله له ما اراده واتى بالمشية امتثالا لامره تعالى اثر فخلقه بالاتيان بها
لقوله تعالى ولا تقولن لشي اني فاعل ذلك غدا الا ان يشا الله ومن ثم تشرع في الامور المستقبلة
دون الماضية كما تستفيد من الاية فلا يقال فعلت كذا امس ان شا الله والاسناد لفعل الفير
كهو لفعل النفس ومفعول شا محذوف اي ان شا الله تعالى ذلك وقد قيل في تفسير قوله تعالى يوم
ندعو كل اناس بامامهم ليس لاهل الحديث منقبة اعظم من ذلك لانهم لا امام لهم غيره صلى الله
عليه وسلم لان ساير العلوم الشرعية محتاجة اليه اما الفقه فواضح واما التفسير فلان اولى
ما فسر به كلام الله تعالى ما ثبت عن نبيه صلى الله عليه وسلم واصحابه رضي الله عنهم ثم اتبعها
بباب في ضبط خفي الفاظها من اضافة الصفة للموصوف اي الفاظها الخفية وينبغي لكل راغب
في عمل او ثواب الاخرة ان يعرف هذه الاحاديث لما اشتملت عليه من المهمات واحتوت من
حوى اذا جمع عليه من التنبيه اي الايقاظ والتفهيم على جميع الطاعات وذلك ظاهر لمن
تدبره التدبر التفكر وهو انتقال الذهن من التصديقات الحاضرة الى التصديقات
المستحضرة وعلى الله لا على غيره كما افاده تقديم المعمول اعتمادي في هذا الجمع وغيره ولا يرد
على الحصر الذي افاده تقديم المعمول ان الاعتماد كثيرا على غيره لان الاعتماد عليه في تحصيل الاسباب
وتيسيرها والتيسير والتحصيل مختصان به تعالى وفيه اشارة الى محض التوحيد الذي
هو اقصى مراتب العلم بالمبدا واليه لا الى غيره تفويضي التفويض الى الله رد الامر كله اليه
واليه استنادي اي التجاي فيما يتعلق بتاليف العلم وغيره وله دون غيره الحمد ملكا
واستحقاقا واختصاصا والنعمة ايجادا وايصالا الى خلقه بساير انواعها كما مر وغيره
وان وجد له حمدا ومنه نعمة فانما هو باعتبار الصورة دون الحقيقة وبه لا بغيره وفي
النسخ وبيده اي قدرته التوفيق هي لغة جعل الامر موافقا لاخر واصطلاحا قال الاشعري

حلق

خلق قدرة الطاعة في العبد واعترضه امام الحرمين بانه يشمل الكافر والفاسق اذ كل منهما مخلوق فيه
قدرة الطاعة فلا بد من زيادة قيد في التعريف وهو والداعية اليها ورده الدواني لان القدرة
عند الاشعري هي العرض المقارن للفعل فلا توجد قدرة الايمان الا مع وجوده ولا توجد قدرة الطاعة
الا مع وجودها والعصمة بالكسر وهي لغة المنع قال تعالى لا عاصم اليوم من امر الله اي لا مانع ويقال
عصمه الطعام اذا منعه الجوع وابو عاصم كنية السويق واصطلاحا قال الابي عدم خلق
القدرة على المعصية وهو منقوض بالصبي والميت ومن منعه من المعصية مانع والاحسن
تعريفها بانها ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة ويجوز الدعا بها مطلقة ومقيدة اي كاللهم اعصمني من الزناه
على المعتمد وانكر بعضهم جواز الدعا بها مطلقة لانها انما هي للانبيا والملايكة واجيب بانها
في حق الانبيا والملايكة واجبة وفي حق غيرهم جايزة وسوال الجايز جايز وان الذي لختص برهم حج
به الانبيا والملايكة وجوبها لا طلبها الحديث ويرادفه الخبر على الصحيح وهو لغة ضد
القديم وقد استعمل في قليل الخبر وكثيره لانه يحدث شيا فشيا واصطلاحا ما اضيف الى النبي
صلى الله عليه وسلم قولا او فعلا او تقريرا او صفة حتى الحركات والسكنات يقظة او مناما
زاد بعضهم او هما او ايماء ويعبر عن هذا بعلم الحديث رواية ويحد بانه علم يعرف به اقوال النبي صلى
الله عليه وسلم وافعاله واحواله وموضوعه ذات رسول الله صلى الله عليه وسلم من حيث
انه رسول الله وغايته الفوز بسعادة الدارين واما علم الحديث دراية فهو علم يعرف
به حال الراوي والمروي من حيث القبول والرد وموضوعه الراوي والمروي من حيث ذلك
وغايته معرفة ما يقبل وما يرد من ذلك وقال ابن حجر في شرح النخبة عند علما الفن مرادف للحديث الخبر صح
فيطلقان على المرفوع وعلى الموقوف والمقطوع وقيل الحديث ما جا عن النبي صلى الله عليه وسلم والخبر
ما جا عن غيره ومن ثم قيل لمن يشتغل بالسنة محدث وبالتواريخ ونحوها اخباري وقيل بينهما عموم
وخصوص مطلق فكل حديث خبر ولا عكس وقيل لا يطلق الحديث على غير المرفوع الا بشرط التقييد
وقد ذكر المولف ان المحدثين يسمون المرفوع والموقوف بالاثر وان فقها خراسان يسمون الموقوف
بالاثر والمرفوع بالخبر الاول المشهور ان اصله اوأل على وزن افعل قلبت الهمزة الثانية
واوا وادغمت فيها الاولى وهو اسم اما بمعنى قبل فيكون منصرفا ومنه قولهم اولا واخرا او صفة
اي افعل تفضيل بمعنى اسبق فيكون غير منصرف للوزن والوصف وصدر المص بهذا الحديث
كالبخاري كان السلف الصالح كانوا يستحبون تقديمه امام كل شي يبتدا من امور الدنيا لعموم
الحاجة اليه ولتنبيه الطالب على مزيد الاعتنا والاهتمام بحسن النية والاخلاص في الاعمال فانه
روحها الذي به قوامها وبفقده تصير هبا منثورا وقد قال الحافظ عبد الرحمن بن مهدي
من اراد ان يصنف كتابا فليبدا بهذا الحديث وقال لو صنفت كتابا لبدات في كل باب
منه بهذا الحديث عن امير المومنين هو اول من لقب به على العموم او من الخلفا لاستثقالهم
خليفة خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم ولقبه بذلك عدي بن حاتم ولبيد بن ربيعة حين

وفدا عليه من العراق وقيل لقبه به المغيرة بن شعبة وقيل انه قال للناس انتم المومنون وانا
اميركم لا انه اول من لقب به مطلقا فقد لقب به عبد الله بن جحش حين بعثه النبي صلى الله عليه
وسلم في سرية اثني عشر رجلا وقيل ثمانية في اول مقدمه المدينة وكتب اليه كتابا وامره ان
لا ينظر اليه حتى يسير يومين ثم ينظر فيه فيمضي لما امر به ولا يستكره احدا من اصحابه فلما سار يومين
فتح الكتاب فاذا فيه اذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة بين مكة والطايف
فترصد بها قريشا وتعلم لنا اخبارهم قال عبد الله واصحابه سمعا وطاعة وقالوا له ما ندعوك فقال
انتم المومنون وانا اميركم قالوا انت اذا امير المومنين ثم مضوا ولقوا عيرا لقريش فقتلوا
عمرو بن الحضرمي في اول يوم من رجب كافروا واسروا اثنين وغنموا ما كان معهم فقالت قريش
قد استحل محمد الشهر الحرام فانزل الله قوله تعالى يسالونك عن الشهر الحرام قتال فيه الاية تبين
وانما وصف بامير المومنين لما نقله في شرح مسلم عن المطرزي وابن خالويه وغيرهما ان كل من
ملك المسلمين يقال له امير المومنين ومن ملك الروم قيصر ومن ملك الفرس كسرى ومن ملك الترك
خاقان ومن ملك القبط فرعون ومن ملك مصر العزيز ومن ملك الحبشة النجاشي ومن ملك اليمن
اليمن تبع ومن ملك حمير القيل بفتح القاف ثم ان حديث النية هذا فرد غريب باعتبار اوله
مشهور باعتبار اخره وليس بمتواتر خلافا لما زعمه بعضهم لان شرطه ان توجد عدة التواتر
في جميع طبقاته فان الصحيح انه لم يروه عن النبي صلى الله عليه وسلم الا عمر لم يروه عن عمر الا
علقمة بن وقاص الليثي ولم يروه عن علقمة الا محمد بن ابراهيم التيمي ولم يروه عن محمد الا يحيى
بن سعيد الانصاري ومنه اشتهر حتى رواه عن يحيى بن سعيد اكثر من ثلاثمائة نفس وقيل سبعمائة
الا ان يحمل على التواتر المعنوي فيصح اذ طلب النية في العمل ثابت في عدة احاديث غيره منها
خبر البيهقي لا عمل لمن لا نية له وخبر غيره ليس للمرء من عمله الا ما نواه وخبر ابن ماجة انما يبعث
الناس على نياتهم ابي حفص الحفص الاسد وكان سبب ذلك ما كان عليه من الشدة كما رواه
زيد بن اسلم عن ابيه انه قال رايت عمر رضي الله عنه يمسك اذن فرسه باحدى يديه
ويمسك بالاخرى اذنه ثم يثب حتى يركب عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العزى بن رياح
بكسر الراء وفتح اليا اخر الحروف بن عبد الله بن قرط بضم القاف وبالطا المهملة ابن رزاح
فتح الراء اوله ثم زاي مفتوحة ايضا بن عدي بن كعب بن لوي العدوي القرشي يجتمع مع
النبي صلى الله عليه وسلم في كعب الاب الثامن وامه حنتمة بالحا المهملة بنت هاشم بن المغيرة
بن عبد الله بن عمر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب وكونها بنت هاشم هو الصحيح وقيل
بنت هشام وعلى الاول فهي بنت عم ابي جهل وعلى الثاني فهي اخته فيكون ابو جهل خاله اسلم
عمر سنة ست من النبوة وقيل سنة خمس بعد اربعين رجلا وعشر نسوة كما قاله سعيد بن
المسيب او بعد خمسة واربعين رجلا واحدى عشرة امراة كما قاله عبد الله بن ثعلب او

بعد

بعد تسعة وثلاثين رجلا كما قاله غيرهما وكان بدعوة المصطفى صلى الله عليه وسلم لما قال عليه الصلاة ذلك
والسلام اللهم اعز الاسلام باحب الرجلين اليك بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام فكان احبهما
اليه عمر بن الخطاب قال انس بن مالك خرج عمر متقلدا سيفه فلقيه رجل من بني زهرة فقال
اين تعمد يا عمر فقال اريد ان اقتل محمدا قال وكيف تامن في بني هاشم وبني زهرة وقد قتلت محمدا
فقال له ما اراك الا قد صبات وتركت دينك الذي انت عليه قال افلا ادلك على العجب يا عمر
ان اختك وختنك اي سعيد بن زيد احد العشرة المبشرين بالجنة قد اسلما فمشى مغضبا حتى
اتاهما وعندهما رجل من المهاجرين يقال له خباب فلما سمع خباب حس عمر توارى في البيت
فدخل عليهما فقال ما هذه الهينمة التي سمعتها عندكم قال وكانوا يقرؤن طه فقالا ما عدا
حديثا تحدثناه بيننا قال فلعلكما صبأتما فقال له ختنه فقال ارايت يا عمر ان كان الحق في
غير دينك فوثب عمر على ختنه فوطئه وطئا شديدا فجاءت اخته فدفعته عن زوجها فضرب
راسه فادماه فقالت وهي غضبا كان ذلك على رغم انفك اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان
محمدا رسول الله فلما ايس عمر قال اعطوني هذا الكتاب الذي عندكم فاقراوه وكان عمر يقرا الكتب
فقالت له اخته انك رجس ولا يمسه الا المطهرون فقم فاغتسل او توضا فقام فتوضى ثم
اخذ الكتاب فقرا طه حتى انتهى الى قوله انني انا الله لا اله الا انا فاعبدني واقم الصلاة
لذكري فقال عمر دلوني على محمد وفي رواية اخرى انه وجد في الكتاب سورة الحديد فقرا حتى بلغ
قوله تعالى آمنوا بالله ورسوله فقال دلوني على محمد فلما سمع خباب قول عمر خرج من البيت فقال
ابشر يا عمر فاني ارجو ان تكون دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم لك ليلة الخميس اللهم اعز الاسلام
بعمر بن الخطاب او بعمرو بن هشام قال واين رسول الله صلى الله عليه وسلم قال في الدار التي
اسفل الصفا فانطلق عمر حتى اتى الدار قال وعلى الباب حمزة وطلحة وناس من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما راى حمزة وجل القوم من عمر قال حمزة نعم هذا عمر فان يرد الله بعمر
خيرا يسلم ويتبع النبي صلى الله عليه وسلم وان يرد غير ذلك يكن قتله علينا هينا قال والنبي
صلى الله عليه وسلم داخل يوحى اليه فخرج رسول صلى الله عليه وسلم حتى اتى عمر فاخذ بمجامع
ثوبه وحمايل السيف وقال اما انت منته يا عمر حتى ينزل الله بك يعني من الخزي والنكال
ما انزل بالوليد بن المغيرة اللهم هذا عمر بن الخطاب اللهم اعز الدين بعمر بن الخطاب
فقال عمر اشهد انك رسول الله ولابن عباس انه قال اشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له
واشهد ان محمدا عبده ورسوله فكبر اهل الدار تكبيرة سمعها اهل المسجد ثم قال يا رسول الله
السنا على الحق ان متنا وان حيينا قال بلى والذي نفسي بيده انكم على الحق ان متم وان
حييتم قال ففيم الاختفا والذي بعثك بالحق لتخرجن فخرج في صفين حمزة في احدهما
وعمر في الآخر حتى دخلوا المسجد فنظرت قريش الى حمزة والى عمر فاصابتهم كابة لم
يصبهم مثلها فلقبه رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ بالفاروق وفي رواية انه
لما اظهر اسلامه صاروا يضربونه ويضربهم حتى اجاره خاله قال فما زلت اضرب واضرب
حتى اعز الله الاسلام وصح انه لما اسلم نزل جبريل وقال يا محمد قد استبشر اهل السماء
خوله خاله يعني اباجهل قبحه الله اهـ

باسلام عمر وان المشركين قالوا قد انتصف القوم اليوم منا وانزل على المصطفى صلى الله عليه وسلم
يا ايها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المومنين وروي شريح بن عبيد عنه انه قال خرجت اتعرض
رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجدته قد سبقني الى المسجد فقمت خلفه فاستفتح سورة الحاقة
فجعلت اعجب من تاليف القران قال فقلت هذا والله شاعر كما قالت قريش فقرا انه
لقول رسول كريم وما هو بقول شاعر قليلا ما تومنون قال قلت كاهن فقرا ولا بقول كاهن
قليلا ما تذكرون تنزيل من رب العالمين الخ فوقع الاسلام في قلبي قال ابن مسعود ما زلنا
اعزة منذ اسلم عمر وقال ايضا كان اسلامه فتحا وهجرته نصرا وامامته رحمة ولقد
رايتنا وما نستطيع ان نصلي الى البيت حتى اسلم فقاتلهم حتى تركونا وسبيلنا وقال صهيب
لما اسلم عمر جلسنا حول البيت وتحلقنا وطفنا وانتصفنا ممن غلظ علينا وحكمه الله
في العناصر الاربعة الريح والتراب والما والنار يدل لها قصة سارية الجبل فانه وجه جيشا
وامر عليهم سارية فبينما هو يخطب نادى يا سارية الجبل الجبل من استرعى الذيب ظلم
فاستند الجيش الى الجبل فنصرهم الله وما روي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال انت
زلزلة عظيمة في زمن عمر كادت الجبال ان تقع على وجه الارض وذلك عقب الفصل الذي
يسمونه فصل عمواس فضرب عمر الارض بدرته وقال لها اسكني انا اعدل فيك بعمر فسكنت
ولم يات بعدها مثلها وما ثبت لنيل مصر لما كتب له عمرو بن العاص ان النيل لا يزيد زيادة
المعتادة الا ان يلقى فيه امراة بكر فامر ان يلقى فيه كتابا بدل المراة ومما هو مكتوب فيه
انك ان كنت تطلع من عند الله فاطلع وان كنت تطلع من عند نفسك فلا حاجة لنا بك فلم
يلق فيه بعد ذلك امراة وما قاله ابن عباس ايضا كانت تاتي نار كل عام الى المدينة المشرفة
فشكى المسلمون ذلك لعمر فقال لغلام مر خذ هذا الردا فاذا جات النار فرده في
وجهها وقل يا نار هذا ردا عمر بن الخطاب فرايى ترجع لوقتها فلما جات النار صح المسلمون
فاخذ الغلام الردا وخرج به الى ظاهر المدينة فرده على وجهها كما امره سيده وقال
يا نار ارجعي هذا ردا عمر بن الخطاب فرجعت في الحال ولم تعد رضي الله عنه ابي حفظ من
سخط اذ الرضى والرضوان ضد السخط قال سمعت رسول الله مفعول سمعت اي كلامه
لان السمع لا يتعلق بالذوات والسمع في الاصل مصدر يطلق على الواحد وعلى الجمع قال الله
تعالى ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم صلى الله عليه وسلم يقول جملة يقول من الفعل والفاعل
محلها النصب على الحال من رسول الله اي قايلا وهي حال مبينة لا يجوز حذفها هذا
ما عليه الجمهور واختار الفارسي ان ما بعد سمعت ان كان مما يسمع كسمعت القران
تعدت الى مفعول واحد والا كما هنا تعدت الى مفعولين فجملة يقول على هذا مفعول ثان

26

انما للحصر باتفاق المحققين وهو اثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه وانما اختلف في وجه
الحصر فقيل بالمنطوق وقيل بالمفهوم بدليل انه يقال انما زيد قايم لا قاعد بخلاف
ما زيد الا قايم لا قاعد لانه لو كان الحصر بالمنطوق لكان قوله لا قاعد تكرارا ودعوى
ان ان للاثبات وما للنفي كما زعمه الرازي وان الاثبات للمذكور والنفي لما عداه غير ظاهرة
لان القاعدة ان ما يلي حرف النفي منفي ولانه لو كانت ما للنفي لصدرت مع كون ان لها
الصدر فيلزم اجتماع المتصدرين على صدر واحد وايضا فيه اجتماع حرفي الاثبات
والنفي بلا فاصل فيلزم اجتماع الضدين وايضا يلزم عليه جواز نصب زيد في انما زيد
قايم لانها اذا اقترنت بما يجوز اعمالها وان كان نادرا فالاولى ان تجعل ما زايدة لتاكيد
الاثبات وتضاعف الاثبات يفيد الحصر الاعمال جمع عمل وهو حركة البدن فيشمل القول
لانه عمل كما قاله ابن دقيق العيد خلافا لمن اخرجه واورد على من سمى القول عملا من حلف
لا يعمل عملا فقال القول لا يحنث واجيب بان مرجع اليمين العرف والقول لا يسمى عملا في العرف
وقد يتجوز في العمل عن حركة النفس فان قلت النية النية ايضا عمل لانها من اعمال القلب فاذا
احتاج كل عمل الى نية فالنية ايضا تحتاج الى نية وهلم جرا فالجواب ان المراد بالعمل عمل
الجوارح نحو الوضو والصلاة واما النية فهي خارجة عنه بتقرير العقل دفعا للتسلسل
ولان العرف لا يطلق العامل على الناوي على ان صاحب القاموس ذكر انه حركة المهنة فلا
يتناول توجه القلب واثر ذكر العمل على ذكر الافعال لان لفظ العمل اخص من لفظ الفعل
لان الفعل ينسب الى البهايم والجمادات كما ينسب الى ذوي العقول بخلاف العمل لانه
يعتبر فيه القصد حتى قال بعض الادبا قلب لفظ العمل من لفظ العلم تنبيها على انه
من مقتضاه قال الراغب ولم يستعمل العمل في الحيوان الا في قولهم البقر والابل العوامل
واما الصنع فهو اخص من العمل فانه لا يقال الا لما كان من الانسان بقصد واختيار بعد
فكر وتحرر وال فيها للجنس او العهد الذهني اي غير العادية لعدم توقف صحتها على نية
او للاستغراق وهو ما نحا اليه جمهور المتقدمين ولا يرد عليه نحو الاكل من العاديات
لان من اراد الثواب عليه احتاج الى نية كما ياتي لا مطلقا لحصول المقصود بوجود صورته
بالنيات جمع نية بتشديد اليا من نوى بمعنى قصد والاصل نوية قلبت الواو يا وادغمت
في اليا وتخفيفها لغة من وني يني اذا ابطا لانه يحتاج في تصحيحها الى نوع ابطا والالف
واللام بدل من الضمير اي بنياتها فيدل على اعتبار نية العمل من الصلاة وغيرها
النفلية والفرضية والتعيين من ظهر او عصر وانما لم يجب تعيين العدد لان تعيين
العبادة لا ينفك عنه والنية محلها القلب لا الدماغ وهي لغة القصد وشرعا توجه
القلب نحو الفعل ابتغا وجه الله تعالى وامتثالا لامره وجمعت للاشارة الى

والعوام ان النية تزكو بتقربها وغيرها احسن كلامه

عرفها الامام قصدا ان يرى بفعله فان قصد الى الفعل مقرنا بفعله فان لم يكن كذلك عزما سمي القصد ولا بد عند ذلك من المقارنة في العبادة الا الصوم لعسر ذلك اهـ

انها تتنوع كما تتنوع الاعمال لان المصدر اذا اختلفت انواعه جمع كالعلوم وفي معظم الروايات بالنية
مفردا لانها مصدر ولان محلها القلب وهو متحد فناسب افرادها بخلاف الاعمال فانها متعلقة
بالظواهر فناسب جمعها ولان النية ترجع الي الاخلاص وهو واحد للواحد لا شريك له وا
يضا هو مفرد محلى بالالف واللام فيعم وفي صحيح ابن حبان الاعمال بالنيات بحذف انما وعند
البخاري في النكاح العمل بالنية وكلا من رواية ابن حبان والبخاري في النكاح يفيد الحصر
لعموم المبتدا وخصوص الخبر علي حد صديقي زيد قلت النيات جمع قلة كالاعمال وهي
لعشرة فما دونها مع انه لابد في كل عمل من النية سوا كان قليلا ام كثيرا فالجواب ان القلة
والكثرة انما تعتبران في نكرات الجموع اما في المعارف فلا فرق بينهما قال البيضاوي والنية
في الحديث محمولة علي المعنى اللغوي ليحسن تطبيقه علي ما بعده وتقسيمه الي قوله فمن كانت
هجرته الخ فانه تفصيل الذي اجمله اه وفيه شيء اذ لو حمل علي الشرعي لكان انسب واولى لانه
مبين للشرع وحسن التطبيق ثانيا اذ المعنى كل عمل شرعي فهو محسوب بالنية الشرعية وما ليس
كذلك كالهجرة الي الدنيا لا يعتد به شرعا علي ان قوله فمن كانت الي اخره تفصيل لقوله وانما
لكل امرئ ما نوى وهذا الحديث متروك الظاهر لان الذات غير منتفية اذ تقدير
انما الاعمال بالنيات لا عمل الا بنية والغرض ان ذات العمل الخالي عن النية موجودة فالمراد
نفي احكامها المتعلقة بوجودها كالصحة والكمال والحمل علي الصحة اولى لانها اكثر لزوما للحقيقة
وما كان ذا الزم للشيء كان اقرب خطورا بالبال عند اطلاق اللفظ فلا يصح عمل كالوضوء عند
الثلاثة خلافا لابي حنيفة رضي الله عنهم ولا نسلم ان الماء مطهر بطبعه وكالتيمم خلافا للاوزاعي
وصوم رمضان في الحضر خلافا لعطاء الا بنية وخروج بعض الاعمال عن اعتبار النية فيه
اما بدليل اخر كالعتق والوقف فهو من باب تخصيص العموم او استحالة ونحوها كالنية ومعرفة
الله تعالى اما النية فلما سبق واما معرفة الله تعالى فلانها لو توقفت علي النية مع ان النية
قصد المنوي بالقلب ولا يقصد الا ما يعرف للزوم ان يكون الانسان عارفا بالله تعالى قبل
معرفته له فيكون عارفا به غير عارف به في حالة واحدة وهذا يقتضي ان معرفة الله لا ثواب
فيها لان الثواب يتبع النية وقد صرح بذلك القرافي وابن جماعة في شرح بدء الامالي وهو
خلاف ما ذكره الغزالي وانما لم تشترط النية في ازالة الخبث لانه من قبيل التروك
كالزنا فتارك الزنا من حيث اسقاط العذاب لا يحتاجها ومن حيث تحصيل الثواب
علي الترك يحتاجها وكذا ازالة الخبث لا يحتاج فيه اليها من حيث التطهير ويحتاجها من
حيث الثواب علي امتثال امر الشارع وشرعت تمييزا للعبادات من العادة كالغسل يكون
عبادة وتنظيفا او لرتب العبادات بعضها عن بعض كالتيمم يكون للجنابة ويكون للحدث
وصورتهما واحدة والصلاة تكون فرضا ونفلا والغسل يكون واجبا وسنة ومستحبا وقد
جمع بعضهم احكامها وهي سبعة بقوله سبع شرايط اتت في نية تكفي لمن حاولها بلا وهن

حقيقة حكم محل وزمن كيفية شرط ومقصود حسن   تحقيقها لغة القصد وشرعا
قصد الشيء مقترنا بفعله وحكمها الوجوب ومحلها القلب وزمنها اول العبادات
وكيفيتها تختلف بحسب المنوي وشرطها اسلام الناوي وتمييزه وتحقق الوجوب
او ظنه واه يكون المنوي من مكتسب الناوي او يكون تابعا لمكتسبه كنية فرضية
الطهر او نفلية الضحى فان الفرضية والنفلية تابعتان للافعال التي ياتي بها الشخص
والمقصود من النية تمييز العبادة عن العادة كالغسل فانه يكون عبادة وعادة للتنظيف
او تمييز رتب العبادات بعضها عن بعض كالغسل فانه يكون واجبا كغسل الجنابة
وسنة كغسل الجمعة ومستحبا كغسل العيدين والبا للمصاحبة او للاستعانة وقال ابن
فرحون للسببية اي انما الاعمال تابت ثوابها بسبب النية ثم ان هذا الحديث تواتر
النقل عن الايمة بتعظيم موقعه وكثرة فوايده وانه اصل عظيم من اصول الدين ومن ثم خطب
به رسول الله صلى الله عليه وسلم كما في رواية البخاري فقال يا ايها الناس انما الاعمال بالنيات
وخطب به عمر ايضا رضي الله عنه على منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم كما اخرجه ايضا
ولذا قال ابو عبيد ليس في الاحاديث اجمع واغنى واكثر فايدة منه ومن ثم قال بعضهم
انه نصف العلم ووجهه انه اجل اعمال القلب والطاعة المتعلقة به وعليه مدارها فهو
قاعدة الدين ومن ثم كان اصلا في الاخلاص ايضا واعمال القلب تقابل اعمال الجوارح بل تلك
اجل وافضل بل هي الاصل فكان نصفا بل اعظم النصفين كما تقرر وقيل لان النية عبودية
القلب والعمل عبودية القالب بفتح اللام اولان الدين اما ظاهر وهو العمل او باطن وهو
النية وقال كثيرون منهم الشافعي واحمد رضي الله تعالى عنهما انه ثلث العلم لان الاحكام تدور
عليه وعلى حديث من احدث في امرنا هذا ما ليس منه فهو رد والحلال بين والحرام بين ووجه
البيهقي كونه ثلثا بان كسب العبد اما بقلبه او بلسانه او بجوارحه فالنية احدها وارجحها
لانهما تابعان لها صحة وفسادا وثوابا وحرمانا ولا يتطرق اليها ريا ونحوه بخلافهما ومن ثم ورد
نية المومن خير من عمله يعني نية بلا عمل خير من عمل بلا نية وهذا على معنى الاتساع لان كل عمل
بلا نية لا خير فيه اصلا وفي رواية ابلغ من عمله اذ هي قطب عمله ومداره لانها يرتفع
او يتضع على قدر ما هي عليه من صحة او سقم وهو ضعيف لا موضوع خلافا لمن زعمه وفي اخرى
زيادة وان الله ليعطي العبد على نيته ما لا يعطيه على عمله قال بعضهم وانما كانت خيرا من العمل
لانها تحتمل التعدد والتكثر في العمل الواحد فيتضاعف اجر العمل بقدر النيات فيه وكما ياتي
ذلك في العمل كما اذا جلس في المسجد بنية الاعتكاف وانتظار الصلاة والخلوة عن شواغل
القلب والعزلة والذكر وقراءة القراه ونية حفظ السمع والبصر واللسان عما لا يعنيه وعمارة
المسجد بالذكر فانه لا يكون لمن جلس لاحدها فقط وقال بعضهم انما كانت خيرا من العمل لانه
يتعدد لا بطاقته ووسعه كما اذا نوى انه يعتق عبدا او يتصدق بمال كثير وهو لا يملك شيا في

الحال وعلى هذا تقدير رجوع الضمير للمومن كما هو الظاهر وقد قيل ان النبي صلى الله عليه وسلم وعد بثواب
على حفر بير فنوى عثمان ان يحفرها فسبقه اليها كافر فحفرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم نية المومن
يعني عثمان خير من عمله يعني الكافر وفي رواية ان رجلا من الصحابة نوى بنا قنطرة في موضع مهم
فسبقه يهودي لبنايها فاخبر بذلك بحضرة جماعة منهم عمر فتاسف ذلك الرجل وانفعل فقال
عمر تسلية له نية المومن خير من عمله اي عمل ذلك الكافر لكن يخدشه ما ذكره ابو ذرعة في البستان
من ان هذا القول صادر عن صدر النبوة ثم صار مثلا من الامثال السايرة وقال ابو داوود مدار
الدين على اربعة احاديث وقد نظمها طاهر بقوله عمدة الدين عندنا كلمات اربع من كلام خير البرية
اتق الشبهات وازهد ودع ما ليس يعنيك واعملن بنية لكن المعروف عن ابي داوود عد ما نهيتكم
عنه فاجتنبوا الحديث بدل ازهد فيما في ايدي الناس وذكر ابو بكر بن فراسة بدل حديث الزهد
لا يكون المومن مومنا حتى يرضى لاخيه ما يرضى لنفسه وانما لكل اسم موضوع لاستغراق افراد المنكر
نحو كل نفس ذايقة الموت ولاستغراق اجزاء المعرف نحو اكلت كل الرغيف وح يقال كل رمان ماكول
ولا يقال كل الرمان ماكول امرء اي رجل وفيه لغتان امرء نحو زبرج ومرء بفتح الميم نحو فلس وحكي
الضم ولا جمع له من لفظه وعينها تبعة للامه في الحركات الثلاث قال الله تعالى ان امرء هلك ما كان ابوك
امرأ سوء لكل امرء وفي مونثه ايضا لغتان امرأة ومراة ومرة لكن في الحديث اطلقه على كلا النوعين
بدليل قوله فمن الدال على العموم بل قال الحرالي انه يشترك فيه الرجل والمراة على انه يمكن ان يقال
على الاول انما خصه بالذكر لشرفه واصالته وغلبته ودوران الاحكام عليه ما اسم موصول بمعنى الذي
نوى صلته والعايد محذوف اي ما نواه من خير او شر ويجوز ان تكون مصدرية اي جزاء نيته
فان قلت ما فايدة هذه الجملة بعد قوله انما الاعمال بالنيات فالجواب من وجوه ان هذه الجملة تاكيد
للجملة الاولى فذكر الحكم بالاولى واكده بالثانية تنبيها على شرف الاخلاص وتحذيرا من الريا المانع
من الاخلاص لكنه يرد عليه ان الافادة خير من الاعادة الثاني قال المص في شرح مسلم قال الخطابي
ان الجملة الثانية افادت اشتراط تعيين المنوي فاذا كان على الانسان صلاة فايتة لا يكفيه
ان ينوي الصلاة الفايتة بل يشترط ان ينوي كونها ظهرا او عصرا او غيرهما لكن محله ما لم تنحصر
الفايتة ولولا هذه الجملة لاقتضت الجملة الاولى الصحة بلا تعيين او اوهمت ذلك وكانه استنبط
من ما الموصولة من المعارف المفيدة للتعيين وفيه بحث لان اللام في قوة الاضافة المفيدة لانها
للتعيين لانها موضوعة للعهد كما اختاره صاحب المفتاح الثالث قال ابن عبد السلام
ان الاولى لبيان ما يعتبر من الاعمال في سقوط الطلب والثانية لبيان ما يترتب عليها من
الثواب والعقاب وهذا في العبادة التي لا تتميز بنفسها واما ما يتميز بنفسه فانه ينصرف
بفعله اليها وضع له كالاداء والاذكار والتلاوة الرابع ان الثانية افادت منع الاستنابة
في النية اذ لو نوى واحد عن غيره لصدق عليه انه عمل بنيته فافادت الثانية منعه الا في

مسائل

مسايل كثيرة الحاكم في الزكاة اذا اخذها كرها واحرام الولي عن الصبي في الحج ونحو ذلك مما لا
يحصرها الخامس قال السمعاني في اماليه ان هذه الجملة دلت على ان الاعمال الغادية التي لا تتوقف
على النية قد تفيد الثواب اذا نوي بها فاعلها القربة كالاكل والشرب اذا نوي بهما التقوي
على الطاعة والنوم اذا قصد به ترويح البدن للعبادة والوطي اذا اريد به التعفف عن
الفاحشة والتطيب اذا قصد به اقامة السنة والتنظيف اذا قصد به دفع الروايح المؤذية
عن عباد الله لا استيفا اللذات والتودد الى النسوان السالكراه الجملة الثانية دلت على
ان من نوي شيا يحصل له ثوابه وان لم يعمله لمانع شرعي كمرض تخلف عن الجماعة وقد ورد في مسند
الجيعلي الموصلي مرفوعا يقول الله سبحانه وتعالى للحفظة يوم القيمة اكتبوا لعبدي كذا وكذا من
الاجر فيقولون ربنا لم نحفظ ذلك منه ولا هو في صحفنا فيقول انه نواه وفي عقد الدرر واللالي
انه حصل في بني اسرايل قحط وغلا فخرج احدهم للصحرا فمر على كثيب رمل فقال وددت
لو كان هذا ذهبا لتصدقت به او كان طعاما لقسمته بين الناس فاوحي الله تعالى الى نبي
زمانه ان قل لفلان اني قبلت صدقتك ولم يتصدق بشي ولكن صحت منه النية انتهي ومن
الدقايق ما في التحبير للقشيري ان بعضهم روي في المنام بعد موته فقيل له ما فعل الله بك
فقال غفر لي ورفع لي درجاتي فقيل له بماذا فقال ههنا يعاملون بالجود لا بالركوع والسجود
ويعطون بالنية لا بالخدمة ويغفر لهم بالفضل لا بالعمل وحكي عن بعض فضلا الصوفية
انه كان مريضا فدخل عليه بعض اخوانه يعوده فقال لهم انووا بنا حجا انووا بنا رباطا وعدد
لهم انواعا من البر فقالوا كيف وانت على هذه الحالة فقال ان عشنا وفينا وان متنا حصل
لنا اجر النية وقيل لبعض النساك كيف الناس عند مليكهم فقال على قدر نياتهم وحكي عن
اخوين كان احدهما عابدا والاخر مسرفا على نفسه وكان العابد يتمني ان يري ابليس فظهر
له ابليس يوما وقال له وا اسفا عليك ضيعت من عمرك اربعين سنة في حصر نفسك واتعاب في نفسه
بدنك وقد بقي من عمرك مثل ما مضي فاطلق نفسك في شهواتها فقال العابد لعلي انزل الى
اخي في اسفل الدار واوافقه على الاكل والشرب واللذات عشرين سنة ثم اتوب
واعبد الله في العشرين التي تبقي من عمري فنزل على نية ذلك واما اخوه المسرف فانه استيقظ
من سكره فوجد نفسه في حالة ردية قد بال على ثيابه وهو مطروح على التراب وفي الظلام
فقال في نفسه قد افنيت عمري في المعاصي واخي يتلذذ في طاعة الله تعالى ومناجاته فيدخل
الجنة بطاعة ربه وانا بالمعاصي ادخل النار ثم عقد التوبة ونوي الخير والعبادة فطلع يوافق
اخاه على عبادة الله تعالى فصعد على نية الطاعة ونزل اخوه على نية المعصية فزلت
رجله فسقط على اخيه فوقعا ميتين فيحشر العابد على نية المعصية ويحشر العاصي على نية
التوبة وصح عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال كانت قريتان صالحة وظالمة فخرج رجل
من الظالمة يريد الصالحة فاتاه الموت حيث شا الله تعالى فاختصم فيه الملك والشيطان

فقال الشيطان والله ما عصاني قط وقال الملك انه خرج يريد التوبة فقضى الله تعالى بينهما ان
ينظر الى ايهما اقرب فوجده اقرب الى القرية الصالحة واخرج الشيخان انه كان فيمن قبلكم رجل قتل
تسعة وتسعين نفسا فسال عن اعلم اهل الارض فدل على راهب فاتاه فقال له انه قتل تسعة وتسعين
نفسا فهل له من توبة فقال لا فقتله فكمل به مائة ثم سال عن اعلم اهل الارض فدلوه على رجل عالم فاتاه
فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينك وبين التوبة انطلق الى ارض
كذا وكذا وجا في الطبراني ان اسم الارض نا صرة فان بها ناسا يعبدون الله تعالى فاعبد الله معهم
ولا ترجع الى ارضك فانها ارض سوء فانطلق حتى اذا بلغ نصف الطريق اتاه الموت فاختصمت
فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فقالت ملائكة الرحمة جا تايبا وقالت ملائكة العذاب
انه لم يعمل خيرا قط فاتاهم ملك في صورة ادمي فجعلوه بينهم حكما فقال قيسوا ما بين الارضين
فالى ايهما ادنى كان له فقاسوا فوجدوه ادنى الى الارض التي اراد ها فقبضته ملائكة الرحمة
وفي رواية لهما فكان الى الارض الصالحة اقرب بشبر فجعل من اهلها وفي اخرى لهما فاوحى
الله الى هذه ان تباعدي والى هذه ان تقاربي وقال قيسوا بينهما فوجدوه الى هذه اقرب
بشبر فغفر الله تعالى له وللطبراني انهم وجدوه اقرب الى دار التوابين بانملة وحكي ان
رجلا عبد الله تعالى سبعين سنة فبينما هو في معبده ذات ليلة اذ وقفت امراة جميلة فسالته
ان يفتح لها وكانت ليلة شاتية فلم يلتفت اليها واقبل على عبادته فولت المراة فنظر اليها
فاعجبته وملكت قلبه وسلبت لبه فترك العبادة وتبعها فقال الى اين فقالت حيث اريد
فقال هيهات هيهات صار المراد مريدا والاحرار عبيدا ثم جذبها فادخلها مكانه فاقامت
عنده سبعة ايام فعند ذلك تفكر فيما كان فيه من العبادة وكيف باع عبادة سبعين سنة بمعصية
سبعة ايام فبكى حتى غشي عليه فلما افاق قالت له يا هذا انت ما عصيت الله مع غيري وانا ما
عصيت الله مع غيرك واني ارى في وجهك اثر الصلاح فبالله عليك اذا صالحك مولاك فاذكرني
فخرج هاربا على وجهه فاواه الليل الى خربة فيها عشرة عميان وكان بالقرب منهم راهب يبعث
لهم في كل ليلة عشرة ارغفة فجا غلام الراهب بالخبز على عادته فمد ذلك الرجل العاصي يده فاخذ
رغيفا فبقي رجل منهم لم ياخذ شيا فقال اين رغيفي فقال لقد فرقت عليكم العشرة فقال ابيت
طاويا فبكى الرجل العاصي وناول الرغيف لصاحبه وقال لنفسه انت احق ان تبيت طاويا
لاني عاص وهذا مطيع فنام واشتد به الجوع حتى اشرف على الهلاك فامر الله ملك الموت
بقبض روحه فاختلفت فيه ملائكة العذاب وملائكة الرحمة فقالت ملائكة الرحمة انه فر
من ذنبه وجا تايبا وقالت ملائكة العذاب بل تم عاصيا فاوحى الله اليهم ان زنوا عبادة السبعين
سنة بمعصية السبعة ايام فوزنوها فرجحت المعصية على السبعين سنة فاوحى الله اليهم ان
زنوا معصية السبع لياليها بالرغيف الذي اثر به على نفسه فرجح الرغيف فتوفته ملائكة

الرحمة وقبلت توبته وهروبه الى ربه ونقل الاستاذ ابو القاسم ان زبيدة رويت
في المنام فقيل لها ما فعل الله بك فقالت غفر لي فقيل لها بكثرة عمارتك الابار والبرك
والمصانع في طريق مكة فقالت هيهات هيهات ذهب ذلك كله لاربابه وانما نفعنا
منه النيات فغفر لي بها وحكي ايضا انه يوتى بالعبد يوم القيمة فيدفع له كتاب فياخذه
بيمينه فيجد فيه حجا وجهادا وصدقة ما فعلها فيقول هذا ليس كتابي فاني ما فعلت
شيا من ذلك فيقول الله تعالى هذا كتابك لانك عشت عمرا طويلا وانت تقول لو كان
لي مال حججت منه لو كان لي مال تصدقت منه فعرفت ذلك من صدق نيتك واعطيتك
ثواب ذلك كله فمن كانت هجرته الفاء رابطة للجواب وهي واقعة في جواب شرط مقدر
اي واذا كان لكل امرء ما نوى فمن الخ وهو من عطف المفصل على المجمل لان هذا تفصيل لما سبق
والهجرة بكسر الهاء في اللغة الترك وفي الاصطلاح مفارقة دار الكفر الى دار الاسلام
خوف الفتنة وطلب اقامة الدين وفي الحقيقة مفارقة ما يكرهه الله تعالى الى ما يحبه
وقد وقعت في الاسلام على وجهين الاول الانتقال من دار الخوف الى دار الامن كما في هجرتي
الحبشة وابتدا الهجرة من مكة الى المدينة الثاني الهجرة من دار الكفر الى دار الايمان
وذلك بعد ان استقر صلى الله عليه وسلم بالمدينة وهاجر اليه من امكنه ذلك من المسلمين
فكانت الهجرة اليها واجبة اذ ذاك لاجل تكثير عدد المسلمين والفرار بالدين من
الفتن الى ان فتحت مكة لما رواه ابن عباس رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا هجرة
بعد الفتح ولكن جهاد ونية لكن روي ابو داوود والنسائي من حديث معاوية رضي الله
الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم انه قال لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ووفق الخطابي
بينهما بان الهجرة كانت اول الاسلام فرضا ثم صارت بعد الفتح مندوبة على انه ورد في
الحديث الاخر على المراد بالهجرة الباقية هجرة السيئات الى الله ورسوله فهجرته الى
الله ورسوله فان قلت القاعدة تغاير الشرط والجزاء لان الشرط سبب للجزاء والسبب
غير المسبب فلا يقال من اطاع اطاع ومن عصى عصى وانما يقال من اطاع نجى ومن عصى عوقب
وقد اتحدا في هذا الحديث فالجواب ان التغاير يقع تارة في اللفظ وهو الاكثر وتارة بالمعنى
كما هنا فالمعنى فمن كانت نيته في الهجرة التقرب الى الله ورسوله فهجرته مقبولة عندهما
فالجزاء كناية عن قبول الهجرة وقال بعضهم الجزاء محذوف تقديره فله ثواب الهجرة الى الله
ورسوله والمذكور مستلزم له دال عليه فاقيم السبب مقام المسبب وقدر ابو الفتح
القشيري فمن كانت هجرته الى الله ورسوله نية وقصدا فهجرته الى الله ورسوله حكما
وشرعا وقدره غيره ثوابا واجرا بدل قوله حكما وشرعا فان قلت فما فائدة الاتيان بهما
بالاتحاد فالجواب ان الاتحاد هنا للمبالغة في التعظيم على انه قد يقصد بجواب الشرط بيان
الشهرة وعدم التغير فيتحد بفعله نحو من قصدني فقد قصدني اي فقد قصد من

ما عرف بانجاح قاصده ويجري مثل ذلك في المبتدا والخبر كقول الشاعر خليلي خليلي دون ريب وربما
الان امرؤ قولا فظن خليلا وقوله انا ابو النجم وشعري شعري اي خليلي من لا اشك في صحة خلته ولا
يتغير في حضوره وغيبته وشعري على ما ثبت في النفوس من جزالته والتوصل به من المراد الى
غايته وقد يقصد به التحقير نحو قوله الاتي فهجرته الى ما هاجر اليه قال الصفوي بالحقيقة لا
اشكال مدفوع من اصله لان الهجرة هي الانتقال وهو امر يقتضي ما ينتقل اليه ويسمى مهاجرا اليه وما
يبعث على الانتقال ويسمى المهاجر له والمغايرة لبيان ان العبرة بالباعث وذلك انما يظهر اذا
كانت الى في جملتي الشرط بمعنى اللام فاذا تركت في الجزا على معناها الوضعي الحقيقي فلا اتحاد والمعنى
من هاجر لله ولرسوله اي لاتباع امرهما وابتغا مرضاتهما فقد هاجر اليهما حقيقة وان كان ظاهرا
منتقلا الى الدنيا ونعيمها ومن هاجر لغيرهما فالمهاجر اليه ذلك وان انتقل الى النبي ظاهرا وقوله
الى الله ورسوله اشارة لتعظيم الهجرة والمهاجر والمهاجر اليه ثم ان اصل الهجرة الانتقال من
محل الى اخر كما تقرر لكن كثيرا ما يستعمل في الاشخاص والاعيان والمعاني وذلك في حقه تعالى اما
على التشبيه البليغ اي كانه هاجر اليه او هو على حذف مضاف اي محل رضاه وثوابه ورحمته او يقال
الانتقال الى الشي عبارة عن الانتقال الى محل يجده فيه ووجدان كل احد على ما يليق به فالمراد الانتقال
الى محل قربه المعنوي وما يليق به الى ترى ما اشتهر على السنة القوم من السير الى الله
ونحو ذلك او يقال ان ذكر الله للتعظيم والتبرك ومثله عبر عن الاتيرى الى ما قرروه في ان الذين
يبايعونك الاية اي ان المعاملة مع حبيب الله كالمعاملة مع الله فيده يده وبيعته بيعته
والهجرة اليه هجرة اليه وامثال هذه المسامحات في كلام الشارع كثيرة وايتما تولوا فثم وجه الله
والحاصل انه اريد بالهجرة هنا مطلق الانتقال والتجاوز من شي الى شي صوريا او معنويا وانما
قال الى الله ورسوله ولم يقل اليهما مع ان المحل للاضمار تبركا وتلذذا بذكر الله ورسوله ولئلا يجمع
بينهما في ضمير واحد ولذا قال للخطيب حين قال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد
غوى بيس خطيب القوم انت قل ومن يعص الله ورسوله فان قلت قد ورد في حديث
ابن مسعود انه صلى الله عليه وسلم جمع بينهما في الضمير حيث قال من يطع الله ورسوله فقد
رشد ومن يعصهما فانه لا يضر الا نفسه ولا يضر الله شيا فالجواب انه انما كان انكاره على الخطيب
لانه لم يكن عنده من المعرفة بتعظيم الله وجلاله والوقوف على دقايق الكلام ما كان يعلمه عليه
الصلاة والسلام من عظمته وجلاله ومن كانت هجرته لدنيا بضم الدال على الاشهر على وزن
فعلى مقصورة غير منونة اذ هي غير منصرفة للوصفية ولزوم الف التانيث وحكي ابن قتيبة
وغيره كسر الدال من الدنو وهو القرب لسبقها الاخرة او لدنوها الى الزوال او من الدناءة
اي الخسة قال الشاعر الا عاف دنيا تسمى من دنائتها والامر مكروها الداني واللام فيها
للتعليل او بمعنى الى لمقابلته له بقوله فهجرته الى ما هاجر اليه قال بعضهم والاول اشبه وحقيقتها

جمع

وكذا احسن عن قول ابن النحاس كما ذكره وصغري من فواعلها صغري عن العرض فا صلته الدهر وقال اهل العروض فا صلته كبرى وصغرى وقال بعض النحاة صلته كبرى او صغرى ٥ ٥

جميع المخلوقات الموجودة قبل الاخرة وقيل الارض مع الهوا والجو قال النووي والاول اظهر
واستشكل استعمالها منكرة لانها في الاصل مونث ادنى وادنى افعل تفضيل فحقها ان تستعمل باللام
نحو الكبرى والحسنى واجيب بان دنيا خلعت عن الوصفية واجريت مجرى ما لم يكن وصفا مما
وزنه فعلى كرجعى ونهمى ومن وروها منكرة مونثة قول الفرزدق لا تعجبنك دنيا انت تاركها
كم نالها من اناس ثم قد ذهبوا بصيبها حال مقدرة اي مقدرا اصابتها اي تحصيلها فايدة
اكثر القران مشتمل على ذم الدنيا وصرف الخلق عنها ودعوتهم الى الاخرة بل هذا هو المقصود با
لذات من بيان الشرايع كيف وهي عدوة الله لقطعها طريق الوصلة اليه ولذلك لم ينظر
اليها منذ خلقها وعدوة لاوليايه لانها تزينت لهم بزينتها حتى تجرعوا مرارة الصبر في
مقاطعتها وعدوة لاعدايه لانها استدرجتهم بمكرها واقتنصتهم بشبكتها حتى وثقوا
بها فخذلتهم احوج ما كانوا اليها وروى جماعة في قصة ثعلبة بن حاطب الذي انزل الله
فيه ومنهم من عاهد الله لين اتانا من فضله لنصدقن الايات انه سال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان يدعو له بان الله يرزقه مالا فقال قليل تودي شكره خير من كثير لا تطيقه
فاعاد السوال فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اما لك في اسوة اما ترضى ان تكون مثل
نبي الله والذي نفسي بيده لو شيت ان تسير الجبال معي ذهبا وفضة لسارت لكن هذا
غير صحيح كما قال اهل التفسير وقال الضحاك ان الاية نزلت في رجال من المنافقين الا ان قوله
فاعقبهم نفاقا في قلوبهم يدل على ان الذي عاهد لم يكن منافقا الا ان يكون المعنى زادهم نفاقا
ثبتوا عليه الى الممات وهو قوله تعالى الى يوم يلقونه وصح انه رسول الله صلى الله عليه وسلم راى
شاة ميتة فقال والذي نفسي بيده للدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها ولو كانت
الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ما وفي الخبر الحسن ان الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله تعالى وما والاه وعالم او متعلم وصح ان ابا بكر رضي الله عنه دعا
بشراب فاتي بما وعسل فبكى حتى ابكى اصحابه ثم بكى ثم مسح عينيه فسالوه فقال كنت مع رسول
الله صلى الله عليه وسلم فرايت يدفع عن نفسه شيا ولم ار معه احدا فقلت يا رسول
الله ما الذي تدفع عن نفسك فقال هذه الدنيا مثلت لي فقلت لها اليك عني ثم رجعت
فقالت انك ان افلت مني لم يفلت مني من بعدك وصح من جملة الحديث المشهور فوالله
ما الفقر اخشى عليكم ولكن اخشى ان تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم ٥ ٥
فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما اهلكتهم ولبعضهم في ذلك نظم قال

اي طالب الدنيا واه طال عمره ونال من الدنيا سرورا وانعما كبانى بنى بنيانه فاقامه
فلما استوى ما قد بناه تهدما وقال الاخر ان لله عبادا فطنا طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا انها ليست لحي وطنا جعلوها لجة واتخذوا صالح الاعمال فيها سفنا

او امراة وفي رواية او الى امراة ينكحها اي يتزوجها كما جا في رواية البخاري فان قيل لم ذم الدنيا والتزوج
وهما مباحان لا ذم فيهما فالجواب انه لم يخرج في الظاهر لطلب الدنيا ولا للتزوج بل خرج في صورة
طالب الهجرة فابطن خلاف ما اظهر فلذلك ذم فان قيل فما فايدة التنصيص على المراة مع كونها في مسمى
الدنيا لقوله صلى الله عليه وسلم انما الدنيا متاع وليس من الدنيا متاع افضل من المراة الصالحة
فالجواب من وجوه الاول ان الدنيا نكرة في سياق الاثبات فلا تعم فلا يلزم دخولها فيها ورد ذلك بانها
واقعة في سياق الشرط فتعم الثاني انه للتنبيه على زيادة التحذير فيكون من باب ذكر الخاص بعد العام
كما في قوله تعالى حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوله من كان عدوا لله وملايكته ورسله
وجبريل وميكال لكن يعكر عليه قول ابن مالك في شرح العمدة ان عطف الخاص على العام يختص بالواو
ونحوه للشيخ خالد واجيب بان الدماميني اشار الى جواب عطف الخاص على العام وعكسه
باو وذهب بعضهم الى ان الاجود جعل او للتقسيم وجعلها قسيما مقابلا للدنيا ايذانا بشدة فتنتها
ولذلك روى اسامة بن زيد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما تركت في الناس بعدي فتنة
اضر على الرجال من النسا قال بعض العارفين ما ايس الشيطان من انسان قط الا اتاه من قبل النسا
وقال سفيان قال ابليس سهمي الذي اذا رميت به لم اخطئ النسا ولذا جا في خبر احمد النظر الى
محاسن المراة من سهام ابليس ومن ثم جعلن في القران عين الشهوات قال تعالى زين للناس حب
الشهوات من النسا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه ايها الناس لا تطيعوا للنسا امرا ولا
تدعوهن يدبرن امر عيش فانهن ان تركن وما يردن افسدن الملك وعصين المالك وجدناهن
لا دين لهن في خلواتهن ولا ورع لهن عند شهواتهن اللذة بهن يسيرة والحيرة بهن كثيرة فاما صوا
لحهن ففاجرات واما طوالحهن فعاهرات واما المعصومات فهن المعدومات فيهن ثلاث خصال
من خصال اليهود يتظلمن وهن الظالمات ويتمنعن وهن الراغبات ويحلفن وهن الكاذبات
فاستعيذوا بالله من شرارهن وكونوا على حذر من خيارهن والسلام الثالث ان الحديث
ورد على سبب وهو انه لما امر بالهجرة من مكة الى المدينة تخلف عنها جماعة فذمهم الله تعالى بقوله
الذين تتوفاهم الملايكة ظالمي انفسهم قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين الاية ولم يهاجر جماعة
لفقد استطاعتهم فعذرهم واستثناهم بقوله تعالى الا المستضعفين من الرجال الاية وهاجر
جماعة فمدحهم الله في غير موضع من كتابه وكان في المهاجرين رجل اراد ان يتزوج امراة يقال
لها ام قيس واسمها امنة وقيل جذامة وقال ابن دحية قيلة بفتح القاف وسكون المثناة
التحتية فابت ان تتزوجه حتى يهاجر فهاجر لاجلها فعرض به تنفيرا عن مثل قصده وذكر الدنيا
معها من باب زيادة النص على السبب كما انه صلى الله عليه وسلم لما سيل عن طهورية ما البحر
قال هو الطهور ماوه الحل ميتته فزاد قوله الحل ميتته تمهيدا لقاعدة اخرى ويحتمل ان
يكون هاجر لمالها مع نكاحها ويحتمل انه كان يطلب نكاحها وغيره من الناس هاجر لتحصيل دنيا
من جهة ما فعرض بهما فهجرته الى ما هاجر اليه من الدنيا او المراة وان كانت صورته صورة الهجرة
لله ولرسوله وتردد الايتان بالظاهر في هذه الجملة حثا على الاعراض عن الدنيا والنسا وعدم الاحتفال

بشانهما وتنبيها على ان العدول عن ذكرهما ابلغ من الزجر عن قصدهما رواه اماما المسلمين علما واتقانا وتحريرا
وورعا وزهدا واجتهادا واستنباطا ابو عبد الله محمد بن اسماعيل كان من خيار الناس واخذ عن مالك وحماد
بن زيد وصحب بن المبارك وروى عنه جماعة منهم مسلم صاحب الصحيح ابن ابراهيم بن المغيرة بضم الميم
ويجوز كسرها قاله المص في شرح على البخاري بن برذزبة بموحدة مفتوحة فراء ساكنة فذال
مهملة مكسورة فزاي ساكنة فموحدة مفتوحة ومعناه بلسان اهل بخاري الزراع البخاري بضم الباء
الموحدة وفتح الخا المعجمة وبالرا بعد الالف نسبة الى بخارى بلدة معروفة وراء النهر عمي في صغره
وهو ابن ستين وكانت له والدة عابدة وكانت تدعو الله كثيرا ان يرد اليه بصره فرات ابراهيم
الخليل على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام في المنام فقال لها ان الله قد رد بصر ابنك عليه
بكثرة دعائك وبكائك فاصبح وقد رد الله عليه بصره قال ابو جعفر محمد بن ابي حاتم الوراق قلت لابي
عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري كيف كان بدء امرك في طلب الحديث فقال الهمت حفظ الحديث
وانا في الكتاب فقلت وكم اتى عليك اذ ذاك فقال عشر سنين ثم خرجت من الكتاب بعد
العشر فجعلت اختلف الى الداخلي وغيره قال فلما طعنت في ست عشرة سنة حفظت كتب ابن
المبارك ووكيع وعرفت كلام هؤلاء ثم خرجت مع امي واخي احمد الى مكة فلما حججنا رجع اخي
وتخلفت بها في طلب الحديث فلما طعنت في ثماني عشرة سنة جعلت اصنف فضايل الصحابة
والتابعين واقاويلهم وصنفت كتاب التاريخ اذ ذاك عند قبر الرسول صلى الله عليه وسلم
في الليالي المقمرة وقال قل اسم في التاريخ الا له عندي قصة الا اني كرهت تطويل الكتاب وعن
الحسن بن الحسن البزاز البخاري قال رايت محمد بن اسماعيل البخاري نحيف الجسم ليس بالطويل ولا بالقصير
وروي عن البخاري قال اخرجت هذا الكتاب يعني الصحيح من زهاء ستماية الف حديث وزهاء
بضم الزاي وبالمد قدره تقريبا لا تحقيقا من زهوته بكذا اي حزرته حكاه الصاغاني وصنفه
في ست عشرة سنة وقال محمد بن بشار بندار حفاظ الدنيا اربعة ابو زرعة بالري ومسلم
بنيسابور وعبد الله الدارمي بسمرقند والبخاري ببخارى اه وكتب عن زهاء اي قدر الف عالم
وكتب عنه المحدثون وما في وجهه شعرة وكان يحضر مجلسه زهاء عشرين الفا وسمع منه الصحيح
سبعون الفا وروي عنه رجال كثير نحو ماية الف او يزيدون او ينقصون وروى مسلم عنه خارج
الصحيح وكان يقول له دعني اقبل رجليك يا طبيب الحديث في علله ويا استاذ الاستاذين
ويا سيد المحدثين ومناقبه كثيرة افردت بالتاليف منها اه كتابه لم تر في كرب الا فرج ولا
ركب فيه بمركب فغرق والسبب في تصنيفه له ما رواه عنه ابراهيم بن معقل النسفي قال كنا عند
اسحاق بن راهويه فقال لو جمعتم كتابا مختصرا لصحيح سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
فوقع ذلك في قلبي فاخذت في جمع الجامع الصحيح وعنه ايضا قال رايت النبي صلى عليه وسلم وكانني
واقف بين يديه وبيدي مروحة اذب بها عنه فسالت بعض المعبرين فقال انت تذب عنه
الكذب فهو الذي حملني على اخراج الجامع الصحيح قالوا الفته في بضع عشرة سنة وكان
في سعة من الدنيا قد ورث من ابيه مالا كثيرا وكان يتصدق به وربما كان يعطي النهار ولا

يا كل الا لوزتين او ثلاثا دخل بغداد مرات وله معهم الحكاية المشهورة المتقدمة في امتحانهم له
بقلب الاسانيد والمتون فصححها كلها في الساعة. ولما رجع من بغداد الى بخاري تلقاه اكثر اهلها
في محفل عظيم وبقي مدة يحدثهم في مسجده فارسل اليه امير البلد خالد بن احمد الذهلي يتلطف
به ويسأله ان يحمل له الصحيح ويحدثه به في قصره فامتنع البخاري من ذلك فقال لا اذل العلم
ولا احمله الي ابواب الناس فحصلت وحشة بينهما فامره خالد بالخروج من البلد فيقال ان البخاري
دعا عليه فلم يمض شهر حتى ورد امر الخليفة بان ينادي عليه في البلد فنودي عليه وهو على اتان
وحبس حتى مات ولما خرج من بخاري كتب اليه اهل سمرقند يطلبونه الى بلدهم فسار اليهم
فلما كان بخرتنك بلغه انه وقع بينهم بسببه فتنة فقوم يريدون دخوله وقوم يكرهونه فاقام
حتى ينجلي الامر ودعا وقال اللهم قد ضاقت علي الارض بما رحبت فاقبضني اليك فمات في ذلك
الشهر وتقدم في الخطبة ما يتعلق بمولده وسنه ووفاته الجعفي نسبة الي اليمان ابن اخنس
الجعفي لانه اسلم على يديه وابو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري بضم القاف مصغرا
نسبة الي قشير بن ربيعة بن عامر بن صعصعة قبيلة كبيرة ينسب اليها جماعة من الصحابة
والتابعين وخلق من العلماء ومن نسبه من الشراح الي قشير بطن من اسلم منهم سلمة بن الاكوع
فقد وهم النيسابوري بفتح النون وسكون المثناة التحتية نسبة الي نيسابور احسن
بلدة من مدن خراسان واجمعها للخيرات سميت به لان سابور ذا الاكتاف لما راي موضعها وكان
قصبا قال يصلح ان يكون هنا مدينة فقطع القصب وبناها فقيل ني سابور والني القصب
صنف مسلم صحيحه من ثلاثمائة الف حديث كما في تاريخ ابن عساكر سنة احدي وستين ومايتين وذكر
الحاكم ان سبب موته انه ذكر له حديث فلم يعرفه فاوقد السراج وقال لمن بالدار لا يدخل منكم
احد فقالوا اهديت لنا سلة تمر وقدموها فكان يطلب الحديث ويأخذ تمرة تمرة فاصبح وقد
فني التمر ووجد الحديث في صحيحيهما اللذين بلامين ليتميز عن الذين جمعا فانه بلام واحدة هما
اصح الكتب والاول ارجح من الثاني وقول الشافعي ما اعلم علي وجه الارض كتابا اكثر صوابا من كتاب
مالك وفي لفظ عنه ما بعد كتاب الله اصح من الموطأ كان قبل وجودهما واستشكل بعض الائمة اطلاق
اصحية كتاب البخاري على الموطأ مع اشتراكهما في اشتراط الصحة والمبالغة في التحري والتثبت
وكون البخاري اكثر حديثا لا يلزم منه افضلية الصحة والجواب عن ذلك انه محمول على اصل اشتراط
الصحة فالامام مالك لا يري الانقطاع في الاسناد قادحا فلذلك يخرج في المراسيل والمنقطعات
والبلاغات في اصل موضوع كتابه والبخاري رح يري ان الانقطاع علة فلا يخرج ما هذا سبيله
الا في غير اصل موضوع كتابه كالتعليقات والتراجم ولا شك ان المنقطع وان كان عند قوم
من قبيل ما يحتج به فالمتصل اقوي منه اذا اشترك كل من رواتهما في العدالة والحفظ الحديث
الثاني عن ابي حفص عمر ايضا رضي الله عنه روي البخاري وغيره انه استاذن النبي صلي الله
عليه وسلم في العمرة فقال له يا اخي اشركنا في صالح دعواتك ولا تنسنا واخي ضبط

بقم

بضم الهمزة مصغرا وقال له صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما لقيك الشيطان سالكا فجا
الا سلك فجا غير فجك وقال ان الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه وانه ما نزل بالناس امر
قط فقالوا وقال الا نزل القرآن نحو ما قال وروى الشيخان انه صلى الله عليه وسلم قال بينا
انا نائم شربت لبنا حتى انظر الى الري يجري في اظفاري فناولته عمر قالوا فما اولته يا رسول
الله قال العلم وقال صلى الله عليه وسلم رايت كانني على بير اسقي الناس فجا ابو بكر فاخذ الدلو مني ليريحني
فنزع ذنوبا او ذنوبين وفي نزعه ضعف والله يغفر له ثم جا عمر فاخذها من ابي بكر فاستحالت
غربا اي دلوا كبيرا جدا فلم ار عبقريا يفري فريه حتى ضرب الناس بطعن اي ارتووا وقوله
ذنوبا او ذنوبين بفتح الذال فيهما والذنوب الدلو العظيم وقيل لا يسمى بذلك الا اذا كان فيه ماء
وقوله عبقريا قال ابو عبيدة العبقري من الرجال الذي ليس فوقه شي والمطلق على السيد والكبير
والقوي وقيل منسوب الى عبقر موضع بالبادية يسكنه الجن فاطلقه العرب على كل من كان عظيما
في نفسه فايقا في جنسه وقوله حتى ضرب الناس بطعن اي رووا ورويت ابلهم وكان ذلك منزلا
على حال ابي بكر في الخلافة ثم عمر والضعف ليس من ابي بكر بل من الوقت لاجل الفتن التي اتفقت في
زمانه من قتال اهل الردة وقتل مسيلمة وفي استخلاف عمر راقت وصفت واتسعت الفتوح
والاموال وكثر خير الله وطاب ركب رضي الله عنه فرسا في بعض الايام فانكشف فخذه فراى نصارى
نجران على فخذه شامة سوداء فقالوا هذا الذي نجد في كتابنا انه يخرجنا من ارضنا وكان كذلك
فانه اجلاهم من بلدهم بعد ذلك وكان اول كلام تكلم به بعد خلافته حين صعد المنبر ان قال
اللهم اني شديد فليني واني ضعيف فقوني واني بخيل فسخني وعن الاوزاعي ان عمر بن الخطاب
رضي الله عنه خرج في سواد الليل فراه طلحة قد دخل بيتا ثم دخل بيتا اخر فلما اصبح طلحة
ذهب الى ذلك البيت فاذا بعجوز مقعدة فقال لها ما بال هذا الرجل ياتيك فقالت انه يتعاهدني
منذ كذا وكذا بما يصلحني ويخرج عني الاذى فقال طلحة ثكلتك امك يا طلحة اعورات عمر تتبع
وعنه ايضا انه قال قدمت رفقة من التجار فنزلوا بالمصلى فقال عمر لعبد الرحمن هل لك ان
نحرسهم الليلة من السراق فباتا يحرسانهم ويصليان ما كتب الله لهما فسمع عمر بكاء صبي فتوجه
نحوه وقال لامه اتقي الله واحسني الى صبيك ثم عاد الى مكانه فسمع بكاه فعاد الى امه
فقال لها مثل ذلك ثم عاد الى مكانه فلما كان اخر الليل سمع بكاه فاتى امه وقال ويحك اني
لاراك ام سوء مالي ارى ابنك منذ الليلة قالت يا عبد الله قد ابرمتني منذ الليلة
اني اريغه لاجل الفطام فيابى قال ولم قالت لان عمر لا يفرض الا للفطيم قال وكم له قالت كذا
وكذا شهرا قال ويحك لا تعجليه فصلى الفجر وما يستبين الناس قراءته من غلبة بكائه فلما
سلم قال يا بؤسا لعمر كم قتل من اولاد المسلمين ثم امر مناديا فنادى ان لا تعجلوا على اولادكم

اي طريقا كما جا في رواية اخرى ه

قوله ثكلتك اي فقدتك وهذا على لسان العرب دعا ه

بالفطام فاني افرض لكل مولود في الاسلام وكتب بذلك الي الافاق وكان لا يجمع في سماطه بين ادامين
وقدمت اليه حفصة مرقا باردا وصبت عليه زيتا فقال ادامان في اناء لا اكله حتي القي الله عز وجل
وعن الحسن انه خطب الناس وعليه ازار فيه ثنتا عشرة رقعة وعنه ايضا انه كان بين كتفي عمر
ثلاث رقاع وقال الشعراني في الطبقات وكان في قميصه اربع رقاع بين كتفيه وكان ازاره
مرقوعا بقطعة من جراب وعدوا في قميصه مرة اربع عشرة رقعة احدها من ادم احمر
وكان رضي الله عنه يشتهي الشهوة وثمنها درهم فيؤخرها سنة كاملة انتهي وعن مصعب
ابن سعد ان حفصة قالت لعمر يا امير المومنين لو لبست ثوبا هو الين من ثوبك واكلت
طعاما هو اطيب من طعامك فقد وسع الله عليك من الرزق واكثر عليك من الخير فقال
اني ساخاصمك الي نفسك اما تذكرين ما كان رسول الله صلي الله عليه وسلم يلقي من شدة العيش
فما زال يذكرها حتي ابكاها فقال اما والله لاشاركنه في مثل عيشه الشديد لعلي ادرك
عيشه الرخي وعن ابن عباس انه كان للعباس ميزاب علي طريق عمر فلبس عمر ثيابه يوم الجمعة
وقد كان ذبح للعباس فرخان فلما وافي الميزاب صب ماء بدم الفرخين فاصاب عمر فامر عمر بقلعه
ثم رجع وطرح ثيابه ولبس ثيابا غير ثيابه ثم جا فصلي بالناس فاتاه العباس فقال انه للموضع
الذي وضعه النبي صلي الله عليه وسلم فيه فقال لعمر وانا اعزم عليك الا صعدت علي ظهري حتي
تضعه في الموضع الذي وضعه فيه رسول الله صلي الله عليه وسلم ففعل ذلك العباس وعن عبد
الله بن عمر انه قال رايت والدي اخذ تبنة من الارض وقال ليتني كنت هذه التبنة ليتني
لم اخلق ليت امي لم تلدني لم اكن شيا مذكورا ليتني كنت نسيا منسيا وعن الاحنف انه قال
قال لي عمر بن الخطاب رضي الله تعالي عنه يا احنف من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف
به ومن اكثر من شيء عرف به ومن كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر سقطه قل حياوه ومن قل حياوه
قل ورعه ومن قل ورعه مات قلبه قتله ابو لولوة المجوسي غلام المغيرة بن شعبة في المدينة
بعد رجوعه من الحج في اخر ذي الحجة لاربع ليال بقين منه سنة ثلاث وعشرين وروي انه لما طعن
ودخل بيته فدعا بقدح من لبن فشربه فنزل من جراحته فعلم انه يموت لا محالة فدخل عليه
عبد الرحمن فقال الصلاة يا امير المومنين فقال نعم ولا حظ في الاسلام لمن تركها الصلاة فقام
فصلي وجرحه يثعب اي يقطر دما فلما توفي وجي به وكان علي الروضة اقفل فبينما عبد الله
يريد ان يستاذن او وهو يستاذنه اذ سمعوا انفتاح القفل من غير ان يفتحه احد وقائل يقول
من الروضة ادخلوه وكانت عايشة رايت في المنام كان ثلاث اقمار سقطن في حجرتها فاخبرت
بقصتها علي ابي بكر فقال لها خيرا رايت وخيرا يكون ساخبرك بها وبكي فلما توفي رسول
صلي الله عليه وسلم ودفن في حجرتها فقال لها اي بنية هذا احدا قمارك وهو خيرها فلما
احتضر هو قال وهذا الثاني والذي بعد ثالثها فكان عمر رضي الله تعالي عنهم اجمعين
ودفن يوم الاحد صبيحة هلال المحرم وعمره ثلاث وستون سنة علي الصحيح وغسله ابنه عبد
الله وصلي عليه صهيب ودفن عند النبي صلي الله عليه وسلم ولما غسل وكفن وحمل علي سريره قال علي

رضي الله عنه

ليتني ثم

33

رضي الله عنه والله ما على الارض رجل احب الي ان القي الله بصحيفته من هذا المسجي بالثوب وقال
حذيفة لما اسلم عمر كان الاسلام كالرجل المقبل لا يزداد الا قوة فلما قتل كان الاسلام كالرجل
المدبر لا يزداد الا ضعفا وكان العباس خليلا له فلما اصبح جعل يدعو ربه ان يريه اياه فراه
بعد حول وهو يمسح العرق عن وجهه فقال ما فعلت قال هذا اوان فرغت من الحساب
ان كاد عرشي ليهدم لولا اني لقيت روفا رحيما بينما اصله بين فزيدت عليه ما لتكفها
عن عملها وهو الخفض ويجوز ايضا بينا بلا ميم وهو ظرف زمان بمعنى المفاجاة ففيه اشارة
الي ان ذلك لم يكن عن ميعاد ولا استعداد نحن ضمير المتكلم مع غيره بدليل قوله في اخره اتاكم
يعلمكم دينكم فلا اتجاه لجعله ضمير المتكلم المعظم نفسه جلوس جمع جالس كشهود جمع شاهد
او مصدر بمعنى جالسين ونحن مبتدا وجلوس خبره عند بتثليث العين ظرف مكان ومعناه القرب
اما حسا كما هنا واما معنى كما في قوله تعالى وعنده ام الكتاب ولا يدخل عليه حرف جر غير من
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم جمعه ايام واصله ايواب فادغمت واورد عليه ان ذات
مونثة لانها تانيث ذي بمعنى صاحب ويوم مذكر فكيف اضيف المونث الي المذكر واجيب
بان الكلام فيه حذف والتقدير في ساعة ذات يوم فحذف ذلك لظهور المراد ولما كانت
بينما ظرفا متضمنا معنى الشرط وهو يحتاج الي جواب يتم به اشار له بقوله اذ طلع لم يقل
دخل اشعارا بتعظيمه ورفعة قدره وفيه استعارة تبعية لانه شبه ظهوره في نباهة
القدر وارتفاع الشان بطلوع الشمس ثم اشتق منه الفعل فوقعت الاستعارة في المصدر
اصلية وفي الفعل تبعية او شبهه بالشمس استعارة مكنية ثم اثبت له الطلوع تخييلا علينا رجل
اي ملك في صورة رجل والتنوين فيه للتعظيم وفي رواية للبخاري اذا اتاه رجل يمشي وافاد مسلم
في رواية عمارة بن القعقاع سبب ورود هذا الحديث فعنده في اوله قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم سلوني فهابوا ان يسالوه فجا رجل الخ اي لانهم اولا اكثروا المسايل على النبي
صلى الله عليه وسلم فزجرهم كراهية لما قد يقع من سوال تعنت ونحوه فلما امتثلوا
قال لهم سلوني فهابوه واحجموا عن المسيلة فجاهم من تعلموا سواله قال السبكي نقلا عن ابن
العربي للملك ان يتصور باي صورة شا وتجري عليه احكامها وح فلا يتكلم الا بما يليق بتلك
الصورة ومثل ذلك الجني فاذا قتلت تلك الصورة التي ظهر بها مات معها بخلاف الانسان فانه
اذا تمثل بصورة لا تحكم عليه فاذا تكلم من تلك الصورة تكلم باي لغة شا واذا قتل بها لا يموت
انتهى ومما تقرر من ان للملك ان يتصور في اي صورة شا يندفع تردد امام الحرمين في تمثل
الملك هل معناه ان الله افنى الزايد او ازاله عنه ثم اعاده اليه وجزم ابن عبد السلام بالازالة
دون الفنا وقول ابن حجر الظاهر ان الزايد لا يزول ولا يفنى بل يخفى عن الراي وقول البلقيني بالقبض
والبسط وذلك يجوز ان يكون انتشاله الاصلي من غير فنا ولا ازالة الا انه انضم فصار على قدر
هيئة الرجل واذا ترك ذلك عاد الي هيئته كالقطن اذا جمع بعد ان كان منتفشا شديد
بياض الثياب فيه دليل على استحباب البياض عند لقا الروسا والجلوس في المحافل
لان مرجع جميع الالوان اليه وهذا في غير العيد واما فيه فالجديد ولو من غير البياض

مدة منع

افضل من غيره للقادر عليه لانه يوم زينة واظهار للنعمة وفيه دليل على ان السنة النظافة لخبر ان
الله نظيف يحب النظافة وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يحب
الثوب النظيف ويكره الثوب الوسخ شعث بتد سواد الشعر فيه تنبيه على استحباب تحسين
الشعر بالتسريح والدهن وغيرهما عند الدخول على الاكابر وقوله الشعر اي شعر اللحية كما وقع
مصرحا به في رواية ابن حبان وفيه اشارة الى ان زمن طلب العلم زمن الشباب وانه اذا صرف
اول عمره في طلب العلم يصرف باقيه في العمل بما علم وقدم البياض على السواد لانه خير الالوان
وفي رواية النسائي احسن الناس وجها واطيب الناس ريحا كان ثيابه لا يمسها دنس وفيه
استحباب تحسين الهيئة وتنظيف الثياب وتطييب الرائحة سيما للعالم والمتعلم لانه معلم بدليل
اتاكم يعلمكم دينكم ومتعلم بمقاله وحاله وقد قال ابن عبد السلام لا باس بلباس شعار العلماء ليعرفوا
بذلك فيسالوا فاني كنت محرما فانكرت على جماعة محرمين لا يعرفونني ما اخلوا به من ادب الطواف
فلم يقبلوا فلما لبست ثياب الفقها وانكرت عليهم ذلك سمعوا واطاعوا وفيه رد على من اثر
رثاثة الهيئة والملبس لا يرى بضم المثناة تحت على ما لم يسم فاعله وروي بالنون المفتوحة مبنيا
للفاعل والرواية الاولى ابلغ من الثانية وعليها اقتصر النووي في نكته عليه اثر اي علامة السفر
من نحو غبرة وشعوثة ولسليمان التيمي ليس عليه سحنا سفر وليس من البدو والسحنا بفتح السين
والحا المهملتين الهيئة ولا يعرفه منا اي معشر الصحابة وقدمه للاهتمام احد لا ينافي انه كان يأتي
للنبي صلى الله عليه وسلم في صورة دحية الكلبي رضي الله تعالى عنه لان ذلك كان غالبا لا دايما وايضا
زاد في التعمية عليهم حيث جا ماشيا مقيما وما وقع في رواية النسائي من طريق ابي فروة في اخر الحديث
انه جبريل نزل في صورة دحية وهم لان دحية معروف عندهم وانما لم يقل ولم يعرف لئلا يتوهم انه
صلى الله عليه وسلم لا يعرفه وليس كذلك وهذا صريح في انهم راوه وما وقع في رواية احمد عن غير عمر
من انهم سمعوا كلامه ولم يروه يحمل على ان بعض القوم كان جالسا عنده وبعضهم كان خارجا عن ذلك
المكان فسمعه ولم يروه من وراء نحو جدار جمعا بين الحديثين الصحيحين كذا قرره بعضهم ولا حاجة
اليه لان الملك اذا احضر بمجلس قد يراه بعض اهل المجلس دون بعض بحسب الرائي في الصفا والاستعداد
وغير ذلك وقدم لفظ منا للاهتمام والجملتان صفة رجل او حال منه لانه خصص بالوصفين فان
قيل كيف عرف عمر انه لم يعرفه منهم احد فالجواب انه يحتمل انه استند فيه الى ظنه او الى صريح قول
الحاضرين قال الحافظ ابو الفضل بن حجر ويتعين الثاني انه قد جا كذلك في رواية عثمان بن غياث
فنظر القوم بعضهم الى بعض وقالوا ما نعرف هذا حتى جلس الى النبي صلى الله عليه وسلم قال الطيبي
حتى جلس متعلق بمحذوف يدل عليه طلع اي استاذن ودنى حتى جلس الخ اه وبه يندفع ما قيل
انه ليس في الكلام ما هذا غاية له ثم ان هذا التعبير بالجر يرد عليه انها للغاية وهو انما يكون في ممتد
كالسير دون الجلوس اذ لا امتداد فيه فلتكن بمعنى عند او مع فاسند اي الصق ركبتيه الى
لان الجلوس كذلك اقرب الى التواضع والادب وابلغ في الاصغا وحضور القلب

ولا

والاستيناس وهو صريح في انه جلس بين يديه لانه لو جلس بجنبه لم يمكن الا استناد ركبة
واحدة وفيه اشارة الى انه ينبغي للمتعلم الجلوس بين يدي شيخه لا عن يمينه ولا عن
يساره ولا خلفه حيث كان الموضع واسعا لكن لا يبالغ في القرب منه بحيث يسند ركبتيه
اليه كما هنا لانه فعل ذلك مهاجريا على ما بينها قبل من مزيد الود والانس حين يلقي عليه
الوحي ووضع كفيه تثنية كف وهي الراحة مع الاصابع سميت به لانها تكف الاذى عن
البدن على فخذيه بكسر الخا اي فخذي النبي صلى الله عليه وسلم كما في حديث ابن عباس
وابي عامر الاشعري وابي هريرة وابي ذر حيث قال ووضع يديه على ركبتي النبي صلى الله عليه
عليه وسلم خلافا لما جزم به النووي ووافقه عليه التوربشتي شارح المصابيح ان
الضمير راجع الى الرجل قال القرطبي واراد بذلك المبالغة في تعمية امره ليقوي الظن
انه من جفاة العرب فضع صنيعهم لان الصحابة رضي الله عنهم استنكروا هيئته وجلوسه
كما ذكروا انتهى ورده بعضهم بانه لا يكون صنعه المذكور كصنع جفاة العرب الا لو لم يفعله
باذن وقد اذن له مرارا انتهى وفيه نظر فانه قربه واذا كان ماذونا له فيه لكن وضعه كفيه
على فخذي النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن باذن فصح قول القرطبي انه صنع صنع جفاة العرب
وفي رواية ابي داوود وغيره انه صلى الله عليه وسلم كان يجلس بين اصحابه فيجي الغريب
فلا يدري ايهم هو حتى يسال فبنيت له مصطبة من طين يجلس عليها فجا جبريل وهو عليها
فقال السلام عليك يا محمد فرد عليه السلام فقال ادنو يا محمد فقال ادنه فما زال
يقول اادنو مرارا وهو يقول ادنه ادنه واستنبط منه بعضهم استحباب ابتدا الداخل
بالسلام واقباله على راس القوم وجلوس العالم بمكان يختص به ويكون مرتفعا اذا
احتاج الى ذلك لضرورة تعليم ونحوه والاستيذان في القرب من الامام مرارا وان كان الامام في
موضع ماذون في دخوله وترك الاكتفا في الاستيذان مرة او مرتين على جهة التعظيم
والاحترام ووقع للشيخ الهيتمي انه عزا الرواية الثانية انه خاطبه بقوله عليكم يا محمد
بلفظ الجمع ثم قال فيه ندب السلام على الواحد بصيغة الجمع وهو زلل فان رواية النسائي فيها
عليكم بصيغة الجمع وانما وقع ذلك في رواية القرطبي ثم استنبط منه انه يسن للداخل ان
يعمم بالسلام ثم يخصص من يريد تخصيصه وتعقبه خاتمة الحفاظ ابن حجر بان الذي وقع عليه
من الروايات انما فيه الافراد وهو السلام عليك يا محمد وقال يا محمد علم منقول من اسم مفعول
الفعل المضعف اي المكرر العين سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم بالهام من الله تعا ولانه
يكثر حمد الخلق له لكثرة خصاله الجميلة وياتي لذلك مزيد بيان وخاطبه به مع انه يحرم نداوه
صلى الله عليه وسلم باسمه لقوله تعالى لا تجعلوا دعا الرسول بينكم كدعا بعضكم بعضا
اما لانه كان قبل التحريم واما بان الحرمة مختصة بالادميين دون الملايكة لان الخطاب في الاية
للادميين فلا يشمل الملايكة الا بدليل واما جريا على عادة العرب من الندا بالاسم غالبا وقصدا

لمزيد التعية عليهم وفهم منه جواز ندا العلم والرئيس باسمه ولو من المتعلم ان لم تعلم كراهته لذ لكوولا
كان على سبيل الوضع من قدره لانه اقرب للتواضع واولي بالصدق والا فلقبه او كنيته توقيرا له
وتعظيما وانما خاطبه بهذا الاسم دون غيره من بقية الاسما لان هذا الاسم هو اشهرها اخبرني
عن الاسلام اللام فيه للحقيقة والماهية الشرعية وكذا في نظايره ولذا وقع في رواية ابي هريرة
ما الاسلام هنا وما الايمان فيما ياتي وهي تدل على انه سيل عن شرح ماهيتهما لا عن شرح لفظهما لغة وانه رجل ص اخر
لم يجب بما ياتي لان مايخ اصلها انما يسال بها عن الحقايق والماهيات وقد سال نحو الله فقال له ان
تسال عن اسمه فالعزيز الحكيم وان تسال عن صفته فالرحمن الرحيم وان تسال عن فعله فخالق المخلوقين
وان تسيل عن ماهيته فلا ماهية نعرفها ولما اقام موسي وهارون بباب فرعون سنة ولم ياذن لهما
في الدخول عليه ثم دخل عليه البواب فقال ههنا انسان يزعم انه رسول رب العالمين فقال فرعون
ايذن له لعلنا نضحك عليه فدخلا عليه واديا الرسالة قال فرعون وما رب العالمين وما سالتهم
بها عن الاجناس ولا جنس لله تعالى لان الاجناس محدثة فاجاب موسي بالصفات الدالة على مخلوقاته
التي لا يشاركه فيها مخلوق بقوله رب السموات والارض وما بينهما ان كنتم موقنين قال فرعون
لمن حوله الا تستمعون فزاد موسي في البيان ربكم ورب ابايكم الاولين قال فرعون ان رسولكم الذي
ارسل اليكم لمجنون قال موسي رب المشرق والمغرب وما بينهما ان كنتم تعقلون واعلم انه بدا في رواية
مسلم هذه بالسوال عن الاسلام لانه الامر الظاهر واشعارا باته اول واجب على الانسان النطق بكلمة
الشهادة عند القدرة كما حققه الدواني وثني بالايمان لانه الامر الباطن ووجه عكسه الواقع في
رواية البخاري ان الايمان هو الاصل فبدا به وثني بالاسلام لانه يظهر به مصداق الدعوي وثلث
بالاحسان لانه متعلق بهما ورجح الطيبي الاول لما فيه من الترقي فبدا بالظاهر وترقي الي الاعلى
والطوفي الثاني لان السنة بيان للكتاب فاولاها بالتقديم اوفقها له وقدم الايمان على
الاسلام في ايات كثيرة هذا حاصل ما وجهوا به الترتيب الواقع في الروايتين وبدا في رواية
مطر الوراق بالاسلام وثني بالاحسان وثلث بالايمان ويمكن توجيهها بان الاحسان هو
الاخلاص فكما ان محله القلب ذكر ذلك في القلب اي الوسط والحق كما قال ابن حجر وغيره ان هذا
التقديم والتاخير من الرواة لان القصة واحدة اختلفت الرواة في تادية تها وفيه دليل على ان
الاسم غير المسمي لان جبريل سال عما الاسلام ما الايمان ما الاحسان فاتي باسمايها واجابه النبي
صلى الله عليه وسلم عما يناها ولو كان الاسم هو المسمي لم يحتج الي السوال عنه ولما اجابه النبي صلى الله
عليه وسلم به لكان يقول له انك عالم بمسمي ما سالت عنه فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم
مجيبا له عن ماهية الاسلام وحقيقته الاسلام هو لغة الدخول في السلم اي الانقياد والاذعان
ومنه قوله تعالى قالت الاعراب امنا قل لم تومنوا ولكن قولوا اسلمنا وشرعا الانقياد الي الاعمال الواجبة
الظاهرة كما بين ذلك صلى الله عليه وسلم بقوله ان مصدرية تشهد منصوب بها وباقي الافعال
الاتية من قوله وتقيم الصلاة وتوتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت معطوف عليها بالاخبار
عن امر متيقن قطعا اي تعلم وتتحقق ان بفتح الهمزة مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشان

ايانه

اي انه اي الشان لا اله اي لا معبود بحق موجود او في الوجود الا الله ولا نافية للجنس واله اسمها مبني على الفتح
والخبر محذوف تقديره موجود او في الوجود كامر فان قلت نفي الوجود لا يستلزم نفي الامكان بخلاف
العكس فالجواب من ثلاثة اوجه الاول انه انما قدر الوجود لانه الذي ادعاه المشركون فاثبتوا وجود
آلهة متعددة وقوله تعالى فاعلم انه لا اله الا الله نفي لدعواهم الثاني ان لا لنفي الجنس وهي موضوعة
لنفي الوجود وهو المحصل للتوحيد صريحا لانه لو قدر ممكن لزم ان المثبت في الا الله هو الامكان فلا يحصل
التوحيد بالصراحة فلذلك اختير تقدير الوجود دون غيره والا اداة استثنا والاسم المكرم الواقع
بعدها مرفوع على انه بدل من الضمير المستتر في الخبر وهو الاصح وقيل انه بدل من محل لا مع اسمها لان
محلهما الرفع على الابتدا وقيل غير ذلك وان محمدا رسول الله محمد علم منقول من اسم مفعول
حمد بتشديد الميم سمي به نبينا صلى الله عليه وسلم لكثرة خصاله الحميدة اي المحمودة اي سماه به
جده عبد المطلب تفاولا بان يكثر حمد الخلق له كما روي في السير انه قيل لجده عبد المطلب وقد سماه
به في سابع ولادته لموت ابيه قبلها على الصحيح لم سميت ابنك محمدا وليس من اسما آبائك
ولا قومك فقال رجوت ان يحمد في السما والارض وقد حقق الله تعالى رجاه قال حسان رضي
الله عنه وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ولرويا راها ان سلسلة من
فضة خرجت من ظهره لها طرف بالمشرق وطرف بالمغرب ثم عادت كانها شجرة على كل ورقة منها
نور واهل المشرق والمغرب يتعلقون بها فعبرت بمولود يتبعه اهلها ويحمده اهل السما والارض
قال بعض اهل المعاني الميم الاولى محق الكفر بالايمان او محو سيات من اتبعه او منة الله تعالى على
المومنين والحا حكمه بين الخلق بحكمه تعالى والميم الثانية ملكه الذي اعطاه الله تعالى ولم يعطه لاحد
قبله وذلك انه قرن اسمه باسمه في المشرق والمغرب والدال الدليل على الله للخلق في الدنيا لانه
الداعي الى الله تعالى ودليلهم في الاخرة الى الجنة ويقال ان مما اكرم به الادمي ان كانت صورته
على ترتيب اسمه صلى الله عليه وسلم فالميم الاولى بمنزلة راس الانسان والحا بمنزلة اليدين والميم
الثانية بمنزلة السرة والدال بمنزلة الرجلين قيل ولا يدخل النار من يستحق دخولها اعاذنا الله
منها الا ممسوخ الصورة اكراما لصورة اللفظ ولا يشترط مع الاتيان بالشهادتين البراة من
كل دين يخالف دين الاسلام على الاصح الا ان يكون منسوبا لاعتقادهم اختصاص رسالة نبينا
صلى الله عليه وسلم بالعرب وتقيم الصلاة اقامة الصلاة تعديل اركانها وحفظها من الزيغ
من اقام العود وقومه او الدوام والمحافظة من قامت السوق اذا نفقت او التشمر لادائها
من قام في الامر او اداوها كذا في الكشاف ولا يخفى انه على الاول استعارة تبعية شبه تعديل
اركان بتقويم الرجل العود واستعير له الاقامة ثم اشتق منه الفعل وعن الثاني كناية
عن الدوام وعلى الثالث مجاز في الاسناد بمعنى تجعلها قايمة فيفيد التشمر وعلى الرابع كذلك
اذ المعنى توجد قيامها فيكون من باب اطلاق الشي على كله وانه لو حمل على الثاني فقط كان اولى
لدلالته على جميع المعاني وابعد من زعم ان المراد بالاقامة اخت الاذان واصل الصلاة في اللغة
الدعا قال تعالى ومن الاعراب من يومن بالله واليوم الاخر ويتخذ ما ينفق قربات عند الله

بعض مع

وصلوات الرسول اي دعواته وقال تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم ان صلاتك سكن لهم اي ادع لهم ان دعواتك طمانينة فكان صلى الله عليه وسلم اذا جاءه الناس بصدقاتهم يدعو لهم وقال صلى الله عليه وسلم من كان صايما فليصل اي فليدع وقال الاعشى

تقول بنتي وقد قربت مرتحلا يا رب جنب ابي الاوصاب والوجعا عليك مثل الذي صليت واغتمضي يوما فان لجنب المرء مضطجعا

اي دعوت وادعى السهيلي انه لا يصح ان يكون معناها الدعاء لانه يستعمل في الخير والشر بل هي راجعة الى معنى الحنو والانعطاف وتستعمل بمعنى البركة ومنه عند بعضهم اللهم صل على آل ابي اوفى وبمعنى الاستغفار قال صلى الله عليه وسلم بعثت لاهل البقيع لاصلي عليهم وفي رواية لاستغفر لهم وفي الشرع قال ابن عرفة قربة فعلية ذات احرام وتسليم او سجود فقط فيدخل سجود التلاوة وصلاة الجنازة اهـ واختلف في اشتقاقها فقال النووي الاظهر الاشهر انها من الصلوين بفتح الصاد واللام وهما عرقان في الردف عن يمين الذنب وشماله ينحنيان في الركوع والسجود ولذا كتب الصلاة في المصحف بالواو وقيل انها ماخوذة من قولهم صليت العود اذا قومته لان الصلاة تحمل الانسان على الاستقامة وتنهاه عن المعصية قال الله تعالى ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر وروي انه كان فتى من الانصار يصلي الصلوات مع النبي صلى الله عليه وسلم لا يدع شيا من الفواحش الا ركبه فوصف لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ان صلاته تنهاه يوما فلم يلبث ان تاب وحسنت توبته وقيل انها ماخوذة من الصلة لانها صلة بين العبد وخالقه يعني انه تدنيه من رحمته وتوصله الى كرامته وجنته وحكمة مشروعيتها التذلل والخضوع بين يدي الله تعالى ومناجاته بالقراءة والذكر والدعاء وتعمير القلب بذكره واستعمال الجوارح في خدمته وفرضت في السماء ليلة المعراج بخلاف غيرها من الشرائع قال بعضهم والحكمة في وقوع فرض الصلاة ليلة المعراج انه صلى الله عليه وسلم لما قدس ظاهرا وباطنا حين غسل بماء زمزم وملئ بالايمان والحكمة ومن شرط الصلاة ان يتقدمها الطهر ناسب ذلك ان يفرض الصلاة لحاله والاصح انه لم يفرض عليه قبلها صلاة وقيل كان الواجب قبلها ركعتين بالغداة وركعتين بالعشي مكان بمكة تسع سنين ثم فرضت الخمس ليلة الاسراء واختلف في كيفية فرضها فروت عايشة رضي الله عنها انها فرضت ركعتين ركعتين ثم اكملت صلاة الحضر اربعا قال الحسن البصري وجماعة وكان الاكمال بالمدينة وقال ابن عباس وغيره فرضت اربعا الا المغرب فثلاث والا الصبح فاثنتين وهو طريق الجمهور واول صلاة صلاها جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم صلاة الظهر وبذلك سميت لانها اول صلاة ظهرت ولذلك تسمى الاولى وتؤتي الزكاة اي تعطيها لمستحقيها او للامام ليدفعها لهم فحذف المفعول الاول لان اتى يتعدى لمفعولين اولهما فاعل في المعنى واولاها الصلاة موافقة للقران وهي لغة النمو والزيادة يقال زكا المال اذا نمى وطاب لانها تنمي المال بالبركة وهي سبب في نموه وزيادته ومنه قول النابغة وما قومت من دنياك

وما احرزت من دنياك تنقص وما قدمت عاد لك الزكاة اي الزيادة والتطهير لانها تطهر المال
من الخبائث الحسية والمعنوية ونفس المزكي من رذيلة البخل وغيره والمدح يقال زكى
نفسه تزكية مدحها والنمو يقال زكى الرجل يزكو اذا تنعم وكان في خصب والتصدق
يقال زكى اذا تصدق واللايق بالشيء يقال هذا الامر يزكو لفلان اي يليق به وشرعا
جزء من المال شرط وجوبه لمستحقه بلوغ المال نصابا وتسمى صدقة لقوله تعالى خذ من
اموالهم صدقة من التصديق الذي هو الاعانة اذ دافعها يصدق بوجوبها وحكمة وجوبها
مواساة الفقراء وتصوم رمضان الصوم في اللغة الامساك والكف عن الشيء ومنه قوله
تعالى اني نذرت للرحمن صوما اي صمتا وامساكا عن الكلام كما قال ابن عباس رضي الله عنهما
وقولهم صام النهار اذا انتصف لبطء مشي الشمس في وسط النهار فكانها غير متحركة وصام
الفرس قام من غير اعتلاف وشرعا قال القرافي امساك عن شهوتي الفم والفرج او ما يقوم
مقامهما مخالفة الهوى في طاعة الله في جميع اجزاء النهار بنية قبل الفجر او فيه ان امكن
فيما عدى زمن الحيض والنفاس والاعياد انتهى وضمير التثنية في قوله يقوم مقامهما
يعود على الفم والفرج فيقوم مقام الفرج الانف ونحوه فاه الواصل منه للجوف او للحلق مفطر
ويقوم مقام الفرج المس الموجب للفطر واخره عن الزكاة وان كان انسب بالصلاة لكونه
بدنيا لان اهتمام الشارع بالصلاة والزكاة اكثر ولذا كرر ذكرهما في القران كثيرا ولانهما اذا
وجبا لا يسقطان عن المكلف اصلا والصوم يسقط بنحو العذر به ذكره الكرماني ورمضان
كما قال الخليل ماخوذ من الرمض اي بالتحريك وهو مطر ياتي في ايام الخريف سمي هذا الشهر
به لانه يغسل الابدان من الاثام ويطهر قلوبهم وقيل سمي به لانه يرمض الذنوب اي يحرقها
وقيل من الارتماض لان النفس تاخذ فيه اي في رمضان من حرارة الموعظة والفكرة في امر الاخرة
كما ياخذ الرمل والحجارة من حر الشمس وقيل لانهم لما نقلوا اسماء الشهور عن اللغة القديمة سموها
بالازمنة التي وقعت فيها فوافق ابتداء الصوم زمنا حارا فسمي به قال السيوطي في حاشيته
على البخاري قال بعضهم لما تاب آدم عن اكل الشجرة تاخر قبول توبته لما بقي في جسده من
تلك الاكلة ثلاثين يوما فلما صفى جسده منها تيب عليها ففرض على ذريته ثلاثين يوما
وكان فرضه في السنة الثانية من الهجرة اهـ قال القرطبي يجوز استعماله غير مضاف الى
شهر وهو مذهب البخاري والمحققين لخبر اذا دخل رمضان فتحت ابواب الجنة وقيل يكره
استعماله بلا اضافة الى شهر ونقله عياض وغيره وقيل يجوز بقرينة كصمنا رمضان
ويكره بدونها كجاء رمضان لما قيل انه اسم من اسمائه تعالى والمذهبان الاخران فاسدان

صيام رمضان

كما قال النووي ولا يصح ان يكون من اسمائه تعالى فقد صنف جماعة فلا يحصون في اسمائه تعالى
فلم يثبتوه وما روي فيه من الحديث ضعيف واول ما فرض رمضان خير بينه وبين الاطعام
لقوله تعالى وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين ثم نسخ ذلك بقوله تعالى فمن شهد
منكم الشهر فليصمه وكان يباح للمكلف الاكل والشرب بعد الغروب الى ان ينام او يصلي
العشا فيحرم عليه ذلك حتى وقع لقيس بن صرمة بكسر الصاد المهملة وسكون الرا انه طلب
من امراته ما يفطر به فذهبت لتاتيه به ثم اتت فوجدته قد نام فاصبح صايما وكان يعمل في
حايط فلم ينتصف النهار حتى غشي عليه وان عمر وطي زوجته فزعمت انها نامت فكذبها
ووطيها ثم خون نفسه وذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وذكره جماعة من الصحابة عن
انفسهم فنزل قوله تعالى علم الله انكم كنتم تختانون انفسكم فتاب عليكم الاية وحكمة مشروعيته
مخالفة النفس وكسرها وتصفية مراة القلب والاتصاف بسيما الملايكة والتنبيه على مواساة
ساة الجايع وحج البيت الحج لغة القصد وقال الخطابي القصد مع التكرار ومنه قول الشاعر
يحجون بيت الزبرقان المزعفرا يريد انهم يقصدون في امورهم ويختلفون اليه في حوايجهم
مرة بعد اخرى واصطلاحا قال ابن عرفة على رسمه بانه عبادة يلزمها وقوف بعرفة ليلة عاشر
ذي الحجة وحده بزيادة طواف ذو طهر اخص بالبيت عن يساره سبعا بعد فجر يوم النحر والسعي
من الصفا الى المروة ومنها اليها سبعا بعد طواف كذلك لا بقيد وقته باحرام في الجميع انتهى والمراد
بالطهر الاخص الطهر من الحدث الاصغر والاكبر كما في شارحه اي من الحديث المذكور والخبث
وقوله لا بقيد وقته اي انه لا يعتبر في الطواف الذي يتوقف عليه السعي حصول بعد فجر يوم
النحر كما في طواف الافاضة والبيت اسم جنسي ثم غلب على الكعبة كغلبة النجم على الثريا ان استطعت
اليه اي الى الحج او البيت سبيلا مفعول به او تمييز عن نسبة الاستطاعة الى البيت اي
ان استطعت سبيل البيت فاحذ لكون او قع وتقديم اليه عليه للاختصاص وسبيلا
اي طريقا وتنكيره للعموم اذ النكرة في الاثبات قد تعم كما ذكره الزمخشري في قوله تعالى علمت
نفس ما احضرت والسبيل يذكر ويونث فمن التذكير قوله تعالى وان يروا سبيل الرشد لا يتخذوه
سبيلا ومثله ها هنا ومن التانيث قوله تعالى قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة
والاستطاعة القدرة وهي امكان الوصول من غير مشقة عظيمة مع الامن على النفس
والمال ولو بلا زاد وراحلة لذي صنعة تقوم به وقدر على المشي والاستطاعة ولو بالبدن
وعند الشافعي بالمال لانه فسرها بالزاد والراحلة وعند ابي حنيفة بمجموع الامرين وانما
قيد بالاستطاعة في الحج مع ان ما مر يقيد بها ايضا اتباعا للفظ القران وفايدة التقييد

لبيان ان المشقة فيه ليست كغيرها اولان عدمها في فرض نحو الصلاة والصوم لا يسقط فرضهما بالكلية
وانما يسقط وجوب الادا حالا بخلاف الحج فان عدمها يسقط وجوبه راسا ومقتضى كلام القرطبي
ان الصحيح ان الحج واجب على التراخي وهو تحصيل مذهب مالك فيما ذكر ابن خويز منداد
وهو قول الشافعي وذهب بعض البغداديين الى انه واجب على الفور فلا يجوز تاخيره مع
القدرة عليه وذكر شيخنا الاجهوري في شرحه على المختصر انه المعتمد والدليل على الاول
اجماع العلما على ترك تفسيق القادر على الحج اذا اخره العام والعامين وانه اذا حج بعد
اعوام من حين استطاعته فقد ادى الواجب عليه في وقته وكل من قال بالتراخي لا يجد في
ذلك حدا الا ما روي عن سحنون من تحديده الى الستين فان زاد على الستين فسق وردت
شهادته لان النبي صلى الله وسلم قال اعمار امتي ما بين الستين الى السبعين وقل من يتجاوزها
وقوله معترك المنايا ما بين الستين والسبعين ولا حجة فيه لانه كلام خرج على الاغلب من
اعمار امته لو صح الحديث ولم يقطع بتفسيق من صحت عدالته وامامته بمثل هذا من التاويل
الضعيف انتهى وقدم الاشق واخر ما وجب في العمر مرة تنبيه السبيل ورد في القران على
وجوه الاول البلاغ كما في قوله تعالى ولله على الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا اي
بلاغا الثاني الطاعة كقوله تعالى في البقرة الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله يعني
في طاعة الله الثالث المخرج كقوله تعالى في بني اسرائيل انظر كيف ضربوا لك الامثال
فضلوا فلا يستطيعون سبيلا يعني مخرجا من الحبس ومثله قوله في النساء حتى يتوفاهن
الموت او يجعل الله لهن سبيلا يعني مخرجا من الحبس الرابع المسلك كقوله تعالى ولا
تنكحوا ما نكح اباؤكم من النسا الا ما قد سلف انه كان فاحشة ومقتا وسا سبيلا اي
مسلكا الخامس العلل كقوله تعالى فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا اي عللا السادس
الدين كقوله تعالى ويتبع غير سبيل المومنين اي دين المومنين السابع الهدى كقوله
تعالى في النسا ومن يضلل الله فلن تجد له سبيلا اي من يضلل الله عن الهدى فلن تجد
له سبيلا الى الهدى الثامن الحجة كقوله تعالى ولن يجعل الله للكافرين على المومنين سبيلا اي حجة
التاسع الطريق كقوله تعالى في النسا والمستضعفين من الرجال والنسا والولدان
لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلا اي طريقا الى المدينة والعاشر العدوان
كقوله تعالى في حم عسق ولمن انتصر بعد ظلمه فاولئك ما عليهم من سبيل انما
السبيل على الذين يظلمون الناس الحادي عشر الطاعة كقوله تعالى في الفرقان
الا من شاء ان يتخذ الى ربه سبيلا اي طاعة الثاني عشر الملة كقوله في يوسف قل هذه
سبيلي اي ملتي قال السايل للمصطفى صلى الله عليه وسلم صدقت فيما اخبرت به
قال عمر فعجبنا له اي منه اولاجله والتعجب حالة تعرض للقلب عند الجهل بسبب الشي
يساله والسوال قرينة عدم العلم ويصدقه لان هذا خلاف عادة السايل والتصديق
قرينة العلم ثم زال تعجبهم باعلامه انه جبريل عليه السلام لانه ظهر انه عالم في صورة متعلم

قال فاخبرني عن الايمان هو لغة مطلق التصديق سوا كان مطابقا للواقع ام لا سوا تعلق بحكم شرعي ام لا
واصطلاحا تصديق النبي صلى الله عليه وسلم في كل ما علم مجيئه به من الدين بالضرورة من التوحيد
والبعث والجزا وغير ذلك تفصيلا في التفصيلي واجمالا في الاجمالي ممن علم اسمه كجبريل وجب الايمان به
عينا ومن لم يعلم اسمه امنا به اجمالا وكذلك الكتب والانبيا والرسل والمراد بالتصديق الادعان
والقبول لا مجرد نسبة الصدق له صلى الله عليه وسلم لئلا يلزم الحكم بايمان كثير من الكفار الذين
كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم الا انهم لم يذعنوا ولم يقبلوا ما جا به قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون
ابناءهم يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها يعلمون انه الحق من ربهم وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم
واورد على التعريف ان قوله بالضرورة متعلق بقوله علم وهو يقتضي ان جميع ما جا به النبي صلى الله عليه
وسلم امر ضروري لا يتوقف على نظر واستدلال واجيب بان المراد بقوله بالضرورة انه شاع
واشتهر بين اهل الاسلام حتى صار العلم به يشابه العلم الحاصل بالضرورة قال الايمان ان تومن
ان وصلتها في موضع رفع خبر مبتدا محذوف اي الايمان هو ان تومن بالله وظاهر الحديث تغاير
الايمان والاسلام لانه جبريل سال عنهما سوالين واجيب عنهما بجوابين وفسر الاسلام باعمال الجوارح
كالصلاة ونحوها والايمان باعمال القلب وقد يتوسع فيطلق الايمان على الاسلام كما في حديث وفد
عبد قيس فانه صلى الله عليه وسلم امرهم بالايمان ثم قال اتدرون ما الايمان قالوا الله ورسوله اعلم قال
شهادة ان لا اله الا الله وان محمد رسول الله فان قيل هذا تعريف للشي بنفسه لان تومن مشتق
من الايمان فالجواب كما قال الكرماني المراد من المحدود الايمان الشرعي ومن الحد الايمان اللغوي
ويظهر انه انما اعاد لفظ الايمان للاعتنا بشانه تفخيما لامره وهو موافق لقول الطوفي هذا ليس
من تعريف الشي بنفسه بل هو من تعريف الشرعي باللغوي لان الايمان لغة التصديق وشرعا تصديق
خاص وهو الايمان بالله وما ذكره بعده فكانه قال الايمان شرعا التصديق بهذه الاشيا والايمان
الشرعي هو الايمان اللغوي بهذه الاشيا كما يقال الصلاة شرعا هي الصلاة لغة وهي الدعا وزيادة
امور اخر وهو كلام صحيح وقال الطيبي وقوله الايمان ان تومن يوهم التكرار وليس كذلك فان
قوله ان تومن مضمن معنى ان تعترف ولذلك عداه بالبا كانه قيل الايمان اعتراف بالله ووثوق
به وتعقبه الحافظ ابن حجر بان التصديق يتعدى بالبا فلا حاجة الى معنى التضمين بالله ايمانه
واحد في ذاته وصفاته وافعاله موصوف بصفة الكمال منزه عن صفات الاجسام وملائكته جمع
ملك على غير قياس او جمع مالك بتقديم الهمزة اذ هو من الالوكة وهي الرسالة ثم اخرت الهمزة
على اللام وحذفت تخفيفا لكثرة الاستعمال ونقلت حركتها الى اللام وقال في النهاية جمع مَلْأَك ثم
حذفت همزته لكثرة الاستعمال اهـ والتانيث للجمع وقيل للمبالغة وقد ورد بغير تا كما قال القايل
ابا خالد صلت عليك الملايك وهي اجسام لطيفة نورانية اعطيت قدرة التشكل باشكال مختلفة
تقدر على افعال شاقة لا يقدر عليها البشر وهم قسمان قسم شانهم الاستغراق في معرفة الحق
والتنزه عن الشغل بغيره وقسم يدبر الامر من السما الى الارض على ما سبق به القضا وجرى به

القدر

القدر لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون ما يومرون وفي الحديث اتاني ملك لم ينزل الى الارض قبلها
قط برسالة من ربي فوضع رجله فوق السما الدنيا ورجله الاخرى ثابتة في الارض لم يرفعها
وقد ورد ان لله ملكا يملا ثلث الكون وملكا يملا ثلثيه وملكا يملا الكون كله وقد ورد في عظم
الملايكة ما هو فوق ذلك لا يقال اذا ملا الكون كله فاين يكون الاحزا نا نقول الانوار لا تتزاحم
الا ترى لو وضع سراج في بيت ملأه نورا ولو اتينا بعده بالف سراج وسع البيت انوارهم ذكره
العارف بالله ابن عطا الله عن شيخه المرسي وقد جا في صفة الملايكة احاديث منها ما اخرجه الترمذي
وابن ماجة والبزار من حديث ابي ذر مرفوعا اطت السما وحق لها ان تيط ما فيها موضع
اربع اصابع الا وعليه ملك ساجد الحديث ومنها ما اخرجه الطبراني من حديث جابر مرفوعا
ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف الا وفيه ملك قايم او راكع او ساجد وللطبراني
نحوه من حديث عايشة وذكر في ربيع الابرار عن سعيد بن المسيب قال الملايكة ليسوا ذكورا
ولا اناثا ولا ياكلون ولا يشربون ولا ينامون ولا يتوالدون قلت وفي قصة الملايكة مع ابراهيم
وسارة ما يويد انهم لا ياكلون واما ما وقع في قصة الاكل من الشجرة انها شجرة الخلد التي
ياكل منها الملايكة فليس بثابت وفي هذا وما ورد في القران الشريف رد على انكر وجود الملايكة
من الملاحدة انتهى قال الطيبي الاطيط صوت الاقتاب واطيط الابل اصواتها وحنينها
اي ان كثرة ما فيها من الملايكة قد اثقلها حتى اطت وهذا مثل وايذان بكثرة الملايكة وان لم
يكن ثمة اطيط وانما هو كلام تقريبي اريد به تقرير عظمة الله والاشبه كما قال الحليمي
ان لا يكتب لهم عمل اذ الملك هو الذي يكتب فكان كل ملك يحتاج الى اخر ولا يحاسبون ايضا
اذ لا سيات لهم واما الاثابة فقد قيل يثابون برفع التكليف عنهم ويحتمل ان يكون ورا رفع
التكليف نعمة اعدها الله لهم ولا يعلمها عقلنا فان الله تعالى يقول اعددت لعبادي
ما لا عين رات ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر اهـ وذكر القرطبي في تفسير سورة
القدر ان الروح طايفة من الملايكة جعلوا حفظة على غيرهم وقيل ان الملايكة ليسوا بحيوان
لعدم صدق تعريفه عليهم حيث قيل فيه نام وليسوا كذلك وانما خلقوا كذلك اهـ اهـ
وكتبه جمع كتاب وهو لغة ضم الحروف الدالة على معنى بعضها الى بعض مصدر كتب اي جمع
واصطلاحا ما انزل الله على الانبيا اما مكتوبا على الالواح او مسموعا من ورا حجاب او من
ملك مشاهد وخص الايمان بها لانها الكلام الازلي القديم القايم بذاته المنزه عن الحرف والصوت رو
انزلها على بعض رسله بالفاظ حادثة في الواح على لسانه وعدة الكتب المنزلة من السما الى
الدنيا ماية واربعة صحف شيث ستون وصحف ابراهيم ثلاثون وصحف موسى قبل التوراة عشرة
والتوراة والانجيل والزبور والفرقان ومعاني الكتب مجموعة في القران ومعاني القران
مجموعة في الفاتحة ومعانيها مجموعة في البسملة ومعاني البسملة مجموعة في بايها زاد بعضهم
ومعاني البا مجموعة في نقطتها اي في ذلك الاشارة الى الوحدة فهو الواحد الذي لا نظير له
قاله الخطيب وذكر التتاي في شرح الرسالة خلافه ونصه فايدة جملة الكتب ماية كتاب

واربعة عشر كتابا وخمسون على شيث وثلاثون على ادريس وعشرون على ابراهيم ولاخلاف في هذا واختلف في عشرة
فقيل انزلت على آدم وقيل انزلت على موسى قبل التوراة والتوراة على موسى والانجيل على عيسى والزبور على
داوود والفرقان على محمد صلى الله عليه وسلم اه وفي شرح الشاذلي ما يوافق الاول والحق عدم حصرهم
في عدد معين ورسله اي بانه تعالى ارسلهم الى الخلق لهدايتهم الى طريق الحق وتكميل معاشهم
ومعادهم وانهم صادقون في جميع ما اخبروا به عن الله وبلغوا عنه وانهم بينوا للمكلفين ما امروا
ببيانه وانه يجب احترامهم وان لا نفرق بين احد منهم وفي رواية للبخاري وبرسله وقدم
الملائكة على الرسل والكتب نظرا للترتيب لان الله تعالى ارسل الملك بالكتاب الى الرسول
لا لانهم افضل من الانبيا لان الاصح ان الانبيا افضل منهم وفي الافضلية طرق الاولى طريقة ابن
الحاجب وجماعة وهي لجماعة من الاشاعرة واهل الحديث والتصوف انهم افضل من الملائكة العلوية
والسفلية لقوله تعالى ان الله اصطفى ادم ونوحا وآل ابراهيم وآل عمران على العالمين والملائكة
من جملة العالمين وان الملائكة ولو غير رسل افضل من غير الانبيا من البشر ولو كان وليا
كابي بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما ويقابله قول من قال من اهل السنة كالبقلاني والحليمي
بافضلية الملائكة العلوية والسفلية على الانبيا اي ما عدا نبينا صلى الله عليه وسلم لانه افضل من
الملائكة اجماعا كما ذكره الفخر الرازي والمراد اجماع من يعتد بالجماعة وما وقع في الكشاف في تفسير
قوله تعالى انه لقول رسول كريم الاية من افضلية جبريل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فهي
نزغة اعتزالية الثانية طريقة الآمدي والبيضاوي في قصر الخلاف على الملائكة العلوية
واما السفلية فلا اختلاف ان الانبيا افضل منهم لقوله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم
ويستغفرون لمن في الارض وقوله تعالى ويستغفرون للذين امنوا الثالثة طريقة الماتريدية
وهي الراجحة عندهم ان خواص البشر وهم الانبيا افضل من خواص الملائكة كجبريل وميكائيل
وخواص الملائكة افضل من عوام البشر والمراد بهم الصلحا كابي بكر وعمر وعامة البشر
افضل من عامة الملائكة وهم غير الرسل منهم كحملة العرش والكروبيين وافضل الملائكة جبريل
كما جزم به السيوطي وقال بعضهم افضلهم اسرافيل قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام بعد
ما قرر ان خواص البشر افضل من الملائكة ورسول الله صلى الله عليه وسلم افضل من الملائكة
والانبيا فقد ساد سادات الملائكة فصار افضل من الملائكة بدرجتين واعلى منهم بمرتبتين
لا يعلم قدر تلك المرتبتين وشرف تلك الدرجتين الا من خاتم النبيين وسيد المرسلين المفضل
على جميع العالمين واليوم الآخر وهو من وقت الموت او الحشر الى ما لا يتناهى الى ان يدخل اهل الجنة
الجنة واهل النار النار قال البيضاوي سمي بذلك لانه اخر الاوقات المحدودة وقال غيره لانه لا ليل بعده
ولا يقال يوم يعني من غير تقييد الا لما يعقبه ليل وقيل لانه اخر ايام الدنيا والمراد الايمان بما فيه من البعث
والحساب ونظاير الصحف والميزان وادخال البعض الجنة بالفضل والبعض النار بالعدل الى غير ذلك مما
ورد النص القاطع به وفي رواية والبعث الاخر ووصفه بالاخر تاكيد كامس الدابر او احتراز عن
غير الاخر لانه احيا بعد اماتة وقد كنا ميتين قبل نفخ الروح فاحيينا بنفخها ثم متنا ثم احيينا لسؤال
الملكين ثم متنا ثم احيينا للحشر فهذا هو الاخر وتؤمن بالقدر اعاد العامل اما لبعد العهد

واما للاهتمام بشانه اذ لا يعلمه الاحاذق باموا لدين بخلاف الايمان بالله وملايكته وكتبه
ورسله والقدر بتحريك الدال المهملة وقد تسكن مصدر قدرت الشي بفتح الدال مخففة
اذا احطت بمقدارم وال فيه عوض عن المضاف اليه اي بتقدير الله سبحانه الامور واحاطته
بها علما ثم قرره بالابدال خيره وشره الخير الطاعة والشر المعصية اي بان الله تعالى قدر الخير
والشر في القدم وان ذلك سيقع في اوقات معلومات عنده على صفات مخصوصات
والاظهر انه بدل كل واما قول ابن مالك انه بد لبعض فغير ظاهر الا ان يقال ان ذلك باعتبار
كل واحد من المعطوف والمعطوف عليه وفي رواية لمسلم وبالقدر كله وفي رواية عطا عن ابن
عمر بزيادة حلوه ومره والحلو ما تستطيبه النفس وتميل اليه كالغيث والخصب والسعة
والعافية والسلامة من الافات والمر ما تكرهه النفس وتنفر عنه كالجدب والقحط والمرض
والبلاء ولما كان الايمان بالقدر مستلزما للايمان بالقضا لم يتعرض له وقد خاض فيه قوم وامسك
عنه اخرون تمسكا بقوله صلى الله عليه وسلم اذا ذكر القدر فامسكوا وبانه سر ليس لمن عرفه
ان يفشيه وكذا لما سيل عنه علي ابن ابي طالب رضي الله عنه فقال طريق مظلم فلا سبيل اليه
فاعيد السوال فقال بحر عميق لا تلجه فاعيد السوال فقال سر الله قد خفي علينا فلا نفشيه
واما من خاض فيه فقال القضا ارادته الازلية المتعلقة بالاشيا على ما هي عليه والقدر ايجاده
اياها على قدر مخصوص وتقدير معين في ذواتها واحوالها فهو تفصيل قضايه السابق او القضا
علمه اولا بالاشيا على ما هي عليه والقدر ايجاده اياها على ما يطابق العلم فالقضا بمنزلة الاساس
والقدر بمنزلة البنا او القضا بمنزلة تصوير النقاش الصورة في ذهنه والقدر بمنزلة
رسمها وقد نظم ذلك شيخنا الاجهوري فقال ارادة الله مع التعلق في ازل قضاوه فحقق
والقدر الايجاد للاشيا على وجه معين اراده علا وبعضهم قد قال معنى الاول العلم مع تعلق بالازل
والقدر الايجاد للامور على وفاق علمه المذكور وفي الحديث الرد على القدرية وهم قدريتان
اولى وهي تنكر ما ذكرنا من سبق العلم بالاشيا قبل وجودها وتزعم ان الله لم يقدر الامور ازلا
ولم يتقدم تعلق علمه بها وانما يا تنفها علما حال وقوعها وهولاء انقرضوا قبل ظهور الشافعي وايا هم
عنى بقوله ان سلم القدرية العلم خصموا اذ يقال لهم اتجوزون ان يقع في الوجود خلاف
ما تضمنه العلم فان منعوا فقد وافقونا وان اجازوا لزمهم نسبة الجهل اليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا وقدرية
ثانية وهم مطبقون على ان الله تعالى علم بافعال العباد قبل وقوعها وانما خالفوا السلف في زعمهم
ان افعال العباد مقدرة لهم وواقعة منهم على جهة الاستقلال بواسطة الاقدار والتمكين وقد اتفق
لشخص منهم انه رفع رجله بحضرة رجل من اهل السنة وقال له اني رفعت رجلي عن الارض بقدرتي
فقال له السني فاذا فارفع الاخرى فلم يرد له جوابا وفيه رد ايضا على المعتزلة في زعمهم انه
تعالى لا يخلق الشر اذ لو كان العبد يخلق الشر والمخالفات وهي اكثر اكثر وقوعا من الطاعات
لكان اكثر ما يجري في الوجود على خلاف ارادته وذلك امر لا يرضاه امير بلد ولا زعيم قرية
تعالى الله عما تقول المعتزلة علوا كبيرا وحكي انه دخل القاضي عبد الجبار المعتزلي على الصاحب

هذه الدعوى ظاهرة بالظاهر بل الظاهر انهم الفرق
التي بينه لا بد لا تباع الاجوبة ولا نضيع كلامهم
عنا هنا ما قال ... الاجلة

بن عباد وكان وزيرا بالمغرب فراي عنده الاستاذ ابا اسحاق الاسفرايني امام اهل السنة فقال عبد
الجبار سبحان من تنزه عن الفحشا فقال الاستاذ على الفور سبحان من لا يجري في ملكه الا ما يشا فالتفت
اليه عبد الجبار وعلم انه فهم مراده فقال اريد ربك ان يعصى فقال له الاستاذ افيعصى ربنا
قهرا عليه فقال له عبد الجبار ارايت ان منعني الهدي وحكم علي بالردي احسن الي ام اساء
فقال له الاستاذ ان كان منعك ما هو لك فقد اسا وان منعك ما هو له فيختص برحمته ما يشا
فانصرف الحاضرون وهم يقولون والله ليس عن هذا جواب وفي حياة الحيوان ان ملكا قال له منجموه
انك تموت في اليوم الفلاني في الوقت الفلاني بلدغة عقرب فلما آن الوقت تجرد من ثيابه وركب
فرسه بعد غسلها وتسريح شعرها ودخل بها البحر حذرا فعطست فرسه فخرج من
منخرها عقرب فمرت بها الماحيتي تعلقت به فلسعته فمات وما اغناه الحذر من القدر وفي
الصحيحين عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تحاج آدم
وموسى فقال موسى يا آدم انت ابونا خيبتنا واخرجتنا من الجنة فقال له ادم يا موسى
اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة اتلومني على امر قد قدره الله تعالى علي قبل ان يخلقني
قال فحج آدم موسى وعن انس قال خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما ارسلني
في حاجة قط فلم تتهيا الا قال لو قضي كان ولو قدر كان وعن انس قال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يقول من لم يرض بقضائي وقدري فليطلب ربا سواي وعن علي رضي الله عنه في
تفسير قوله سبحانه وتعالى وكان تحته كنز لهما قال كان لوحا من ذهب مكتوب فيه لا اله الا الله
محمد رسول الله عجبا لمن ايقن بالموت كيف يفرح وعجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك وعجبا
لمن ايقن بالقدر كيف يحزن وعجبا لمن يري تقلب الدنيا باهلها حالا بعد حال كيف يطمئن
اليها وعن عثمان رضي الله تعالى عنه ان الكنز هو لوح من ذهب فيه سبعة اسطر فيها سبع
كلمات عجبت لمن عرف الدنيا وهو يرغب فيها وعجبت لمن عرف الامر بالقدر كيف يغتم
بالفوات وعرفت لمن عرف الحساب وهو يجمع المال وعرفت لمن عرف النار وهو يذنب وعجبت
لمن عرف الجنة يقينا وهو يستريح وعجبت لمن عرف الله يقينا وهو يذكر غيره قال صدقت
فاخبرني عن الاحسان اراد به الاخلاص فال فيه للعهد الذهني المذكور في الاية الشريفة
نحو للذين احسنوا الحسنى وزيادة وان الله يحب المحسنين وهل جزا الاحسان الا الاحسان اذ
احسان العبادة الاخلاص فيها والخشوع وفراغ البال حال التلبس بها وبتعدي بنفسه كاحسنت
كذا اذا اتقنته واكملته ويحرف الجر كاحسنت اليه اذا اوصلت اليه النفع واصله من الحسن
خلاف القبح وما هنا من الاول لان المقصود اتقان العبادة وقد يلحظ الثاني بان المخلص مثلا
يحسن باخلاصه الي نفسه وسيل شقيق عن الاخلاص فقال تمييز العمل كتمييز اللبن من بين فرث
ودم سائغا سهل المرور في الحلق وقيل ترك حب المدح على العمل وقيل سر بين العبد وربه لا يطلع
عليه ملك مقرب فيكتبه ولا شيطان فيفسده جا في الحديث المسلسل الرباني الاخلاص
سر من سري استودعته قلب من احببت من عبادي وانظر قوله لا يطلع عليه ملك مقرب
فيكتبه هل هو مبني على ان عمل القلب لا يكتب او على انه يكتب ويستثنى منه الاخلاص قال صلى

الله عليه وسلم ان تعبد الله من عبد اطاع و التعبد و التنسك و العبودية الخضوع و الذل
يقال طريق معبد اذا ذلل بالا رجل و في رواية ابي هريرة وعمارة بن القعقاع ان تخشى الله
فعبر عن المسبب باسم السبب توسعا و العبادة ما يعبد به بشرط النية ومعرفة المعبود
كالصلاة و القربة ما تقرب به بشرط معرفة المتقرب اليه كالعتق والوقف و الطاعة امتثال
الامر والنهي كالنظر المودي الى معرفة الله قال شيخ الاسلام كانك تراه هذا من جوامع كلمه صلى الله
عليه وسلم لانا لو قدرنا ان احدا قام في عبادة ربه وهو يعاينه سبحانه وتعالى لم يترك شيا
مما يقدر عليه من الخضوع والخشوع وحسن السمت وحفظ القلب والجوارح واجتماع بظاهره
وباطنه الا اتى به قال الكرماني فان قلت كانك تراه ما محله من الاعراب قلت هو حال من الفاعل
اي تعبد الله مشبها بمن يراه انتهى اي شبيها بمن ينظر اليه خوفا منه وحيا والاولى ان ينزل على معنى
التشبيه ويكون التقدير الاحسان عبادتك الله تعالى حال كونك في عبادتك مثل حال كونك رائيا
له وهذا التقدير احسن واقرب للمعنى من تقدير الكرماني لان المفهوم من تقديره ان يكون هو
في حال العبادة شبيها بالرائي اياه وفرق بين عبادة الرائي بنفسه وعبادة المشبه بالرائي
بنفسه فان لم تكن تراه فاستمر على احسانك العبادة فانه يراك اذ هو القائم على كل
نفس بما كسبت المشاهد لكل احد من خلقه في حركته وسكونه وان للشرط ولم تكن تراه جملة
وقعت فعل الشرط فان قلت فاين جزاء الشرط قلت محذوف تقديره فان لم تكن تراه فاحسن
العبادة فانه يراك فان قلت لم لا يكون فانه يراك جزاء الشرط قلت لا يصح لانه ليس مسببا
عنه وينبغي ان يكون فعل الشرط سببا في وقوع الجزاء كما تقول ان جيتني اكرمك فان المجيء هو السبب
للاكرام وعدمه سبب لعدمه[٢] وههنا عدم روية العبد ليست سبب لروية الله تعالى فان
الله سبحانه وتعالى يراه سوا وجدت من العبد رويته ام لم توجد وحكي عن محمد بن سكران وهو من مشاهير
مشايخ بغداد المتاخرين انه وقف على قوله وهو اشارة الى مقام المحو و الفنا وتقديره فان لم
تكن اي تصر شيا وفنيت عن نفسك حتى كانك ليس بموجود فانك حينئذ تراه فانها الحجاب بينك وبين
شهوده فان من القى الحجاب راى الجناب وهو شبيه بما حكي عن ابي يزيد فانه قال رايت رب العزة
في المنام فقلت يا رب كيف الطريق اليك فقال تخل نفسك وتعال قال الصلاح الصفدي
وغفل هذا القايل للجهل بالعربية على انه لو كان المراد ما زعم لكان قوله تراه محذوف الالف
لانه يصير مجزوما لكونه على زعمه جواب الشرط وتعقبه الدماميني بقوله انما تصح هذه
الدعوى التي عارض بها الصفدي لو كان الجواب في هذه الصورة مما يجب جزمه وهو ممنوع
فقد نص الامام جمال الدين بن مالك في التسهيل على ان الشرط اذا كان منفيا بلم جاز رفع
الجواب بكثرة وكفانا حجة على ان الشراح قبلوا هذا منه ولم يتعقبوه وعليه فيصح قولنا ان لم يقم
زيد يقوم عمرو ويتخرج عليه الحديث فلا يكون رفع الفعل المضارع الذي هو تراه
مانعا من دعوى كونه جوابا للشرط انتهى وقوله ان تعبد الله كانك تراه اشارة الى
حال المشاهدة وقوله فان لم تكن تراه فانه يراك اشارة الى حال المراقبة قال بعضهم

[٢] قوله سبب لعدمه ليس بمسلم لان قد يترتب وانما يترتب عنده فكون الجزاء فانه يراك لا شي عليه كذا بخط ...

من راقب الله في خواطره عصمه في جوارحه وسيل ابن عطا ما افضل الطاعات فقال مراقبة الحق على دوام
الاوقات وراي شخص مسافر غلاما يرعى غنما فقال تبيع من هذه الغنم واحدة فقال انها ليست لي
فقال قل لصاحبها ان الذيب اخذ منها واحدة فقال الغلام واين الله وقال ابو عبد الله الرازي
سمعت اباعثمان يقول لي ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لقلبك ولنفسك ولا يغرنك
اجتماعهم عليك فانهم يراقبون ظاهرك والله يراقب باطنك قال فاخبرني عن الساعة اي عن زمن
وجودها ووقت قيامها لا عنها نفسها لانها مقطوع بها وهي لغة مقدار من الزمان غير معين و لا
محدود لقوله تعالى ما لبثوا غير ساعة وفي عرف اهل الميقات جزء من اربعة وعشرين جزا من اوقات
الليل والنهار وفي عرف اهل الشرع عبارة عن القيمة وهو المراد هنا واصلها سوعة بتحريك الواو
قلبت الفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وسميت ساعة مع طول زمانها اما لوقوعها بغتة لانها
تفجا الناس في ساعة فتموت الخلق كلهم بصيحة واحدة حتى ان من تناول لقمة لم يمهل حتى يبتلعها وحتى
ان الرجلين يكون بينهما الثوب لا يتبايعانه ولا يطويانه ولذا قال المفسرون في قوله تعالى ما
ينظرون الا صيحة واحدة تاخذهم وهم يخصمون اي يتخاصمون في متاجرهم ومعاملاتهم فيموتون
في مكانهم واما لسرعة حسابها واما تسمية للكل باسم البعض والمراد اول ساعاتها واما لانها
على طولها عند الله كساعة على الخلق واما لان طولها على الكفار واما المومنون فانها تكون
عليهم كساعة لحديث ابي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في يوم كان
مقداره خمسين الف سنة فقلت ما اطول هذا فقال النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي
بيده ليخفف على المومن حتى يكون اخف عليه من صلاة المكتوبة يصليها في الدنيا قال ما المسيول
ما نافية بمعنى ليس وفي رواية ابي فروة فنكس فلم يجبه ثم اعاد فلم يجبه ثلاثا ثم رفع راسه فقال
ما المسيول عنها اي عن زمنها باعلم خبرها وزيدت الباء لتاكيد معنى النفي من السايل اي
كلانا سوا في عدم العلم بزمن وقوعها ان الله عنده علم الساعة ان الساعة اتية اكاد اخفيها
يسئلونك عن الساعة ايان مرسيها قل انما علمها عند ربي الايات وفي الصحيح مفاتح الغيب
خمس لا يعلمهن الا الله وتلى ان الله عنده علم الساعة الاية قال مقاتل نزلت هذه الاية في
رجل من اهل البادية اسمه عبد الوارث بن عمرو بن حارثة اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
ان امراتي حبلى فاخبرني ماذا تلد وبلادنا جدبة فاخبرني متى ينزل الغيث وقد علمت
متى ولدت فاخبرني متى اموت وقد علمت ما عملت اليوم فاخبرني ماذا اعمل غدا واخبرني
متى تقوم الساعة فانزل الله هذه الاية فان قلت لم قال ما المسيول عنها باعلم من السايل والمقام
يقتضي ان يقال لست باعلم بها منك فالجواب انه اتى بذلك اشعارا بالتعميم وتعريضا
للسامعين بان كل مسيول وكل سايل كذلك ووقع هذا السوال والجواب بين عيسى ابن مريم
وجبريل لكن كان عيسى سايلا وجبريل مسيولا كما اخرجه الحميدي في افراده عن الشعبي قال
سال عيسى بن مريم جبريل عن الساعة فانتفض باجنحته وقال ما المسيول عنها باعلم
من السايل اهـ فان قلت قوله صلى الله عليه وسلم بعثت انا والساعة كهاتين
يدل على ان عنده منها علما والايات تقتضي ان الله تعالى منفرد بعلمها فالجواب كما قال
الحليمي بالحساب اي واشار والوسطى اهـ

الحق انه لا يدل ذلك الحديث الا على قربها دون تعيين وقتها هـ

وبهذا القول قال عليه الصلاة والسلام انا السا... رفع الي الدنيا فانا انظر اليها فيما ... الحديث اهـ

الحليمي ان معناه انا النبي الاخير فلا يليني نبي اخر وانما يليني القيمة والحق كما قال رجع ان الله
سبحانه وتعالى لم يقبض نبينا عليه الصلاة والسلام حتى اطلعه على كل ما ابهمه عنه الا انه امره
بكتم بعض والاعلام ببعض فان قلت ما الحكمة في انه قال له صدقت فيما سيعدون ما هنا
وما سياتي فالجواب ان مسلما زاد في رواية عمارة بن القعقاع قول السايل صدقت عقب كل جواب
فبعض الرواة اقتصر وبعضهم اتم وفي الحديث دلالة على انه يطلب من العالم اذا سيل
عما لا يعلم ان يقول لا اعلم ولا يكون ذلك منقصا لمرتبته بل يستدل به على ورعه وتقواه
ومن ثم سيل النبي صلى الله عليه وسلم اي بقاع الارض افضل فقال لا ادري حتى اسيل جبريل فساله
فقال لا ادري حتى اسيل العالم ثم ذهب واتاه فقال ان الله عز وجل يخبرك ان خير بقاع الارض
المساجد وشر بقاعها الاسواق رواه البزار وقال علي كرم الله وجهه وابردها على كبدي
اذا سيلت عما لا اعلم ان اقول لا اعلم وقال الهيثم بن جميل شهدت مالكا رضي الله عنه سيل
عن ثمان واربعين مسيلة فقال في اثنين وثلاثين منها لا ادري وقيل سيل عن اربعين فاجاب عن
اربع وقال في الباقي لا ادري وكان يقول ينبغي ان يورث العالم جلساه قول لا ادري حتى
يكون ذلك اصلا في ايديهم يفزعون اليه فاذا سيل احدهم عما لا يدري قال لا ادري قال اخبرني
عن اماراتها بفتح الهمزة بالجمع اذ هي بالكسر الولاية اي علاماتها سمي الشرط علامة لانهم يعلمون
انفسهم بعلامات يعرفون بها وقيل مقدماتها وقيل صغار امورها وقيل اوايلها وروي
امارتها بالافراد والمراد اشراطها السابقة لا المقارنة او المضايقة كطلوع الشمس
من المغرب وخروج الدابة ومن ثم قال القرطبي امارات الساعة قسمان ما يكون من نوع
المعتاد وغيره والمذكور هنا الاول واما غير المعتادة كطلوع الشمس من مغربها فتلك مقارنة
او مضايقة قال ان تلد الامة اي الجارية وفي رواية البخاري اذا ولدت الامة وهي كما
قال الحافظ ابن حجر كالكرماني اولى لاشعارها بتحقيق الوقوع قال الكرماني ولهذا يصح
ان يقال اذا قامت القيمة كان كذا لا ان قامت القيمة كان كذا بل يكفر قايله لاشعاره
بالشك فيه انتهى ويتعين حمل كلامه على من عرف هذا المعنى واعتقده فكثيرا ما تستعمل
ان موضع اذا وبالعكس لاعراض وقد بسط في علم المعاني وال في الامة لتعريف الماهية
او للمعهود عند المخاطب دون الاستغراق لعدم اطراد ذلك في كل امة ربتها بنا التانيث
اي سيدتها يقال فلانة ربة ... اي سيدته وهن ربات الحجال وفي رواية ابي فروة ربها اي سيدها
وفي رواية عثمان بن غياث اربابهن بلفظ الجمع وقد اختلف في معناه على اوجه الاول
قال الخطابي واكثر العلما انه كناية عن كثرة السراري اللازمة لكثرة الفتوح
والاستيلا على بلاد الكفر وسبي ذراريهم حتى تلد السرية بنتا او ابنا لسيدها فيكون
ولدها سيدها كابيه اي لان قوة الاسلام وبلوغ امره غايته منذر بالتراجع والانحطاط
الموذن بقرب القيمة وتعقبه الحافظ ابن حجر بان ايلاد الاما كان موجودا حين المقالة

فاتبع امارات الساعة الكبرى ... نزول عيسى عليه السلام وخروج الدجال ويأجوج ومأجوج وطلوع الشمس من المغرب ودابة الارض وخسف بالمشرق والمغرب وجزيرة العرب ودخان ... الدنيا ونار تسوق الناس الى ارض المحشر اهـ

زنا ثم

والاستيلا علي بلاد الكفر وسبي ذراريهم واتخاذهم سراري كان اكثره في صدر الاسلام والسياق يقتضي
الاشارة الي وقوع مالم يقع مما سيقع قرب قيام الساعة قال الحربي انه كناية عن كون الارقا يلدن
الملوك فتكون ام الملك من جملة رعيته وهو سيدها وسيد غيرها من رعيته ويريد ان الروسا في
الصدر الاول كانوا يستنكفون غالبا عن وطي الاما ويتنافسون في وطي الحراير ثم انعكس الامر سيما
في اثنا دولة بني العباس لكن رواية ربتها بالتا لا تساعدها لندور كون الانثي ملكة الثالث انه كناية
عن كثرة بيع المستولدات لفساد الزمان حتي يشتري الولد امه وهو عارف بها او حيث لا يشعر فالعلاقة
الاستهانة بالاحكام الشرعية او غلبة الجهل الناشي عنه بيع ام الولد قال المولف وهذا لا يختص بامهات
الاولاد بل يتصور في غيرهن فان الامة قد تلد حرا بوطي غير سيدها بشبهة او ولد رقيقا بنكاح او
زنا ثم تباع بيعا صحيحا وتدور في الايدي حتي يشتريها ولدها الرابع ان ولد ام الولد لما كان سببا
في عتقها بموت ابيه اطلق عليه ذلك مجازا الخامس انه كناية عن كثرة عقوق الاولاد لامهاتهم
فيعاملونهم معاملة السيد امته من الاهانة والسب واطلق عليه ربها مجازا لذلك ويستانس له
برواية ان تلد المراة وبخبر لا تقوم الساعة حتي يكون الولد غيظا السادس ان المراد بالرب المربي
فيكون حقيقة قال الحافظ ابن حجر هذا اوجه الاوجه عندي لعمومه ومحصله ان الساعة يقرب قيامها
عند انعكاس الامور بحيث يصير المربي مربيا والعالم متعلما والسافل عليا وايد بانه المناسب
لقوله في العلامة الاخري وان تصير الحفاة العراة ملوك الارض وح فقول بعضهم في الرد عليه انه ليس باوجه
الاوجه بل اضعفها لان النبي صلي الله عليه وسلم انما عد هذا من اشراط الساعة لكونه علي نمط خارج علي
وجه الاستغراب دال علي فساد احوال الناس والذي ذكره ليس من هذا القبيل غير ظاهر بعد الانصاف
ان قوله ربتها بالتانيث بعده ووقع في بعض الروايات ان تلد الامة بعلها والصحيح ان البعل
بمعني السيد فيكون بمعني ربها علي ما سلف قال اهل اللغة بعل الشي ربه ومالكه قال تعالي اتدعون بعلا
اي ربا قاله ابن عباس وغيره وعن ابن عباس لم ادر معني البعل حتي قلت لاعرابي لمن هذه الناقة فقال انا بعلها
وضلت ناقة لبعض الاعراب فجعل ينادي من راي ناقة انا بعلها فجعل الصبيان يقولون له زوج الناقة
وقيل المراد هنا الزوج ويكون معناه انه يكثر بيع السراري حتي يتزوج الانسان امه وهو لا يدري وهذا
ايضا معني صحيح الا ان الاول اظهر لانه اذا امكن حمل الروايتين في القصة الواحدة علي معني واحد كان اولي
فان قيل كيف اطلق الرب علي غير الله وقد ورد النهي عنه بقوله لا يقل احدكم ربي وليقل سيدي ومولاي
فالجواب ان الممنوع اطلاقه علي غير الله بدون الاضافة اما بالاضافة فلا يمنع يقال رب الدار ورب
الناقة وان تري الحفاة جمع حاف بالمهملة وهو من لا نعل له العراة من الثياب جمع عار وهو المتجرد
من الثياب الذي لا شي علي جسده وفي رواية الحفرة اي الخدمة وال للمعهود عند المخاطب او للتعريف
الماهية لا الاستغراقية لقضا العادة بان كلا منهم لا يحصل له ذلك العالة بتخفيف اللام اي
الفقرا جمع عايل من عال افتقر ككاتب وكتبة والف في العالة منقلبة عن يا والاصل عيلة
والعيلة باسكان اليا الفقر قال تعالي وان خفتم عيلة رعاء بكسر اوله وبالمد جمع راع كجياع جمع

حاع

42

جايع ويجمع ايضا على رعاة بضم اوله وهاء اخره مع القصر كقضاة جمع قاض وعلى رعيان كشاب
وشبان والرعي حفظ الغير لمصلحة الشاء جمع شاة وهو من الجموع التي يفرق بينها وبين
مفردها بالهاء كشجر وشجرة وتمر وتمرة زاد الاسماعيلي في رواية الصم البكم اي لم يستعملوا اسماعهم
ولا السنتهم في علم ونحوه من امر دينهم فلعدم حصول ثمرتي السمع والكلام صاروا كانهم
عدموهما ومن ثم قال تعالى في حقهم اوليك كالانعام بل هم اضل وفي رواية لمسلم رعاء البهم بفتح البا
الموحدة جمع بهمة وهي صغار الضان والمعز وقيل اولاد الضان خاصة واقتصر عليه الجوهري
وفي رواية البخاري رعاء الابل البهم بضم البا لا غير جمع ابهم وهو الذي لا شية له قاله الكرماني
وقال القاضي جمع بهيم وهو الاسود الذي لا يخالطه لون غيره وعلى رواية البخاري فيه وجهان
الرفع صفة لرعاء والجر صفة الابل وعلى الرفع المعنى انهم مجهولوا الانساب وقيل سود
الالوان وقيل الذين لا شية لهم قال في الفتح ووقع في رواية الاصيلي بفتحها ولا يتجه مع
ذكر الابل وانما يتجه مع ذكر الشاء او مع عدم الاضافة وخص مطلق الرعاء لانهم اضعف
الناس ورعاء الشاء لانهم اضعف الرعاة من ثم قيل ~~الرعاء~~ رعاء الشاء انسب بالسياق من رعاء الابل
البهم فانهم اصحاب فخر وخيلا وليسوا عالة ولا فقراء غالبا ويجاب بانه فخرهم انما هو بالنسبة لرعاء الشاء
لا غير الرعاء فالقصد حاصل بذكر مطلق الرعاء ولكنه برعاء الشاء ابلغ فان قلت القصة غير
متعددة فكيف الجمع بين الروايتين فالجواب كما قال الهيتمي انه يحتمل انه صلى الله عليه وسلم
جمع بينهما فقال رعاء الابل والشاء فحفظ راو الاول واخر الثاني يتطاولون في البنيان اي
يتفاخرون بطول البناء وكثرته وقد اخرج ابن ابي الدنيا عن عمار بن ابي عمار انه قال اذا رفع
الرجل بناءه فوق سبعة اذرع نودي يا افسق الفاسقين الى اين ومثله لا يقال من قبل الراي
والتفاعل فيه بين افراد العراة الموصوفين بما ذكر لا بينهم وبين غيرهم ممن كان عزيزا قبل
خلافا لمن وهم فيه وهو مفعول ثاني ان جعلت الروية قلبية وحال ان جعلت بصرية ومعناه
ان اهل البادية واشباههم تبسط لهم الدنيا ويصيرون اهل ثروة وشوكة فيملكون
البلاد ويتوطنونها فيبنون القصور المرتفعة ويتباهون بها فهو اشارة الى كون
الاسافل يصيرون ملوكا او كالملوك ويتولى الرياسة من لا يستحقها ويتعاطى السياسة
من لا يحسنها وفي الحديث يوجر ابن ادم في كل شي الا ما يضعه في التراب وما رسول
الله صلى الله عليه وسلم لم يشد بنيانا ولا طوله وروى البيهقي في شعب الايمان
عن انس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بنى بناء اكثر مما يحتاج اليه
كان عليه وبالا وفي رواية عبد بن حميد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل ما انفق العبد
من نفقة فعلى الله خلفها ضامنا فيه الا نفقة في بنيان او معصية وعن عمر بن عبد
العزيز انه كان لا يبني بيتا ويقول سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فانه لم يضع
لبنة على لبنة ولا قصبة على قصبة وعن ميسرة قال ما بنى عيسى عليه السلام
بنيانا قط فقيل له الا تبني بيتا فقال لا اترك بعدي شيئا من الدنيا اذكر به وعن

لعل وجه الرفع كونها ترى مبنيا للمفعول لا هو

وعلى الجر الابل السود لانها انسب الابل عندهم وخيرها الحمر التي يضرب بها المثل فيقال خير من حمر النعم صح صح صح

اي انهم لم يدع الحاجة اليه وورد انه صلى الله عليه وسلم خرج فرأى قبة مشرفة فقال ما هذه قالوا هذه لرجل من الانصار فجاء فسلم فاعرض عنه ففعل ذلك مرارا حتى علم الرجل فهدمها اخرجه ابن حجر

ابن مطيع انه نظر يوما الى داره فاعجبه حسنها فبكى ثم قال والله لولا الموت لكنت بك مسرورا
ولولا ما نصير اليه من ضيق لقرت بالدنيا اعيننا ثم بكى حتى ارتفع صوته ومن ثم صح لا تقوم
الساعة حتى يكون اسعد الناس بالدنيا لكع بن لكع قال اهل اللغة اللكع اللئيم والمراة لكاع
اي لئيم بن لئيم وصح ايضا من اشراط الساعة ان توضع الاخيار وترفع الاشرار فان قيل الامارات
جمع واقله ثلاث على الاصح ولم يتكلم الا على اثنين فالجواب ان هذا ورد على مذهب من يرى
ان اقله اثنان او حذف الثالث لحصول المقصود بما ذكر كما قيل في قوله تعالى ايات بينات
مقام ابراهيم او المذكور من الاشراط ثلاثة وانما بعض الرواة اقتصر على الاثنين منها فذكرهما
الولادة والتطاول وذكر البخاري في التفسير الولادة ورؤية الحفاة وذكر في رواية اخرى ثلاثة
وذكرها بين العلامتين بخذ برالمحاضرين وغيرهم منهما والا فالساعة لها علامات كثيرة كقبض
العلم وكثرة الزلزال وكثرة الفتن وفيض المال حتى لا يجد الرجل من يدفع له الزكاة وكثرة الهرج
يعني القتل واضاعة الصلاة والامانة واكل الربا وخروج الدجال وخروج ياجوج وماجوج وطلوع
الشمس من مغربها وخروج الدابة المشار اليها بقوله تعالى واذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابة
من الارض تكلمهم ان الناس كانوا باياتنا لا يوقنون قال الترمذي فتخرج ومعها عصى موسى وخاتم
سليمان فتجلو وجوه المومنين بالعصى وتختم انف الكافر بالخاتم حتى ان اهل المائدة الواحدة يجتمعون
فينادي بعضهم لبعض يا مومن ويا كافر لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب حتى ان الرجل يتعوذ
منها بالصلاة فتاتيه من خلفه وتقول يا فلان الان صليت قيل وهذه الدابة هي الفصيل الذي كان
لناقة صالح عليه السلام فلما عقرت امها هرب وانفتح له حجر فدخلت فيه فانطبق عليها
وهي فيه الى وقت خروجها ولقد احسن من قال واذكر خروج فصيل ناقة صالح يسم الورى بالكفر والايمان
قال الشيخ محمد المصري في تفسيره انها الجساسة[٣] روي ان طولها ستون ذراعا ولها قوائم وزغب يعني دابة الدجال ه[٣]
وريش وجناحان وتسير في الارض لا يدركها طالب ولا ينجو منها هارب وقيل هي فصيل ناقة
صالح وروي انها على خلقة الادميين وهي في السحاب وقوائمها في الارض وانها جمعت من خلق
كل حيوان وانها تخرج ومعها عصى موسى وخاتم سليمان فتجلو المومن بالعصى وتختم انف
الكافر بالخاتم فيعلم الكافر من المومن وينقطع بخروجها الامر بالمعروف والنهي عن المنكر
ولا يومن كافر كما اوحى الله الى نوح انه لن يومن من قومك الا من قد امن وقيل انها تخرج من
الصفا وروي انه عليه الصلاة والسلام سيل عن مخرجها فقال من اعظم المساجد حرمة على الله
يعني المسجد الحرام وقيل تخرج من تهامة وقيل من مسجد الكوفة من حيث فار تنور نوح وقيل
غير ذلك ثم ان اول الايات العظام المؤذنة بتغير الاحوال العامة من معظم الارض خروج
الدجال ثم نزول عيسى ثم خروج ياجوج وماجوج والاول الايات العظام المؤذنة بتغير
احوال العالم العلوي طلوع الشمس من مغربها ولعل خروج الدابة في ذلك الوقت او قريب
منه واول الايات المؤذنة بقيام الساعة النار التي تحشر الناس ثم انطلق السايل اي

ذهب

اي ذهب فلبثت بضم التاء للمتكلم اخبارا عن نفسه اي مكثت وفي رواية فلبث اي النبي صلى الله
عليه وسلم يعني امسك عن الكلام مليا بتشديد المثناة التحتية من غير همز ومنه واهجرني
مليا اي زمنا طويلا وجا في رواية ابي داوود والترمذي انه لبث ثلاثا وظاهرها انها ثلاث
ليال ولا ينافيها ما ورد انه صلى الله عليه وسلم ذكره في المجلس لان عمر لم يحضر مجلس النبي صلى الله عليه
وسلم بل كان قام مع الذين توجهوا اما في طلب الرجل او لشغل اخر ولم يرجع مع من رجع لعارض
فاخبر النبي صلى الله عليه وسلم الحاضرين في الحال ولم يتفق الاخبار لعمر الا بعد ثلاثة ايام ومليا
من الملاوة وهي طول المدة يقال عشت عنه ملاوة من الدهر بالحركات الثلاث ومنه يقال الليل
والنهار الملوان ثم قال اي النبي صلى الله عليه وسلم يا عمر تخصيصه من بين الصحابة بالذكر
يدل على جلالة ورفعة مقامه ومنزلته عند النبي صلى الله عليه وسلم اتدري من السائل قلت
الله ورسوله اعلم قال زين العرب في شرحه للمصابيح لم يقل اعلم لان من التفضيلية مقدرة
اي الله ورسوله اعلم من غيرهما انتهى وفيه حسن ما كان عليه الصحابة من مزيد الادب
معه لردهم العلم الى الله واليه كذا ذكره الشارح الهيتمي ومن المعلوم ان ذلك انما يحسن
عده من الادب ان لو كانوا يعلمون من السائل وردوا العلم اليه اجلالا له وهم كانوا غير عالمين
قطعا الا ان يقال ان فيه حسن الادب من جهة تفويض العلم اليهما بخلاف لا نعلم قال فانه
جبريل اسم سرياني غير منصرف للعلمية والعجمة وهو مركب من جبر وهو العبد وايل
وهو الله او الرحمن او العزيز وذهب ابن العربي الى ان هذا وما شابهه اضافته مقلوبة
كما في كلام العجم يقولون في غلام زيد زيد غلام فيكون ايل عبارة عن العبد واوله عبارة عن
اسم من اسمائه والاكثرون على الاول وجبريل له ستمائة جناح ومن وراء ذلك له جناحان
اخضران لا ينشرهما الا في ليلة القدر وله جناحان اخران لا ينشرهما الا عند هلاك القرى
وقد ورد انه اقتلع مداين قوم لوط ورفعها حتى سمع اهل السما صياح الديكة ونباح الكلاب
حتى جعل عاليها سافلها وفيه لغات كسر الجيم والرا ومثناة تحتية ساكنة والثانية كذلك لكن
الجيم مفتوحة والثالثة فتح الجيم والرا فهمزة بعدها مثناة تحتية وبلا مثناة بعد الهمزة وفيه
لغات اخر اوصلها بعضهم الى ثلاث عشرة لغة اتاكم يعلمكم بسبب سواله لان الموصول بعد
الطلب اعز من المساق بلا تعب ونسبة التعليم اليه مجاز والا فالمعلم حقيقة هو النبي صلى الله
عليه وسلم وقوله يعلمكم جملة حالية لكنها حال مقدرة لانه لم يكن حال الاتيان معلما دينكم اي
قواعده وكلياته واستفيد منه ان الدين هو مجموع الايمان والاسلام والاحسان ولا ينافيه
ان الدين وحده يسمى اسلاما كما سيصرح به ورضيت لكم الاسلام دينا لانه كما يطلق
على الثلاثة يطلق على الاول منها وحده واطلاقه على هذين المعنيين اما بالاشتراك او بالحقيقة
والمجاز او بالمتواطي ففي الحديث اطلق الدين على مجموع الثلاث وهو احد مدلوليه وفي الاية
اطلقه على هذا الفرد وهو الاخر واما الجواب بان دينا لا عموم له لانه نكرة ونصبه على

التمييز والتقدير رضيت لكم الاسلام من الدين وهي خصلة من الخصال الثلاث فمنع بقوله ان
الدين عند الله الاسلام فانه صريح بان الاسلام جميع الدين لا بعضه رواه مسلم في كتاب
الايمان الحديث الثالث عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن عمر القرشي العدوي المكي وامه زينب
بنت مظعون بن حبيب بن وهب بن حذافة الجمحي اخت عثمان بن مظعون اسلم بمكة قديما مع ابيه
وهو صغير وهاجر معه ولا يصح قول من قال انه اسلم قبل ابيه وهاجر قبله ولم يشهد بدرا وعرض
على النبي صلى الله عليه وسلم قبل احد وهو ابن اربع عشرة سنة فرده ثم عرض عليه يوم الخندق وهو ابن
خمس عشرة سنة فاجازه ثم لم يتخلف بعد عن النبي صلى الله عليه وسلم وهو احد العبادلة الاربعة وثانيهم
ابن عباس وثالثهم عبد الله بن عمرو بن العاص ورابعهم عبد الله بن الزبير ووقع في مبهمات النووي
وغيرها ان الجوهري اثبت ابن مسعود منهم وحذف ابن عمرو وليس كذلك لانه مات قبل اشتهار
الاربعة بالعبادلة واحد الستة الذين هم اكثر الصحابة رواية وثانيهم ابو هريرة وثالثهم ابن عباس
ورابعهم عايشة وخامسهم جابر ابن عبد الله وسادسهم انس بن مالك وزاد العراقي في
شرحه الفيته سابعا وهو ابو سعيد الخدري وذكر بعضهم انهم سبعة فزاد الصديقة
موضع ابي سعيد وذكر موضع جابر سعدا ونظمهم بقوله سبع من الصحب فوق الالف قد نقلوا
من الحديث عن المختار خير مضر ابو هريرة سعد عايش انس صديقه وابن عباس كذا ابن عمر
فيوخذ من مجموع ذلك انهم تسعة قلت وفي ذكر الصديقة نوع نظر لان جملة ما روي عنه مائة حديث
واثنان وسبعون حديثا كما قاله المص في تهذيبه والسبب في قلة الرواة عنه مع تقدم وسبق
وملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم انه تقدمت وفاته قبل انتشار الحديث واعتنا
الناس بسماعه وتحصيله وحفظه انتهى قال جابر ما منا الا من نال من الدنيا ونالت منه
الا عمر وابنه وقال طاووس ما رايت رجلا اورع من ابن عمر ولا احدا اعلم من ابن عباس قال
سعيد بن المسيب لو كنت شاهدا لاحد من اهل العلم بانه من اهل الجنة لشهدت لعبد الله بن
عمر وجلس في الحجر هو ومصعب وعروة وعبد الله بن الزبير فقال تمنوا فقال ابن الزبير اما
انا فاتمنى الخلافة قال عروة واما انا فاتمنى ان يوخذ عني العلم قال مصعب واما انا فاتمنى
امارة العراق والجمع بين عايشة بنت طلحة وسكينة بنت الحسين وقال ابن عمر واما انا فاتمنى
المغفرة فنالوا ما تمنوا ولعل ابن عمر قد غفر له وروي عنه انه قال كان الرجل في حياة رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا راى رويا قصها على النبي صلى الله عليه وسلم وكنت انام في المسجد على
عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم لاني كنت غلاما شابا عزبا فرايت في النوم كان ملكين اخذاني
فذهبا بي الى النار فاذا هي مطوية كطي البير واذا فيها ناس قد عرفتهم فجعلت اقول اعوذ
بالله من النار فلقيهما ملك اخر فقال لي لن تراع فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة
على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل فكان عبد الله
بعد ذلك لا ينام من الليل الا قليلا وفي رواية اخرى انه قال رايت في المنام كان بيدي قطعة
استبرق ولا اشير به الى مكان في الجنة الا طارت بي اليه فقصتها حفصة على رسول الله صلى

الله عليه وسلم

صلى الله عليه وسلم فقال ان اخاك رجل صالح او ان عبد الله رجل صالح وعن عبد الله بن ابي عثمان
قال كان عند عبد الله بن عمر جارية يقال لها رميثة فقال اني سمعت الله عز وجل يقول في
كتابه لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون واني والله كنت لاحبك في الدنيا اذهبي
فانت حرة لوجه الله تعالى ولولا اني لا اعود في شي جعلته لله لنكحتك فانكحها نافعا
وهي ام ولده وقال نافع كان ابن عمر اذا اشتد عجبه لشي من ماله قربه لله عز وجل وربما
تصدق في المجلس الواحد بثلاثين الف وحج ستين حجة واعتمر الف عمرة وحمل على الف
فرس في سبيل الله واعتق الف رقبة وكان ارقاوه قد عرفوا ذلك منه فربما شمر احدهم فلزم
المسجد فاذا راه ابن عمر على تلك الحالة الحسنة اعتقه فيقول له اصحابه يا ابا عبد الرحمن ما بهم الا
ان يخدعوك فقال ابن عمر من خدعنا بالله انخدعنا له وراح على نجيب له قد اخذه بمال فلما
اعجبه سيره اناخه مكانه ثم نزل عنه فقال يا نافع انزعوا زمامه ورحله وجللوه واشعروه
وادخلوه في البدن وعن ابي هلال ان عبد الله بن عمر نزل الجحفة وهو شاك فقال اني
لاشتهي حيتانا فالتمسوا له فلم يجدوا الا حوتا واحدا فاخذته امراته صفية بنت ابي
عبيد وصنعته ثم قربته اليه فاتى مسكين حتى وقف عليه فقال له ابن عمر خذه فقال اهله
سبحان الله قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه فقال ان شهوتي مما اريده وعن نافع انه اشتكى
فاشتري له عنقود عنب بدرهم فجا المسكين يسال فقال اعطوه اياه فخالف اليه انسان
فاشتراه منه ثم جا به اليه فجا المسكين يسال فقال اعطوه اياه ثم خالف اليه انسان فاشتراه
منه بدرهم ثم جا به اليه فجا المسكين يسال فقال اعطوه اياه ثم خالف اليه انسان فاشتراه
منه بدرهم فاراد ان يرجع فمنع ولو علم ابن عمر بذلك العنقود ما ذاقه واعطاه ابن جعفر
في رقيقه نافع عشرة الاف دينار فقال له عاصم بن محمد يا ابا عبد الرحمن فماذا تنتظر ان تبيع فهلا
ما هو خير من ذلك هو حر لوجه الله عز وجل وعن ميمون بن مهران قال اتي ابن عمر اثنان وعشرون
الف دينار في مجلس فلم يقم حتى فرقها وبعث اليه معاوية بماية الف فما حال الحول وعنده منها
شي وكان لا يسال احدا شيا وكان يقول لا اسال احدا شيا ولا ارد ما رزقني الله وعنه
ايضا ان امراة ابن عمر عوتبت فيه فقيل لها ما تلطفين هذا الشيخ فقالت فكيف اصنع به
ما صنع طعاما الا دعا اليه من ياكله فارسلت الى قوم من المساكين كانوا يجلسون بطريقه اذا
خرج من المجلس فاطعمتهم وقالت لهم لا تجلسوا في طريقه ثم جا الى بيته وقال ارسلوا الى فلان
وفلان وكانت امراته ارسلت اليهم بطعام وقالت ان دعاكم فلا تاتوه فقال ابن عمر اردتم
ان لا اتعشى تلك الليلة فلم يتعش تلك الليلة وعن ابي بكر بن حفص انه كان لا ياكل
طعاما الا وعلى خوانه يتيم وعن يحيى الغساني انه جا سايل فقال لابنه اعطه دينارا
فلما انصرف قال له ابنه تقبل الله منك يا ابتاه فقال لو علمت ان الله تقبل مني سجدة واحدة
او صدقة واحدة بدرهم لم يكن غايب احب الي من الموت اتدري ممن يتقبل الله انما يتقبل

الله من المتقين وشرب ماء مبردا فبكى واستد بكاؤه فقيل له ما يبكيك فقال ذكرت آية في كتاب الله تعالى وحيل بينهم وبين ما يشتهون فعرفت ان اهل النار لا يشتهون شيا شهوتهم الما البارد وقد قال الله تعالى افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله وكان اذا قرا الم يان للذين آمنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله بكى حتى يغلبه البكا وكان يقول لا يصيب عبد شيا من الدنيا الا نقص من درجاته عند الله عز وجل وان كان عند الله كريما توفي بمكة عن اربع وثمانين وقيل ستة وثمانين وذلك سنة اربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين شهيدا فان الحجاج خطب يوما فاخر الصلاة فقال له ابن عمر ان الشمس لا تنتظرك فقال قد هممت ان اضرب الذي فيه عيناك فقال له عبد الله ابن عمر انك سفيه مسلط فتغير من ذلك وامر رجلا فسم زج رمحه اي الحديدة التي في اسفله فزحمه في الطواف ووضع الزج على قدمه فمرض اياما ولما دخل عليه الحجاج ليعوده قال لو اعلم الذي اصابك لضربت عنقه فقال ابن عمر انت الذي اصبتني واوصى ان يدفن في الحل فلم تنفذ وصيته وصلى عليه الحجاج ودفن بذي طوى في مقبرة المهاجرين وقيل بفخ بفتح الفا والخا المعجمة موضع بقرب مكة وقيل بالمحصب وقيل بسرف وكلها مواضع بقرب مكة بعضها اقرب من بعض وروي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف حديث وستماية وثلثون حديثا اتفق الشيخان منها على ماية وسبعين وانفرد البخاري بثمانين ومسلم باحد وثلاثين رضي الله عنهما اشار به الى ان كلا من ذكر صحابيا وله اب صحابي ان يترضى عنهما قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم اي كلامه وفي نسخة النبي صلى الله عليه وسلم يقول فالمسموع الصوت لا الشخص كما مر بني بالبنا للمفعول اي اسس الاسلام اذ اصل البنا يكون في المحسوسات لا في المعاني ففيه تشبيه معنوي بحسي فان المصطفى صلى الله عليه وسلم لبلاغته اراد ان يفيد اصحابه ما لا عهد لهم به فصاغ لهم امثلة من اساليب كلامهم ليفهموا بما يعرفون ما لا يعرفون ووجه الشبه ان البنا الحسي ان انهدم بعض اركانه لا يتم فكذلك البنا المعنوي ولذا قال صلى الله عليه وسلم الصلاة عماد الدين فمن اقامها فقد اقام الدين ومن تركها فقد هدم الدين وكذلك بقية المعاني وفي قوله بني استعارة بالكناية وهي عند صاحب التلخيص ان يضمر التشبيه في النفس لا يصرح بشي من اركانه سوى المشبه والدلالة على ذلك التشبيه بذكر شي من خواص المشبه به ويسمى تخييلا لانه يخيل ان المشبه من جنس المشبه به فشبه الاسلام ببناء عظيم محكم له دعايم واركانه الابنية بقواعد ثابتة محكمة حاملة لذلك البنا فذكر المشبه وطوى ذكر المشبه به واسند اليه ما هو من خواص المشبه به وهو البنا وهو تخييل ويجوز ان يكون استعارة تبعية بان تقدر الاستعارة في بني والقرينة الاسلام شبه ثبات الاسلام واستقامته على هذه الاركان ببناء الخباء على الاعمدة الحسية ثم اشتق منه لفظ بني فوقعت اولا في المصدر ثم سرت في الفعل والاول اظهر على متعلق بقوله بني خمس اي دعايم كما صرح به عبد الرزاق في روايته وفي رواية لمسلم خمسة اي خمسة اشيا او اركان او اصول قال الكرماني وهنا دقيقة جليلة وهي ان اسما العدد انما يكون تذكيرها بالتا وتانيثها بسقوطها اذا كان المميز مذكورا والا جاز الامران كما صرح به النحاة وذكره النووي في شرح مسلم في حديث من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فكانما صام الدهر كله فان قيل ما له بني الاسلام على خمس يلزم

ويجوز ان تكون استعارة تمثيلية ه

عليه

عليه بنا الشيء على نفسه لان الاسلام هو هذه الامور الخمسة والمبني لابد ان يكون غير المبني عليه
فالجواب من وجهين الاول ان المراد بالاسلام التنزل العام الذي هو اللغوي لا الشرعي الذي هو فعل
الواجبات الثاني ان على بمعنى الباء او بمعنى من كما في قوله تعالى الا على ازواجهم وقوله اذا اكتالوا على الناس
يستوفون ولا حاجة الى جواب بعضهم بان الاسلام عبارة عن المجموع والمجموع غير كل واحد من اركانه
مثاله البيت من الشعر يجعل على خمسة اعمدة احدها اوسط والبقية اركان فما دام الاوسط قايما
فيسمى البيت موجودا ولو سقط مهما سقط من الاركان فاذا سقط الاوسط سقط مسمى البيت
فالبيت بالنظر الى مجموعه شيء واحد وبالنظر الى افراده اشيا فانه قيل الاربعة الاخيرة مبنية على الشهادة
اذ لا يصح منها شيء الا بعد وجودها فكيف يضم مبني الى مبني عليه ويدخلان في سلك واحد فالجواب
انه يجوز ان يبنى امر على امر يبنى على الامرين امر اخر الثاني ان الاربعة ليست مبنية على الشها
دة بل صحتها موقوفة عليها وذلك غير معنى بني الاسلام على خمس وقوله على خمس وجه الحصر في
الخمسة ان العبادة اما قولية او غيرها الاولى الشهادتين والثانية اما تركية او فعلية الاولى
الصوم والثانية اما بدنية او مالية او مركبة منهما الاولى الصلاة والثانية الزكاة والثالثة
الحج شهادة بجر مع ما بعده بدلا من خمس بدل الكل من كل وهو الاحسن ويجوز رفعه بتقدير مبتدا
اي هي او احدها او خبر اي منها وهو الاولى لايثارهم حذفه على حذف المبتدا لان الخبر كالفضلة
بالنسبة اليه ويجوز نصبه باضمار اعني ان لا اله الا الله وان محمد عبده ورسوله اضافة تشريف قال
الحافظ ابن حجر ولم يذكر الايمان بالملايكة وغيرهم مما في خبر جبريل لانه اراد بالشهادة تصديق
الرسول في كل ما جاء به فيستلزم ذلك واقام اصله اقوام فنقلت فتحة الواو الى الساكن قبلها فحذفت
الواو لالتقاء الساكنين وعوض عنها التا فيقال اقامة والمضاف اليه كما صرح به ههنا يعني
الصلاة واقامة الصلاة كناية عن الاتيان بها باركانها وشروطها وايتا اي اعطا الزكاة الى
اهلها او الامام ليوصلها اليهم فحذف المفعول الاول للعلم به وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم
قال قال من فرق بين ثلاث فرق بينه وبين احبته يوم القيمة من قال اطيع الله ولا اطيع
الرسول والله تعالى يقول اطيعوا الله واطيعوا الرسول ومن قال اقيم الصلاة ولا اتي الزكاة
والله تعالى يقول اقيموا الصلاة واتوا الزكاة ومن فرق بين شكر الله وشكر والديه والله تعالى
يقول ان اشكر لي ولوالديك وروى البخاري عن ابي هريرة رض قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اتاه الله مالا فلم يود زكاته مثل له يوم القيمة شجاع اقرع له زبيبتان يطوقه يوم القيمة
ثم ياخذ بلهزمتيه اي بكسر اللام والزاي بينهما ها ساكنة يعني شدقيه اي بكسر الشين المعجمة
وهما جانبا الفم ثم يقول انا مالك انا كنزك ثم تلا ولا يحسبن الذين يبخلون الاية والشجاع من الحيات
هو الحية الذكر الذي يواثب الفارس والراجل ويقوم على ذنبه وربما بلغ الفارس ويكون
في الصحاري وقيل كل حية شجاع والاقرع من الحيات الذي تمعط راسه وابيض من السم والزبيبتان
بزاي معجمة مفتوحة فموحدتين بينهما تحتية ساكنة نقطتان منتفختان في جانب شدقيه
من السم كالرغوتين ويكون ذلك في شدق الانسان اذا غضب واكثر من الكلام وقال ابن دريد

نقطتان سوداوتان فوق عينيه وقيل بجانب فمه وهو اوحش ما يكون من الحيات واخبثه
وفي تلاوة الرسول الاية عقب ذلك دلالة على انها نزلت في مانعي الزكاة وفي الحديث ما من
صاحب ذهب ولا فضة لا يؤدي حقهما الا اذا كان يوم القيمة صفحت له صفايح من نار فيكوى
بها وجهه وجنباه وظهره كلما بردت اعيدت له في يوم كان مقداره خمسين الف سنة حتى
يقضي الله بين العباد فيرى سبيله اما الى الجنة واما الى النار وخصت هذه الثلاثة بالكي
لبشاعته وشهرته في الوجه والجنب والظهر لانه اوجع واشد الما وقيل الوجه لتقبيسه في وجه
السائل اولا والجنب لازوراره عن السايل ثانيا والظهر لانصرافه اذا الح ثالثا وقيل غير
ذلك وحج بفتح الحاء لغة الحجاز وكسرها لغة نجد وكلاهما مصدران وقيل المكسور اسم والمفتوح مصدر
البيت وصوم رمضان الاضافة فيهما من اضافة الحكم الى سببه لان سبب الحج البيت ولهذا
لا يتكرر لعدم تكرر البيت والشهر يتكرر فيتكرر الصوم ووقع في هذه الرواية تقديم الحج على
الصوم وفي رواية لمسلم عن ابن عمر تقديم الصوم عليه وقدمت الشهادتان لانهما ملاك الامر كله
واصله اذ الباقي مبني عليهما ومشروط بهما وبهما النجاة في الدارين ثم الصلاة لان الله تعالى جعلها
في كتابه العزيز تالية للايمان بقوله الذين يومنون بالغيب ويقيمون الصلاة ولانها عماد الدين
ويقتل تاركها ولشدة الحاجة اليها لتكررها في كل يوم وليلة خمس مرات ثم الزكاة لانها قرينة
الصلاة في اكثر المواضع ولانها قنطرة الاسلام ولاعتناء الشارع بذكرها اكثر من غيرها من
الصوم والحج في الكتاب والسنة ولشمولها المكلف وغيره كما هو مذهب اكثر العلماء ثم الحج للتغليظات
الواردة فيه من نحو ومن كفر فان الله غني عن العالمين ونحو قوله صلى الله عليه وسلم من لم تحبسه
حاجة ولم يحج فليمت ان شا يهوديا وان شا نصرانيا فبالضرورة يقع الصوم اخلا وقوله من لم
تحبسه حاجة اي من مرض او ظالم وعلى الرواية الثانية قدم الصوم على الحج لتقدم زمن وجوب
الصوم لان وجوبه كان في السنة الثانية وفرضية الحج في سنة ست وقيل تسع بالمثناة الفوقية
ولانه اعم وجوبا ولتكرره في كل عام ولوجوبه على الفور اجماعا بخلاف الحج ولان العبادة اما بدنية
محضة او مالية محضة او مركبة منهما والمفرد مقدم على المركب طبعا فقدم عليه وضعا ليوافق
الوضع الطبع وافهم ظاهر الحديث ان المكلف لا يكون مسلما عند ترك شي من الاربعة الاخيرة
لكن صرفه عن ظاهره انعقاد الاجماع على ان العبد لا يكفر بترك شي منها واما قوله عليه الصلاة والسلام
من ترك الصلاة متعمدا فقد كفر فهو محمول على الزجر والوعيد او مول بما اذا كان مستحلا
او محمول على كفران النعمة فايدة اعلم ان الحج يكفر الصغاير اتفاقا وكذا الكباير على الاظهر كما قاله
الابي وابن حجر واما التبعات فقال القرافي لا يسقطها وظاهر كلام ابن حجر وغيره اسقاطه
اياها للاحاديث الواردة في ذلك واجمعوا على عدم سقوط قضا ما ترتب عليه من الصلوات
والكفارات وحقوق الادميين من دين وغيره انتهى قال شيخنا علي الاجهوري في شرحه

على

على مختصر الشيخ خليل وقال الزيادي في شرح المنهج امر بغير الصغاير والكباير حتى التبعات
على المعتمد اذا مات في الحج او بعده ولم يتمكن من ادائها ولم يذكر في الحديث الجهاد مع انه المظهر للدين
ومع كونه ذروة سنام الامر كما ياتي لانه فرض كفاية يسقط باعذار كثيرة ولا يتعين الا في بعض الاحيان
بخلاف المذكورات في الحديث فانها فرايض اعيان بل قد ذهب جماعة الى ان فرض الجهاد قد سقط بعد فتح
مكة وذكر انه مذهب ابن عمر والثوري وابن سيرين ونحوه لسحنون من اصحابنا الا ان ينزل العدو بقوم
او يامر الامام بالجهاد فيلزم عند ذلك رواه البخاري في التفسير والايمان رباعيا ومسلم في الايمان
والحج خماسيا الحديث الرابع عن ابي عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل بمعجمة وفا بن حبيب
بن شمخ بن فار بن مخزوم بن صاهلة بن كاهل بن الحارث بن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة
بن الياس بن مضر وامه ام عبد بنت عبد بن سواد بن هذيل ايضا رضي الله عنه اسلم لما مر
به النبي صلى الله عليه وسلم وهو يرعى غنما لعقبة بن ابي معيط فقال له يا غلام هل عندك من لبن
تسقينا قال نعم ولكنني موتمن قال هل عندك جذعة لم ينز عليها الفحل قال نعم فاتاه بها فمسح صلى
الله عليه وسلم ضرعها ودعا فامتلا ضرعها باللبن ثم اتاه ابو بكر بصخرة منقعرة فحلب فيها فشرب
منها وسقى ابا بكر ثم قال للضرع اقلص فقلص ويقال انه كان سادسا في الاسلام وهاجر الى
الحبشة الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد كلها وكان صاحب سر رسول الله صلى الله عليه وسلم ووساده
وسواكه ونعليه وطهوره في السفر وكان يشبه بالنبي صلى الله عليه وسلم في هديه وسمته وكان خفيف
اللحم قصيرا احمش الذراع شديد الادمة وكان من اجود الناس ثوبا واطيب الناس ريحا وكان دقيق
الساقين اخذ يجتني سواكا من الاراك فجعلت الريح تكفاه فضحك القوم منه فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم مم تضحكون قالوا يا رسول الله من دقة ساقيه فقال والذي نفسي بيده
لهما في الميزان اثقل من احد وفي رواية انه صعد شجرة فانكشف ساقه فضحك بعض القوم
فقال عليه السلام لساق عبد الله في الميزان اثقل من احد وكان صلى الله عليه وسلم يكرمه ويدنيه ولا
يحجبه فلذلك كان كثير الولوج عليه صلى الله عليه وسلم ويمشي معه وامامه بالعصا ويستره اذا اغتسل
ويوقظه اذا نام ويلبسه نعليه اذا قام فاذا جلس ادخلهما في ذراعيه قال ابو موسى الاشعري رضي الله عنه
لقد رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وما ارى الا ابن مسعود من آل بيته وعن علقمة قال جا رجل
الى عمر وهو بعرفه فقال جيت يا امير المومنين من الكوفة وتركت بها رجلا يملي المصاحف عن ظهر
قلبه فغضب وانتفخ حتى كاد يملا ما بين شعبتي الرحل فقال من هو ويحك قال عبد الله بن مسعود
فما زال يطفا ويسرا عنه الغضب حتى عاد الى حالته التي كان عليها ثم قال ويحك لم اعلم احدا بقي من
الناس هو احق بذلك منه وساحدثك عن ذلك كان صلى الله عليه وسلم لا يزال يسمر عند ابي بكر الليلة
كذلك في الامر من امور المسلمين وانا سمر عنده ذات ليلة وانا معه فخرج رسول الله وخرجنا معه
فاذا رجل قايم يصلي في المسجد فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمع قراته فلما كدنا نعرفه قال عليه
عليه الصلاة والسلام من سره ان يقرا القران رطبا كما انزل فليقراه على قراة ابن ام عبد قال ثم

وبشره النبي بالجنة وقال رضيت لامتي ما رضي لها ابن ام عبد وسخطت لها ما سخط لها ابن ام عبد اهـ ابن حجر

جلس الرجل يدعو فجعل رسول الله سل تعطه قال عمر قلت والله لاغدون عليه ولابشرنه فغدوت
اليه لابشره فوجدت ابا بكر قد سبقني اليه وبشره ولا والله ما سابقته الي خير الا سبقني اليه وكان
قليل الصوم كثير الصلاة فقيل له في ذلك فقال لاني اذا صمت ضعفت عن الصلاة والصلاة عندي
اولي وعن الشعبي قال ذكروا ان عمر بن الخطاب لقي ركبا في سفر له فيهم عبد الله بن مسعود فامر عمر
رجلا يناديهم من اين القوم فاجابه عبد الله اقبلنا من الفج العميق فقال اين تريدون فقال عبد
الله البيت العتيق فقال عمر ان فيهم عالما فامر رجلا فناداهم اي القران اعظم فاجابه عبد الله
الله لا اله الا هو الحي القيوم حتي ختم الاية قال فناداهم اي القران احكم فقال ابن مسعود ان الله
يامر بالعدل والاحسان الاية فقال عمر فنادهم اي القران اجمع فقال ابن مسعود فمن يعمل مثقال
ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره قال عمر فنادهم اي القران اخوف فقال ابن مسعود ليس
بامانيكم ولا اماني اهل الكتاب من يعمل سوا يجز به الاية فقال عمر فنادهم اي القران ارجي فقال ابن
مسعود يا عبادي الذين اسرفوا علي انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية قال عمر فنادهم افيكم ابن
مسعود قالوا اللهم نعم وعن مسروق قال قال عبد الله والله الذي لا اله غيره ما نزلت اية في كتاب
الله الا وانا اعلم اين نزلت وفيم نزلت ولو اعلم ان احدا اعلم بكتاب الله مني تناوله المطي لاتيته
وعن مسروق انه قال انتهي علم اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الي ستة عمر وعلي وعبد
الله ابن مسعود وابي بن كعب وابي الدرداء وزيد بن ثابت وجعل الشعبي ابا موسي الاشعري
بدل ابي الدرداء ثم انتهي علم هولاء الستة الي رجلين علي وعبد الله وعن عمرو بن ميمون قال
اختلفت الي عبد الله بن مسعود سنة ما سمعته فيها يحدث عن رسول ولا يقول فيها قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا انه احدث ذات يوم بحديث فجري علي لسانه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم فعلاه الكرب حتي رايت العرق يتحدر من جبهته ثم قال ان شا الله اما فوق ذلك واما
قريب من ذلك واما دون ذلك وكان يقول وددت اني اذا مت لم ابعث وخرج ذات يوم
فاتبعه ناس فقال لهم الكم حاجة قالوا لا ولكنا اردنا ان نمشي خلفك قال ارجعوا فانه ذلة
للتابع وفتنة للمتبوع وعن ابي الاحوص انه قال دخلنا علي ابن مسعود وعنده بنون له ثلاثة غلمان
كانهم الدنانير حسنا فجعلنا نتعجب من حسنهم فقال لهم كانكم تغبطونني بهم قلنا اي والله بمثل
هذا يغبط المرء المسلم فرفع راسه الي سقف بيت له قد عشش فيه خطاف وباض فقال
والذي نفسي بيده لان اكون نفضت يدي من تراب قبورهم احب الي من ان يسقط عش هذا الخطاف
وينكسر بيضه وعن الحسن انه قال قال عبد الله بن مسعود ما ابالي اذا رجعت الي اهلي علي اي حال اراهم
بسراء ام بضراء وما اصبحت علي حال فتمنيت اني علي سواها وجاء رجل فقال اوصني يا ابا عبد الرحمن
فقال ليسعك بيتك واكفف لسانك وابك علي خطيئتك وولي قضا الكوفة وبيت مالها لعمر
وصدرا من خلافة عثمان ثم سار الي المدينة فمرض بها ودخل عليه عثمان بن عفان في مرض موته فقال له
ما تشتكي قال ذنوبي قال فما تشتهي قال رحمة ربي قال الا امر لك بطبيب قال الطبيب امرضني قال الا امر لك
لاولادك قال اني لا اخشي عليهم الفقر بعد ان علمتهم سورة الواقعة يقرؤونها كل ليلة ومات بالمدينة
علي الاصح وقيل مات بالكوفة سنة اثنين وثلاثين عن بضع وستين سنة وكفن في حلة بمايتي درهم

وصلى عليه عثمان وقيل عمار بن ياسر وقيل الزبير وهو الاشهر وكان صلى الله عليه وسلم قد اخى بينهما
وصلى عليه ليلا ودفن بالبقيع بايصايه بذلك ولم يعلم به عثمان فعتبه على ذلك روى له ثمانماية
حديث وثمانية واربعون حديثا اتفقا منها على اربعة وستين وانفرد البخاري باحد وعشرين
ومسلم بخمسة وثلاثين روى عنه الخلفا الاربعة وكثير من الصحابة ومن بعدهم قال حدثنا اي انشا
لنا خبر لحادثا وهو بمعنى اخبرنا وانبانا عند مالك والحنفي والجمهور وللمتاخرين المحدثين
ان حدثنا لما سمع من الشيخ واخبرنا لما قرئ عليه وانبانا لما اجازه رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو الصادق في جميع ما يقوله حتى قبل النبوة والصدق هو الخبر المطابق للواقع المصدوق
اي المصدق فيه اي الذي ياتيه جبريل بالصدق من عند الله تعالى او الذي صدق الله وعده والجمع
بينهما تاكيد او يلزم من احدهما الاخر والجملة حالية او اعتراضية وهو كما قال الطيبي اولى لتعم
الاحوال كلها وتوذن بان ذلك من دابه وعادته بخلاف الحالية لايهامها اختصاص ذلك ببعض
الاحوال انتهى وعكس ذلك ابن صياد فانه كاذب ومكذوب ولذا ورد ان عمر بن الخطاب
انطلق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من اصحابه قبل ابن صياد حتى وجدوه يلعب مع الصبيان
في اطم بني مغالة وقد قارب يوميذ الحلم فلم يشعر حتى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ظهره بيده
ثم قال لابن صياد ما ذا ترى قال ياتيني صادق وكاذب واري عرشا على الما فقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم خلص عليك الامر انه جزم به ابن الجوزي بان الرواية بالكسر فقط وقال ابو البقا
لا يجوز في انه هنا الا الفتح لانها وما عملت فيه مفعول حدثنا فلو كسرت لكان مستانفا عن قوله حدثنا
وجزم النووي في شرح مسلم بانه بالكسر على الحكاية وجوز الفتح ووجه ابو البقا ان الكسر على خلاف
الظاهر لا يجوز العدول عنه الا لمانع ولو جاز من غير ان يثبت به النقل لجاز في مثل قوله تعالى ايعدكم
انكم اذا متم وقد اتفق العلما على انها بالفتح وتعقبه القاضي شمس الدين الجويني بان الرواية جاءت
بالفتح والكسر فلا معنى للرد قال ولو لم تجئ به الرواية لما امتنع جوازا على طريقة الرواية بالمعنى واجاب
عن الاية بان الوعد مضمون الجملة وليس مخصوصا بلفظها فلذلك اتفقوا على الفتح واما هنا فالتحديث
يكون بلفظه ومعناه احدكم اي معشر بني ادم وخصهم بالذكر لان الانسان اشرف من البهايم لانه اجتمع
فيه ما تفرق في غيره قال تعالى لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم واحد هنا بمعنى واحد فلذلك استعملت
في الثبوت وجوز استعمالها ايضا في النفي بخلاف احد التي للعموم فانها لا تستعمل الا في النفي نحو لا احد
في الدار اصله وحد فقلبت الواو المفتوحة همزة على غير قياس بخلاف المضمومة كوجوه واجوه
فانه مقيس والمكسورة كوسادة واسادة ووشاح واشاح فانه قيل سماعي وقيل قياسي يجمع
بضم اليا وسكون الجيم وفتح الميم مبنيا للمفعول وهو ضم ما شانه الافتراق والتنافر وقيل
تقريب الاشيا بضم بعضها الى بعض اي يضم بعضه الى بعض بعد انتشار النطفة في ساير البدن
وتحت كل ظفر وشعر لان المني يقع في الرحم حين انزعاجه بالقوة الشهوانية الدافقة
متفرقا فيجمعه الله في محل الولادة من الرحم في المدة المذكورة وقال ابن الاثير في النهاية يجوز

ان يريد بالجمع مكث النطفة في الرحم لتتخمر فيه حتى تتهيا للتصوير خلقه كذا رواه مسلم ولفظ البخاري
في التوحيد وابي داود في السنة خلق احدكم يجمع بفتح فسكون وهو على حذف مضاف اي مادة خلقه
وهو المني الذي يتخلق منه او انه عبر بالمصدر عن الجثة ومنه قوله تعالى يبدا الخلق ثم يعيده وقوله ان يشاء
يذهبكم ويات بخلق جديد ويجوز ان يقال ان الله تعالى خلق الخلق خلافا للزاعمين منع ذلك
او بمعنى المفعول كقولهم هذا ضرب الامير اي مضروبه وهذا شهوة العليل اي مشتهاه في بطن اي
رحم فهو من قبيل ذكر الكل وارادة الجزء والرحم جلدة مستديرة مغلقة يعرف فمها الى اسفل تنقبض
ولا تنحل الا عند شهوة الجماع واصله من الرحمة لانه مما يتراحم به وذكر ابن القيم ان داخل الرحم خشن
كالسفنج وجعل فيه قبول للمني كطلب الارض العطشى للماء فجعله الله طالبا مشتاقا اليه بالطبع فلذلك
يمسكه ويشتمل عليه ولا يزلقه بل ينضم عليه لئلا يفسده الهواء قال علي ابن ابي طالب رضي الله عنه ان
للرحم افواها وابوابا فاذا دخل المني للرحم من باب واحد خلق الله عز وجل منه جنينا واحدا واذا
دخل من بابين خلق الله منه ولدين واذا دخل من ثلاثة ابواب خلق الله منه ثلاثة اولاد فيكون عدد
الاجنة في الرحم بعدد دخول المني من افواه الرحم اربعين يوما زاد البخاري او اربعين ليلة
على الشك وفي رواية سلمة بن كهيل اربعين ليلة بغير شك وجمع بان المراد يوم بليلته او ليلة بيومها
نطفة اصلها الماء الصافي القليل يقال نطفت قربتك اي قطرت ونطف الماء اي قطر سمي المني
بذلك لقلته وقيل سمي بذلك لنظافته اي سيلانه من قولهم ماء ناطف اي سايل واصل ذلك ان ماء
الرجل اذا لاقى ماء المراة في الجماع واراد الله ان يخلق منه جنينا هيا اسباب ذلك لان الرحم له
قوتان قوة انبساط عند ورود ماء الرجل حتى ينتشر في جسدها وقوة انقباض حتى لا يسيل عن
فرجها مع كونه منكوسا ومع كون المني مثقلا بطبعه وفي مني الرجل قوة الفعل وفي مني المراة قوة الانفعال
فعند الامتزاج يصير مني الرجل كالانفحة للبن وقيل في كل منهما قوة فعل وانفعال لكن الاول في الرجل اكثر
والمراة بالعكس وزعم كثير من اهل التشريح ان مني الرجل لا اثر له في الولد الا في عقده وانه انما يتكون
من دم الحيض وترده احاديث الباب وحديث ان الله تعالى يخلق عظام الجنين وغضاريفه من مني
الرجل وشحمه ولحمه من مني المراة وما قيل من ان الله تعالى لما اراد خلق ادم عليه السلام واخذ الميثاق من
ذريته جعل بعض الماء في اصلاب الرجال وبعضه في ارحام الامهات فاذا اجتمع الماءان صار ولدا وهو صريح
قوله تعالى يا ايها الناس انا خلقناكم من ذكر وانثى ثم انه في الاربعين الاولى لا يختلط ماء الرجل بماء المراة بل يكونان
متميزين ولا يغير احدهما الاخر وذلك كحكمه تعالى في البحرين بين العذب والملح لا يغير احدهما الاخر
ولا يختلط به قال تعالى مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لا يبغيان وفي الاربعين الثانية يختلط
احدهما بالاخر وفي الاربعين الثالثة يصور اعضاء الجنين وسياتي بعد ذلك ما يتعلق بالتصوير وقد
ورد في الحديث ان النطفة اذا استقرت في الرحم اخذها الملك بكفه فقال يا رب مخلقة ام غير مخلقة
فان قال غير مخلقة قذفها في الارحام دما وان قيل مخلقة فقال يا رب ذكر ام انثى شقي ام سعيد ما الاجل

ما الاثر

متميزا حتى يستهلها لتلتقي ولا يختلط احد الماءين بالاخر في هذه المدة بل يكونان متميزين ولا يغير احدهما الاخر ح

ما الاثر باي ارض تموت فيقال له انطلق الى ام الكتاب فانك تجد قصة هذه النطفة فينطلق فيجد
قصتها في ام الكتاب فتاكل رزقها وتطا اثرها فاذا اجاء اجلها قبضت فدفنت في المكان الذي
قدر لها ثم بعد تمامها يكون اي يصير علقة اي دما غليظا سمي بذلك لعلوقه اي ارتباطه
ببعضه اي لرطوبته لانه يعلق بما مر عليه فاذا جف لم يكن علقة والتانيث للوحدة اي علقة واحدة
فان قلت خلق الانسان من علق جمع علقة فالجواب ان الانسان في معنى الجمع فلذا قال من علق وايضا
لتوافق رووس الاية مثل ذلك الزمن الذي هو اربعون يوما تمييزا بالنصب صفة علقة ثم عقب الاربعين
الاربعين الثانية يكون مضغة اي قطعة لحم صغيرة قدر ما يمضغ كالغرفة اي ما يغرف ومن ثم سميت
مضغة مثل ذلك اي اربعين يوما وهي الاربعون الثالثة فايدتان الاولى ذكر في الحديث الاطوار
الثلاثة وكذا في القران العظيم فذكر النطفة والعلقة والمضغة وذكر في موضع اخر زيادة عليها
فقال في سورة المومنين ولقد خلقنا الانسان من سلالة من طين ثم جعلناه نطفة في قرار مكين ثم خلقنا
النطفة علقة فخلقنا العلقة مضغة فخلقنا المضغة عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه
خلقا اخر فتبارك الله احسن الخالقين ثم تنفخ فيه الروح وكان ابن عباس يقول خلق ابن ادم
من سبع ثم يتلو الاية وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان ادم عليه السلام خلق من
طين فاقام اربعين سنة ثم صار حما مسنونا فاقام اربعين سنة ثم صار صلصالا اي طينا يابسا
يسمع له صلصلة اي صوت ذو نقر فاقام اربعين سنة فتم خلقه بعد ماية وعشرين سنة ثم نفخ
فيه الروح انتهى قال الصوفية خصوصية الاربعين لموافقة تخمير طين ادم وميقات
موسى عليهما السلام لاختصاصهما بالكمال لتركبهما من عشرة واربعة ولكل خاصية في الكمال
اما الاول فلانه غاية الاحاد من غير تكرار واما الثاني فلانه استقر كل مستقيم البنان على اربعة
اركان كالطبايع والفصول الاربعة والحيوان انتهى وح فتوافق العدد بين مدة خلق ادم وخلق
الجنين وذلك بجعل الايام التي في خلق الجنين في مقابلة السنين التي في خلق ادم فلكل سنة
يوم وموافقة الاطوار فالنطفة في مقابلة الطين والعلقة في مقابلة الحما المسنون والمضغة
في مقابلة الصلصال فتبارك الله احسن الخالقين الثانية قال مجاهد اذا حاضت المراة في حملها
كان ذلك نقصانا في ولدها فاذا زادت على التسعة كان تماما لما نقص منه ثم اذا تمت وصار ابن
ماية وعشرين يوما يرسل بالبنا للمفعول وفي رواية البخاري يبعث الملك ولمسلم ثم يرسل
الله الملك والعنية للعهد والمراد ملك مخصوص وهو الملك الموكل بالرحم قال ابن القيم الملك وحده يرسل
اليه ولم يقل يرسل الملك اليه بالروح فيدخلها في بدنه لان الله تعالى ارسل اليه الروح التي
كانت موجودة قبل ذلك بالزمن الطويل مع الملك فان قلت اذا كان المراد بالملك من جعل اليه
امر ملك الرحم فكيف يرسل او يبعث فالجواب كما قال القاضي عياض ان المراد انه يومر بذلك وا
ختلف في اول ما يتشكل من الجنين فقيل قلبه لانه الاساس وقيل الدماغ لانه مجموع الحواس وجمع بينهما
بانه اول ما يتشكل منه من الباطن القلب ومن الظاهر الدماغ وقيل اول ما يتشكل منه السرة وقيل الكبد لان منه النمو

المطلوب اولاً ورجح بعضهم وفي ايجاده على هذا الترتيب العجيب وانتقاله من طور مع قدرته تعالى على ايجاده
كاملاً كساير المخلوقات في طرفة عين من ابدا الاولى انه لو خلقه دفعة واحدة لشق على الام لكونها لم تكن
معتادة كذلك ومن عالم تطق فجعل اولا نطفة لتعتاد به مدة ثم علقة وهلم جرا الى الولادة وكذا قال الخطابي
الحكمة في تاخير كل اربعين يوما ان يعتاده الرحم اذ لو خلق دفعة لشق على الام وربما يظن علة الثانية
اظهار قدرته تعالى وتعليم لعباده التاني في امورهم الثالثة اعلام الانسان بان حصول الكمال المعنوي
تدريجي نظير حصول الكمال الظاهر له فينفخ فيه الروح التي بها يحيى الانسان وحقيقة النفخ
اخراج ريح من النافخ يتصل بالمنفوخ وقد اختلف في الروح على اكثر من الف قول والمعتمد انها
جسم لطيف سار في البدن مشتبك به اشتباك الما بالعود وعروق الشجر ولا يلتفت لقول من
قال انها الدم لان من الحيوانات ما لا دم له ولا لقول من قال انها النفس الداخل والخارج لان من الحيوانات
ما لا نفس له الا عند الموت كالسمك واسناد النفخ الى الملك مجازي عقلي لان ذلك من افعال الله
كالخلق وقوله فينفخ فيه الروح اي ويتحرك فيما بين ذلك الى عشرة ايام وتحس امه بحركته وبذلك
صارت عدة الوفاة اربعة اشهر وعشرا وظاهر الحديث ان الملك ينفخ الروح في المضغة وليس
مرادا بل انما ينفخ فيها بعد ان تتشكل بشكل ابن ادم وتتصور بصورته كما قال تعالى فخلقنا المضغة
عظاما فكسونا العظام لحما ثم انشاناه خلقا اخر بنفخ الروح فيه وقوله اما تقول ليس ظاهر ذلك
وانما ظاهره ان الارسال بعد الاربعين الثالثة المنقضي اسم المضغة بانقضائها وتلك البعدية
لم تتحدد فيحتمل انه بعد الاربعين الثالثة تصور فيه من تبيير وبعد تصويره يرسل الملك فينفخ
فيه الروح وقد صرح القرطبي في المفهم بان التصوير انما هو في الاربعين الرابعة لكن يرد على هذا
انه جاء في حديث حذيفة بن اسيد عند مسلم اذا مر بالنطفة ثلاث واربعون وفي رواية ثنتان
واربعون ليلة وفي رواية خمس واربعون بعث الله اليها ملكا فصورها وخلق سمعها وبصرها
وجلدها ولحمها وعظمها ثم قال يا رب اذكر ام انثى فيقضي ربك ما شا ويكتب الملك ثم يقول
يا رب اجله فيقول ربك ما شا ويكتب الملك ثم يقول يا رب رزقه فيقول ربك ما شا ويكتب
الملك ثم يخرج الملك الصحيفة فلا يزاد ولا ينقص واخرجه الفريابي عن الطفيل عن حذيفة
ايضا بلفظ اذا وقعت النطفة في الرحم ثم استقرت اربعين ليلة يجي ملك الرحم فيدخل
فيصور له عظمه ولحمه وشعره وبشره ثم سمعه وبصره ثم يقول اي يا رب ذكر ام انثى
الحديث قال عياض وحمله على ظاهره لا يصح لان التصوير باثر النطفة واول العلقة في اول
الاربعين الثانية غير موجود ولا معهود وانما يكون في اخر الاربعين الثالثة فمعنى قوله
يصورها الخ انه يكتب ذلك ويفعله في وقت اخر بعد ذلك بدليل قوله بعد اذكر ام انثى اهـ
واورد على قول القاضي لا يكون الا في اخر الاربعين الثالثة انه شوهد التصوير في
كثير في الاجنة في الاربعين الثالثة والاشبه في الجمع ان يقال ان رواية ابن مسعود
باعتبار الغالب او ان ذلك يختلف باختلاف الاشخاص فمنهم من يتصور بعد الاربعين الاولى

ومنهم

ومنهم من لا يتصور الا بعد الاربعين الثالثة او بعدها عملا بحديث ابن مسعود القضية فيه مطلقة لا عموم فيها فتتنادى بصورة وقد وقفت في صور كثيرة او انه عقب الاربعين الاولى يرسل الملك لتصوير تلك العلقة تصويرا خفيا ثم يرسل في مدة المضغة او بعدها فيصورها تصويرا ظاهرا وكذا قال بعضهم يحتمل ان الملك عند انتها الاربعين الاولى يقسم النطفة اذا صارت علقة الى اجزا بحسب الاعضا او يقسم بعضها الى الجلد وبعضها الى اللحم وبعضها الى عظم فيقدر ذلك كله قبل وجوده ثم يتهيا ذلك في اخر الاربعين الثانية ويتكامل في الاربعين الثالثة واجاب بعضهم بان الجنين يغلب عليه في الاربعين الاولى وصف المني وفي الاربعين الثانية وصف العلقة وفي الثالثة وصف المضغة وان كانت خلقته قد تمت وتم تصويره ثم ان نسبة التصوير الى الملك مجازية والمصور في الحقيقة هو الله تعالى لقوله تعالى ولقد خلقناكم ثم صورناكم وقوله تعالى وصوركم فاحسن صوركم ومال بعض الاطبا الى ان التصوير يكون يوم السابع لتصريحهم بان المني اذا نزل بالرحم ازبد وازعد ستة ايام او سبعة وفيها يتصور من غير استمداد من الرحم ثم يستمد منه ويبتدي خطوطه ونقطه بعد ثلاثة ايام من الاستمداد ثم في الخامس عشر ينفذ الدم الى الجميع فيصير علقة ثم تظهر الاعضا ويتنحى بعضها عن مماسة بعض وتمتد رطوبة النخاع ثم بعد تسعة ايام من صيرورته علقة ينفصل الراس عن المنكبين والاطراف عن الاصابع وقالوا واقل مدة يتصور الذكر فيها ثلاثون يوما والزمان المعتدل في تصوير الجنين خمسة وثلاثون يوما وقد يتصور في خمسة واربعين يوما وعليه فما ورد من ان التصوير يكون بعد اربعين يوما محمول على ان المراد وما قارب ذلك والثلاثون وما بعدها قريبة منها وقال المقري في قواعده الولد يتحرك لمثل ما يخلق له ويوضع لمثلي ما يتحرك فيه وهو يتخلق في العادة تارة لشهر فيتحرك لشهرين وثلاث ويوضع لسبعة وتارة لشهر ونصف فيتحرك لثلاث ويوضع لتسع فلذلك لا يعيش ابن ثمانية ولا ينقص الحمل عن ستة اشهر انتهى وروي ان عبد الملك بن مروان ولد لستة اشهر وقال بعض الاطبا ان الولد عند استكمال سبعة اشهر يتحرك للخروج فان تهيا له الخروج خرج وعاش وان لم يتهيا يستريح في البطن عقب الحركة المتعبة المضعفة فلا يتحرك في الشهر الثامن ولهذا يقل تحركه في البطن ايضا فان اتفق تحركه في الشهر الثامن للخروج فيضعف الولد غاية الضعف وهو في نفسه في غاية الضعف فلا يعيش وقال المجنون سببه ان في كل شهر ينتمي الجنين كوكب من الكواكب السبعة المجموعة في قول القايل

زحل شرى مريخه من شمسه فتزاهرت لعطارد الاقمار

ففي الشهر الاول التدبير فيه لزحل وفي الثاني للمشتري الى السابع وفيه التدبير للقمر وهو رطب مناسب للحياة وفي الثامن يعود الى زحل وهو بارد يابس بطي الحركة وهو على مزاج الموت فيموت في الثامن وفي التاسع

يعود الي المشتري وهو بنر سعيد فيكون خيرا وقات الولد عند انتقاله للتاسع ثم انه رتب الاطوار
في الاية الشريفة بالفاء لان المراد انه لا يتخلل بين الطورين طور اخر ورتبها في الحديث بثم اشارة
الي المدة التي تتخلل بين الطورين ليتكامل فيها الطور وانما عبر بثم بين النطفة والعلقة لان النطفة
قد لا تكون انسانا واتي بثم في اخر الاية عند قوله ثم انشاناه خلقا اخر ليدل علي ما يتجدد له بعد
الخروج من بطن امه اما الاتيان بثم في اول الاية بين السلالة والنطفة فاشارة الي ما يتخلل
بين خلق ادم وخلق ولده وقوله تعالي فكسونا العظام لحما وذلك لان اللحم يستر العظم يجعله كالكسوة
له تنبيهان الاول اختلف في تقديم خلق الروح علي الجسد وتاخيرها عنه علي قولين مشهورين
الاول تقديم خلق الروح علي الجسد وبه جزم ابن حزم وادعي به الاجماع واستدل له بحديث اسناده
ضعيف جدا وهو ان الله خلق ارواح العباد قبل العباد بالفي عام فما تعارف منها ائتلف وما تناكر
منها اختلف والثاني ذهب اليه جماعة واستدلوا بقوله في هذا الحديث ان احدكم يجمع خلقه في بطن
امه اربعين يوما الي ان قال ثم يرسل الله الملك فينفخ فيه الروح واجيب بالفرق بين نفخ الروح
وخلقه الثاني محل مقر الروح في حال الحياة القلب علي ما جزم به الغزالي وقد السيوطي وقد ظفرت
بحديث يشهد له اخرجه ابن عساكر في تاريخه وانظر قول الغزالي فانه لا ياتي علي قول الجمهور من انها
جسم لطيف شفاف حي لذاته سار في البدن كما الورد في الورد واما مقرها فاستظهر بعض المتكلمين
انها بقرب القبر ومقرها بعد الحياة مختلف فيه فارواح الانبيا عليهم الصلاة والسلام في الجنة
لقوله تعالي اوليك المقربون في جنات النعيم وارواح الشهدا من المومنين قيل انها في افنية القبور قال
ابن العربي وهو اصح ما ذهب قال ابن عبد البر وهي مع ذلك ما دون لها في التصرف وتاوي الي
محلها من عليين او سجين ويومر الملك وهو عطف علي ينفخ باربع كلمات وفي رواية باربعة
والمعدود اذا ابهم جاز تذكيره وتانيثه والمراد بالكلمات القضايا المقدورة وكل قضية تسمي
كلمة وظاهر هذا الحديث ان النفخ قبل الكتابة وظاهر رواية البخاري ان النفخ بعدها والاولي التعويل
علي رواية البخاري لانها اصح ويمكن رد هذه اليها بان الواو لا ترتب او ان هنا من ترتيب خبر علي
خبر لا من ترتيب الافعال المخبر عنها او ان الكتابة تقع مرتين الاولي في السما والثانية في بطن المراة
ويحتمل ان تكون الاولي في صحيفة والثانية علي الجنين او ان ذلك باختلاف الاجنة فمنهم من
يكتب له ذلك قبل النفخ ومنهم من يكتب له ذلك بعده والاول اولي وظاهر هذا الحديث انه يومر
بهذا الاربع ابتدا وليس كذلك وانما يومر بها بعد ان يسال عنها بقوله يا رب ما الرزق ما الاجل
ما العمل وهل هو شقي او سعيد يكتب ضبط بوجهين احدهما بموحدة مكسورة وكاف مفتوحة
ومثناة ساكنة ثم موحدة في البدل من قوله اربع والاخر بتحتانية مفتوحة بصيغة الفعل
المضارع علي الاستيناف ورواية البخاري فيكتب بزيادة الفا بفتح اليا فيهما مبني للفاعل

او للمفعول وهو اوجه لانه وقع في رواية آدم وابي ذر او دو غيرهما فيوذن باربع كلمات وقوله يكتب اي علي جبهته او بطن كفه او ورقة تعلق بعنقه قاله مجاهد وقال القسطلاني والظاهر ان الكتابة هي الكتابة المعهودة في صحيفته وقد جاء ذلك مصرحا به في رواية لمسلم في حديث حذيفة بن رشيد ثم تطوي الصحيفة فلا يزاد فيها ولا ينقص ووقع في حديث ابي ذر فيقضي الله تعالي ما هو قاض فيكتب ما هو لاق بين عينيه رزقه اي تقديره قليلا او كثيرا او صفته حلالا او حراما او مكروها وهو عند اهل السنة والجماعة ما ساقه الله الي الحيوان فانتفع به بالفعل سوا كان نعما كولد او غيره فيتناول العلم لان الرزق نوعان ظاهر للابدان كالقوت وباطن للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم وخرج ما لم ينتفع به وعند المعتزلة انه المملوك مطلقا انتفع به ام لا وهو فاسد الطرد لدخول ملك الله تعالي فيه ولا يسمي رزقا وفاقا والا لكان تعالي مرزوقا وفاسد العكس لخروج رزق الدواب بل والعبيد والاما عند بعض الايمة الذين يرون ان الرقيق لا يملك وقد قال تعالي وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها وقال تعالي وكاين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها واياكم وهو السميع العليم وسبب نزول الاية الثانية انه لما اذي المشركون المومنين بمكة قال لهم النبي صلي الله عليه وسلم هاجروا الي المدينة قالوا كيف نخرج الي المدينة وليس لنا بها دار ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا فانزلها الله تعالي واجله طويلا او قصيرا وله اطلاقان احدهما مدة الحياة والثاني منتهاها وهو الوقت الذي كتب الله بالازل انتهاء الحياة فيه ومنه قوله تعالي فاذا جا اجلهم لا يستاخرون ساعة ولا يستقدمون وظاهر هذه الاية ان الاجل لا يزيد ولا ينقص واما قوله تعالي وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره الا في كتاب الاية فالضمير في قوله من عمره ليس عايدا علي قوله من معمر الاول بل هو علي طريقة عندي درهم ونصفه اي نصف مثله واما قوله صلي الله عليه وسلم من احب ان يبسط له في رزقه وينسا له في عمره اي يزاد له فيه فليصل رحمه ففيه اجوبة اصحها كما قال النووي ان هذه الزيادة موولة بالبركة في عمره والتوفيق للطاعات وصيانة اوقاته من الضياع وقيل ان الزيادة بالنسبة الي ما يظهر للملايكة في اللوح المحفوظ لان الحق جواز المحو والاثبات من اللوح المحفوظ كصحف الملايكة وقيل ان المراد بالزيادة ذكره بالجميل فكانه لم يمت فان قلت ما فايدة تعلق الزيادة بصلة الرحم مع علمه تعالي بوجودها فيحصل المعلق او بعدمها فلا يحصل فالجواب ان ذلك للترغيب وقد ورد ايضا ان الصدقة تزيد في العمر وكذلك الدعا وكذلك السلام علي كل من لقيه وكذلك اسباغ الوضوء وكذلك حسن الخلق وكذلك المتابعة بين الحج والعمرة وكذلك حسن الجوار وكذلك تسريح الراس ومع اللحية وكذا قال ابن العماد في منظومته ولازم الراس بالتسريح مع ذقن تكفي البلا وتعطي فسحة الاجل وعمله صالحا او فاسدا وشقي في الاخرة خبر مبتدا محذوف اي وهو شقي وقدمه ليعلم انه كالخير

من عند الله ردا على التنوية المثبتين شريكا فاعلا للشر او سعيد فيها ظاهر السياق ان يقول وشقاوته
او سعادته فعدل عنه حكاية لصورة ما يكتب لانه يكتب شقي او سعيد والمراد انه يكتب لكل واحد
اما الشقاوة واما السعادة ولا يكتبان لواحد معا فلذلك اقتصر على اربع والا لقال خمس وقد
قيل انه لما حضرت عبد الرحمن بن عوف الوفاة غشي عليه ثم افاق فقال اتاني الساعة ملكان فقالا لي
انطلق نخاصمك بين يدي العزيز الحكيم فنزعت منهما فاذا ملك ثالث قد نزل من السما فقال خليا
عنه فانه كتب في بطن امه سعيدا انتهى واختلفت الاشاعرة والماتريدية في الشقاوة والسعادة
فقال الاشاعرة هما ازليتان اي مقدرتان في الازل لا يتغيران ولا يتبدلان لان السعادة الموت على الايمان
لتعلق العلم الازلي بها كذلك والشقاوة الموت على الكفر لتعلق العلم الازلي بها كذلك والسعيد من
من علم الله في الازل موته على الايمان وان تقدم منه كفر والشقي من علم الله موته على الكفر وان تقدم
منه ايمان وعلى هذا فلا يتصور في السعيد ان يشقى ولا في الشقي ان يسعد وقال الماتريدية السعيد
هو المسلم والشقي هو الكافر والسعادة الاسلام والشقاوة الكفر وعليه فيتصور ان السعيد
قد يشقى بان يرتد بعد الايمان وان الشقي قد يسعد بان يومن بعد الكفر وان السعادة والشقا
وة غير ازليتان بل يتغيران ويتبدلان ويتفرع على ذلك مسئلة الاستثنا في الايمان فعند
الاشاعرة يجوز ان يقول انا مومن ان شا الله نظرا للمال وهو مجهول الحصول في المستقبل ووا
فقهم الشافعي على ذلك وعند الماتريدية لا يجوز نظرا للحال ووافقهم امامنا مالك والامام ابو
حنيفة واحمد لان الايمان يجب فيه الجزم ولا جزم مع التعليق وقال عبدوس من اتباع مالك
بوجوب التعليق لما في تركه من الجزم الذي فيه تزكية النفس وقد قال تعالى ولا تزكوا انفسكم
وقد نظم ذلك بعض شيوخنا مع زيادة فقال نظما من قال اني مومن يمنع من مقاله ان شا ربي كافطن
وذا لمالك وبعض تابعيه يوجب ان يقول هذا يا نبيه ومثل ما للمالك للحنفي وان فيه جوز هذا فاعرف وذا المالك
وامنعه اجماعا اذا اراد به الشك في ايمانه يا منتبه كعدم المنع اذا به يراد تبرك بذكر خالق العباد
فالحلف حيث لم يرد شكا ولا تبركا فكن بذا محتفلا فان قلت قد جا في الحديث جفت الاقلام وطويت
الصحف اي مضت المقادير بما سبق في علم الله في الازل واذا كانت السعادة والشقاوة
ازليتين فما معنى قوله في الحديث الاخر والشقي من شقي في بطن امه فالجواب ان معناه من علم الملك
شقاوته عند السوال عنه وهو في بطن امه او المراد ان هذا اول اشتهار امره بالشقاوة
والسعادة للملايكة التخليق والا فلله تعالى ان يظهر سعادته او شقاوته لمن يشا من عباده
قبل ذلك كما نقل عن بعض العارفين انه كان يقول لم ازل اعرف تلاميذي واريهم في الاصلاب
من يوم الست بربكم فوالله الذي لا اله غيره فيه الحلف من غير استحلاف ولا كراهة فيه لانه تعظيم
لله واما قول عيسى عليه السلام لبني اسرايل كان موسى ينهاكم ان لا تحلفوا بالله الا وانتم صادقون

وانا انهاكم ان لا تحلفوا بالله صادقين او كاذبين فهو خلاف شرعنا لانه صدر منه صلى الله
عليه وسلم كثيرا وامره الله به فلا وجه لكراهته ويحتمل ان يكون كراهة عيسى خوف
الكثرة فيؤول الى حلف الكذب او تقصر في الكفارة والعافية وسر الحلف هنا اعلم
التعجب من وقوع ذلك والعرب اذا تعجبت من شي اقسمت عليه ومن ذلك قول عروة رضي
الله عنه ان ادم ادخل الجنة يوم الجمعة بعد العصر والله ما غربت الشمس حتى اخرج منها
ان احدكم ليعمل بلام التاكيد بعمل البا زايدة لان عملا اما مفعول مطلق او مفعول به وكلاهما
مستغن عن الحرف فزيادة البا للتاكيد او ضمن معنى يتلبس اهل الجنة يعني من الطاعات
الاعتقادية والقولية والفعلية والجنة دار النعم وهي في الاصل الحديقة ذات الشجر سميت
جنة لكثرة شجرها و نباتها ويقال جنت الرياض جنونا اذا اغتم نبتها حتى ستر الارض ومنه
الجنين لاستتاره عن العيون ويسمى بالبستان لما فيها من الاشجار المتكاثفة المظللة
حتى ما يكون بالرفع لان ما كفت حتى قال الهيتمي وقلد في ذلك قول الشارح الفاكهاني يتعين
ان يكون بالرفع ويمتنع النصب لان ما النافية قطعت عمل حتى عنه انتهى وما زعم من
التعيين ممنوع بل لا يصح فقد قال الطيبي في شرح المشكاة حتى هي الناصبة وما نافية
ولم تكفها ما عن العمل وقال غيره لان معنى ما لنفي الحال فيتعين رفعه وشرط نصبه ان يكون
مستقبلا ونازعه غيره من الاشياخ وقال الفعل هنا مستقبل قطعا وشرط وجوب الرفع
ان يكون حالا حقيقة وان يكون مسببا عما قبله وان يكون فضلة فان كان مستقبلا حقيقة
او لم يكن مسببا عما قبله او كان عمدة وجب النصب وان كان مستقبلا مؤولا بالحال جاز
فيه الوجهان وما هنا اما مستقبل حقيقة وهو الظاهر فيجب نصبه او مؤول به فيجوز نصبه
ورفعه وقال الاشموني ولا يرتفع الفعل بعد حتى الا بثلاثة شروط الاول ان يكون حالا اما
حقيقة نحو سرت حتى ادخلها اذا قلت ذلك وانت في حالة الدخول والرفع حينئذ واجب
او تاويلا نحو حتى يقول الرسول في قراءة نافع والرفع حينئذ جايز والثاني ان يكون
مسببا عما قبلها فيمتنع الرفع ويتعين النصب في نحو لا سيرن حتى تطلع الشمس
الثالث ان يكون فضلة فيجب النصب في نحو سيري حتى ادخلها وكذا كان سيري امس
حتى ادخلها ان قدرت كان ناقصة ولم يقدر الظرف خبرا فتكون منصوبة بحتى ولعل
ولعل لفظة ما لمجرد النفي فتسلخ عن معنى الحالية لتجامع ان التي للاستقبال واجاز
غيره ان تكون حتى ابتدائية بينه وبينها اي وبين الجنة الا ذراع زاد البخاري او
باع وهو تمثيل لشدة القرب فيسبق اي يغلب عليه الكتاب اي مضمون الكتاب
فهو على حذف مضاف او اراد بالكتاب المكتوب والمعنى انه يتعارض عمله في اقتضا
السعادة والمكتوب في اقتضا الشقاوة فيتحقق مقتضى المكتوب فعبر عن ذلك
بالسبق لان السابق يحصل مراده دون المسبوق ولانه لو تمثل العمل والكتاب شخصين

حتى الثالثة فيه بما لها الصدر فلا يعمل ما قبلها فيما بعدها ٥

سابقيه لظهر شخص الكتاب وغلب شخص العمل فيعمل بعمل اهل النار فيدخلها ظاهر هذا
الحديث ان هذا العامل كان عمله صحيحا وانه قرب من الجنة بسبب عمله حتى اشرف على دخولها
وانما منعه من دخولها سابق القدر الذي يظهر عند الخاتمة وعلى هذا فالخوف على التحقيق انما
هو مما سبق اذ لا تبديل له ولا تغيير فاذا الاعمال بالسوابق لكن لما كانت السابقة مستورة
عنا والخاتمة ظاهرة لنا قال صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالخواتيم اي عندنا وبالنسبة الى اطلاعنا
في بعض الاشخاص وفي بعض الاحوال وفي رواية مسلم ان الرجل ليعمل بعمل اهل الجنة فيما يبدو للناس
وهو من اهل النار ومح فعمله لم يكن صحيحا في نفسه وانما كان رياء وسمعة وقد ورد ان راهبا
كان يقال له برصيصا وقد تعبد في صومعته سبعين لم يعص الله فيها طرفة عين حتى اعيى ابليس
فجمع ابليس مردة الشياطين فقال احد منكم من يكفيني امر برصيصا فقال الابيض انا اكفيكه
وهو الذي قصد النبي صلى الله عليه وسلم في صورة جبريل ليوسوس عليه على وجه الوحي فدخل جبريل
بينهما ثم دفعه بيده حتى وقع باقصى الهند فانطلق فتزى بزي الرهبان وحلق وسط
راسه حتى اتى صومعة برصيصا فناداه فلم يجبه وكان لا ينفتل من صلاته الا في كل عشرة ايام
يوما ولا يفطر الا في كل عشرة ايام وكان يواصل العشرة ايام والعشرين والاكثر فلما راى الابيض
انه لا يجيبه اقبل على العبادة في اصل صومعته فلما انفتل من صلاته راى الابيض قائما
يصلي في هيئة حسنة من هيئة الرهبان فندم على عدم اجابته وقال له ما حاجتك فقال الحب
ان اكون معك فاتادب بادابك واقتبس من علمك فقال اناْ في شغل عنك ثم اقبل على
صلاته واقبل الابيض على الصلاة فلما راى برصيصا شدة اجتهاده وعبادته قال له ما حاجتك
قال ان تاذن لي فارتفع اليك فاذن له فقام الابيض معه حولا لا يفطر الا في كل اربعين يوما
يوما وربما مد الى الثمانين فلما راى برصيصا اجتهاده تقاصرت اليه نفسه ثم قال
الابيض عندي دعوات يشفي بها السقيم والمبتلى والمجنون فعلمه اياها ثم جا الى ابليس فقال
والله قد اهلكت الرجل ثم تعرض لرجل فخنقه وقال لاهله وقد تصور في صورة الادميين
ان بصاحبكم جنونا فاذهبوا به الى برصيصا فان عنده اسم الله الاعظم الذي اذا
سيل به اعطى واذا دعي به اجاب فجاه فدعى بتلك الدعوات فذهب عنه الشيطان ثم جعل
الابيض يفعل بالناس ذلك ويرشدهم الى برصيصا فيعافون فانطلق الى جارية من
بنات الملوك بين ثلاثة اخوة فعذبها وخنقها ثم جا اليهم في صورة رجل متطبب ليعالجها
فقال ان شيطانها مارد لا يطاق ولكن اذهبوا بها الى برصيصا فدعوها عنده فاذا
جا شيطانها دعا لها فبريت فقالوا لا يجيبنا الى هذا قال فابنوا له صومعة
في جانب صومعته ثم ضعوها فيها وقولوا له هي امانة عندك فاحتسب فيها فسالوه
ذلك فابى فبنوا صومعة ووضعوا فيها الجارية فلما انفتل من صلاته راى الجارية
وما بها من الجمال فاسقط في يده فجاه الشيطان فخنقها فانفتل من صلاته ودعى لها

فذهب

ثم تتوب

فذهب الشيطان ثم اقبل علي صلاته فجاه الشيطان فخنقها وكان يكشف عنها ويتعرض بها لبرصيصا
ثم جاه الشيطان فقال ويحك واقعها فما تجد مثلها بعد ذلك فلم يزل به حتي واقعها فحملت
وظهر حملها فقال له الشيطان ويحك قد افتضحت فهل لك ان تقتلها ثم تتوب فلا تفتضح
فان جاو ك فسالوك فقل جاها شيطانها فذهب بها فقتلها ليلة ودفنها فاخذ الشيطان
طرف ثوبها حتي بقي خارجا من التراب ورجع برصيصا الي صلاته ثم جا الشيطان الي اخوتها
في المنام فقال ان برصيصا فعل باختكم كذا وكذا وقتلها ودفنها فاستعظموا ذلك فقالوا
لبرصيصا ما فعلت باختنا فقال ذهب بها شيطانها فصدقوه وانصرفوا ثم جاهم الشيطان
في المنام فقال انها مدفونة في موضع كذا وكذا وان طرف ردايها خارج من التراب فانطلقوا
فوجدوها فهدموا صومعته وانزلوه وخنقوه وحملوه الي الملك فاقر علي نفسه فامر بقتله
فلما صلب قال له الشيطان اتعرفني قال لا قال انا صاحبك الذي علمتك الكلمات اما اتقيت
الله اما استحييت وانت اعبد بني اسرايل ثم لم يكفك صنيعك حتي فضحت نفسك و ا
قررت عليها وفضحت اشباهك من الناس فان مت علي هذه الحالة لم يفلح احد من
نظرايك بعدك قال فكيف اصنع قال يطيعني في خصلة واحدة وانجيك منهم واخذ
بابصارهم قال وما ذاك قال تسجد لي سجدة فاطاعه وسجد له من دون الله وروية
هذه القصة علي غير هذا الوجه وان احدكم ليعمل بعمل اهل النار حتي ما يكون بينه وبينها
الا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل اهل الجنة فيدخلها ثم ان من لطف الله وسعة
رحمته ان انقلابهم من الشر الي الخير كثير واما انقلابهم من الخير الي الشر ففي غاية الندور
ونهاية القلة ولا يكون الا لمن اصر علي الكباير وحكي ابن الجوزي في كتاب ذم الهوي
انه كان رجل مسلم يهوي امراة نصرانية فمرض مرض الموت فقال في نفسه انا اعشق
هذه ولم اجتمع بها في الدنيا وان مت علي الاسلام لم اجتمع بها في الاخرة فتنصر ومات
علي النصرانية وكانت المراة مريضة فقالت ان فلانا كان يهواني ولم يجتمع بي في الدنيا
واخشي ان مت علي النصرانية لم يجتمع بي في الاخرة فاسلمت وماتت في مرضها ذلك فايدة
قال صلي الله عليه وسلم علامة الشقاوة جمود العين وقساوة القلب وحب الدنيا
وطول الامل وقال ذو النون المصري علامة السعادة حب الصالحين والدنو منهم
وتلاوة القران وسهر الليل ومجالسة العلما ورقة القلب انتهي وقال شيخنا الاجهوري
في شرحه لمختصر الشيخ خليل ما نصه من علامة البشري للميت ان يصفر وجهه ويعرق
جبينه وتذرف عيناه دموعا ومن علامات السو ان تحمر عيناه وتربد شفتاه
بالرا المهملة بعده با موحدة وفي اخره دال مهملة قال في القاموس الربدة بالضم لون الي
الغبرة رواه البخاري ومسلم في صحيحيهما الحديث لخمس من امهات المومنين في الاحترام
والتعظيم وحرمة النكاح دون الخلوة والنظر وتحريم البنات وكذا يقال في ساير ازواجه

صلى الله عليه وسلم وهل يقال لاخوتهن اخوال لهم واخواتهن خالاتهم ولبناتهن اخواتهم رجح جمع المنع ولا
يقال لآبايهن وامهاتهن اجداد المومنين وجداتهم ويقال لهن امهات المومنات بناء على ان
النسا يدخلن في خطاب الرجال تبعا وتغليبا وهو صلى الله عليه وسلم ابو المومنين في الرافة
ونفي ابوته في قوله تعالى ما كان محمد ابا احد من رجالكم اريد بها نفي ابوة النسب والتبني
ولذلك لم يعش له ابن حتى يصير من الرجال ام عبد الله كناها النبي صلى الله عليه وسلم
بابن اختها اسما عبد الله بن الزبير لما سالته في ذلك والصحيح انها لم تلد قط وذكر السهيلي
في الروض انها القت سقطا ولم يثبت عايشة بالهمز وعوام المحدثين يبدلونها يا بنت
ابي بكر الصديق واسم عبد الله بن ابي قحافة واسم ابي قحافة عثمان وامها ام رومان بضم الراء
وسكون الواو على المشهور وقال ابن عبد البر في الاستيعاب يقال بفتح الرا وضمها بنت
عامر بن عويمر بن عبد شمس رضي الله عنها تزوجها رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة في شوال
قبل الهجرة بسنتين وقيل بثلاث وقيل بنحو ثمانية عشر شهرا وهي بنت ستة سنين وبنى بها
في المدينة في شوال بعد منصرفه من بدر وهي بنت تسع وبقيت عنده تسع سنين وكانت
احب النسا اليه بعد خديجة وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم اربعين سنة وفي التفضيل بينها
وبين خديجة اوجه ذكرها المص في الروضة ثالثها الوقف واختار السبكي في الحلبيات
تفضيل خديجة ثم عايشة ثم حفصة ثم الباقيات سواء واختلف في التفضيل بين عايشة
وفاطمة على ثلاثة اقوال ثالثها الوقف والاصح تفضيل فاطمة لانها بضعة منه وقد صححه
السبكي في الحلبيات وبالغ في تصحيحه ولم يتزوج بكرا غيرها وعا خطبها من ابي بكر قال له
يا رسول الله انها صغيرة لا تصلح ولكن انا ارسلها اليك فان كانت تصلح فهي السعادة الكاملة
فقال ان جبريل اتاني بصورتها على ورقة من الجنة وقال ان الله زوجك بهذه ثم ذهب ابو
بكر الى منزله وملا طبقا من تمر وغطاه وقال يا عايشة اذهبي بهذا الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقولي له يا رسول الله هذا الذي ذكرته لابي بكر ان كان يصلح فما ذكر عليك فمضت
اليه عايشة بالطبق وهي تظن ان ابا بكر يعني التمر قالت عايشة فدخلت على رسول الله صلى
الله عليه وسلم وبلغته الرسالة فقال قبلنا يا عايشة قبلنا وجذب طرف ثوبها قالت فنظرت
اليه مغضبة ودخلت على ابي بكر فاخبرته بما وقع فقال يا بنية لا تظني برسول الله صلى الله عليه
وسلم ظن سوء ان الله قد زوجك به واني قد زوجتك منه قالت عايشة فما فرحت بشي
اشد من فرحي بقول ابي بكر قد زوجتك منه وقد وردانها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ارايت
لو نزلت واديا فيه شجرة قد اكل منها ووجدت شجرة لم يوكل منها في ايهما كنت ترتع بعيرك
قال في التي لم يوكل منها تعني ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكرا غيرها وروي ان النبي صلى
الله عليه وسلم سيل عن قوله تعالى عربا اترابا فقال نسا الدنيا يدخلن الجنة ابكارا فكلما افتضها
زوجها ترجع بكرا فقالت عايشة رضي الله عنها واوجعاه فقال صلى الله عليه وسلم لا وجع في الجنة
يا عايشة وقال عليه الصلاة والسلام خذوا شطر دينكم عن هذه الحميراء والحميراء تصغير حمرا
وان عمرو بن العاص اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال اي الناس احب اليك يا رسول الله قال عايشة
قال من الرجال قال ابوها ثم قال من قال عمر وعن ابي موسى رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم

وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النسا الا مريم بنت عمران واسية امراة فرعون وفضل عايشة
علي النسا كفضل الثريد علي ساير الطعام وعن هشام ابن عروة عن ابيه قال كان الناس
يتحرون بهداياهم يوم عايشة فاجتمع صواحبا تها الي ام سلمة فقالوا يا ام سلمة ان الناس
يتحرون بهداياهم يوم عايشة وانا نريد الخير كما تريد عايشة فمري رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان يامر الناس ان يهدوا اليه حيث ما كان او حيثما دار قال فذكرت ذلك ام سلمة للنبي
صلي الله عليه وسلم فاعرض عنها فلما عاد اليها كررت له ذلك فاعرض عنها فلما كان في الثالثة ذكرت
له ذلك فقال يا ام سلمة لا توذيني في عايشة فانه والله ما نزل علي الوحي وانا في لحاف امراة غيرها
ووهبتها سودة يومها وليلتها فكان لها يومان وليلتان دون بقية امهات المومنين وعن
ابي سلمة قالت عايشة رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم واضعا يديه علي معرفة فرس دحية
الكلبي وهو يكلمه فقلت يا رسول الله رايتك واضعا يديك علي معرفة فرس دحية الكلبي وانت
تكلمه قال اوراتيه قلت نعم قال ذاك جبريل وهو يقريك السلام قالت وعليه السلام
جزاه الله من صاحب ودخيل خيرا فنعم الصاحب والدخيل وقال سفيان الدخيل هو الضيف وروي
سعيد بن المسيب وعلقمة بن ابي وقاص وجماعة ان النبي صلي الله عليه وسلم كان اذا اراد ان يسافر
اقرع بين نسايه فايتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله صلي الله عليه وسلم معه فاقرع بينهن
في غزوة فخرج سهم عايشة فخرجت مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وذلك بعد ما انزل الحجاب
وهي تحمل في هودجها حتي اذا فرغ رسول الله صلي الله عليه وسلم من غزوته وقفل راجعا ودني
من المدينة اذن ليلة بالرحيل فقامت ومشت حتي جاوزت الجيش فلما قضت شانها
اقبلت الي الرحل فلمست صدرها فاذا عقد من اظفار كان معها الا ختها اسما قد انقطع
فرجعت في طلبه فحمل هودجها ظنا انها فيه وسار القوم فرجعت بعد ان وجدته فلم ترا احدا
فيممت المكان الذي كانت فيه وقالت ان القوم سيفقدوني فيرجعون الي فبينما هي جالسة
غلبتها عيناها فنامت وكان صفوان ابن المعطل السلمي متاخرا وراء الجيش فمر بها فراي سواد
انسان نايم فاتاها فعرفها فاسترجع فاستيقظت باسترجاعه ولم تسمع منه كلمة غير استرجاعه
فاناخ راحلته ووطي علي يدها حتي ركبت وانطلق يقود بها الراحلة وهو مولها ظهره حتي ادرك
بها الجيش بعد ما نزلوا فرموها به وقال عبد الله بن ابي بن سلول رجل لهنا فعل والله ما
نجت منه وما نجا منها وشرع في ذلك حسان بن ثابت ومسطح بن اثاثة وحمنة بنت جحش
زوج طلحة بن عبيد الله وغيرهم فلما قدمت المدينة اشتكت واقامت شهرا والناس يفيضون
في قول اهل الافك وهي لا تشعر بشي من ذلك الا انه كان يريبها في وجعها انها كانت لا تعرف من رسول
الله صلي الله عليه وسلم اللطف الذي كانت تراه منه اذا اشتكت وانما كان يدخل عليها فيسلم
ثم يقول كيف تيكم حتي خرجت مع ام مسطح قبل المناصع التي كن يتبرزن بها قريبا من
البيوت وذلك قبل ان نتخذ الكنف فلما فرغنا من شاننا رجعنا فعثرت ام مسطح في مرطها
فقالت تعس مسطح فقالت لها عايشة بيس ما قلت اتسبين رجلا شهد بدرا قالت

جرع م

تيكم اشارة يعني تيكم كهذه هـ

ايتي بها هـ

اي بنية الم تسمعي ما قال قالت وماذاك فاخبرتها بقول اهل الافك فازدادت مرضا على مرضها
فلما رجعت الى بيتها استاذنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في ان تاتي ابويها وارادت تيقن
الخبر من قبلهما فاذن لها رسول الله صلى الله عليه وسلم فجاءت ابويها وقالت لامها يا اماه ما الذي
يتحدث الناس فقالت اي بنية هوني عليك فوالله لقل ما كانت امراة وضيئة عند رجل يحبها
ولها ضرائر الا كثرن عليها فقالت سبحان الله وقد تحدث الناس بهذا وبكت تلك الليلة حتى
اصبحت وهي تبكي ودعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن ابي طالب واسامة بن زيد حين
لبث شهرا لا يوحى اليه في شانها ليستشيرهما في فراقها فاما اسامة فاشار على رسول الله صلى الله
عليه وسلم بما يعلم من براءة اهله فقال يا رسول الله هم اهلك ولا نعلم الا خيرا واما علي بن ابي طالب
فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وان تسال الجارية تصدقك فدعا رسول الله صلى
الله عليه وسلم بريرة فقال اي بريرة هل رايت من شيء يريبك فقالت له والذي بعثك بالحق
ما رايت عليها قط امرا اغمصه عليها اكثر من انها جارية حديثة السن تنام عن عجين اهلها
فتاتي الداجن فتاكله فانتهرها بعض اصحابه وقال لها اصدقي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت
سبحان الله والله ما علمت عليها الا كما يعلم الصائغ على تبر الذهب فقام رسول الله صلى الله عليه
وسلم وصعد المنبر واستعذر من عبد الله بن ابي بن سلول وقال يا معشر المسلمين من يعذرني
في رجل قد بلغني اذاه في اهل بيتي فوالله ما علمت على اهلي الا خيرا ولقد ذكروا رجلا ما علمت
عليه الا خيرا وما كان يدخل على اهلي الا معي فقام سعد بن معاذ الانصاري فقال انا اعذرك
منه يا رسول الله ان كان من الاوس فيلتنا ضربنا عنقه وان كان من اخواننا الخزرج امرتنا
ففعلنا فيه امرك فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان رجلا صالحا ولكن ادركته الحمية
فقال لسعد بن معاذ كذبت لعمر الله لعمرك لا تقتله ولا تقدر على قتله فقام اسيد بن حضير
وهو ابن عم سعد بن معاذ وقال لسعد بن عبادة كذبت لعمر الله لنقتلنه فانك منافق تجادل
عن المنافقين فثار الحيان الاوس والخزرج حتى هموا ان يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه
وسلم قائم على المنبر فلم يزل يخفضهم حتى سكتوا وسكت واشتد الامر على عائشة فاستاذنت
عليها امراة من الانصار فاذنت لها فجلست تبكي معها فبينما هما على ذلك اذ دخل رسول
الله صلى الله عليه وسلم فسلم ثم جلس ولم يكن يجلس عندها مذ قيل فيها ما قيل فتشهد رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اما بعد يا عائشة فانه قد بلغني كذا وكذا فان كنت بريئة
فسيبرئك الله وان كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي فان العبد اذا اعترف
بذنبه ثم تاب تاب الله عليه فقالت لابيها اجب عني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت لامها اجيبي عني رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقالت والله ما ادري ما اقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم
فقالت عائشة اني والله قد عرفت انكم قد سمعتم بهذا حتى استقر في انفسكم وصدقتم
به ولئن قلت لكم اني بريئة والله يعلم اني بريئة لا تصدقوني ولئن اعترفت لكم بامر

والله

والله يعلم اني بريئة صدقتموني واني والله لا اجد لي ولكم مثلا الا كما قال ابو يوسف فصبر جميل والله
المستعان على ما تصفون ثم تحولت واضطجعت على فراشها وما كانت تظن ان الله ينزل في
شانها وحيا يتلى وانما كانت ترجو ان الله تعالى يري نبيه في المنام براءتها فما فارق رسول
الله صلى الله عليه وسلم مجلسه ولا خرج من البيت احد حتى انزل الله الوحي على نبيه صلى الله
عليه وسلم فاخذه ما كان ياخذه من البرحاء عند نزول الوحي حتى انه ليتحدر منه مثل حب
الجمان من العرق في اليوم الشاتي من ثقل القول الذي انزل عليه فلما سري عنه صلى الله عليه
وسلم اذا به يضحك فكان اول كلمة تكلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ابشري
يا عايشة فان الله قد براك فقالت لها امها قومي اليه فقالت لا والله لا اقوم اليه ولا
احمد الا الله الذي انزل براءتي فانزل الله عز وجل ان الذين جاءوا بالافك عصبة منكم العشر
ايات من سورة النور فقال ابو بكر وكان ينفق على مسطح لقرابته منه وقوة فاقته وفقره
والله لا عدت انفق عليه شيا ابدا بعد ان قال في عايشة ما قال فانزل الله عز وجل ولا ياتل
اولوا الفضل منكم والسعة ان يوتوا اولي القربى الى قوله تعالى الا تحبون ان يغفر الله لكم والله
غفور رحيم فقال ابو بكر والله اني لاحب ان يغفر لي فاعاد الى مسطح النفقة وامر
رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذين هم وا عايشة فجلدوا الحدود جميعا ثمانين ثمانين تنبيه
في ضبط ما تقدم قوله من جزع اظفار رحنه ملون بفتح الجيم والزاي وقد تسكن وهو مضاف
الى اظفار مدينة باليمن وقوله هودجها هو مركب من مراكب النسا يشبه القبة وقوله
سواد انسان اي شخص وقوله يفيضون اي ياخذون ويرفعون بالتحدث به ومنه حديث
مستفاض وقوله الافك اي الكذب وقوله يريبها اي يشككها وقوله تيكم اشارة للمونث
والخطاب للجماعة الحاضرين وقوله المناصع مواضع التبرز للحدث الواحد منصع وكانت
المناصع خارج المدينة وهو صعيد فسيح وقوله يتبرزون فيه المتبرز بفتح الرا موضع
قضا الحاجة وقوله وضيئة اي حسنة وقوله اغمصه اي اعيبها به والغمص العيب والطعن
في الناس وقوله الداجن هو ما يالف البيوت من الحيوان كالشاة وقوله من يعذرني اي
من ينصرني والعاذر الناصر اي من يقوم بعذري ان كافاته على سو فعله وقوله الممت
بذنب اي قارفت ووقعت فيه وقوله من البرحاء اي شدة الحمى وقوله مثل الجمان هو
بتخفيف الميم حبوب مدحرجة مثل اللولو تصنع من فضة وغيرها وقد سموا الدرهم جمانا
وقوله في اليوم الشاتي اي البارد انتهى وكانت عايشة صاحبة كرم وزهد قال عطاء
بعث اليها معاوية بطوق من ذهب فيه جوهر قيمته مائة الف فقسمته بين ازواج
النبي صلى الله عليه وسلم وعن ام درة وكانت تغشى عايشة انه بعث اليها عبد الرحمن بن
الزبير بمال في غرارتين قالت اراه ثمانين ومائة الف فدعت بطبق وهي يومئذ
صايمة فجلست تقسمه بين الناس فامست وما عندها من ذلك درهم فلما امست
قالت يا جارية هلمي فطري فجاءتها بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما استطعت
مما قسمت اليوم ان تشتري لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لا تعنفيني لو كنت

اذكرتني لفعلت وعن عروة قال رايت عايشة تقسم سبعين الفا وهي ترقع درعها وعن عوف بن مالك
ان عايشة اخبرت ان عبد الله بن الزبير قال في بيع او عطا اعطته عايشة لتنتهين عايشة
او لاحجرن عليها فقالت اهو قال هذا قالوا نعم فنذرت انها لا تكلمه ابدا فاستشفع ابن الزبير اليها
حين طال تركها له فقالت والله لا احنث في نذري فلما طال ذلك على ابن الزبير كلم المسور بن
مخرمة وعبد الرحمن بن الاسود وهما من بني زهرة وقال انشدكما الله لما ادخلتماني على عايشة
فانها لا يحل لها ان تنذر قطيعتي فاقبل به المسور بن مخرمة وعبد الرحمن مشتملين بارديتهما
حتى استاذنا عليها فقالا السلام عليك ورحمة الله وبركاته اندخل قالت عايشة ادخلوا
قالوا كلنا قالت نعم ادخلوا كلكم ولا تعلم ان معهما ابن الزبير فلما دخلوا دخل ابن الزبير الحجاب
وطفق يناشدها ويبكي وطفق المسور وعبد الرحمن يناشدانها الا ما كلمته وقبلت منه
ويقولان ان النبي صلى الله عليه وسلم نهى عما قد علمت من التهاجر وانه لا يحل لمسلم ان
يهجر اخاه فوق ثلاث ليال فلما اكثروا على عايشة من التذكير طفقت تبكي وتقول اني نذرت
والنذر شديد فلم يزالا بها حتى كلمت ابن الزبير واعتقت في نذرها ذلك اربعين رقبة وكانت
تذكر نذرها بعد ذلك فتبكي حتى تبل خمارها وعن عبد الرحمن بن القاسم عن ابيه ان عايشة كانت
تصوم الدهر ولا تفطر الا يوم اضحى ويوم فطر وعن القاسم قال كنت اذا غدوت ابدا ببيت عايشة
اسلم عليها فغدوت يوما فاذا هي قايمة تسبح وتقرا فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم
وتدعو وتبكي ترددها فقمت حتى مللت القيام فذهبت الى السوق لحاجتي ثم رجعت
فاذا هي واقفة كما هي تصلي وتبكي وعن عامر انها كتبت لمعاوية اما بعد فان العبد اذا
عمل بمعصية الله عاد حامده من الناس له ذاما وعن ابي موسى انه قال ما اشكل علينا اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث قط فسالنا عنه عايشة الا وجدنا عندها منه علما
وعن مسروق قال يحلف بالله لقد رايت الاكابر من رسول الله صلى الله عليه وسلم يسالون
عايشة عن الفرايض وقال الزهري لو جمع علم عايشة الى علم ازواج النبي صلى الله عليه وسلم
وجميع النسا كان علم عايشة اكثر ولما مرضت جاها ابن عباس يستاذن عليها فاخرها
بذلك ابن اخيها عبد الله بن عبد الرحمن فقالت دعني من ابن عباس فقال انه من صالحي
بنيك جا يسلم عليك ويودعك فقالت ايذن له ان شيت فلما جلس قال ابشري
فما بينك وبين ان تلقي محمدا صلى الله عليه وسلم الا خروج الروح من الجسد كنت احب
نساء رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ولم يكن يحب الا طيبا وسقطت قلادتك ليلة
الابواء فاصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكانه والناس ليس معهم ما فانزل الله عز وجل
فتيمموا صعيدا طيبا وكان ذلك بسببك وانزل براتك مع الروح الامين فاصبح ذلك
يتلى في مساجد الله فقالت دعني منك يا ابن عباس والذي نفسي بيده لوددت
اني كنت نسيا منسيا قال الواقدي توفت عايشة ليلة الثلاثا

لسبع عشرة خلت من شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وهي ابنت ستة وستين وقال غيره توفت
سنة سبع وخمسين واوصت ان تدفن بالبقيع مع صواحباتها وصلى عليها ابو هريرة وكان
خليفة لمروان بن الحكم على المدينة حين خرج لحجه روي لها الفا حديث وعشرة وقيل الف
وعشرة اتفقا منها على مائة واربعة وسبعين وانفرد البخاري باربعة وسبعين ومسلم بثمان
وستين قالت عايشة قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من احدث اي انشا واخترع
من قبل نفسه امرا حادثا وهو المسمى بالبدعة وهي لغة ما كان مخترعا على غير مثال سابق
ومنه قوله تعالى بديع السموات والارض اي موجدهما على غير مثال سابق وقوله تعالى قل ما كنت بدعا
من الرسل وتكون في الخير والشر فمن الاول جمع القران في المصاحف واخراج اليهود والنصارى
من جزيرة العرب ومن الثاني المكس ويترتب من ذلك قول من قال هي ما لم يقع في زمنه صلى الله
عليه وسلم مما دل الشرع على حرمته كالمكوس والاشتغال بمذاهب اهل البدع المخالفة لما عليه اهل
السنة او كراهته كزخرفة المساجد وتزويق المصاحف والزيادة على الذكر المحدود بعد
الصلاة والاجتماع للدعا يوم عرفة بغيرها وان استحبه جماعة او وجوبه كالاشتغال بالعلوم
العربية المتوقف عليها فهم الكتاب والسنة او ندبه كصلاة التراويح جماعة واقامة صور
الائمة والقضاة وولاة الامور بخلاف ما كان عليه الصحابة بسبب ان المصالح والمقاصد الشرعية
لا تحصل الا بعظمة الولاة في نفوس الناس وذلك في زمن الصحابة انما كان بالدين وفيما بعدهم
انما كانوا يعظمون بالصور فيطلب تفخيمها حتى تصلح المصالح وقد كان عمر رضي الله عنه ياكل خبز
الشعير والملح ويفرض لعامله نصف الشاة في كل يوم لعلمه بان الحالة التي هو عليها لو عملها غيره
لهان في نفوس الناس ولم يحترموه وتجاسروا عليه بالمخالفة فاحتاج الى ان يضع غيره في صورة تحفظ
النظام ولذلك لما قدم الشام ووجد معاوية بن ابي سفيان قد اتخذ الحجاب والمراكب النفيسة
والثياب الهائلة العلية وسلك مسلك الملوك فسأله رضي الله عنه عن ذلك فقال له انا بارض
نحن فيها محتاجون الى هذا فقال له لا امرك ولا انهاك ومعناه انت اعلم بحالك هل انت محتاج
الى هذا فيكون حسنا او غير محتاج او اباحة كاتخاذ المناخل للدقيق ففي الاثار اول شي احدثه
الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم المناخل لان تليين العيش واصلاحه من المباحات فوسايله
مباحة وكذا الاكل بالمعالق وقد حضر الامام ابو يوسف صاحب ابي حنيفة مايدة الخليفة هارون
الرشيد فطلب المعالق فقال له يا امير المومنين فقد قال جدك ابن عباس في قوله تعالى
ولقد كرمنا بني ادم اي جعلنا لهم اصابع ياكلون بها ولم نجعلهم كالدواب ياكلون بافواههم
فابى ان ياكل الا بالمعالق هذا ذكره بعضهم والذي في الكشاف عن نقل بعضهم انه لما ذكر له ابو يوسف
ما ذكره ابن عباس رد المعالق واكل باصابعه وح فالبدعة تعتريها الاحكام الخمسة واليه
ذهب ابن عبد السلام والقرافي وغيرهما شرعا ما لم يقع في زمنه صلى الله عليه وسلم ودل الشرع

علي حرمته وحكم بحاصته بالحادث المذموم ولما اراد علي رضي الله عنه لقا الخوارج قال له مسافر بن
عوف يا امير المومنين لا تسر في هذه الساعة وسر في ثلاث ساعات تمضي من النهار فقال له
علي رضي الله عنه ولم قال انك ان سرت في هذه الساعة اصابك واصاب اصحابك بلاء وضر شديد
وان سرت بالساعة التي امرتك بها ظفرت وظهرت واصبت ما طلبت فقال علي رضي
الله عنه ما كان لمحمد صلي الله عليه وسلم منجم ولا لنا من بعده في كلام طويل يحتج فيه بايات
من التنزيل بل من صدقك في هذا القول لا امن عليه ان يكون كمن اتخذ مع الله ندا او ضدا اللهم
لا طير الا طيرك ولا خير الا خيرك ولا اله غيرك ثم قال له نكذبك ونخالفك ونسير في هذه الساعة
التي تنهانا عنها ثم اقبل علي الناس فقال يا ايها الناس اياكم وتعلم النجوم الا ما تهتدون به في
ظلمات البر والبحر انما المنجم كالساحر والساحر كالكافر والكافر في النار والله لان بلغني
انك تنظر في النجوم وتعمل بها لاخلدنك في الحبس ما بقيت وبقيت ولاحرمنك العطا ما كان
لي من سلطان ثم سار في الساعة التي نهاه عنها فلقي القوم وقتلهم وهي واقعة النهروان ٥٥
في امرنا اي ديننا ويطلق الامر علي القول كقوله تعالي في سورة الكهف اذ يتنازعون بينهم امرهم
اي قولهم فيما بينهم وعلي العذاب كقوله تعالي ويا سما اقلعي وغيض الما وقضي الامر يعني وجب عليهم
العذاب وسوي الغرق وعلي فتح مكة كقوله تعالي في سورة براة فتربصوا حتي ياتي الله بامره يعني
فتح مكة وعلي يوم القيمة كقوله تعالي اتي امر الله يعني يوم القيمة وكقوله تعالي في الحديد حتي جا
امر الله يعني يوم القيمة وعلي الوحي كقوله تعالي في الم يدبر الامر من السما الي الارض يعني ينزل
الوحي من السما الي الارض وعلي الخبر كقوله تعالي في سورة النسا واذا جاهم امر من الامن او
الخوف اي خبر ويطلق به الشان كقوله تعالي وما امر فرعون برشيد ويطلق ويراد به مصدر
امر وهذا يجمع علي اوامر والذي يعني الشان يجمع علي امور وعبر عن الدين بالامر لانه الامر المهتم
بشانه ومن ثم جا في رواية دينا وهو تعبير له بالامر المقابل للنهي فانه اقتضا فعل غير كف
مدلول عليه اي علي الكف بغير لفظ نحو كف فنحو كل اقتضا اي طلب وهو يتناول الطلب الجازم
وغيره اذا كان غير كف وكذا اذا كان كفا مدلولا عليه بكف ومرادفه كاترك وذر ودع بخلاف
الكف المدلول عليه بغير ذلك لا تفعل فانه نهي وعرفوه بانه اقتضا كف عن فعل لا بقول كف ونحوه
هذا اشارة الي جلالته ومزيد رفعته وعظمته علي حد ذلك الكتاب واما اختلفا في اداة الاشا
رة اذ ذلك ادل علي ذلك من هذا او الي احضاره في ذهن السامع كانه بحضره مشاهدا له
ليتميز عنده اكمل تمييز ولهذا اشار بايثاره به للتقريب بيانا للحال في القرب ما ليس فيه اي
ما ليس منه مستند من الكتاب والسنة سوا كان قوليا او فعليا او اعتقاديا فهو رد اي
مردود علي فاعله لبطلانه من اطلاق المصدر علي اسم المفعول كخلق ومخلوق ونسج ومنسوج
ومنه قول بعضهم انتسجا هي رجاي اي مرجوي وكانه قال غير معتد به ولا معول عليه وهو عام
مخصوص بالحادث الذي دل الشرع علي حرمته لكن مقيد بما اذا كانت حرمته لذاته كصلاة من

نحوه

غير

غير ركوع او الخارج عنه لازم له كصلاة بلا طهارة واما لو كانت الحرمة لخارج عنه غير لازم كصلاة
في ارض مغصوبة فلا تكون باطلة وقوله فهو اي الحادث اي المحدث بالفتح ويصح الكسر ويكون
راجعا لمن اي ناقص مطرود وانظر هل يجري هنا ما قيل في زيد عدل من كونه على حذف مضاف
او انه على وجه المبالغة قال ابو العباس الابياني من علما الاندلس ثلاث لو كتبن على الظفر
لو سعهن وفيهن خير الدنيا والاخرة اتبع ولا تبتدع اتضع ولا ترتفع من ورع لا يتسع
وروي الديلمي عن ابن مسعود عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وروي ابن ماجة
عن حذيفة مرفوعا لا يقبل الله لصاحب بدعة صلاة ولا صوما ولا صدقة ولا حجا ولا عمرة ولا
جهادا ولا صرفا ولا عدلا يخرج من الدنيا كما تخرج الشعرة من العجين وروي الخطيب
والديلمي عن انس اذا مات صاحب بدعة فقد فتح في الاسلام فتح وروى الطبراني عن عبد الله
بن بشر من وقر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام وقال ابو عثمان الجبري من
صح ايمانه يهدي الله قلبه لاتباع السنة وقال سهل بن عبد الله من داهن مبتدعا سلبه الله
حلاوة السنن ويحكي عن احمد بن حنبل انه قال كنت يوما مع جماعة يتجردون ويدخلون الماء
فاستعملت حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم من كان يومن بالله واليوم الاخر فلا يدخل
الحمام الا بميزر فلم اتجرد فرايت تلك الليلة في المنام قايلا يقول ابشر يا احمد فان الله
غفر لك باستعمال السنة فقلت من انت قال جبريل وقد جعلك الله اماما يقتدي بك
رواه البخاري ومسلم وفي رواية لمسلم في صحيحه من عمل عملا احدثه هو او احدثه غيره فعمل
به فهو اعم من الاول وفي رواية للبخاري من فعل امرا ليس عليه امرنا اي حكمنا واذا دنا
فهو رد اي مردود عليه وان لم يكن هو المحدث له وقيل اماتة بدعة خير من احيا السنة
لان البدعة اذا استمرت صارت سنة وقال عليه الصلاة والسلام من اهان صاحب بدعة
آمنه الله يوم الفزع الاكبر ومن احب صاحب بدعة لم يومنه الله يوم الفزع الاكبر وكان
الامام مالك رضي الله عنه كثيرا ما ينشد هذا البيت "وخير امور الدين ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدايع"
فمن ذلك ما عم الابتلا به مما تسرب بين الشيطان للعامة من تقبيل حايط او عمود او قبر او تعظيم
حجر او شجر لرجا الشفا او قضا حاجة وقبايحهم في هذا ظاهرة غنية عن الايضاح والبيان
وقد صح ان الصحابة رضي الله عنهم مروا بشجرة سدرة قبل حنين كان المشركون يعظمونها
وينوطون بها اي يعلقون بها اسلحتهم فقالوا يا رسول الله اجعل لنا ذات انواط فقال
صلى الله عليه وسلم هذا كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الها كما لهم آلهة قال انكم قوم
تجهلون لتركبن سنن من قبلكم ومنه صبغ البيض الوانا في الخماسين وما يفعلونه في
اليوم الذي يسمونه سبت النور وهو بضد هذه التسمية فيعظمونه ويكحلون فيه
اعينهم ويزعمون ان الكحل فيه يزيد البصر ومنه الخروج الى البير بالمطرية تسمى بير
البلسم والاغتسال فيها كما تفعله النصارى ومن ذلك الانتما الى جماعة يزعمون التصوف
ويخالفون ما عليه مشايخ الطريق من الزهد والورع وعدم الاحتفال بالدنيا ٥

وترك المباهات والفخر وطلب العلوم والجاه بهم باسم الفسق احق منهم باسم التصوف والفقر مع ماهم
عليه من الجهل والمستحكم تجد الواحد منهم كقريب عهد باسلام وحوله جماعة من اراذل العامة
كانهم الذباب العادية او الاسود الضارية فمن ذا الذي يمكنه ان يقول لسيدي الشيخ فعلك
هذا غير شرعي وقولك غير مرضي وقد ورد في الخبر عن سيد البشر صلى الله عليه وسلم ان المتعبد
بغير فقه كالحمار في الطاحون وقد ادعى مقام المشيخة والدعوى الى الله تعالى من ليس له قدم
صدق من مقام الارادة ولا شم ادنى رايحة من فوايحها المسكية وجلس لتربية المريدين وانما هو
جالس من ابواب جهنم فضلوا واضلوا وخبطوا خبط عشوى حيثما ظعنوا وصلوا ان سالت في بابجح
احدهم عن ادب من اداب الطريقة او عن معنى اشارة من اشارات اهل التحقيق قال هذه اسرار
لا نبوح بها قاصدا بذلك ستر فضايحهم وجهله وقبايحهم وقد قال بعضهم لا تصحب المدعين الذين
نصبوا انفسهم لمعالجة امراض القلوب وهم مرضى كما قيل ومن عجب الله مما طبيب مريض
واعمش كحال واعمى منجم وقال ان على الشيخ الذي يتصدر للمشيخة لابد له من وظايف ولوازم
منها ان يكون عالما باصول الشريعة والطريقة وفروعهما وما لا يستغنى المبتدي عنه لانه بين امرين
اذا ساله المريد عن امر من ذلك اما ان يقول لا ادري او يجيبه فان قال لا ادري ضيعه وان اجابه
بغير علم عرض نفسه لمقت الله وقد قال عليه الصلاة والسلام اجرؤكم على الفتيا اجرؤكم على النار
ومنها ان يكون ثقة في قوله مامونا في دينه متخلقا قايما على اداب العبادة الشرعية ومنها ان يكون
له سنة وورع فيما لابد منه من الغذا الذي به قوام نفسه فلا يقرب ما فيه شبهة البتة ويستعين
بذلك على صفا باطنه من الاكدار المظلمة للقلب ومنها ان يكون ذا مجاهدة ورياضة تامة
وذكر شروطا اخرى ثم قال اما غير هذا ممن بقي في زماننا وامثالهم يحرصون على حب الجاه
وكثرة المريدين والاتباع فلا والله تظهر اثار الشفا على مريديهم ابدا اوليك الذين اشتروا
الضلالة بالهدى وقال شيخ الطايفة الجنيد من ادعى انه دخل في طريقنا وهو جاهل بحكم من
احكام الشرع ويحتاج الى سوال العلما عن حكم واحد من الاحكام فهو كاذب وقال لا يستحق
رجل ان يكون شيخا حتى يكون فيه بضعة عشر خصلة منها ان ياخذ حظا من كل علم شرعي وان
يتورع عن جميع المحارم وان يزهد في الدنيا وان لا يشتغل بمداوات غيره الا بعد فراغه
من مداوات نفسه قال والعلم الخالي عن الحال ضعيف في الطريق والحال المجرد عن
العلم ضلال ومن عبد الله بحال مجردة عن العلم لم يزدد من الله الا بعدا وقال العارف
ابن عربي لا يجوز لشخص التصدر للمشيخة الا ان كان عالما بالكتاب والسنة عارفا بمقامات
التوحيد الخمسة وثمانين نوعا عارفا بامراض الطريق واختلاف حال السالكين وادويتهم
في كونهم مبتديين ومتوسطين وكاملين ويجمع ذلك قولكم ما اتخذ الله من ولي جاهل ابي سع
ولو اتخذه لعلمه الحديث السادس عن عبد الله النعمان بن بشير بفتح الموحدة وكسر
الشين المعجمة بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بفتح الخا المعجمة وتشديد اللام كما ضبطه ابن ماكولا

وضبط

وضبط المقدسي وغيره بضم الجيم وتخفيف اللام ابن كعب بن الحارث بن الخزرج الانصاري
ولد على راس اربعة عشر شهرا من الهجرة على الاصح وهو اول مولود ولد للانصار بعد
الهجرة كما ان عبد الله بن الزبير المولود معه في عامه اول مولود ولد للمهاجرين وقيل مات
النبي صلى الله عليه وسلم وللنعمان ثمان سنين وسبعة اشهر وهو يقتضي صحة تحمل الصبي المميز
وامه عمرة بنت رواحة اخت عبد الله بن رواحة سكن الكوفة وكان واليا عليها زمن معاوية
بن ابي سفيان وكان استعمله على حمص قبلها ولما مات معاوية استعمله يزيد عليها فلما مات
يزيد تمرد اهلها فدعا لابن الزبير فخالفوا واردوا قتله فخرج هاربا فاتبعه خالد
الكلاعي فقتله بقرية من قراها يقال لها حرب نيسان فمات سنة خمس وستين وقيل اربع
وستين وقيل ست وستين وله اربع وستون سنة وهو صحابي ابن صحابي ابن صحابية وابو بشير هو
القايل يا رسول الله علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك فقال
قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد وبارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم
في العالمين انك حميد مجيد وليس في الصحابة من اسمه النعمان بن بشير غير هذا ومنهم النعمان
جماعات فوق الثلاثين روي له مائة حديث واربعة عشر حديثا اتفقا منها على عشرة وانفرد
البخاري بحديث ومسلم باربعة وروى عنه ابنه محمد وحميد بن عبد الرحمن والشعبي وسالم
بن ابي الجعد وسماك بن حرب وغيرهم ولم ينفرد برواية هذا الحديث بل رواه ايضا سبعة من
اكابر الصحابة رضي الله تعالى عنهم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه رد على من
قال انه لم يسمع من النبي صلى الله عليه وسلم وقد وقع في رواية مسلم والاسماعيلي من ذكريا
واهوى النعمان باصبعيه الى اذنيه اشارة الى تاكيد التصريح بالسماع يقول ان الحلال
هو كالحل ما انحلت عنه التبعات ضد الحرام وهو من باب ضرب يضرب واما حل بالمكان
فهو من باب نصر ينصر بين اي ظاهر متضح لا يخفى حله كاكل الخبز والفواكه والكلام
والمشي وغير ذلك واعلم ان اخذ المال اما ان يكون باختيار المالك او بغير اختياره
كالارث والذي باختياره اما ان يكون من غير مالك كالاشيا المباحة التي لم يسبق
عليها ملك او تكون من مالك والذي يوخذ من مالك اما ان يوخذ كرها او تراضيا والماخوذ
كرها اما ان يكون لسقوط عصمة المالك كالغنايم او لاستحقاق للاخذ كالزكوات من
الممتنعين ومن الماخوذ كرا النفقات الواجبات والماخوذ تراضيا اما بعوض كالبيع والصداق
واما بغير عوض كالهبة والصدقة وجميع هذه الاقسام حلال اذا روعيت شروط الشرع
في تحصيلها ثم ان الحلال عند الامام مالك والشافعي ما لم يرد بتحريمه دليل وابو حنيفة ما دل دليل
على حله وثمرة الخلاف تظهر في المسكوت عنه الذي جهل اصله فعند مالك والشافعي هو
من الحلال اذ هو الاشبه بيسر الدين وعند الحنفي من الحرام ويعضد الاول قل لا اجد فيما اوحي
الي محرما الاية وقوله في رواية البخاري وسكت عن اشيا رحمة لكم غير نسيان فلا تبحثوا عنها

وان الحرام وفي رواية الطبراني حلال بين وحرام بين بالتنكير وسوغ الابتدا فيه بالنكرة انه خبر
لمبتدا محذوف تقديره الاشيا حلال بين وحرام بين اي ظاهر منكشف وهو ما منع منه
شرعا اما لصفة في ذاته ظاهرة كالسم والخمر او خفية كالزنا ومزكي المجوس واما لخلل في تحصيله
كالربا والغصب والسرقة وبينهما امور اي شؤون واحوال مشتبهات جمع مشتبه وهو
ما ليس بواضح الحل ولا الحرمة وقد اختلف فيها على اقوال الاول انها اختلف فيه العلما كالخيل فانها
محرمة عند مالك لان لام العلة في قوله لتركبوها وزينة تفيد الحصر عنده ومباحة عند غيره
الثاني المكروه وبه قال الماوردي لانه عقبة بين الحلال والحرام فالورع تركه الثالث
معاملة الانسان من في ماله شبهة او خالطه حرام وبه قال الخطابي ومثل ذلك من اراد شرا
شي فقال له صاحبه قبل الشرا دعه لان اذنه له بذلك لاجل الشرا وعلا لا يقع بينهما بيع وكذا لو
وجد في بيته مالا لا يدري اوله او لغيره قال في حياة الحيوان قيل اختلط غنم البادية بغنم
الكوفة فسال ابو حنيفة رحمه الله كم تعيش الشاة فقيل له سبع سنين فترك اكل لحم الغنم
سبع سنين الرابع ما لم يرد فيه نص من الشارع بتحليل او تحريم كنبات غير مالوف لم تعرفه
العرب هل هو مضر ام لا قال في مختصر احيا علوم الدين ومن جملة المتشابه ان يكون ذلك مما
اشتري في الذمة ولكن قضى ثمنه من مال حرام الا ان يكون تسليم الطعام قبل دفع ثمنه بطيب
قلب واكله قبل قضا الثمن فهو حلال بالاجماع ولا ينقلب بادا المال في مقابلته من الحرام
حراما بل غايته انه لا تبرا ذمته فكانه لم يقض الثمن فلا يحرم ما اكله وان ابرا ذمته مع العلم بكون
الثمن حراما فهو براءة الذمة والحل انتهى ومحصله ان الاقسام اربعة فان اشتراه في الذمة
ودفع الثمن قبل ان يسلم اليه فهو من المتشابه لان الذمة لم تبرا بدفع الثمن وان سلم له الطعام
قبل دفع الثمن بطيب قلب وانشراح صدر واكله قبل الدفع ايضا فهو حلال وان ابرا ذمته
في القسمين مع العلم بكون الثمن حراما فهو يوجب براة الذمة من الثمن وحليته الشي المشتري
انتهى وافضل كسب الرجل ما اكله من زراعة ثم صناعة ثم تجارة وقد ورد ان ادم كان
زراعا وان ادريس كان خياطا وان نوحا كان نجارا وان ابراهيم كان بزازا وان من الانبيا
من رعي الغنم بالاجرة الى غير ذلك وقال صلى الله عليه وسلم ما اكل احد طعاما خيرا من ان
ياكل من عمل يده وكان داوود لا ياكل الا من عمل يده وقوله مشتبهات بضم الميم وسكون الشين
المعجمة وفتح المثناة الفوقية وكسر البا الموحدة على وزن مفتعلات كذا عند مسلم والبخاري
في رواية الاصيلي وهي رواية ابن ماجة وفي رواية الطبراني متشبهات بفتح التا والشين
وتشديد البا الموحدة المكسورة وفي رواية للسمرقندي مشبهات بفتح الشين والبا
الموحدة المشددة وفي رواية بكسرها على صيغة اسم الفاعل اي مشبهات انفسها بالحلال
واسناد ذلك اليها مجاز وفي رواية بضم الميم وسكون الشين وكسر البا الموحدة المخففة
ومعناها كالثالثة الا ان هذه من باب الافعال وتلك من باب التفعيل وعند الد

دي

نسخة

الدارمي متشابهات وفي رواية للبخاري بالافراد وفي رواية لابي داوود متشبهة بالافراد
ايضا فهذه ثمان روايات قال العراقي والمشهور الرواية الاولى قال الخطابي معنى
متشبهات انها تشتبه على بعض الناس دون بعض لا انها في نفسها مشتبهة على كل
الناس لا بيان لها بل العلما يعرفونها لان الله تعالى جعل لهم دلايل يعرفونها بها اهل
العلم وكذا قال لا يعلمهن بلفظ ابن ماجة لا يعلمها وهو ارجح عند اهل العربية لان
الاولى في جمع مالا يعقل انه يعامل معاملة المونث كثير من الناس اي لا يعلم حكمهن
من التحليل والتحريم والا فالذي يعلم الشبهة يعلمها من حيث انها مشكلة ووقع
في رواية البخاري لا يعلمها اي لا يعلم حكمها وجا ذلك مفسرا في رواية الترمذي
ولفظه لا يدري كثير من الناس امن الحلال هي ام من الحرام وقوله لا يعلمهن الخ اي
ويعلمهن القليل ممن اتقى من التقوى وهي لغة قلة الكلام والحاجز بين الشيئين
واصطلاحا التحرز بطاعة الله عن مخالفته وامتثال امره واجتناب نهيه
هذا غير منفك عما قبله كما ان ما قبله كذلك فالاقتصار على احدهما كاف واصل اتقى
اوتقي لانه من وقي ووقاية فقلبت الواو تاء وادغمت التاء في التاء وعدل عن اترك
الى اتقى ليفيد ان تركها انما يعتد به اذا خلا عن ريا وسمعة الشبهات بدون
الميم مع ضم الشين والبا كذا عند مسلم والبخاري جمع شبهة وهي ما يخيل للناظر انه
حجة وليس كذلك والمراد بها هنا المشتبه وفي رواية غير الاسماعيلي المشتبهات
بالميم والاختلاف في لفظها من الرواة كالتي سلفت وهي من موضع الظاهر موضع
المضمر تفخيما للشان اجتنابها والحذر منها فقد استبرا بالهمز وقد يخفف والسين
للمبالغة اي بالغ في البراة كما في قوله تعالى ومن كان غنيا فليستعفف او للتاكيد
كما في قوله تعالى فاستجاب لهم من قولهم استبرا الجارية اذا علم براة رحمها من
الحمل فاطلق العلم بالحصول واراد الحصول لدينه مما يشينه وعرضه من الطعن
فيه وهو في الاصل ريح الجسد وغيره طيبة كانت او منتنة يقال طيب العرض
ومنتن العرض وسقاء خبيث العرض اذا كان منتنا والعرض ايضا الجسد
وهو في صفة اهل الجنة انما هو عرق يسيل من اعراضهم اي من اجسادهم وفي الا
صطلاح كما في النهاية موضع المدح والذم من الانسان سوا كان في سلفه او نفسه
او اهله ولما كان موضع النفس حمل عليها اطلاقا للحال على المحل قال الشاعر

صن العرض وابذل كل مال ملكته ... فان ابتذال المال للعرض اصون
ولا تطلقن منك اللسان بسوءة ... فعندك عورات وللناس السن
وعينك ان اهديت اليك معايبا ... لقوم فقل يا عين للناس اعين

واشار في الحديث بالاول الى ما يتعلق بالخلق وبالثاني الى ما يتعلق بالخلق وقدم

على عمر رضي الله عنه مسك و عنبر من البحرين فقال والله لوددت اني وجدت امراة حسنة
الوزن تزن لي هذا الطيب حتى اقسمه بين المسلمين فقالت امراته عاتكة انا جيدة
الوزن فانا ازن لك قال لا قالت لم قال لاني اخشى ان تاخذيه فتجعليه هكذا وادخل
اصابعه في صدغيه وتمسحين به في عنقك فاصيب فضلا عن المسلمين وعن الفضل الله
كان له شاة فاكلت شيا يسيرا من علف لبعض الامراء فلم يشرب من لبنها من بعد
ذلك حكاه في الحدائق وقيل لابراهيم ابن ادهم الا تشرب من ماء زمزم فقال لو كان لي
دلو لشربت وهو اشارة الى ان الدلو من مال السلطان فهو من المشتبه وقال ابن المبارك
لان ارد درهما من شبهة خير من ان اتصدق بماية الف ومائة الف وقد جاء
في الاثر من وقف موقف تهمة فلا تلومن من اساء الظن به ولهذا لما مر المصطفى صلى الله
عليه وسلم ومعه امراته صفية فراه رجلان فاسرعا فقال على رسلكما انها صفية بنت حيي
خوفا عليهما ان يظنا به شيا فيهلكا فقالا سبحان الله فقال ان الشيطان يجري من
ابن ادم مجرى الدم وقد خشيت ان يقذف في قلوبكما شيا وكذا لما راى تمرة ملقاة
قال لولا اخشى انها صدقة لاكلتها وفي عطف العرض على الدين دليل على ان البراءة مطلوبة
ممدوحة كطلب براءة الدين ومن ثم ورد ما وقى به العرض صدقة وعلى طلب
نزاهته مما يظن الناس شبهة ولو ممن علم عدمها في نفس الامر ومن ثم لما خرج انس
لصلاة الجمعة فراى الناس راجعين منها فدخل محلا لا يرونه وقال من لا يستحي من الناس
لا يستحي من الله ولو امر ابواه باخذ واكل شبهة فقال احمد لا يطيعهما وقال بعض السلف
يطيعهما وتوقف اخرون وقال شارح المشكاة الذي يتجه انه الشبهة اذا خفت ولم يكن على الولد
في ذلك ضرر بوجه وكان ان لم يفعل ذلك تاذى الوالد اذى ليس بالهين جاز والا فلا ثم ان
متعاطي الحلال الصرف الذي لم يخالطه شبهة من جملة الذين لم تسلط الارض على اجسامهم وقد
ذكرناهم في اول المقدمة العشماوية في اول باب الجنائز ومن وقع في الشبهات فيه من اختلاف
الرواة ما تقدم وقع في الحرام المحض ويحتمل معنيين احدهما من اكثر من تعاطي الشبهات صادف
الحرام وهو لا يشعر والثاني انه يعتاد التساهل ويتمرن عليه ويجسر على شبهة ثم اخرى اغلظ منها
وهكذا حتى يقع في الحرام عمدا ومن ثم قيل الصغيرة تجر للكبيرة وهي تجر للكفر ولذا قال تعالى
وقتلهم الانبياء بغير حق ذلك بما عصوا اي تدرجوا بالمعاصي الى قتلهم فيتدرج من درجة
الى اخرى بالتساهل والتسمح ومنه تلك حدود الله فلا تقربوها نهى عن المقاربة
حذرا من المواقعة وقليل من الشرب يدعو الى كثيره والخلوة بالاجنبية تدعو الى الفجور والقبلة
للصايم تدعو الى الوطي وقال صلى الله عليه وسلم لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده

ويسرق الحبل فتقطع يده اي يتدرج بذلك الى نصاب السرقة فتقطع يده وقال هشام كنت
امشي خلف العلا فيتوقي الطين فدفعه انسان فوقعت رجله في الطين فخاضه فلما وصل
الي الباب قال لي رايت يا هشام قلت نعم قال كذلك المرء المسلم يتوقي الذنوب فاذا وقع
فيها خاضها ولو وقع في الحرام اي سقط فيه لان الوقوع في الشي السقوط فيه وكل سقوط
شديد يعبر عنه بذلك وان قال هنا وقع دون يوشك ان يقع على وزان قوله يوشك ان يرتع
اما تحقيقا للوقوع واما لان حمي الاملاك حدوده محدودة محسوسة يدركها كل ذي بصر فيحون
ان يتحرز عنها الا ان تغلبه الدابة الجموح واما حمي الله فهو معقول لا يدركه الا ذوو البصاير
فربما يحسب الشخص انه يرتع حول الحمي فاذا هو في وسط محارمه وما اورده المولف من ثبوت
جواب الشرط هو رواية مسلم واما رواية البخاري فمحذوف حيث قال ومن وقع في الشبهات فمثل
كراعي يرعي حول الحمي يوشك ان يواقعه ومن فيها موصولة والتقدير والذي وقع في الشبهات
مثل راع يرعي كالراعي لفظ رواية البخاري كراع يرعي الماشية حول الحمي بكسر الحا وفتح الميم
المخففة اي المحمي فاطلق المصدر على اسم المفعول كذا قيل وفيه نظر لان مصدر حمي يحمي حماية وح
فهو اسم مصدر والحمي هو المكان المحظور على غير مالكه بان يمنع الامام او نايبه من رعي مكان
لاجل مواشي الصدقة او خيل المجاهدين ووجه التشبيه ان الراعي اذا جر رعيه حول الحمي الي
وقوعه في الحمي استحق العقاب فكذلك من اكثر من الشبهات حتى وقع في الحرام فانه يستحق العقاب
بسبب ذلك فالرب جل جلاله حمي محارمه كالجرايم على النفس والمال والعرض ومطلق المحارم
وقد حرم ابراهيم مكة والشارع المدينة وحرم عمر السرف والربذة يوشك بضم اليا
وكسر الشين المعجمة من افعال المقاربة العشرة اي يقرب ويقال في ماضيه اوشك ومن انكر
استعماله ماضيا فقد غلط ويستعمل منه اسم الفاعل فيقال موشك الا انه نادر ان يرتع
بفتح التا فيه وفي ماضيه واصله الاقامة والبسط في الاكل والشرب ومن قول اخوة يوسف
نرتع ونلعب اي نتنعم ونلهو ومن قرا نرتع بضم النون وكسر التا معناه نرتع ابلنا غيره
اي تاكل ماشيتنه منه الا بفتح الهمزة وتخفيف اللام حرف استفتاح ومثله اما فان وقعت
ان بعد الا هذه كانت مكسورة لا غير نحو الا انهم هم المفسدون وان وقعت بعد اما
كان فيها الكسر والفتح تقول اما ان زيدا قايم بكسر ان وفتحها وكذلك اذا وقعت بعد
اذا على ما تقرر في علم العربية والا يدل على تحقيق ما بعده ويدخل على الجملتين نحو الا
انهم هم السفها الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وافادتها التحقيق من جهة تركيبها
من همزة الاستفهام ولا النافية وهمزة الاستفهام اذا دخلت على النفي افادت
التحقيق نحو اليس ذلك بقادر على ان يحيي الموتي قال الزمخشري ولكونها بهذا المنصب
لا تقع الجملة بعدها الا مصدرة بنحو ما يتلقي به القسم نحو الا ان اوليا الله وان لكل ملك
من ملوك العرب حمي يحميه عن الناس فيمنعهم من دخوله فمن دخله اوقع به العقوبة

ومن احتاط لنفسه لا يقارب ذلك الحمي خوفا من الوقوع فيه وكان كليب اذا مر بمرعي واعجبه حماه وعلامة ذلك ان ياخذ جروا فيقطع اذنيه وذنبه ويتركه في ذلك المكان ينبح فاذا سمعت العرب نباحه تجنبت ذلك المرعي وقيل انه كان يعمد الي الروضة فاذا اعجبته كسع قوايم كلبه والقاه في وسطها بحيث يبلغ عوي الكليب كان حمي لا يرعي فيه يقول ان عر ابحت حمي تهامة بعد نجد وما شي حميت بمستباح ٥٥ الا كرها للدلالة علي فخامة شان مدخولها وعظم موقعه وان باثبات الواو كما في رواية ابي فروة للبخاري وبحذفها كما في رواية غيره فان قلت ما وجه ذكر الواو هنا وتركها وما وجه ذكرها في قوله الا وان في الجسد مضغة فالجواب اما وجه ذكرها فبالنظر الي وجود التناسب بين الجملتين من حيث ذكر الحمي فيهما واما وجه حذفها فبالنظر الي بعد المناسبة بين حمي الملوك وبين حمي الله تعالي الذي هو الملك الحق لا ملك حقيقة الا له تعالى وتقدس واما وجه ذكرها في قوله الا وان في الجسد مضغة فبالنظر الي وجود المناسبة بين الجملتين نظرا الي ان الاصل في الانقا والوقوع هو ما كان بالقلب لانه عماد الجسد وملاكه وبه قوامه حمي الله محارمه اي المعاصي التي حرمها كذا في رواية الاسماعيلي وفي رواية غيره زيادة في ارضه بعد الجلالة وفي رواية ابي فروة معاصيه ووقع في رواية الطبراني فان حمي الله في الارض حلاله وحرامه فزاد الحلال ومعناه كما قال الحافظ العراقي انه حد للحلال حدا وحد للحرام حدا فلا اشكال فيه كما توهم الا وان في الجسد اي البدن لان البدن هو الجسد ما سوي الاطراف او ما سوي الراس كما قاله الازهري مضغة اي قطعة لحم قدر ما يمضغ في الفم لكنها وان صغرت في الحجم والصورة عظمت في القدر والرتبة ومن ثم كانت اذا صلحت بالايمان والعلم والعرفان وهو بفتح اللام وضمها والفتح افصح واشهر صلح الجسد كله بالاعمال والاخلاص والاحوال واذا فسدت بالجحود والكفران وهو بفتح السين وضمها ايضا والفتح افصح واشهر كذلك فسد الجسد كله بالفجور والعصيان ومن ثم قيل ان القلب كالملك والجسد والاعضاء كالرعية ولا شك ان الرعية تصلح بصلاح الملك وتفسد بفساده وايضا هو كالارض وحركات البدن كالنبات والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه والذي خبث لا يخرج الا نكدا وايضا هو كالعين والبدن كالمزرعة ان عذب ما العين عذب الزرع وان ملح ملح ولما سيل عمر بن عبد العزيز رجلا من رعيته كيف حال اميركم فقال له يا امير المومنين اذا طابت العين عذبت الانهار وقد شق صدره صلي الله عليه وسلم مرات وغسل قلبه واستخرج منه علقة سوداء وقيل هذا حظ الشيطان منك ثم طهر قلبه وجسده فصار فردا قال احمد بن خضرويه القلوب اوعية فاذا امتلات من الحق اظهرت زيادة انوارها على الجوارح واذا امتلات من الباطل اظهرت زيادة ظلمتها علي الجوارح وقال الغزالي في الاحيا القلب مثل قبة لها ابواب تنصب اليها الاحوال من كل باب ومثل هدف يرمي اليه بالسهام ومثل مراة منصوبة تجتاز عليها الاشخاص

60

فتترائي فيها صورة بعد صورة ومثل حوض تنصب اليه ميا مختلفة من انهار مفتوحة اليه
وقال بعضهم صلاح القلب في خمسة قراة القران بالتدبر وخلاء الباطن وقيام الليل والتضرع
عند السحر ومجالسة الصالحين ونظمها بعضهم فقال دواء قلبك خمس عند قسوته
فدم عليها تفز بالخير والظفر خلاء بطن وقران تدبره كذا تضرع باك ساعة السحر
كذا قيامك جنح الليل اوسطه وان تجالس اهل الخير والخبر وزاد بعضهم العزلة والصمت
وترك استماع خوض الناس وزاد اخر اكل الحلال وهو راسها لان اكل الحرام والشبهات تصديه
ويظلمه ويقسيه وقد قيل اذا صمت فانظر على من تفطر فان الرجل ياكل الاكلة فتشغل قلبه
كالسم فلا يشبع به ابدا وقيل يخاف على اكل الحرام والشبهة انه لا يقبل له عمل ولا يرتفع له دعا الا
تسمع قوله تعالى انما يتقبل الله من المتقين واكل الحرام والمسترسل في الشبهات ليس بمتق
على الاطلاق ويعضده ما ياتي في حديث ان الله طيب الخ ولما شرب ابو بكر الصديق رضي الله
عنه جرعة من لبن استقاها فاجهده ذلك حتى تقاياها فقيل له اكل ذلك في شربة فقال
والله لو لم تخرج الا بنفسي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نبت
من سحت فالنار اولى به فخشيت ان ينبت شي من جسدي من هذه الجرعة وروى ابو
نعيم الاصفهاني في حليته ان ابا بكر رضي الله عنه كان يسال عن طعامه فجا يوما وهو جايع
فقال لغلامه هل عندك شي فقال نعم قطعة لحم فقال اشوها وهاتها فلما اكلها قال له الغلام
مالك ما سالت عنها على عادتك قال كنت جايعا فمن اين هي قال مررت على قوم من الجاهلية
قد عملوا عرسا فاعطوني هذه القطعة فقام ابو بكر فلم يزل يتقاياها حتى اخرجها وهي مصبغة
بالدم فقيل له يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما مقدار هذه فقال والله لو لم تخرج
الا بروحي لاخرجتها سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول كل لحم نشا عن سحت فالنار
اولى به وقال الاستاذ ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قال ابراهيم ابن ادهم الورع ترك
كل شبهة وترك ما لا يعنيك وهو ترك الفضلات وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه كنا ندع سبعين
بابا من الحلال خوفا ان نقع في باب من الحرام وقال صلى الله عليه وسلم لابي هريرة كن ورعا تكن
اعبد الناس وذكر بسنده عن سري السقطي رضي الله تعالى عنه انه كان من اهل الورع في
اوقاتهم اربعة حذيفة المرعشي ويوسف بن اسباط وابراهيم ابن ادهم وسليمان الخواص فتنظروا في الورع
فلما ضاقت عليهم الامور فزعوا الى القليل وقال السبكي الورع ان تتورع عما سوى الله تعالى وقال
اسحاق بن خلف الورع في المنطق اشد منه في الذهب والفضة والزهد في الرياسة اشد منه
في الذهب والفضة لانك تبذلهما في طلب الرياسة وقال ابو عبد الله بن الجلا اعرف من اقام بمكة
ثلاثين سنة لم يشرب من ماء زمزم الا ما استقاه بركوته ورشايه ولم يتناول من طعام جلب من
مصر وقال يحيى بن معاذ من لم ينظر في دقيق من الورع لم يصل الى الجليل من العطا وقال سفيان الثوري
ما رايت اسهل من الورع ما حاك في نفسك تركته وقيل جاءت اخت بشر الحافي الى احمد بن حنبل
فقالت انا نغزل على سطوحنا فتمر بنا مشاعل الظاهرية ويقع الشعاع علينا افيجوز لنا

لانه ينور القلب ويطلبه فتتزكى بذلك الجوارح وتندر المفاسد وتكثر المصالح صح

الغزل في شعاعها فقال لها من انت عافاك الله قالت اخت بشر الحافي فبكى احمد بن حنبل وقال من بيتكم
خرج الورع الصادق لا تغزلي في شعاعها قال وسمعت ابا علي الدقاق يقول كان الحارث المحاسبي اذا
مد يده الى طعام فيه شبهة ضرب على راس اصبعه عرق فيعلم انه غير حلال وقال ان بشر الحافي دعي
الى دعوة فوضع بين يديه طعام فجهد ان يمد يده اليه فلم تمتد ففعل ذلك ثلاث مرات فقال رجل
يعرف ذلك منه ان يده لا تمتد الى طعام فيه شبهة ما كان اغنى صاحب هذه الدعوة ان يدعو هذا الشيخ
ودخل الحسن البصري مكة فراى غلاما من اولاد علي بن ابي طالب رضي الله عنه قد اسند ظهره الى
الكعبة وهو يعظ الناس فوقف عليه الحسن وقال له ما ملاك الدين فقال الورع فقال له فما افة الدين
فقال الطمع فتعجب الحسن منه وقال الحسن مثقال ذرة من الورع خير من الف مثقال من الصوم
والصلاة واوحى الله تعالى الى موسى بن عمران عليه الصلاة والسلام لا يتقرب الي المتقربون بمثل الورع
والزهد وقال سعد بن عبد الله من لم يصحبه الورع اكل راس الفيل ولم يشبع وقيل حمل الى عمر
بن عبد العزيز رضي الله عنه مسك من الغنائم فقبض على مشامه وقال انما ينتفع من هذا بريحه
وانا اكره ان اجد ريحه دون المسلمين وسئل ابو عثمان الحيري عن الورع فقال كان ابو صالح حمدون
عند صديق له في النزع فمات الرجل فنفث ابو صالح السراج فقيل له في ذلك فقال كان الدهن
الذي في المسرجة له ومن الان صار للمسرجة اطلبوا دهنا غيره وقال كهمس اذنبت ذنبا
فانا ابكي عليه اربعين سنة وذلك انه زارني اخ لي فاشتريت بدانق سمكة مشوية فلما فرغ
اخذت قطعة طين من جدار جاري حتى غسل يديه ولم استحله وكان رجل يكتب رقعة
في بيت بكراء فاراد ان يترب الكتاب بتربة من جدار البيت فخطر بباله ان البيت بالكراء
ثم انه خطر بباله لا خطر لهذا فترب الكتاب فسمع هاتفا يقول سيعلم المستخف بالتراب
ما يلقاه غدا من طول الحساب ورهن احمد بن حنبل سطلا له عند بقال بمكة فلما اراد فكاكه اخرج
البقال اليه سطلين فقال خذ ايهما لك فقال احمد اشكل علي سطلي هو لك والدراهم لك فقال البقال
سطلك هذا وانما اردت ان اجربك فقال لا اخذه ومضى وترك السطل عنده وقيل سيب ابن المبارك
دابة قيمتها كثيرة وصلى صلاة الظهر فرتعت في قرية سلطانية فترك ابن المبارك الدابة ولم يركبها
وقيل رجع ابن المبارك من مرو الى الشام في قلم استعاره ولم يرده على صاحبه واستاجر
النخعي دابة فوقع سوطه من يده فنزل وربط الدابة ورجع فاخذ السوط فقيل له لو حولت
الدابة الى الموضع الذي سقط السوط فيه فاخذته فقال انما استاجرتها لا مضي هكذا
لا هكذا وقال ابو بكر الزقاق تهت في تيه بني اسرائيل خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق
استقبلني جندي فسقاني شربة من ماء فعادت قسوتها على قلبي ثلاثين سنة وقيل
خاطت رابعة شقا في قميصها في ضوء شعلة سلطانية ففقدت قلبها زمانا حتى تذكرت
فشقت قميصها فوجدت قلبها ورؤي سفيان الثوري في المنام وله جناحان يطير في الجنة
من شجرة الى شجرة فقيل له بم نلت هذا قال بالورع ومر عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام

بجمعهم فنادى رجلا منهم فاجابه الله تعالى فقال لهن انت قال كنت حمالا انقل للناس فنقلت
يوما لانسان حطبا فكسرت منه خلالا تخللت به فانا مطالب به منذ مت انتهى كلام
القشيري ولبعضهم رحمه الله المرء ان كان عاقلا ورعا اشغله عن عيوبهم ورعه كما العليل السقيم اشغله
عن وجع الناس كلهم وجعه وعن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان المومن اذا اذنب كانت نكتة سوداء في قلبه فاذا تاب ونزع واستغفر صقل قلبه
وان زاد زادت حتى تعلو قلبه فذلك الران الذي ذكر الله عز وجل في كتابه كلا بل ران
على قلوبهم ما كانوا يكسبون وعن الاعمش قال كنا عند مجاهد فقال القلب هكذا وبسط
كفه اذا اذنب العبد ذنبا قال هكذا فعقد واحدا ثم اذا اذنب وعقد اثنين ثم ثلاثا
ثم رد الابهام على الاصابع في الذنب الخامس يطبع الله على قلبه قال مجاهد فايكم يرى انه
لم يطبع على قلبه وقال يحيى بن معاذ سقم الجسد بالاوجاع وسقم القلب بالذنوب فكما
لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب
وقال خالد الربعي كان لقمان عبدا حبشيا فدفع اليه مولاه شاة فقال اذبحها وائتني
باطيب مضغتين منها فاتاه باللسان والقلب فسأله مولاه عن ذلك فقال لهما شيء اطيب
منهما اذا طابا ولا اخبث منهما اذا خبثا وقال زهير لسان الفتى نصف ونصف فؤاده
فلم يبق الا صورة اللحم والدم الا وهي القلب وهو مضغة في الفؤاد معلقة بالنياط فهو
اخص من الفؤاد كما قال الواحدي وقال البدر الزركشي والاحسن قول غيره الفؤاد غشاء
القلب والقلب حبته وسويداؤه ويؤيد الفرق قوله صلى الله عليه وسلم الين قلوبا وارق
افئدة وفي الصحاح انهما مترادفان فان القلب يعبر عنه بالفؤاد ومنه ان الكلام لفي الفؤاد ويعبر
عنه بالصدر كما في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك ويعبر عنه بالثياب كما في قوله تعالى وثيابك
فطهر على احد التفاسير وقول الشاعر فشككت بالرمح الطويل ثيابه اي قلبه وقد يطلق
القلب على العقل مبالغة كما في قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب اي عقل فلقيامه
به وعدم انفكاكه عنه صار كانه هو وسمي القلب قلبا لفرط تقلبه ولذا ورد في الحديث
ان القلب كريشة بارض فلاة تقلبها الرياح بطنا لظهر وقال بعضهم ما سمي القلب الا من تقلبه
فاحذر على القلب من قلب وتحويل وقال اخر كان لي قلب اعيش به ضاع مني في تقلبه
رب فاردده علي فقد قل صبري في تطلبه واغث ما دام به رمق يا غياث المستغيث به
وقال اخر وما سمي الانسان الا لنسيه وما القلب الا انه يتقلب اولانه خالص ما في
البدن وخالص كل شيء قلبه اولانه وضع في الجسد مقلوبا والقلب لغة صرف الشيء
الى عكسه ومنه المقلوب فان قلت هذا يقتضي ان القلب هو اصل الصلاح والفساد

وقد يؤذي ان الانسان اولا ينظر ثم يتاثر القلب كما قيل كل الحوادث مبداها من النظر
ومعظم النار من مستصغر الشرر والمرء ما دام ذا عين يقلبها في اعين الغير موقوف على خطر
كم نظرة فعلت في قلب صاحبها فعل السهام بلا قوس ولا وتر يسر مقلته ما ضر مهجته
لا مرحبا بسرور جاء بالضرر فهذا يدل على ان الجارحة تفسد القلب فالجواب ان الجوارح
وان كانت تابعة للقلب فقد يتاثر القلب باعمالها للارتباط الذي بين الظاهر والباطن
فهو وان كان صغير الجسم لكنه عظيم الجرم رواه البخاري في كتاب الايمان والبيع ومسلم
في البيع وهذا الحديث اصل في القول بحماية الذرايع الذي هو مذهب امامنا مالك
رضي الله عنه الحديث السابع عن ابي رقية بضم الراء وتشديد المثناة التحتية مصغرا
بنت لم يولد له غيرها تميم ابن اوس بفتح الهمزة وسكون الواو بن حارثة وقيل خارجة
بن سويد وقيل سواد بن خزيمة بن ذراع بن عدي بن الدار بن هانئ بن حبيب بن
النمارة بن لخم وهو مالك بن عدي ابن الحارث بن مرة بن ادد بن زيد بن يشجب بن يعرب
بن قحطان الداري نسبة الى جده الدار بن هانئ وقيل الى موضع يقال له دارين ويقال له ايضا
الديري نسبة الى دير كان يتعبد فيه رضي الله عنه كان نصرانيا فوفد على رسول الله صلى الله عليه
وسلم في جماعة من الداريين منصرفه فاسلم وكان كثير التهجد يختم القران في ركعة فنام ليلة
لم يقم يتهجد فيها فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع صلى ليلة بام حسب الذين اجترحوا
السيئات ان نجعلهم كالذين امنوا وعملوا الصالحات فجعل يرددها ويبكي حتى اصبح وعن
صفوان بن سليم انه قال قام تميم الداري في المسجد بعد ان صلى العشاء فمر بهذه الاية
وهم فيها كالحون فما خرج منها حتى سمع اذان الصبح واشترى حلة بالف كان يقوم بها الليل
وعن محمد ابن ابي بكر عن ابيه قال زارتنا عمرة فباتت عندنا فقمت من الليل فلم ارفع
صوتي بالقراءة فقالت يا اخي ما منعك ان ترفع صوتك بالقران فما كان يوقظنا الا صوت
معاذ القاري وتميم الداري ولقد قال عمر لبعض من قدم عليه اذهب وانزل على
خير اهل المدينة فنزل على تميم قال فبينما نحن نتحدث اذ خرجت نار بالحرة فجاء عمر الى
تميم فقال يا تميم اخرج فصغر نفسه ثم قام فحاشها حتى ادخلها الى الباب الذي خرجت
منه ثم اقتحم في اثرها ثم خرج فلم تضره وهو اول من قص بالمسجد باذن عمر واول من اسرج
السراج في المسجد وذكر للنبي صلى الله عليه وسلم قصة الجساسة والدجال اذ وجده
هو واصحابه فحدث النبي صلى الله عليه وسلم بذلك على المنبر وعد ذلك من مناقبه ويدخل
في ذلك رواية الاكابر عن الاصاغر فقد قالت فاطمة بنت قيس سمعت منادي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ينادي الصلاة جامعة فخرجت الى المسجد فصليت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فلما قضى صلاته جلس على المنبر وهو يضحك فقال ليلزم كل انسان
مصلاه ثم قال هل تدرون لم جمعتكم قالوا الله ورسوله اعلم قال واني والله ما جمعتكم لرغبة
ولا رهبة ولكن جمعتكم لان تميما كان رجلا نصرانيا فجاء واسلم وحدثني حديثا وافق الذي

كنت

كنت احدثكم به عن المسيح الدجال حدثني انه ركب البحر في سفينة بحرية مع ثلاثين
رجلا من لخم وجذام فلعب بهم الموج شهرا في البحر فارفؤوا الى جزيرة اي قاربوها
حين تغرب الشمس فجلسوا في اقرب السفينة بضم الراء جمع قارب بكسرها سفينة
صغيرة يقال لها سنبوك فدخلوا الجزيرة فلقيتهم دابة اهلب كثير الشعر وهو
تفسير لما قبله لا يدرون ما قبله من دبره من كثرة الشعر قالوا ويلك ما انت
فقالت انا الجساسة سميت بذلك لتجسسها الاخبار للدجال قالوا وما الجساسة
قالت ايها القوم انطلقوا الى هذا الرجل في الدير فانه الى خبركم بالاشواق قال لما
سمت لنا رجلا فزعنا منها ان تكون شيطانة قال فانطلقنا سراعا حتى دخلنا
الدير فاذا فيه اعظم انسان ما رايناه قط واشده وثاقا مجموعة يداه الى عنقه
ما بين ركبتيه الى كعبيه بالحديد قلنا ويلك ما انت قال قد قدرتم على خبري
ما انتم قلنا نحن اناس من العرب ركبنا في سفينة بحرية فلعب بنا البحر شهرا فدخلنا
الجزيرة فلقيتنا دابة اهلب فقالت انا الجساسة اعمدوا الى هذا الدير فاقبلنا
اليك سراعا فقال اخبروني عن نخل بيسان هل تثمر قلنا نعم قال اما انها يوشك ان لا تثمر
قال اخبروني عن بحيرة طبرية هل فيها ماء قلنا هي كثيرة الما قال ان ماءها يوشك ان
يذهب قال اخبروني عن عين زغر هل في العين ما وهل يزرع اهلها بما العين قلنا نعم
هي كثيرة الما واهلها يزرعون من مايها قال اخبروني عن نبي الاميين ما فعل قلنا خرج
من مكة ونزل بيثرب قال اقاتله العرب قلنا نعم قال كيف صنع بهم فاخبرناه انه قد
ظهر على من يليه من العرب واطاعوه قال اما ان ذلك خير لهم ان يطيعوه واني مخبركم
عني اني انا المسيح واني يوشك ان يوذن لي في الخروج فاخرج فاسير في الارض فلا
ادع قرية الا اهبطها في اربعين ليلة غير مكة وطيبة هما محرمتان علي كلتاهما كلما اردت
ان ادخل واحدة منهما استقبلني ملك بيده السيف صلتا يصدني عنها وان على كل نقب
منها ملائكة يحرسونها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وطعن بمخصرته
في المنبر هذه طيبة هذه طيبة يعني المدينة هل كنت احدثكم قالوا نعم انتهى والنقب
الطريق بين الجبلين وسكن تميم بيت المقدس بعد قتل عثمان ومات ودفن ببيت
جبريل او جبرين من ارض فلسطين سنة اربعين وليس له في صحيح البخاري ولا في مسلم
الا في هذا الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الدين بكسر الدال اي دين الاسلام وهو
ما شرع الله لعباده من الاحكام وقد مرت معانيه في الخطبة النصيحة هي كالنصح ضد
الغش والخديعة وهي لغة الاخلاص والتصفية من نصحت العسل اذا صفيته من الشمع
شبه تخليص القول والعمل من الغش بتخليص العسل من الشمع او من نصح الرجل ثوبه

اذا خاطه بالمنصح بكسر الميم وهي الابرة التي يخاط بها والنصاح بكسر النون وتخفيف الصاد
الخيط والناصح الخياط شبه فعل الناصح فيما يتحراه من صلاح المنصوح وله شعثه بلم الخياط
خلل الثوب ولصق بعضه ببعض ومنه التوبة النصوح كان الذنب يمزق الدين والتوبة تخيطه
ونصحت له انصح من نصحته وشرعا اخلاص الراي من الغش للمنصوح وايثار مصلحته
وان شئت قلت بذل المودة والاجتهاد في المشهورة وقوله الدين النصيحة كرره صلى الله عليه
وسلم ثلاث مرات وهو اما على حذف مضاف اي عماد الدين وقوامه النصيحة او معظمه النصيحة على وزان
الحج عرفة ويدل له رواية الطبراني راس الدين النصيحة واما على ظاهره ان النصيحة لم تبق من
الدين شيا لان من جملتها الايمان بالله ورسله وكتبه والعمل بما قالاه من كتاب وسنة وليس
وراء ذلك من الدين شيء كيف وقد مر في حديث جبريل ان الدين هو الاسلام والايمان والاحسان
وجميع ذلك مندرج تحت ما ذكر من النصيحة وهي تحري الاخلاص قولا وفعلا واعتقادا وبذل
الجهد في اصلاح المنصوح سرا وجهرا وكل عمل لم يرد به عامله الاخلاص فليس من الدين اصلا
ومن ثم لم يكن في كلام العرب اجمع منها كما ان الفلاح ليس في كلامهم اجمع لخيري الدنيا والاخرة
منه قلنا معشر السامعين لمن فيه اشارة الى ان للعالم ان يكل فهم ما يلقيه للسامع فلا
يزيد في البيان حتى يساله لتشوف نفسه حينئذ اليه فيكون اوقع في نفسه مما اذا فهمه
من اول وهلة قال صلى الله عليه وسلم لله بالايمان به ونفي الشريك عنه واخلاص الاعتقاد
في الوحدانية ووصفه بصفات الالوهية وتنزيهه عن النقايص والقيام بطاعته وا
جتناب معصيته وموالاة من اطاعه ومعاداة من عصاه والاعتراف بنعمته وشكره عليها
والاخلاص في جميع الامور وفي حديث رواه احمد قال الله عز وجل احب ما تعبد به
عبدي النصح لي وروى الثوري عن علي قال الحواريون لعيسى يا روح الله من الناصح
لله قال الذي يقدم حق الله على حق الخلق وحقيقة هذه الاضافة راجعة الى العبد في نصحه
نفسه فانه سبحانه وتعالى غني عن نصح الناصحين وعن العالمين ولكتابه معرفة مضاف
فيعم جميع كتبه المنزلة بان يومن بانها من عنده وتنزيله وعيز القران بانه لا يشبهه
شيء من كلام الخلق ولا يقدر احد منهم على الاتيان بمثل اقصر سورة منه وتلاوته بخشوع
واقامة حروفه في التلاوة والتصديق بما فيه وتفهم علومه وامثاله والاعتناء بمواعظه
والتفكر في عجائبه والعمل بمحكمه والتسليم بمتشابهه والبحث عن ناسخه ومنسوخه
وعمومه وخصوصه وساير وجوهه ونشر علومه والدعا اليه ولرسوله بتصديق
رسالته والايمان بجميع ما جاء به والتزام طاعته في امره ونهيه ونصرته حيا وميتا

واعظام

واعظام حقه فقد روي المسور بن مخرمة ان عروة بن مسعود الثقفي رمق اصحاب رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوالله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وقعت في كف رجل منهم
فدلك بها وجهه وجلده واذا امرهم ابتدروا امره واذا توضا كادوا يقتتلون على وضوئه
واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون النظر اليه تعظيما له فرجع عروة الى اصحابه
فقال يا قوم لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي والله ان رايت
ملكا قط يعظمه اصحابه ما يعظم اصحاب محمد محمدا والله ان يتنخم نخامة الا وقعت في كف
رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده الحديث ومن النصيحة له احيا سنته والتفقه
فيها والذب واجلال اهلها لانتسابهم اليها والتخلق باخلاقه والتادب بادابه
ومحبة آل بيته واصحابه وتجنب من تعرض لاحد من آله واصحابه ولائمة جمع امام وهو
القايم بامور المسلمين والامامة اعم من الخلافة اذ كل خليفة امام ولا ينعكس قيل والامامة
على اربعة اوجه امامة وحي وهي النبوة ووراثة وهي العلم وعبادة وهي الصلاة ومصلحة
وهي الخلافة المسلمين الامرا عاونتهم على الحق وامرهم به وتذكيرهم بلطف ورفق
واعلامهم بما غفلوا عنه من امور المسلمين وحقوقهم والدعا بالصلاح لهم وترك الخروج
عليهم والجهاد معهم واداء الزكاة اليهم وامتثال امرهم في غير المعاصي فقد ورد ان عبد الله
بن حذافة السهمي بعثه النبي صلى الله عليه وسلم في سرية وامره عليها وكان فيه دعابة فامرهم
ان يجمعوا حطبا ويوقدوه نارا فلما اوقدوه امرهم بالتقحم فيها فابوا فقال لهم الم يامركم رسول
الله صلى الله عليه وسلم بطاعتي وقال من اطاع اميري فقد اطاعني فقالوا ما امنا بالله واتبعنا
الرسول الا لننجو من النار فصوب رسول الله صلى الله عليه وسلم قولهم وقال لا طاعة لمخلوق في
معصية الخالق انتهى والعلما بقبول ما رووه وتقليدهم في الاحكام ونشر مناقبهم واحسان
الظن بهم وليس المراد من ترقى بزيهم وادعى العلم واكل الدنيا بالدين فان نصيحتهم نصح عامة
المسلمين ان لم يستحلوا قال سهل بن عبد الله لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلما فاذا
عظموا هذين اصلح الله دنياهم واخراهم واذا استخفوا بهذين افسد دنياهم واخراهم وعامتهم
بارشادهم الى ما يصلح اخراهم ودنياهم وكف الاذى عنهم وتعليمهم ما جهلوه وستر عوراتهم
وسد خلتهم ومحبته لهم ما يحب لنفسه وعدم غشهم واذا راى من يفسد وضوءه او صلاته
او غير ذلك ولم يعلمه فقد غشه وعليه الاثم وقيل الا ان يعلم انه لم يسمع منه فانه يسقط عنه
الاثم قاله الاقفهسي في شرحه لرسالة ابن ابي زيد القيرواني وظاهره سواء كان هناك غيره
يقوم مقامه بذلك ام لا وقد ذكر الحطاب في شرحه عليها ما يفيد حكم ذلك فقال التادلي اختلفوا

اذا كان هناك من يشاركك في النصيحة فهل تجب عليك النصيحة سوا طلبت منك ام لا كمن رايته يفسد صلاته
فقال الغزالي يجب عليك النصح وقال ابن العربي لا يجب قال بعض شيوخنا والذي اقول به ما قاله الغزالي
ويكون ذلك برفق لانه اقرب للقبول ولذا قال الشافعي من وعظ اخاه سرا فقد نصحه وزانه ومن
وعظ علانية فقد فضحه وشانه ومن ثم قال الفضيل المومن يستر وينصح والفاجر يهتك ويعير
وفي كلام الشيخ محي الدين ان من شرط الناصح اذا اراد ان ينصح احدا ان يمهد له بساطا قبل
النصح وان يري نفسه دون المنصوح وان يوطن نفسه علي تحمل الاذي الحاصل من جهة النصح في
العادة وقد حكي ان الحسن والحسين رضي الله عنهما اقبلا علي شيخ يفسد وضوءه فقال احدهما للاخر
تعالي نرشد هذا الشيخ فقال له احدهما انا نريد ان نتوضا بين يديك حتى تنظر الينا وتعلم من
يحسن منا الوضو ومن لا يحسنه ففعلا ذلك فلما فرغا من وضوءهما قال انا والله الذي لا احسن
الوضوء واما انتما فكل واحد منكما يحسن الوضو فانتفع بذلك منهما من غير تعنيف ولا توبيخ
وقد اتفق ان رجلا وعظ المامون واغلظ عليه فقال له خير منك وعظ من هو اشر مني
فان موسي وهارون علي نبينا وعليهما الصلاة والسلام لما ارسلهما الله تعالي الي فرعون قال فقولا
له قولا لينا وقد كان في السلف من بلغت به نصيحته الي الاضرار فقد ورد ان جريرا اشتري
له فرس بثلاثماية درهم فقال لصاحبه فرسك خير من ثلاثماية درهم اتبيعه باربعماية
درهم فقال هو لك يا ابا عبد الله فقال هو خير من اربعماية درهم اتبيعه بخمسماية درهم
فقال نعم فلا زال يزيد ماية بعد ماية حتى اوصله ثمانماية درهم فكلم في ذلك فقال عاهدت
رسول الله صلى الله عليه وسلم علي النصح لكل مسلم وورد ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه
قال لبعض اخوانه اوصيك بستة اشيا ان اردت ان تقع في احد وتذمه فذم نفسك
فانك لا تعلم احدا اكثر عيوبا منها وان اردت ان تعادي احدا فعاد البطن فليس
لك عدو اعدي منها وان اردت ان تحمد احدا فاحمد الله تعالي فليس احد اكثر منه منة
عليك والطف بك منه وان اردت ان تترك شيا فاترك الدنيا فانك ان تركتها فانك محمود
والا تركتها وانت مذموم وان اردت ان تستعد الي شي فاستعد للموت فانك ان لم تستعد
له حصل لك الخسران والندامة وان اردت ان تطلب شيا فاطلب الاخرة فلست تنالها
الا بان تطلبها وبدا في الحديث بالله لان الدين له حقيقة وثني بكتابه الصادع ببيان احكامه
المعجز ببديع نظامه وثلث بما يتلو كتابه وهو رسوله الهادي الي دينه الموقف علي
احكامه المفصل لجميع شرايعه وربع باولي الامر الذين هم خلفا الانبيا القايمين بسنتهم
وخمس بالتعميم ولم يكرر اللام في عامتهم لانهم كالاتباع للايمة لا استقلال لهم واغا خص
اهل الاسلام بالنصح لانهم اقرب الي الاجابة من اهل الذمة اولان النصيحة الحاملة
اغا هي للمسلمين بخلاف اهل الذمة اذ لا يقال لهم صلوا ولا زكوا اولان ذكر المسلمين من باب
التغليب لشرفهم علي اهل الذمة والا فنحن ننصح اهل الذمة بالارشاد للايمان رواه مسلم
في كتاب الايمان وهو من افراده تنبيه قال ثابت بلغني ان ابليس ظهر لبعض
العباد

العباد فراي عليه معاليق من كل شي فقال العابد يا ابليس ما هذه المعاليق التي اري عليك قال
هذه الشهوات اصيب بهن بني ادم قال فهل لي فيها من شي قال ربما شبعت فثقلت عن
الصلاة وعن الذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا املي بطني من طعام ابدا قال ابليس
ولله علي ان لا انصح احدا ابدا الحديث الثامن عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال امرت بالبنا للمفعول اي امرني الله تعالي فحذف الفاعل تفخيما وتعظيما وقال
بعضهم طوي ذكره لشهرته وتعينه بذلك اذ لا امر لرسول الله صلي الله عليه وسلم غيره ولذلك
اذا قال الصحابي امرنا بكذا يفهم منه ان الامر الرسول صلي الله عليه وسلم لانه هو المشرع والمبين
لهم واما اذا قال التابعي امرنا بكذا فهو محتمل وحقيقة الامر القول الطالب للفعل ان اقاتل
اي بان اقاتل لان الاصل في الامر ان يتعدي لمفعولين ثانيهما بحرف الجر ونحو امرتك الخير
نادر وان مصدرية والتقدير بمقاتلة الناس من الانس فيختص ببني آدم او من نوس
اذا تحرك فيعم الجن بالحقيقة او التغليب والمراد هنا الانس خاصة وان كان مرسلا الي الجن
اجماعا اذ لم يرد انه قاتلهم وان اسلم منهم جمع علي يديه كجني نصيبين والناس اصله الاناس
فحذفت الهمزة تخفيفا وتوهم ابو علي ان ال عوض عن الهمزة اذ لا يجتمعان في الاناس الا لضرورة
ورد بكثرة استعمال ناس منكرا من غير ال والهمزة ولو كانت عوضا لم يجز ذلك اذ لا يجوز الخلو
عن المعوض والمعوض وقال صاحب القاموس الناس يكون من الانس ومن الجن جمع انس
اصله اناس جمع عزيز ادخل عليه ال وفيما قاله نظر اذ جعله شاملا للجن مع كون
مفرده انس غير متجه وكذا قال انه جمع عزيز وخالف لما صرح به صاحب الكشاف في البقرة
والاعراف من انه اسم جمع غير تكسير بدليل عود الضمير اليه وتصغيره علي لفظه ولانه لم
يسمع جمع جاء علي فعال بالضم الا في ثمانية الفاظ كما قاله السعد لكن زاد عليه صاحب المزهر
وغيره الفاظا وقوله امرت ان اقاتل الناس انما ذكر باب المفاعلة لان الدين ما ظهر الا بالجهاد
والجهاد لا يكون الا بين اثنين ثم ان امره صلي الله عليه وسلم بالقتال كان بعد الهجرة فانه
صلي الله عليه وسلم لما بعث امر بالانذار من غير قتال ثم بعد الهجرة اذن له فيه ان ابتداه الكفار
به ثم احل له ابتداء في غير الاشهر الحرم ثم مطلقا من غير شرط فائدة قال ابن عباس وغيره
لم يقتل نبي من الانبيا الا من لم يومر بقتال وكل من امر بقتال نصر انتهى والناس المراد بهم جميع الخلق
من بني ادم وقد يطلق الناس علي الواحد كما في قوله تعالي في النسا ام يحسدون الناس علي ما اتاهم الله
من فضله يعني النبي صلي الله عليه وسلم ويطلق علي المومنين خاصة كقوله تعالي ان الذين كفروا وماتوا
وهم كفار اولئك عليهم لعنة الله والملايكة والناس اجمعين يعني لعنة المومنين خاصة ويطلق علي
اهل مكة خاصة كما في قوله تعالي وما جعلنا الرويا التي اريناك الا فتنة للناس يعني اهل مكة ويطلق
علي بني اسرائيل كقوله تعالي في المايدة اانت قلت للناس يعني بني اسرائيل حتى غاية للقتال
ويحتمل كونها غاية للامر يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وفي رواية ابي رسول الله

وفي رواية حتى يقولوا لا اله الا الله وهذا الشرط مشعر بمجموع الجملتين فاستغنى باحداهما عن الاخرى لارتباطهما كما يقال قرات الم ذلك الكتاب والمراد كل السورة وقد استغنت العرب بحرف من الكلمة عن بقيتها في نظمها ونثرها كقول القايل قلت لها قفي فقالت ق اراد قالت وقفت وقول الاخر جاريته قد وعدتني ان تا تدهن راسها وتفلي او تا اراد ان تاتي وتدهن راسها وتفلي او تمسح وكقول الاخر بالخير خيرات وان شرا فا ولا اريد الشر الا ان تا اراد ان شرا فشر والا ان تشا واذا استغنت بحرف عن بقيتها فاحرى ان تستغني باحدى الكلمتين او الجملتين عن الاخرى اذا كان فيها دلالة على ما لم يذكر واعلم انه لا يشترط في صحة الايمان التلفظ بالشهادتين ولا النفي والاثبات بل يكفي ان يقول الله واحد ومحمد رسوله وانظر هل لا بد في كفاية ذلك من لفظ الله ولفظ محمد فلو قال الرحمن واحد واحمد رسوله او قال لا اله الا الرحمن واحمد رسول الله هل يكفي ام لا وظاهر كلام الابي في شرح جمع الجوامع والمتيطي الاكتفا بذلك وظاهر كلام الجمهور لا يشترط الترتيب وذهب القاضي ابو الطيب من الشافعية وابن الطيب الشهير بالباقلاني من المالكية الى اشتراطه قال الكمال ابن ابي شريف ولم يتابعا مع انه متجه عند التامل وظاهر ما في الهداية للاحناف المالكي انه يشترط الفور قال ابن ناجي هل الافضل مد الف لا النافية او القصر من لا اله الا الله فمنهم من اختار المد ليستشعر المتلفظ بذكر الله تعالى من نفي الالوهية عن كل موجود سوى الله تعالى ومنهم من اختار القصر لئلا تخترمه المنية قبل التلفظ بذكر الله تعالى وفرق الفخر بين ان يكون اول كلامه فيقصر والا فيمد انتهى فان قلت قضية الحديث قتال كل من امتنع من التوحيد اذ الذي يذاق من لفظ الناس العموم والاستغراق كما في قوله تعالى قل يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا فكيف ترك قتال مودي الجزية فالجواب منه وجوه ان اخذ الجزية وسقوط القتال ربما كان موخرا عن هذا الحديث الثاني ان المراد بما ذكر من الشهادتين وغيرهما التعبير عن اعلاء كلمة الله تعالى واذلال المخالفين فيحصل في بعض بالقتل وبعض باداء الجزية الثالث ان المراد بالقتال هو او ما يقوم مقامه كالجزية الرابع ان المراد اضطرارهم الى الاسلام وسبب السبب سبب فكانه قال حتى يسلموا او يلتزموا ما يوديهم الى الاسلام وهو اعطا الجزية فاكتفى بما هو المقصود الاصلي من الخلق فتكون المقاتلة سببا للمقتول والفعل ونظره قوله انزل لكم من الانعام ثمانية ازواج والمنزل هو المطر وهو سبب لانبات العشب وهو سبب لتكثر الحيوان فغلب في الحديث السبب الاول اعني المقاتلة على السبب الثاني اعني اخذ الجزية فايدة قال ابن جماعة في حاشيته شرح العقايد لطيفة قال الرازي في اسرار التنزيل لا اله الا الله محمد رسول سبع كلمات واعضا العبد سبعة وابواب النار سبعة فكل كلمة تغلق عن عضو بابا قلت ومن المعلوم ان الاعضا اكثر من سبعة فلا بد لتحقق كونها سبعة من الحمل على خصوص في الاعضا وهل هي الواردة في حديث السجود وهو امرت ان اسجد على سبعة اعظم الحديث او هي السبعة المتوصل بها الى المقاصد والمفاسد غالبا وهي اليدان والرجلان والعينان واللسان او غير ذلك محل بحث

انتهى

رايت لبعضهم انها اليدان والرجلان والراس والفرج والبطن والله اعلم

والنطق بالشهادتين ... [illegible] ... وهكذا الترتيب ... [illegible]

انتهى من شرح شيخنا على خطبة مختصر الشيخ خليل قلت والظاهر ان المراد بها الاعضاء التي يطلب من
الانسان حراستها وهي الوجه والبطن والفرج واليدان والرجلان قال السمرقندي في كتاب
الاربعين ويقال من قال لا اله الا الله هدمت له اربعة الاف سيئة مع كل كلمة تكفر الف سنة وذكر ابن
الفاكهاني ان ملازمة ذكرها عند دخول المنزل تنفي الفقر وقال بعض العلما اذا قال القايل لا اله
الا الله اهتز لها العرش وفي الحديث عنه صلى الله عليه وسلم لكل شي مصقلة ومصقلة القلب
الذكر وافضل الذكر لا اله الا الله لجلاء القلب وبياضه وتنويره بالذكر وروي انه من قرا قل
هو الله احد في بدايته نور الله قلبه وقوي يقينه وجا في الاثر ان العبد اذا قال لا اله الا الله
اعطاه الله من الثواب بعدد كل كافر وكافرة قيل والسبب انه لما قال هذه الكلمة فكانه قد
رد عليهم فلاجرم ان يستحق الثواب بعددهم وسيل بعض العلما عن قوله تعالى وبير معطلة
وقصر مشيد فقال البير المعطلة قلب الكافر والقصر المشيد قلب المومن معمور بشهادة
ان لا اله الا الله وقال صلى الله عليه وسلم من قال لا اله الا الله خرج من فيه طاير اخضر له
جناحان ابيضان مكللان بالدر والياقوت يصعد الى السما فيسمع له دوي تحت العرش
كدوي النحل فيقال له اسكن فيقول لا حتى تغفر لصاحبي فيغفر لقايلها ثم يجعل بعد ذلك
للطاير سبعون لسانا يستغفر لصاحبه الى يوم القيمة فاذا جا يوم القيمة جا ذلك الطاير
يكون قايده ودليله الى الجنة وعن عبد الله بن زيد قال كنت في مركب فطرحتنا الريح على
جزيرة فخرجنا الى الجزيرة فراينا شخصا يعبد صنما فقلنا له تعبد هذا الصنم وفينا من يصنع
مثله فقال انتم لمن تعبدون فقلنا نعبد الها في السما عرشه وفي الارض بطشه وفي البحر سبيله
قال من اعلمكم به قلنا ارسل الينا رسولا قال اما فعل بالرسول قلنا قبضه الملك اليه قال فهل
ترك عندكم من علامة قلنا نعم كتاب الملك قال هل عندكم منه شي فنشرنا نقرا عليه سورة الرحمن
فما زال يبكي حتى ختمت ثم قال ما ينبغي ان يعصى صاحب هذا الكلام ثم عرضنا عليه الاسلام
فاسلم وحملناه معنا في السفينة فلما جن الليل وصلينا العشا اخذنا مضاجعنا للنوم
فقال هذا الاله الذي دللتموني عليه ينام قلنا بل هو حي قيوم لا ينام قال بيس العبيد انتم تنامون
ومولاكم لا ينام فلما وصلنا البو وردنا الانصراف جمعنا له شيا من الدراهم فقال ما هذا فقلنا
نستعين به على نفسك فقال دللتموني على طريق ما اراكم سلكتموها انا كنت اعبد غيره فلم يضيعني
افيضيعني الآن بعد ما عرفته فلما كان بعد ثلاثة ايام قيل لي انه في النزع فجيت اليه وقلت
له هل من حاجة فقال قضا حوايجي الذي اخرجني من الجزيرة ومات عنده فرايت جارية في روضة
خضرا وهي تقول عجلوا به فقد طال الشوق اليه فاستيقظت وقد مات ودفنته وغمت
تلك الليلة فرايته في المنام وعلى راسه تاج وبين يديه العين والحور وهو يقرا والملايكة
يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار وقال الحسن البصري رايت
محموما يجود بنفسه فقلت له كيف انت وكيف حالك فقال لي قلب عليل ولا قوة لي وبدن لي
سقيم ولا صحة لي وقبر موحش ولا انيس لي وطريق بعيد ولا زاد لي وصراط دقيق ولا جواز لي

ونار حامية ولا بدن لي وجنة عالية ولا نصيب لي ورب عادل ولا حجة لي قال فاقبلت عليه وقلت له
لم لا تسلم فقال يا شيخ المفتاح بيد الفتاح والقفل ههنا واشار الى صدره وغشي فقلت الهي وسيدي
ان كان سبق لهذا المجوسي حسنة فعجل بها فافاق من غشيته ثم اقبل علي وقال يا شيخ ان الفتاح ارسل
بالمفتاح من يديك فانا اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ومات رحمه الله تعالى وروى
محمد بن ادم قال رايت بمكة اسقفا يطوف بالكعبة فقلت ما الذي نزعك عن دين ابائك قال
تبدلت خيرا منه فقلت وكيف ذاك قال ركبت البحر فلما توسطناه انكسرت المركب فلم تزل
الامواج تدافعني حتى رمتني في جزيرة من جزاير البحر فيها اشجار كثيرة ولها ثمر احلى من الشهد
والين من الزبد وفيها نهر عذب فحمدت الله تعالى على ذلك فقلت اكل من هذا الشجر واشرب من
هذا النهر حتى يقضي الله بامره فلما ذهب النهار خفت على نفسي من الوحش فطلعت على شجرة
ونمت على غصن من اغصانها فلما كان في جوف الليل فاذا انا بدابة على وجه الماء تسبح الله تعالى
وتقول لا اله الا الله العزيز الجبار محمد رسول الله النبي المختار ابو بكر الصديق صاحبه في الغار
عمر الفاروق فاتح الامصار عثمان القتيل في الدار علي سيف الله على الكفار فعلى مبغضهم لعنة
العزيز الجبار ومأواه النار وبئس القرار ولم تزل تكرر هذه الكلمات الى الفجر فلما طلع الفجر قالت
لا اله الا الله الصادق الوعد والوعيد محمد رسول الله الهادي الرشيد ابو بكر السديد عمر بن الخطاب
سور من حديد عثمان الفضل الشهيد علي بن ابي طالب ذو الباس الشديد فعلى مبغضهم لعنة
الرب المجيد ثم اقبلت الى البر فاذا راسها راس نعامة ووجهها وجه انسان وقوايمها قوائم
بعير وذنبها ذنب سمكة فخشيت على نفسي الهلكة فوقفت فقالت ما دينك فقلت دين
النصرانية فقالت ويلك ارجع الى دين الحنيفية فقد حللت بفناء قوم من مسلمي الجن لا ينجو منهم
الا من كان مسلما فقلت وكيف الاسلام قالت تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله فقلتها فقالت
ان اسلامك بالترحم على ابي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله تعالى عنهم فقلت من اتاكم بذلك قالت قوم
منا حضروا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمعوه يقول اذا كان يوم القيمة تاتي الجنة فتنادي
بلسان طلق فصيح الهي قد وعدتني ان تشيد اركاني فيقول الجليل جل جلاله قد شيدت اركانك
بابي بكر وعمر وعثمان وعلي وزينتك بالحسن والحسين ثم قالت الدابة اتريد ان تقعد ههنا ام الرجوع
الى اهلك فقلت الرجوع الى اهلي فقالت اصبر حتى تمر بك مركب فبينما نحن كذلك اذا بمركب قد اقبلت تجري
فاومات اليها فرفعوا الي زورقا فركبت فيه ثم جئت اليهم فوجدت المركب فيها اثنا عشر رجلا كلهم
نصارى فقالوا ما الذي جابك الى هنا فقصصت عليهم قصتي فتعجبوا عن اخرهم واسلموا كلهم ببركة
رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي المعلم في الاعظم لابن النحاس عن ابي هريرة رضي الله تعالى قال قال رسول الوردم
الله صلى الله عليه وسلم ان لله عز وجل عمودا من نور بين يديه سبحانه وتعالى فاذا قال العبد لا اله الا
الله اهتز العمود فيقول الله تبارك وتعالى للعمود اسكن اي رب كيف اسكن ولم تغفر لقايلها
فيقول الله تعالى اسكن ايها العمود فقد غفرت له عند ذلك وذكر ابو محمد عبد الله اليافعي

في

في كتابه الارشاد عن الشيخ ابي عبد الله القرطبي انه قال سمعت في بعض الاثار ان من قال لا اله الا الله
سبعين الف مرة كانت فداؤه من النار فعملت على ذلك رجاء بركة الوعد اعمالا ادخرتها لنفسي
وعملت بها لاهلي وكان اذ ذاك بيت معنا شاب كان يقال انه يكاشف في بعض الاوقات
بالجنة والنار وكان في قلبي منه شيء فاتفق انه استدعانا بعض الاخوان الى منزله فنحن نتناول
من الطعام والشاب معنا فصاح صيحة منكرة واجتمع في نفسه وهو يقول يا عم هذه امي
في النار وهو يصيح بصياح عظيم لا يشك من سمعه انه عن امر عظيم فلما رايت ما به قلت
في نفسي اليوم اجرب فقلت في نفسي اللهم اني هللت السبعين الفا وقد اشتريت بها
ام هذا الشاب من النار فما استتم هذا الخاطر الا وتبسم الشاب وسر وقال يا عم ها هي امي
قد اخرجت من النار فحصل لي فائدتان صدق الاثر وعلمي بصدق الشاب المذكور ه
ويقيموا الصلاة اي ياتوا بها على الوجه المامور به او يداوموا عليها كما مر ويوتوا الزكاة الى
مستحقيها او الى الامام ليدفعها لهم ولم يذكر الصوم والحج لكونهما لم يفرضا او لكونهما لا يقاتل
على تركهما فاد عبر بهما مع انها للمحقق دون ان التي للمشكوك فيه مع ان فعلهم قد يكون
وقد لا يكون لان علم ايمان بعضهم فغلبهم لشرفهم او تفاولا بوقوع الفعل منهم فاشبه الدعا
بالماضي نحو غفر الله لك فعلوا ذلك كله اي اتوا به قولا كان وهو الشهادتان او فعلا وقولا
وهو الصلاة او فعلا محضا وهو الزكاة فان قلت المشار اليه بعضه قول فكيف اطلق
الفعل عليه فالجواب اما باعتبار انه فعل اللسان واما على سبيل التغليب للاثنين على الواحد
عصموا حفظوا ومنعوا من العصمة وهي لغة المنع والعصام الخيط الذي يشد به فم القربة
ليمنع سيلان ما فيها واصطلاحا ملكة نفسانية تمنع من الفجور والمخالفة وقيل صفة توجب امتناع
عصيان موصوفها والمراد بها هنا المعنى اللغوي مني دماءهم واموالهم فلا يحل سفك دمائهم
ولا اخذ اموالهم والمراد بالدماء الانفس ففيه التعبير بالبعض عن الكل فان قيل لم يكتف بذكر
الشهادتين عن قوله ويقيموا الصلاة ويوتوا الزكاة فالجواب انه ذكرهما لتعظيمهما والاهتمام
بشانهما دون غيرهما الا بحق الاسلام فلا يعصم حينئذ دمهم ولا مالهم وفسر هذا الحق في الحديث
بانه زنا بعد احصان وكفر بعد ايمان او قتل النفس التي حرم الله وقضيته ان الزاني والقاتل
تباح اموالهم وليس مرادا فكانه غلب الدما وعليهما ثم الحكم بعصمة الدما والاموال انما هو
باعتبار الظاهر واما باعتبار الباطن فامرهم ليس الى الخلق بل حسابهم على الله فيما يسرونه
من كفر ومعصية وفي حديث ابي سعيد الخدري ما امرت ان اشق عن قلوب الناس ولا ابطونهم
وعلى بمعنى اللام او بمعنى الى فما افهم لفظ العلاوة من الوجوب غير مراد اذ لا يجب على الله شيء هذا
ما عليه اهل السنة تتمة قال الامام الرازي في كلامه على هذا الحديث قد جعل الله تعالى العذاب
عذابين احدهما السيف من يد المسلمين والثاني عذاب الاخرة والسيف في غلاف يرى والنار في غلاف

هذا الجواب بغير الصحيح هو

لا يري فقال لرسوله من اخرج لسانه من الغلاف المرئي وهو الفم فقال لا اله الا الله محمد رسول الله
ادخلنا الغمد في السيف الذي يري ومن اخرج القلب من الغلاف الذي لا يري وهو الذكر
ادخلنا سيف عذاب الاخرة في غمد الرحمة رواه البخاري ومسلم في كتاب الايمان الا ان مسلما
لم يذكر في حديثه عن ابن عمر الابعق الاسلام لكنه قال في رواية له عن ابي هريرة الا بحقها وفي
الرواية الاخري الا بحقه فنسبه المولف الي تخريجه بالنظر لمجموع رواياته وذلك يقع للمحدثين كثيرا
ولا ينكره الا من لم يمارس فنهم فبذلك زال العجب وبطل الشغب الذي طول به الشيخ
الهيتمي علي المولف الحديث الثانا سع عن ابي هريرة اخرج الترمذي بسند حسن عن عبد الله
ابن ابي رافع قال قلت لابي هريرة لم كنيت بابي هريرة قال كنت ارعي غنم اهلي وكانت
لي هرة صغيرة فكنت اجعلها بالليل في شجرة واذا كان بالنهار ذهبت بها معي فكنيت
بها فكنوني ابا هريرة وروي ابن عبد البر عن ابي هريرة انه قال كنت احمل يوما هرة في كمي فراني
النبي صلي الله عليه وسلم فقال ما هذه قلت هرة فقال يا ابا هريرة وفي صحيح البخاري ان النبي
صلي الله عليه وسلم قال له يا ابا هريرة وكان يكني قبلها ابا الاسود فتحصل انه كني بها لانه كان
يصحبها اما صغيرا يلعب بها او كبيرا يحسن اليها لانه الذي روي ان امراة عذبت في هرة فلعله
اخذ بقياس العكس فرجا الثواب في الاحسان اليها عبد الرحمن ونقل ابن اسحاق عن بعض اصحابه
عن ابي هريرة انه كان اسمي في الجاهلية عبد شمس فسماني رسول الله صلي الله عليه وسلم   قال الصم
عبد الرحمن ابن صخر الدوسي قدم المدينة في سنة سبع ورسول الله صلي الله عليه وسلم
بخيبر غازيا الي خيبر حتي قدم مع النبي صلي الله عليه وسلم المدينة وعن قيس عنه انه قال لما
قدمت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم قلت في الطريق يا ليلة من طولها وعنائها علي انها من
دارة الكفر نجت قال وابق مني غلام في الطريق فلما قدمت علي رسول الله صلي الله عليه وسلم
فبايعته فبينما انا عنده اذ طلع الغلام فقال لي يا ابا هريرة هذا غلامك فقلت هو حر لوجه
الله تعالي فاعتقته وعن سليم بن حيان قال سمعت ابي يقول سمعت ابا هريرة يقول نشأت
يتيما وهاجرت مسكينا وكنت اجيرا لبسرة بنت غزوان بطعام بطني وعقبة رجلي
وكنت اخدم اذا نزلوا واحدو اذا ركبوا فزوجنيها الله والحمد لله الذي جعل الدين قواما وابا
هريرة اماما وعن ابي كثير قال حدثني ابو هريرة قال اما خلق الله مومنا يسمع بي ولا يراني
الا احبني قلت وما اعلمك بهذا يا ابا هريرة قال ان امي كانت مشركة واني كنت ادعوها
الي الاسلام وكانت تابي علي فدعوتها يوما فاسمعتني في رسول الله ما اكره فاتيت
رسول الله صلي الله عليه وسلم وانا ابكي فقلت يا رسول الله اني كنت ادعو امي الي الاسلام وكانت
تابي علي واني دعوتها اليوم فاسمعتني فيك ما اكره فادع الله ان يهدي ام ابي هريرة فقال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اللهم اهد ام ابي هريرة فخرجت اعدو لابشرها بدعاء رسول

الله

الله صلى الله عليه وسلم فلما اتيت الباب اذا هو مجاف وسمعت خضخضة الما وسمعت خشفة
رجل فقالت يا ابا هريرة كما انت ثم فتحت الباب وقد لبست درعها وعجلت عن خمارها
فقالت اني اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله فرجعت الى رسول الله صلى الله عليه
وسلم ابكي من الفرح كما بكيت من الحزن فقلت يا رسول الله ابشر فقد استجاب الله دعائك
وقد هدى ام ابي هريرة وقلت يا رسول الله ادع الله ان يحببني وامي الى عباده المومنين ويحببهم
الينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اللهم حبب عبيدك هولاء الى عبادك المومنين فما خلق
الله من مومن يسمع بي ولا يراني او يرى امي الا وهو يحبني وعن الاعرج انه قال قال ابو هريرة
انكم تقولون ما بال المهاجرين لا يحدثون عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذه الاحاديث وما
بال الانصار لا يحدثون بهذه الاحاديث وان اصحابي من المهاجرين كانت تشغلهم صفقاتهم
في الاسواق وان اصحابي من الانصار كانت تشغلهم اراضيهم والقيام عليها واني كنت امرا
مسكينا وكنت اكثر من مجالسة رسول الله صلى الله عليه وسلم احضر اذا غابوا واحفظ اذا نسوا
وان النبي صلى الله عليه وسلم حدثنا يوما فقال من يبسط ثوبه حتى افرغ من حديثي ثم يقبضه
فانه ليس ينسى شيا سمعه مني ابدا فبسطت ثوبي او قال بردائي ثم حدثنا فقبضته الي
فوالله ما نسيت شيا سمعته منه وايم الله لولا اية في كتاب الله عز وجل ما حدثتكم بشيا ابدا
ان الذين يكتمون ما انزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب الاية كلها
وعن مجاهد ان ابا هريرة كان يقول والله ان كنت لاعتمد بكبدي على الارض من الجوع وان كنت
لاشد الحجر على بطني من الجوع ولقد قعدت يوما على طريقهم الذي يخرجون منه فمر ابو بكر فسالته
عن اية من كتاب الله ما سالته الا ليشبعني فلم يفعل ثم مر عمر فسالته عن اية من كتاب الله
ما سالته الا ليشبعني صح
فلم يفعل ثم مر ابو القاسم محمد صلى الله عليه وسلم فعرف ما في وجهي وما في نفسي فقال ابا هريرة
فقلت لبيك يا رسول الله فقال الحقني فتبعته ودخل فاستاذنت فاذن لي فوجد لبنا
في قدح فقال من اين لكم هذا اللبن فقالوا اهداه لنا فلان او ال فلان قال ابا هر قلت لبيك
يا رسول الله قال انطلق الى اهل الصفة فادعهم قال واهل الصفة اضياف الاسلام لم ياووا الى
هدية صح
اهل ولا مال فاذا جا رسول الله صلى الله عليه وسلم اصاب منها وبعث اليهم منها واذا جات
صدقة بعث اليهم ولم يصب قال فاحزنني ذلك وكنت ارجو ان اصيب من اللبن شربة اتقوى
بها بقية يومي وليلتي فقلت انا الرسول فاذا جاء القوم كنت انا الذي اعطيهم فلم يبق
لي من هذا اللبن ولم يكن من طاعة الله وطاعة رسوله بد فانطلقت فدعوتهم فاقبلوا فاستاذنوا
فاذن لهم فاخذوا مجالسهم ثم قال ابا هر خذ فاعطهم فاخذت القدح فجعلت اعطيهم فياخذ
الرجل القدح فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح فاعطيه الاخر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح فاعطيه
الاخر فيشرب حتى يروى ثم يرد القدح حتى انتهيت على اخرهم ودفعته الى رسول الله صلى الله عليه وسلم

فاخذ القدح ووضعه في يده وقد بقي فيه فضلة ثم رفع راسه فنظر الي وتبسم وقال اباهر فقلت لبيك
يا رسول الله قال فاقعد فاشرب قال فقعدت فشربت ثم قال لي اشرب فشربت ثم قال لي اشرب
فشربت فما زال يقول اشرب واشرب حتى قلت والذي بعثك بالحق ما اجد له مسلكا قال
ناولني القدح فرددت اليه القدح فشرب من الفضلة وعن عبد الرحمن بن عبيد عن ابي هريرة
قال اني كنت لاتبع الرجل اسيا له عن الاية من كتاب الله تعالى وانا اعلم بها منه ومن عشيرته
وما اتبعه الا ليطعمني القبضة من التمر او السف من السويق او الدقيق اسد بها جوعي فاقبلت
امشي مع عمر بن الخطاب ذات ليلة احدثه حتى بلغ بابه فاسند ظهره الى الباب واستقبلني بوجهه
وكلما فرغت من حديث حدثته باخر حتى اذا لم ار شيا انطلقت فلما كان بعد ذلك لقيني
فقال يا اباهر اما انه لو كان في البيت شي لاطعمناك وعن ثابت بن ابي رافع ان ابا هريرة
قال ما احد يهدي الي هدية الا قبلتها فاما ان اسال فلم اكن لاسال وعن خالد بن عكرمة ان
ابا هريرة كان يسبح كل يوم اثني عشر الف تسبيحة ويقول اسبح بقدر ذنبي وعن نعيم بن المحور
عن ابي هريرة انه كان له خيط فيه الفا عقدة فلا ينام حتى يسبح به وعن محمد بن سيرين
عن ابي هريرة قال لقد رايتني اصرع بين منبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين حجرة عايشة
فيقول الناس انه مجنون وما بي جنون وما بي الا الجوع وعن ابي المتوكل ان ابا هريرة كانت
له زنجية فرفع عليها السوط يوما فقال لولا القصاص لاغشيتك به ولكن سابيعك
ممن يوفيني ثمنك اذهبي فانت حرة لوجه الله تعالى وعن العباس بن فروخ الجريري قال سمعت
ابا عثمان النهدي يقول تضيفت ابا هريرة فكان هو وامراته وخادمه يتعقبون الليل اثلاثا
يصلي هذا ثم يوقظ هذا فيصلي ثم يوقظ هذا فيصلي واخرج البيهقي وغيره عن ابي هريرة قال
اصبت ثلاث مصايب في الاسلام موت النبي صلى الله عليه وسلم وقتل عثمان والمزود
قالوا وما المزود قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فقال معك شي فقلت تمر
في مزود فقال جي به فاخرجت منه تمرا وفي رواية عشرين تمرة فسمى الله ودعا وجعل يضع
كل تمرة ويسمي حتى اتى الى اخرهن ثم قال ادع عشرة فدعوتهم حتى اكل الجيش كله وبقي في
المزود فقال اذا اردت ان تاخذ منه شيا فخذ ولا تكبه فاكلت منه حياة ابي بكر وعمر
وعثمان فلما قتل انتهب بيتي وانتهب المزود الا اخبركم اكلت منه اكثر
اكثر من مايتي وسق وعن ثعلبة ابن ابي مالك القرظي ان ابا هريرة اقبل في السوق يحمل حزمة
من الحطب وهو يوميذ خليفة لمروان قال اوسعوا الطريق للامير قال ابن ابي مالك فقلت
اصلحك الله يكفي هذا فقال اوسع الطريق للامير والحزمة عليه قال البخاري روى عنه اكثر
من ثمانماية ما بين صحابي وتابعي استعمله عمر على البحرين ثم عزله ثم راوده على العمل فابى ولم يزل
يسكن المدينة وبها توفي وقيل توفي بالعقيق سنة سبع وقيل ثمان وقيل تسع وخمسين في اخر

خلافة معاوية ولهثمان وسبعون سنة روي عنه خمسة الالف وثلثماية حديث
واربعة وسبعون حديثا اتفقا منها علي ثلاثماية وخمسة وعشرين وانفرد البخاري
بثلاثة وتسعين ومسلم بماية وتسعين قال سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم
يقول ما نهيتكم هذا الخطاب يختص لغة بالموجودين عند وروده فلا يتناول من حدث
بعدهم الا بدليل وهو اما مساواتهم في الحكم الشرعي اجماعا لا انتفا اختصاصه بمكلف دون
مكلف والا الاجماع عنه فاجتنبوه كله حتي حتي يوجد ما يبيحه كاكل الميتة عند الضرورة
وشرب الخمر عند الاكراه ولاساغة الغصة لان المكلف ليس منهيا في الحال علي الصحيح
واما في التداوي فغير جايز ولو طلا لحديث ان الله لم يجعل شفا امتي فيما حرم ومثل ذلك
شربه للعطش اذ لا ينقطع به العطش وقوله فاجتنبوه حتما في الحرام وندبا في المكروه قال
الفاكهاني امتثال اجتناب المنهي عنه حتي يترك جميعه فلو اجتنب بعضه لم يعد ممتثلا
بخلاف الامر يعني المطلق فان من اتي باقل ما يصدق عليه الاسم كان ممتثلا وما امرتكم به
فاتوا وفي رواية فافعلوا منه ما استطعتم اي ما طقتم وجوبا في الواجب وندبا في المندوب
كالصلاة قايما مستندا فيما عدي المضطر فمستلقيا فمومياو لو عجز عن صاع الفطر اتي بما
قدر عليه واما من قدر علي صوم بعض النهار فلا يفعل لان صوم بعض اليوم ليس بقربة واذا
عجز عن بعض الفاتحة في الصلاة او قدر علي غسل او مسح بعض الاعضا في الوضوء اتي بالممكن
وصحت عبادته وهذا موافق لقوله تعالي فاتقوا الله ما استطعتم واما قوله تعالي اتقوا الله
حق تقاته فقال قتادة والسدي وابن زيد والربيع بن انس انها منسوخة بالاولي والاصح بل الصواب
وبه جزم المحققون انها ليست منسوخة بل قوله تعالي فاتقوا الله ما استطعتم مفسرة
لها ومبينة للمراد منها قالوا وحق تقاته هو امتثال امره واجتناب نهيه ولم يامر سبحانه الا بالمستطيع
قال تعالي لا يكلف الله نفسا الا وسعها وقال تعالي وما جعل عليكم في الدين من حرج وقال بعضهم
ان المبالغة في التقوي تكون بامرين احدهما استصحاب التقوي الي الوفاة والامر الاخر استيفا
جميع الطاعات وحفظ جميع الحدود والحرمات فتعرضت اية آل عمران للمبالغة في استغراق العمر
كله الي الوفاة بالتقوي ويدل علي ذلك قوله تعالي ولا تموتن الا وانتم مسلمون وتعرضت اية التغابن
الي الامر الاخر فان قلت الاستطاعة معتبرة في النهي ايضا اذ لا يكلف الله نفسا الا وسعها فلم قيد
الامر دون النهي فالجواب ان المامور به متوقف علي فعل بخلاف المنهي عنه فانه كف محض فلهذا قال في
الاول فاجتنبوه وقال في الثاني فاتوا منه ما استطعتم فترك المنهي عنه عبارة عن استصحاب حال
عدمه او الاستمرار علي عدمه فكل مكلف قادر علي الترك ولا داعية للشهوة فلا يتصور عدم الاستطاعة
في الكف بخلاف فعل المامور به فانه عبارة عن اخراجه من العدم الي الوجود وذلك يتوقف علي شروط
واسباب فلذلك قيد بالاستطاعة دون النهي ونوزع بان القدرة علي استصحاب عدم المنهي عنه

قد تتخلف واستدل له بجواز اكل المضطر الميتة وشرب المكره الخمر ورد بانه لا نهي ح وانما قدم في الحديث
النهي على المامور به لان الاول اشد من الثاني لانه لم يرخص في شي منه والامر مقيد بالاستطاعة وكذا
قال بعضهم اعمال البر يعملها البار والفاجر والمعاصي لا يتركها الا صديق ومن ثم سومح في ترك الواجب
كالقيام في الصلاة بحصول المشقة ولم يسامح في الاقدام على بعض المنهيات الا بالاضطرار كاكل
الميتة واساغة الغصة بالخمر اولان المقام مقام نهي الاقرع بن حابس عن مسئلته كما سياتي
فانما اهلك الذين من قبلكم من امم الانبيا كثرة مسائلهم من غير ضرورة عما لا يعنيهم مما اقترحوه
عليهم كقولهم لعيسى هل يستطيع ربك ان ينزل علينا مائدة من السما ولموسى فادع لنا ربك
يخرج لنا مما تنبت الارض ارنا الله جهرة اجعل لنا الها كما لهم آلهة ادع لنا ربك يبين لنا
ما هي فان بني اسرائيل لما امروا بذبح بقرة تعنتوا ولم يبادروا الى مقتضى اللفظ من ذبح اي بقرة كانت
بل شددوا على انفسهم بكثرة السوال عن حال البقرة وصفتها فشدد الله عليهم بزيادة الاوصاف
حتى لم يجدوا متصفا بها الا بقرة واحدة فاشتروها بملء جلدها ذهبا وقال السدي اشتروها بوزنها
عشر مرات ذهبا وكانت تحته حكمة عظيمة وذلك انه كان في بني اسرائيل رجل صالح له ابن طفل وكان
له عجلة فاتى بها الغيضة وقال اللهم اني استودعتكها لابني حتى يكبر وكان بارا بوالديه حتى بلغ من
برهم ان رجلا اتاه بمملوكة بخمسين الفا وكان فيها فضل فاشتراها منه وقال له ان ابي نائم ومفتاح الصندوق
تحت راسه فامهلني حتى يستيقظ واعطيك فقال له ايقظ اباك واعطني الثمن فقال له ما كنت لافعل
ولكن ازيدك عشرة آلاف وانظرني حتى ينتبه فقال له البايع انا احط عنك عشرة آلاف ان ايقظت
اباك وعجلت النقد فقال وانا ازيدك عشرين الفا ان انتظرت انتباهه فابى ولم يوقظ الرجل
اباه ومات الاب بعد ذلك وشبت العجلة في الغيضة حتى صارت عوانا وكانت من احسن البقر واسمنه
حتى كانت تسمى الذهبية لحسنها وصفرتها وكانت تهرب من كل من راها فلما كبر الابن صار يقسم الليل
ثلاثة اقسام يصلي ثلثا وينام ثلثا ويجلس عند راس امه ثلثا فاذا اصبح انطلق واحتطب على ظهره
واتى به السوق ويبيع ما شا الله تعالى ثم يتصدق بثلثه وياكل ثلثه ويعطي امه ثلثه فقالت
له امه ان اباك ورثك عجلة استودعها الله في غيضة كذا فانطلق فادع اله ابراهيم واسماعيل واسحاق ان يردها عليك وعلامتها انك اذا نظرت اليها يخيل لك ان شعاع الشمس يخرج من جلدها
واتاها الغيضة فراها ترعى فصاح بها وقال اعزم عليك باله ابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب
فاقبلت تسعى حتى قامت بين يديه فقبض على عنقها يقودها فتكلمت البقرة باذن الله تعالى وقالت
ايها الفتى البار بوالدته اركبني فان ذلك اهون عليك فقال الفتى ان امي لم تامرني بذلك ولكن قالت
خذها بعنقها فقالت البقرة باله بني اسرائيل لو ركبتني ما كنت تقدر علي ابدا فانطلق فانك لو
امرت الجبل ان ينقطع من اصله وينطلق معك لفعل لبرك بوالدتك فسار الفتى بها فاستقبله
عدو الله ابليس في صورة راع فقال ايها الفتى اني رجل راع من رعاة البقر اشتقت الى اهلي فاخذت

نورا

ومن ثم ورد عن ابن عباس ان الصبر على الطاعة ... حسنة وعلى المعصية ... وعلى البلاء ... والله اعلم

ثورا من ثيراني فحملت عليه زادي ومتاعي حتى اذا بلغت شطر الطريق ذهبت لاقضي حاجتي
فعدا وصعد الجبل فما قدرت عليه واني اخشى على نفسي الهلكة فان رايت ان تحملني على
بقرتك وتنجيني من الموت واعطيك اجرها بقرتين مثل بقرتك فلم يفعل الفتى وقال اذهب
وتوكل على الله فلو علم الله منك الصدق لبلغك بلا زاد ولا راحلة فقال ابليس ان شئت فبعنيها
وان شئت فاحملني عليها وانا اعطيك عشرة مثلها قال الفتى ان امي لم تامرني بذلك فبينما هم
كذلك اذ طار طاير بين يدي الفتى ونفرت البقرة هاربة في الفلاة وغاب الراعي فدعا الفتى
باله ابراهيم فرجعت اليه وقالت ايها الفتى البار بوالدته الم تر الى الطاير الذي طار انه ابليس عدو
الله اختلسني اما انه لو ركبني ما قدرت علي ابدا فلما دعوت اله ابراهيم جاء ملك فانتزعني
من يده وردني اليك ببركة برك بامك فجا الى امه فقالت انك فقير لا مال لك فيشق عليك الاحتطاب
بالنهار والقيام بالليل فانطلق فبعها وخذ ثمنها قال بكم ابيعها قالت بثلاثة دنانير ولا تبع بغير
رضاي ومشورتي وكان ثمنها ثلاثة دنانير فانطلق بها الى السوق فبعث الله اليه ملكا فقال
بكم تبيع هذه البقرة قال بثلاثة دنانير واشترط عليك رضاها والدتي فقال له الملك لك ستة دنانير
ولا تشاور امك فقال الفتى لو اعطيتني وزنها ذهبا لم اخذه الا برضى امي فردها الى امه واخبرها
بذلك فقالت ارجع فبعها بستة دنانير على رضا مني فانطلق بها الى السوق فاتى الملك فقال استامرت
امك فقال الفتى انها امرتني ان لا انقصها عن ستة دنانير على ان استامرها فقال الملك انا اعطيك
اثني عشر دينارا ولا تشاورها فابى الفتى ورجع الى امه فاخبرها بذلك فقالت ان الذي ياتيك
ملك ياتيك في صورة بني ادم ليختبرك فاذا اتاك فقل له اتامرنا ان نبيع هذه البقرة ام لا فنفعل
فقال الملك اذهب الى امك فقل لها امسكي هذه البقرة فان موسى ابن عمران يشتريها منك لقتيل يقتل
في بني اسرايل بملي جلدها ذهبا فامسكوها حتى وجد في بني اسرايل قتيل اسمه عاميل لم يدروا من
قتله وكان سبب قتله كما قال عطا والسدي انه كان كثير المال وله ابن عم مسكين لا وارث له غيره فلما
طال عليه موته قتله ليرثه وقال بعضهم كان تحت عاميل بنت عم له تضرب مثلا في بني اسرايل في الحسن
والجمال فقتل ابن عمها ليستنكحها قاتله وقال بعضهم قتله ابن اخيه لينكح امراته فلما قتله حمله من قرية
الى قرية اخرى فالقاه هناك وقيل القاه بين قريتين وقال عكرمة كان لبني اسرايل مسجد له اثنا
عشر بابا لكل سبط منهم باب فوجد قتيل على باب سبط وجر الى باب سبط اخر فاختصم السبطان فيه
وقال ابن سيرين قتله القاتل ثم احتمله فوضعه على باب رجل منهم ثم اصبح يطلب ثاره ودمه ويدعيه
عليه فلما اشتبه على الناس جاوا الى موسى وسالوه ان يدعو الله لهم يبين لهم بدعايه فامرهم بذبح
بقرة فقال لهم ان الله يامركم ان تذبحوا بقرة قالوا اتتخذنا هزوا اي استهزا بنا نحن نسالك عن
امر القتيل وتامرنا بذبح بقرة فقال موسى اعوذ بالله ان اكون من الجاهلين اي من المستهزيين بالمومنين
وقيل من الجاهلين بالجواب على وفق السوال فما زالوا يستوصفون حتى وصف لهم تلك البقرة

٦ قيل لسانها هو

فاخذوها وذبحوها قال الله تعالى فذبحوها وما كادوا يفعلون اي من شدة اضطرابهم واختلافهم وضربوا القتيل ببعض٦ منها فقام القتيل حيا واوداجه تشخب دما وقال قتلني فلان ثم سقط ومات مكانه فحرم قاتله الميراث واختلافهم بضم الفاء لانه ابلغ في ذم الاختلاف بكثرة بخلاف كسرها وقد نهى عن الاغلوطات في العلم اذا انتقيد على انبيايهم اختلاف يودي الى كفر او بدعة واما اختلاف استنباط فروع الدين ومناظرة اهل العلم فيه على سبيل الفايدة واظهار الحق فغير منهي عنه بل هما مورد بهج و فضيلة ظاهرة وقد اجمع المسلمون من عهد الصحابة الى الآن على ذلك ولا شك ان الاختلاف المذموم سبب لتفرق القلوب ووهن الدين كما جرى للخوارج حين تبرا بعضهم من بعض ووهن امرهم وانتحضوا وكثرة السوال من غير ضرورة تشعر بالعنت وتغيض اليه وقد نهى صلى الله عليه وسلم عن قيل وقال وكثرة السوال ومن ثم لما اكثروا السوال عليه صلى الله عليه وسلم غضب ثم صعد المنبر وهو غضبان قال انس ونحن نرى ان معه جبريل فما رايت يوما كان اكثر بكا منه فقال الرجل يا رسول الله من ابي قال ابوحذافة وكان الناس يسبونه وينسبونه لغيره وقال اخر من ابي فقال ابوك سالم مولى شيبة وقال اخر اين ابي قال في النار ثم قال ايها الناس ان الله قد فرض عليكم الحج فحجوا فقام اليه الاقرع بن حابس فقال يا رسول الله اكل عام فسكت حتى قالها ثلاثا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قلت نعم لوجبت ولما استطعتم ثم قال ذروني ما تركتكم فانما اهلك الذين من قبلكم كثرة مسايلهم واختلافهم على انبيايهم فاذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم فجثا عمر على ركبتيه وقال رضينا بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا لا تفضحنا بسرائرنا واعف عنا عفى الله عنك قال فسري عنه ثم التفت الى الحايط فقال لم ار كاليوم في الخير والشر اريت الجنة والنار وراء هذا الحايط انتهى

فوايد الاولى جا قوم الى سعدون الخولاني فحكوا ان كنانة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية فقد داين ربه ومن حج ثلاث حجج حرم الله شعره وبشره على النار ذكره القاضي عياض في الشفا الثانية حكي عن محمد بن المنكدر انه حج ثلاثا وثلاثين حجة فلما كان في اخر حجة حجها قال وهو في العرفات اللهم انك تعلم اني وقفت في موقفي هذا ثلاثا وثلاثين وقفة فواحدة عن فرضي والثانية عن ابي والثالثة عن امي واشهدك يا رب اني وهبت الثلاثين لمن وقف موقفي هذا ولم تتقبل منه فلما دفع من عرفات نودي يا ابن المنكدر تتكرم على من خلق الكرم والجود وعزتي وجلالي لقد غفرت لكل من وقف بعرفات قبل ان اخلق عرفات بالف عام

وعن علي بن الموفق انه حج ثمانين فوهب سبعين للنبي صلى الله عليه وسلم واربعة للخلفاء الراشدين وثلاثة لابيه واثنتين لامه ووهب الواحدة الباقية لكل من لم يكتب له الحج ولم يقدر عليه فهتف به هاتف من زاوية البيت يا ابن الموفق اتتسخى علينا ونحن خلقنا السخا وعزتي وجلالي

كل

كل من وهبت له حجة وهبنا له سبعين حجة وعنه ايضا انه قال حججت سنة فلما ذهبت الى عرفة بت
بمنى فرايت في المنام كان ملكين قد نزلا من السما فنادى احدهما لصاحبه يا عبد الله فقال لبيك
فقال اتدري كم حج بيت ربنا هذه السنة فقال لا ادري قال حج بيت ربنا هذه السنة ستمايه
الف فقبل منهم حج ستة ثم ارتفعا فغابا في السماء فانتبهت فزعا وعمني ذلك وقلت في نفسي
اذا قبل حج ستة فاين اكون انا فلما افضت من عرفات وصرت عند المشعر الحرام جعلت اتفكر
في كثرة الخلايق وقلة من قبل منهم فغلبني النوم فاذا الشخصان قد نزلا بعينهما وقال احدهما
لصاحبه المقالة الاولى ثم قال اتدري ما حكم ربنا في هذه السنة فقال لا فقال وهب لكل واحد
من الستة ماية الف فانتبهت وقد داخلني السرور وعن سفيان الثوري رحمه الله تعالى
قال حججت سنة ونويت ان انصرف من عرفات ولا احج بعد فنظرت في القوم فاذا بشيخ متكي
على عصا وهو ينظر الي مليا فقلت السلام عليك يا شيخ فقال وعليك السلام يا سفيان ارجع عما
نويت فقلت سبحان الله من اين علمت نيتي قال الهمني ربي في الله لقد حججت خمسا وثلاثين حجة
وكنت واقفا بعرفات ههنا في الحجة الخامسة والثلاثين انظر الى الزحمة وبقيت متفكرا حتى غربت
الشمس وافاض الناس من عرفات الى مزدلفة وجن الليل ولم يبق معي احد فنمت تلك الليلة
فرايت في النوم كان القيمة قد قامت وحشر الناس وتطايرت الكتب ونصب الميزان والصراط وفتحت
ابواب الجنان والنيران فسمعت النار تنادي وتقول اللهم في الحجاج من حري وبردي فنوديت يا نار
سلي عنهم فانهم ذاقوا عطش حر البادية ورزقوا الشفاعة قال فانتبهت فصليت ركعتين ثم نمت
فرايت ذلك فقلت في نومي هذا من الرحمن ام من الشيطان فقيل لي من الله مد يمينك فمددت فاذا
على كفي مكتوب من وقف بعرفات وزار البيت شفعته في سبعين من اهل بيته قال سفيان وانا رايت في
المكتوب حتى قرايته ثم قال الشيخ فلم تمر سنة الا وانا احج حتى تم لي ثلاثة وسبعون سنة وعن عبد
الله بن المبارك قال كان بعض المتقدمين قد حبب اليه الحج فحدثت عنه انه قال ورد الحاج في
بعض السنين فعزمت على الخروج معهم الى الحج فاخذت في كمي خمسماية دينار الى السوق لشري
الزاد للحج فبينا انا في بعض الطرق عارضتني امراة فقالت رحمك الله انا امراة شريفة ولي بنات عراة
واليوم الرابع ما اكلنا شيا فوقع كلامها في قلبي فطرحت الخمسماية في طرف ازارها وقلت عودي الى
بيتك واستعيني بهذه الدنانير على وقتك فحمدت الله على ذلك وانصرفت ونزع الله من قلبي حلاوة الخروج
في تلك السنة وخرج الناس وحجوا وعادوا فقلت اخرج للقاء الاصدقاء والسلام عليهم فخرجت فجعلت
كلما لقيت صديقا وسلمت عليه وقلت له قبل الله حجك وشكر سعيك يقول وانت قبل الله حجك وشكر
سعيك وطال علي ذلك فلما كانت الليلة رايت النبي صلى الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا فلان لا تعجب
من تهنية الناس لك بالحج اغثت ملهوفا واعنت ضعيفا فسالت الله عز وجل فخلق في صورتك
ملكا من يحج عنك في كل عام فان شيت فحج وان شيت لا تحج وروى نحو هذه الحكاية ابو سعيد عبد الملك
ابن ابي عثمان عن ابن المبارك اذ عبد الله ابن المبارك دخل الكوفة وهو يريد الحج فاذا امراة جالسة

على مزبلة تنتف ~~شعرها~~ بطة فوقع في نفسه انها ميتة فوقف وقال يا هذه اهذه ميتة ام مذبوحة قالت ميتة وانا اريد ان اطعمها وعيالي فقال ان الله حرم الميتة وانت في هذه البلدة فقالت يا هذا انصرف عني فلم يزل يراجعها الى ان تعرف منزلها ثم انصرف فحمل معه بغلا عليه نفقة وكسوة وزاد وجاء وطرق الباب ففتحت وترك البغل وضربه داخل البيت ثم قال للمراة هذا البغل وما عليه من النفقة والكسوة والزاد لكم ثم اقام حتى رجع الحاج فجاء قوم يهنوه بالحج فقال اما حججت السنة فقال له بعضهم يا سبحان الله الم اودعك نفقتي ونحن ذاهبون الى عرفات وقال له اخر الم تسقني بموضع كذا وقال اخر الم تشتري لي كذا فقال لا ادري ما تقولونه اما انا لم احج العام فلما كان الليلة اتى اليه في منام فقيل له يا عبد الله بن المبارك ان الله جل جلاله قد قبل صدقتك وانه بعث ملكا على صورتك يحج عنك ذكرهما ابن الجوزي وذكر جماعة ان بعض السلف نوى الحج ومعه ثمانية درهم فعرضت له ذات يوم حاجة فبعث ولده الى بعض جيران فرجع الولد يبكي فقال له مالك يا بني قال دخلت على جارنا وعندهم لو عندهم طبيخ فاشتهيته فلم يطعموني فذهب الرجل الى جاره يعاتبه على ما فعل فبكى الجار وقال الجاتني الى كشف حالي انا منذ خمسة ايام لم نطعم فطبخت ميتة واكلناها وعلمت ان ولدك يجد مالا فلا يحل له اكل الميتة فتعجب الرجل وقال لنفسه كيف النجاة وفي جوارك مثل هذا وانت تذهب للحج فرجع الجيبة واعطاه الثمانية درهم فلما كان عشية عرفة راى ذو النون المصري في منامه وهو بعرفات كان قايلا يقول يا ذا النون ترى هذا الزحام على الموقف قال نعم قال ما حج منهم الا رجل تخلف عن الوقوف فحج بهمته فوهب الله له اهل الموقف قال ذو النون من هو قيل رجل يسكن دمشق فبحث عنه حتى عرفه وسلم عليه وبشره بذلك انتهى ذكره في مثير شوق الانام الى حج بيت الله الحرام الثالثة اخرج ابن عدي في الكامل والدارقطني في الافراد والعقيلي وابن عساكر عن ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقي الخضر مع الياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما راس صاحبه ويفترقان عن هذه الكلمات بسم الله ما شا الله لا يسوق الخير الا الله ما شا الله لا يصرف السو الا الله ما شا الله ما كان من نعمة فمن الله ما شا الله لا حول ولا قوة الا بالله وفي بعض الروايات زيادة العلي العظيم واسناد هذا الحديث ضعيف لان فيه الحسن بن رزين وهو ضعيف واخرجه ابن الجوزي من طريق احمد بن عمار عن محمد بن مهدي عن مهدي بن هلال وزاد قال ابن عباس ما من عبد قالها في كل يوم ثلث مرات الا امن الحرق والغرق والسرق والشيطان والسلطان والحية والعقرب حتى يمسي وكذلك حين يصبح الرابعة عن ابن عباس ان ادم عليه السلام حج اربعين حجة من الهند ماشيا على رجليه قيل لمجاهد افلا كان يركب قال فاي شي كان يحمله اخرجه ابن الجوزي وقال سعيد بن سالم حج سبعين حجة ماشيا رواه البخاري ومسلم وهو حديث عظيم من قواعد الدين الحديث العاشر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله طيب اي منزه عن النقايص ومقدس عن الافات والعيوب وعن كل وصف خلا عن الكمال المطلق كما قاله القاضي عياض او طيب الثنا ملتذ الاسما عند العارفين بها كما قاله غيره ثم ان الطيب له اطلاقات فيطلق ويراد به الحلال كما في قوله تعالى قل لا يستوي

الخبيث والطيب

الخبيث والطيب ولو اعجبك كثرة الخبيث وقوله فانكحوا ما طاب لكم من النسا ويطلق ويراد به الجيد
من الحلال له وهو المستلذ منه كما في قوله تعالى قل من حرم زينة الله التي اخرج لعباده والطيبات
من الرزق وقوله تعالى كلوا مما في الارض حلالا طيبا على انه من باب التاسيس الذي هو الاصل
لا التاكيد وقيل انه بمعنى الطاهر ومن وروده بمعنى الطاهر قوله تعالى فتيمموا صعيدا طيبا
ويطلق ويراد به المنبت كما في قوله تعالى والبلد الطيب يخرج نباته باذن ربه ويطلق ويراد
به الحسن كما في قوله تعالى اليه يصعد الكلم الطيب اي حسنه وهو شهادة ان لا اله الا الله وان
محمدا رسول الله وقوله تعالى ضرب الله مثلا كلمة طيبة اي حسنة وهي الشهادة ويطلق ويراد به
ما لا اذى فيه كقولك هذا يوم طيب وليلة طيبة اي ليس فيهما حر يوذي ولا برد يوذي ويطلق ويراد به
به المدرك كقولهم طاب ثمرها اي ادرك قال الشارح الهيتمي وهو اي طيب من اسمايه الحسنى
لصحة الحديث به كالجميل ومثلهما النظيف ورد بانه حديث لم يصح اهـ وبحث فيه بعضهم
بانه ان اراد بعدم صحة الثالث عدم وروده فممنوع بل في حديث رواه ابن عدي وغيره عن ابن عمر
مرفوعا ان الله جميل يحب الجمال نظيف يحب النظافة وان اراد بالصحة ونفيها الصحيح المصطلح
عليه فممنوع ايضا لان الخبرين المذكورين ضعيفان كما بينه جمع من الحفاظ لا يقبل الا طيبا اي لا يقبل
من الاعمال الا ما كان خالصا من المفسدات كالريا والعجب ولا من الاموال الا ما كان حلالا لان
لفظ طيب يتضمن المدح والتشريف فلا يتقرب اليه سبحانه وتعالى الا بما يناسبه في ذلك المعنى
وهو الاخلاص في الاعمال وخيار الاموال كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل صالحا وقال تعالى
ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون وعن ابن عباس من اكل لقمة من حرام لم يقبل الله عمله اربعين صباحا
ومن اكتسب مالا حراما فان تصدق به لم يقبل منه ومن خلفه بعده كان دليله الى النار ومن اكل الحلال
اربعين صباحا نور الله قلبه واجرى ينابيع الحكمة على لسانه ومن سعى على عياله من حل كان كالمجاهد
في سبيل الله قال القرطبي في شرح مسلم ما ملخصه الاخلاص شرط في جميع العبادات وذلك بان يكون
الباعث على عملها التقرب الى الله تعالى وابتغاء ما عنده فان كان الباعث عليها شيا من اغراض
الدنيا فلا تكون عبادة بل معصية اما كفرا او ريا وهذا ان كان الباعث على ذلك الغرض الدنيوي وحده
بحيث لو فقد لترك العمل فلو اوقع العبادة بمجموع الباعثين فان كان باعث الدنيا اقوى او مساويا
لحق بالقسم الاول في الحكم بابطال العمل عند ايمة هذا الشان لحديث من عمل عملا اشرك فيه غيري
تركته وشركه فلو كان باعث الدين اقوى فحكم المحاسبي بابطال ذلك العمل متمسكا بالحديث المتقدم
وما في معناه وخالف الجمهور وقالوا بصحة العمل واما لو انفرد باعث الدين بالعمل ثم عرض باعث الدنيا

في اثنا العمل فهو اولى بالصحة اهـ وفي الحديث من حج بالحرام فقال لبيك قال الله تعالى لا لبيك
ولا سعديك حجك مردود عليك واخرج احمد عن ابن عمر رضي الله عنهما من اشترى ثوبا بعشرة دراهم
وفيها درهم من حرام لم يقبل الله عز وجل له صلاة ما دام عليه ثم ادخل اصبعيه في اذنيه ثم قال
صُمّتا ان لم اكن سمعته صلى الله عليه وسلم يقوله واخرج الحاكم وابن خزيمة وابن حبان من جمع مالا
من حرام ثم تصدق به لم يكن له فيه اجر وكان اصراره عليه واخرج الطبراني من كسب مالا من حرام
فاعتق منه ووصل رحمه كان ذلك اصرارا عليه وانما لم تقبل الصدقة بالحرام لانه ممنوع من
التصرف فيه لكونه ملك الغير فلو قبل لزم كونه مامورا به منهيا عنه من جهة واحدة وهو
محال وهذه الجملة توطية وتاسيس لما هو المقصود بالذات من سياق هذا الحديث
وهو طيب المطعم المستلزم لاجابة الدعا غالبا وان الله تعالى لما خلق لعباده ما في الارض
جميعا واباحه لهم تسوى ما حرم عليهم امر المومنين اي والمومنات فهو من باب التغليب
والامر للوجوب بما امر به المرسلين فسوى بينهم في الخطاب بوجوب اكل الحلال ففيه اشعار
بان الاصل استواهم مع امهم في الاحكام الا ما قام الدليل على اختصاصهم به فقال يا ايها الرسل كلوا
من الطيبات فيه تنبيه على ان اباحة الطيبات لهم شرع قديم ورد للرهبانية في رفض
الطيبات واعملوا صالحا وقدم اكل الحلال على صالح الاعمال تنبيها على انه لا يتوصل للعمل الا بعد الانتفاع
بالرزق وقال يا ايها الذين امنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم اي نفعناكم وهو جمع طيب بمعنى الحلال
الخالص من الشبهة لان الشرع طيبه لاكله وان لم يستلذه ولذيذ الطعم من غيره وبالا على اكله وندامة
وحسرة وقول ان في الطيب المستلذ اراد به المستلذ شرعا فهو بمعنى ما قبله وقد خفي هذا
على بعضهم فظن تغايرهما فاعترضه بان الخنزير لذيذ اللحم على الاطلاق وهو حرام اجماعا
والصبر لا لذة فيه وهو حلال اجماعا واخرج بن سعد عن عمر بن عزيز انه قال اني اكلت الليلة
حمصا وعدسا فنفخني فقال بعض القوم يا امير المومنين ان الله تعالى يقول في كتابه كلوا من
طيبات ما رزقناكم فقال عمر هيهات هيهات ذهبت به الى غير مذهبه انما يريد
طيب الكسب ولا يريد طيب الطعام واسند الرزق الى نفسه تحريضا لهم والامر في
هذه الاية للاباحة او للوجوب كما لو اشرف على الهلاك مجاعة او الندب بموافقة الضيف
قال ابو هريرة ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم استطرد الكلام حتى ذكر الرجل حتى بالذكر لانه
الذي يسافر السفر البعيد الطويل غالبا والا فالمراة كذلك يطيل السفر في وجوه الطاعات
من حج وجهاد وزيارة مستحبة وصلة الرحم وغير ذلك من وجوه البر وذكر بعضهم ان قوله
اشعث اغبر يفيد انه سفر الحج لان الصفتين المذكورتين غالبا لا تكونان الا فيه والا في التنعيم

71

وقوله يطيل السفر محله نصب صفة رجل لان ال فيه جنسية والجنس المعرف بمنزلة النكرة على حد قوله
ولقد امر على اللئيم يسبني فمضيت ثم قلت لا يعنيني قال الطيبي ولو حكي لفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم
رفع الرجل بالابتدا والخبر يطيل الخ اشعث اي متلبد الشعر لبعد عهده بالغسل والتسريح والدهن
وشعث الرجل شعثا من باب تعب اغبر اي غبر الغبار وجهه وبقية جسده يمد يديه فيه
اشارة الى ان رفع اليدين مشروع في الدعا لما فيه من اظهار شعاير الذل والانكسار والاقرار بسمة
العجز والافتقار ولان العرب ترفع يديها اذا استعظمت الامر فالداعي جدير بذلك لتوجهه بين
يدي اعظم العظما ولان العادة في سوال المخلوق ذلك فيضع في يده ما يساله فيه فكان الداعي
شبه المعقول بالمحسوس الى جهة السما لانها مخزن الارزاق ومصعدا سرار الخلايق ومصعد الا
عمال وللاشارة الى ما هو من وصف المدعو من الجلال والكبريا وان فوق كل موجود بالقهر والاستيلا
ولانها قبلة الدعا ومن ثم كانت افضل من الارض على قول الاكثر وهو الاصح لانه لم يعص الله فيها
وقيل الارض افضل لان الانبيا خلقوا منها وهي مدفنهم ومستقرهم وعدم العصيان في السما مزية
وهي لا تقتضي الافضلية على انه قد يكون في المفضول مزايا وقد ينتقض بما وقع لادم وحواء وابليس
وادعا انهم لم يكونوا في السما يحتاج لدليل يا رب اعطني كذا يا رب جنبني كذا ومطعمه
هو مصدر بمعنى المفعول وكذا يقال فيما بعده حرام ومشربه حرام وملبسه حرام وغذي
بضم الغين المعجمة وكسر الذال المعجمة المخففة وفي المصابيح وردت مشددة بالحرام ذكر
قوله وغذي بالحرام بعد قوله ومطعمه حرام اما تاكيد واما للتنبيه على استواء حالتيه صغيرا
وكبيرا فاشار بقوله ومطعمه حرام الى حال كبره وبقوله وغذي بالحرام الى حال صغره وهذا
دليل على انه لا ترتيب في الواو فانى يستجاب لذلك اي فكيف ومن اين يستجاب لمن هذه
صفته فهو استبعاد لاجابة دعايه مع قبح ما هو متلبس به مع ما هو عليه من اطالة السفر
في انواع الطاعة فكيف بمن هو منهمك في ملاذ الدنيا ومظالم العباد اوليك كالانعام بل هم اضل
لكن يجوز ان يستجيب الله لطفا منه وتفضلا وقد علم من هذا ان تناول الحرام مانع من اجابة الدعا
غالبا وبقي للدعا شروط اخر منها ان لا يدعو بحرام كان يدعو بالشر على غير مستحقه ولو بهيمة ولا
بمحال ولو عادة فانه تعالى اجرى الامور على العادة فالدعا بخرقها تحكم على القدرة القاضية بدوامها
وذلك سوء ادب على الله تعالى قيل الا بالاسم الاعظم فيجوز تاسيا بالذي عنده علم الكتاب دعا بحضور
عرش بلقيس فاجيب وهو مبني على ان شرع من قبلنا شرع لنا وان لا يكون فيما سيل عنه غرض فاسد كمال
وطول عمر للتفاخر وان لا يكون على وجه الاختبار وان لا يشتغل به عن فرض وان لا يستعظم حاجته
وان تكون الاجابة عنده اغلب من الرد للخبر الاتي والخبر انا عند ظن عبدي بي وان لا يضجر من تاخر الاجابة
فيقول دعوت فلم يستجب لي لانه سوء ادب وان لا يدعو بدعا الفه غيره ولم يرد به اثر مع الجهل بمعناه
او انصراف الرحمة الى لفظه لانه حاك لكلام غيره لا سايل وان يحترز عما يعد اساءة في المخاطبات فلا يصرح
بجماع ونحوه وان يدعو باسمايه الحسنى دون غيرها وان كان حقا كيا خالق الخنازير وان لا يعلقه بما هو شانه

كاللهم افعل بي ما انت اهله في الدنيا والاخرة وان يكون حاضر القلب موقنا بالاجابة لخبر ادعوا الله وانتم موقنون
بالاجابة فان الله لا يسمع دعا من قلب غافل لاه وقد ورد ان موسى عليه الصلاة والسلام مر على رجل منقطع الى
الله تعالى فقال يارب لو كانت حاجته بيدي لقضيتها فقال له انا ارحم به منك لكنه يدعوني وله غنم وقلبه
عند غنمه ولا استجيب لمن يدعوني وقلبه عند غيري فذكر موسى ذلك للرجل فانقطع الى الله فقضيت
حاجته وان يجتنب اللحن فلا يدعو في الجر فيما الصواب فيه الرفع او النصب لانه يتضمن مواخذة الحق
بالخطا وسمع الاصمعي رجلا عند الملتزم يقول يا ذي الجلال والاكرام فقال له منذ كم تدعو فقال
منذ سبع سنين فلم ارا الاجابة فقال لانك تلحن في الدعا فاني يستجاب لك قل يا ذا الجلال والاكرام ففعل
فاستجيب له لكن ذكر ابن الصلاح ان الدعا الملحون ممن لا يستطيع غيره لا يقدح فيه ومر ابراهيم
بن ادهم بسوق البصرة فاجتمع الناس عليه وقالوا يا ابا اسحاق ما لنا ندعو فلا يستجاب لنا قال لان قلوبكم
ماتت بعشرة اشيا الاول عرفتم الله فلم تودوا حقه والثاني زعمتم انكم تحبون رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتركتم سنته والثالث قراتم القران فلم تعملوا به والرابع اكلتم نعمة الله فلم تودوا شكرها
والخامس قلتم ان الشيطان لكم عدو فلم تخالفوه والسادس قلتم ان الجنة حق فلم تعملوا لها والسابع قلتم
ان النار حق فلم تهربوا منها والثامن قلتم ان الموت حق فلم تعتدوا له والتاسع انتبهتم من
النوم فاشتغلتم بعيوب الناس ونسيتم عيوبكم والعاشر دفنتم موتاكم ولم تعتبروا بهم قال
ابن عطا والله ان للدعا شروطا واركانا واجنحة ومواقيت واسبابا واوقاتا فان وافق اركانه
قوي وان وافق اجنحته طار الى السما وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح وان وافق
اوقاته استقر فاركانه حضور القلب والخشوع وقطعه عن الاسباب واجنحته الصدق ومواقيته
الاسحار واسبابه الحمد لله والصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم واوقاته بعد الصلاة وحضارة
اجابة الدعوات انتهى من الشيرازي وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم خمس دعوات لا ترد دعوة الحاج حتى يصدر ودعوة الغازي حتى يرجع ودعوة المظلوم
حتى ينتصر ودعوة المريض حتى يشفى ودعوة الاخ لاخيه بالغيب اخرجه الحافظ ابو منصور عبد الله
بن محمد بن الوليد وصححه المحب الطبري في كتابه المسمى بالقرى لقاصد ام القرى ثم ان الاجابة ليست
منحصرة في الاسعاف بالمطلوب بل هي حصول واحدة من ثلاث المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ما من داع
يدعو الا كان بين ثلاثة اما ان يستجاب له واما ان يدخر له خير افضل منه واما ان يكفر عنه من ذنبه
وفي لفظ او يدفع عنه من السوء مثله رواه مسلم وهو احد الاحاديث التي هي قواعد الاسلام
ومباني الاحكام الحديث الحادي عشر عن ابي محمد الحسن كناه وسماه بذلك النبي صلى الله عليه وسلم ولقبه
بالتقي والسيد ولد بالمدينة في النصف الثاني من رمضان سنة ثلاث من الهجرة واذن رسول الله صلى
الله عليه وسلم في اذنه وكان له من الولد خمسة عشر ذكرا وثمان بنات وعن البرا انه قال رايت رسول الله
صلى الله عليه وسلم واضعا الحسن على عاتقه وهو يقول اللهم اني احبه فاحبه وصح من احبني فليحبه
وليعلم الشاهد الغايب اللهم اني احبه واحب من يحبه اللهم اني احبه فاحبه واحب من

يحبه

يحبه ثلاث مرات وفي رواية فجعل يفتح فمه ثم يدخل فمه في فمه ويقول ذلك وعن عقبة بن الحارث انه قال خرجت مع ابي بكر من صلاة العصر بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بليال وعلي يمشي الى جنبه فمر بالحسن بن علي يلعب مع الغلمان فاحتمله على رقبته بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي وعلي يضحك وعن سعيد بن عبد العزيز ان الحسن سمع رجلا يسأل الله عز وجل ان يرزقه عشرة آلاف فانصرف الحسن فبعث بها اليه وعن الحسن انه قال اني لاستحيي من ربي ان القاه ولم امش الى بيته فمشى خمسا وعشرين مرة من المدينة الى مكة على قدميه وكانت النجائب تقاد بين يديه وخرج من ماله مرتين وقاسم الله ماله ثلاث مرات حتى انه كان ليعطي نعلا ويمسك اخرى وعن ابي العباس المبرد اول الا قطاب مطلقا الحسن بن علي ومن تواضعه انه مر بصبيان معهم كسر خبز فاستضافوه ادبا معه فنزل واكل معهم وتزوج سبعين امرأة في حياة ابيه فامر مناديا ينادي الا لا تزوجوا الحسن فانه مطلاق فما من احد الا قال نزوجه فما رضي امسك وما كره طلق وما طلق امرأة الا وهي تحبه وامتع امرأتين بعشرين الفا ونيفا فقالت احداهما متاع قليل من حبيب مفارق ولم يكن يعرف اسم الحسن في الجاهلية وكذا اسم الحسين واما اللذان كانا باليمن فهما حسن باسكان السين وحسين بفتح الحاء وكسر السين وفي طبقات ابن سعد عن سلمان بن سلمان الحسن والحسين من اسماء اهل الجنة ولم يكونا في الجاهلية لكن في الكشاف ما يخالفه وح فاول من سمي بهما من اهل الدنيا من ذكر والمراد اول من سمي بلفظهما فلا يرد ان هارون سمى ابنيه شبرا بفتحات وشبيرا بضم الشين المعجمة ومعنى شبر حسن وشبير حسين لان هذه تسمية بمعناهما فاللفظ قد ادخر لهما ابن علي بن ابي طالب القائل فيه المصطفى صلى الله عليه وسلم من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه ويكنى ابا الحسن وابا تراب كما يذكر النبي صلى الله عليه وسلم لما وجده نائما وقد علاه التراب رضي الله عنهما سبط بكسر فسكون اي ولد بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته لشبهه لسروره وفرحه به واقباله عليه بريحانة طيب الريح يرتاح لرؤيته وشمه اولانه كان له رائحة طيبة كرائحة الريحان وهو نبت معروف طيب الرائحة وقال صلى الله عليه وسلم فيه وفي اخيه الحسين هما ريحانتاي من الدنيا وفي الصحيح ان الحسن رقي المنبر ورسول الله صلى الله عليه وسلم يخطب فامسكه وجعل يقبل على الناس مرة وعليه اخرى ثم قال ان ابني هذا سيد ولعل الله ان يصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين فكان كذلك فانه لما توفي ابوه بايعه اكثر من اربعين الفا وفيهم كثير ممن تخلف عن ابيه وممن نكث بيعته فبقي خليفة حقا نحو ستة اشهر تكملة الثلاثين سنة التي اخبر النبي صلى الله عليه وسلم انها مدة الخلافة وبعدها تكون ملكا عضوضا اي يعض الناس بجور اهله وعدم استقامتهم فلما تمت تلك المدة سار الى معاوية في اهل الحجاز والعراق لينتزع منه الشام وسار اليه معاوية فلما تراءى الجيشان وتقارب الجمعان بموضع من ارض الكوفة وقيل نزل الحسن بالمدائن ومعاوية بمسكن من ناحية الانبار نظر الحسن الى العسكرين وفكر فيما يكون بينهما من القتل فعلم انه لن تغلب احدى الفئتين حتى يذهب اكثر الاخرى فراي ان المصلحة في جمع الكلمة وترك القتال وطلب صلاح الامة وحقن دماء المسلمين فارسل الى معاوية يخبره انه يسلم الامر له وينزل له على شرط ان لا يطلب احدا من اهل الحجاز والمدينة والعراق بشيء مما كان في ايام ابيه وان يكون ولي الامر من بعده وان يمكنه من بيت المال يأخذ منه حاجته ففرح

معاوية واجاب الي ذلك الا انه قال الا عدة لا او منهم فراجعه الحسين فيهم فكتب اليه معاوية
اني قد اليت علي نفسي اني متي ظفرت بقيس بن سعد بن عبادة ان اقطع لسانه ويده فراجعه الحسن وقال اني لا ابايعك ابدا وانت تطلب قيسا وغيره بتبعة قلت او كثرت فبعث
اليه معاوية برق ابيض وقال اكتب ما شيت فيه فانا التزمه فاصطلحا علي ذلك فكتب الحسن كلما اشترط
عليه من الامور المذكورة والتزم ذلك كله معاوية فخلع الحسن نفسه وسلم الامر اليه قطعا
للشر واطفاء لنار الفتنة وسمي ذلك العام عام الجماعة لاجتماعهم علي خليفة واحد وكان ذلك
في سنة احدي واربعين في شهر ربيع الاول وقيل جمادي ثم ان يزيد بن معاوية دس الي زوجة
الحسن جعدة بنت الاشعث الكندية ان تسمه ويتزوجها وبذل لها مائة الف ففعلت فلما
مات الحسن بعثت اليه تسأله فيما وعدها فابي وقال انا لم نرضك للحسن افنرضاك لانفسنا وعن
عمير بن اسحاق قال دخلت انا ورجل علي الحسن بن علي نعوده فقال يا فلان سلني قال لا والله لا اسالك
حتي يعافيك الله ثم دخل وخرج الينا فقال سلني قبل ان تسالني قال لا بل حتي يعافيك الله عز وجل
قال لقد القيت طايفة من كبدي واني قد سقيت السم مرارا فلم اسق مثل هذه المرة ثم دخلت عليه
من الغد وهو يجود بنفسه واخوه الحسين عند راسه فقال يا اخي من تتهم فقال لتقتله قال نعم
فقال ان يكن الذي اظن فالله اشد باسا واشد تنكيلا وان لا يكن ذلك فلا احب ان تقتل بي
بريئا ومن جملة كلامه لاخيه لما احتضر ان اباك استشرف لهذا الامر المرة بعد المرة فصرفه الله عنه الي
الثلاثة قبله ثم ولي فنوزع حتي جرد السيف فما صفت له واني والله ما اري ان يجمع فينا النبوة
والخلافة وربما سيستخفنك سفهاء الكوفة فيخرجونك ولما نزل به الموت قال اخرجوا فراشي الي صحن الدار
فقال اللهم اني احتسب نفسي عندك فاني لم اصب بمثلها وكانت مدة مرضه اربعين يوما
وتوفي الحسن لخمس ليال خلون من ربيع الاول وفي سنة موته اقوال والاكثرون انها سنة خمسين ودفن
بالبقيع وكان من العلماء الحكماء الكرماء روي عن رسول الله صلي الله عليه وسلم ثلاثة عشر حديثا قال
حفظت من رسول الله صلي الله عليه وسلم دع اي اترك وهو امر لا ماضي له ومضارعه يدع قال
الصرفيون واما تواماضي يدع ويذر ولكن جاء عن عروة ومقاتل وابن ابي عبلة انهم قرؤوا ما ودعك
ربك بتخفيف الدال وجاء ذلك في ضرورة الشعر ومنه قول انس بن زنيم ليت شعري عن خليلي ما الذي
ناله في الشعر حتي ودعه والامر للندب لان الاصح ان توقي الشبهات مندوب لما جاء عن عمر رضي الله
عنه مكسبة فيها بعض الريبة خير من المسيلة ومعناه كسب فيه بعض الشك احلال هو ام حرام خير
من سوال الناس وقد يكون للوجوب كما لو رمي صيدا وسقط في ماء فمات او اجتمع علي قتله كلب
مسلم وكافر فانه يجب تركه لعدم تحقق المبيح ما يريبك بفتح اوله وضمه والاول افصح واكثر
رواية والثاني لغة هذيل يقال راب يريب ثلاثيا وارات يريب رباعيا اذا شك وتردد في

الشي

الشي وقيل راب لما تيقن فيه الريبة واراب لما توهم فيه فاذا وجدت نفسك ترتاب من شي فاتركه
فان نفس المومن الكامل تطمين الي ما فيه النجاح والفلاح وترتاب من ضده فقد قال احمد بن نصر
الزقاق تهت في تيه بني اسرائيل فعطشت مقدار خمسة عشر يوما فلما وافيت الطريق لقيني جندي
فسقاني شربة ماء فعادت قساوتها على قلبي اربعين صباحا وفي رواية ثلاثين سنة وعن ابي سليمان
الداراني انه قال قدم الي اهلي مرة خبزا وملحا فكان في الملح سمسمة فاكلتها فوجدت رانها في قلبي بعد
سنة وحكي انه كان رجل من الاوليا قصد شخص زيارته فلما وصل الي بيته خرج شاب عليه
سيما المتكبرين فسلم على الشاب فلم يرد عليه فتعجب وسال عنه فقيل له انه ابن الشيخ فلما جا الشيخ
راه الزاير وعليه سيما المتواضعين وكان حسن الخلق فتعجب اشد من ذلك وقال في نفسه يا عجبا
كيف يكون لمثل هذا الشيخ مثل هذا الولد فسال الزاير عن سو خلق ابنه فقال الشيخ لا تتعجب
فاني جعت مدة ايام فاخبر بذلك جاري وكان من خواص السلطان فجاني بطعام من بيت السلطان
فلما اكلت ذلك الطعام غلبت على شهوة الجماع فهذا الولد من نطفة ذلك الطعام الي ما لا يريبك
اي دع ما تشك فيه من الشبهات الي ما لا تشك فيه من الحلال لما مر في الحديث السابق من اتقى الشبهات
فقد استبرا لدينه وعرضه وهذا اصل في الورع حتى قال بعضهم الورع كله في ترك ما يريب الي ما لا يريب
وقد ورد لا يبلغ العبد ان يكون من المتقين حتى يترك ما لا باس به حذرا مما به باس وقال حسان
بن ابي سنان ما شي اهون من الورع اذا رابك شي فدعه وهذا انما يسهل على من سهله الله عليه ومن
ثم تنزه يزيد بن زريع عن خمسمائة الف من ميراث ابيه فلم ياخذه وكان ابوه يلي الاعمال للسلاطين
وكان يزيد يعمل الخوص ويتقوت منه الي ان مات وسيلت عايشة رضي الله عنها عن اكل الصيد للمحرم فقالت
انما هي ايام قلايل فما رابك فدعه تعني ما اشتبه عليك هل هو حلال او حرام فاتركه فان العلما اختلفوا
في اباحة الصيد للمحرم اذا لم يصده او يصد لاجله رواه الحافظ ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة بفتح
السين والراء وسكون الواو ابن الضحاك وقيل شداد بدل الضحاك السلمي البوغي بضم البا الموحدة
وسكون الواو وغين معجمة قرية من قرى ترمذ على ستة فراسخ منها فلذا قال الترمذي بتثليث
الفوقية وكسر الميم او ضمها كلها مع الاعجام للذال نسبة لمدينة قديمة على طرف جيحون وهو نهر بلخ
على شاطيه الشرقي قال ابو عبيد الاربسي كان الترمذي احد الايمة الذين يقتدى بهم في علم الحديث
صنف كتاب الجامع والعلل والتواريخ تصنيف رجل عالم متقن وكان يضرب به المثل في الحفظ وكان
مكفوفا قيل ولد اكمه وتورع بقول الكشاف لم يكن في هذه الامة اكمه غير قتادة بن دعامة وقد
يقال هذا نفي ومن حفظ حجة على من لم يحفظ ولا يرد على كلامه الشاطبي لانه صاحب الكشاف متقدم عليه
ولد سنة تسع ومايتين ومات ببلدة ليلة الاثنين الثالثة عشر من رجب سنة تسع وسبعين وقيل
تسع وسبعين ومايتين والامام الحافظ ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب النساي نسبة الي نسا مدينة
بخراسان ولد سنة اربع او خمس عشرة ومايتين رحل واجتهد واتقن الي ان تفرد فقها وحديثا وحفظا
واتقانا حتى قال الذهبي انه احفظ من مسلم وكان متبسطا في الماكل كثير النسا مع كثرة التعبد دخل

فذكر فضل علي رضي الله عنه فقيل له معاوية رضي الله عنه فقال اما كفاه ان يذهب راسا براس حتى تذكر له
فضايل فدفع في حضنه اي جنبيه بالتي المهملة حتى اشرف على الموت فاخرج فمات في الرملة وقيل
فلسطين سنة ثلث وثلثماية وحمل للمقدس او مكة فدفن بين الصفا والمروة وقال الترمذي حديث
حسن صحيح استشكل الجمع بينهما مع ما بينهما من التضاد فان راوي الصحيح يشترط فيه ان يكون موصوفا
بالضبط الكامل وراوي الحسن لا يشترط فيه ان يبلغ تلك الدرجة وان كان ليس عريا عن الضبط في الجملة
واجيب بان ما قيل فيه ذلك ان كان له سندان كان وصفه بالحسن من جهة احدهما وبصحته من جهة الآخر
ورجح ان ما قيل حسن صحيح اقوى مما قيل فيه صحيح لان كثرة الطرق تقويه وان كان له اسناد واحد كان
وصفه بهما من حيث تردد ائمة الحديث في حال ناقله لان ذلك يحمل المجتهد على انه لا يصفه باحد الوصفين
بل يقول حسن اي باعتبار وصف ناقله عند قوم صحيح باعتبار وصفه عند آخرين وغاية ما فيه انه حذف
منه حرف التردد لان حقه ان يقول حسن او صحيح وعلى هذا فما قيل فيه حسن صحيح دون ما قيل فيه
صحيح لان الجزم اقوى من التردد الحديث الثاني عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه اتى بلفظ حسن ولم يقل من اسلام المرء للاشارة الى انه لا عبرة بصور الاعمال
فعلا وتركا الا اذا اتصفت بالحسن بان توفرت شروط مكملاتها فضلا عن مصححاتها وقيل ان ترك ما لا يعني
ليس هو الاسلام ولا جزؤه بل صفته وهي حسنه وصفة الشي ليست جزاه ولا ذاته لان الاسلام لغة
الانقياد وشرعا الاركان الخمسة فهو كالجسم وترك ما لا يعني كالشكل واللون له ذكره بعض الشارحين
فان قيل لما قال من حسن على التبعيض ولم يقل حسن فالجواب ان ترك ما لا يعني ليس هو كل حسن الاسلام
بل بعضه وانما جميع حسن الاسلام ترك ما لا يعني وفعل ما يعني فاذا فعل ما يعنيه وترك ما لا يعنيه
فقد كمل حسن اسلامه وعلى هذا فمن للتبعيض وقال بعضهم يجوز كونها للبيان الاسلام المرء آثره على
الايمان لان الاسلام هو الذي يظهر اذ هو الاعمال الظاهرة التي يتاتى فيها الترك والفعل اختيارا
تركه مصدر مضاف لفاعله ما اي شيئا اعم من ان يكون قولا او فعلا لا يعنيه بفتح اوله قال ابن عبد
البر وهذا من جوامع الكلم الذي لم يقله احد قبله والله اعلم واما ما روي في صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام
من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما يعنيه فهذا في تقدير صحته خاص بالكلام واما تركه ما لا يعنيه
فهو اعم من الكلام مع ان لفظه ابلغ واوجز وما لا يعنيه هو ما لا تدعو الحاجة اليه وهو الفضول كله على
اختلاف انواعه من اللعب والهزل وكل ما لا يخل بالمروة والتوسع في الدنيا وطلب المناصب والرياسة
وحب المحمدة ونحو ذلك مما لا يعود عليه منه نفع اخروي فانه ضياع للوقت النفيس الذي لا يمكن ان يعوض فايته
فيما لا يخلق لاجله والذي يعنيه من الامور ما يتعلق بضرورة حياته في معاشه مما يشبعه من جوع ويرويه
من عطش ويستر عورته ويعف فرجه ونحو ذلك مما يدفع الضرورة دون ما فيه تلذذ وتنعم وسلامته في
معاده من الاخلاص وقال الشيخ يوسف بن عمر ما لا يعنيه هو ما يخاف فيه فوات الاجر والذي يعنيه هو
الذي لا يخاف فيه فوات ذلك وقيل ما يعنيه ما يعود عليه منفعة لدينه او لدنياه الموصلة لآخرته وما لا يعنيه

عكسه وهو ما يعود عليه منه منفعة لدينه او لدنياه الموصلة لآخرته ولعله احترز بذلك عن دنيا
تقطعه وتفسد آخرته وفي هذا الحديث اشارة الى ان الشيء اما ان يعني الانسان اولا وعلى كل اما
ان يتركه او يفعله فالاقسام اربعة فعل ما يعني وترك ما لا يعني وهما حسنان وترك ما يعني وفعل ما لا يعني
وهما قبيحان فان قلت اسناد الاعتنا الى المرء يقتضي ان كل ما لا يعتني به مطلوب تركه ولو كان موافقا
للشرع فالجواب انه لما كان المراد الكامل لا يعتني الا بما يعتني به الشارع اسند الاعتنا اليه نظرا لكماله
وان المراد بقوله ما لا يعنيه اي ما لا يطلب الشارع الاعتنا به وقال مالك بن دينار اذا رايت قساوة
في قلبك ووهنا في بدنك وحرمانا في رزقك فاعلم انك تكلمت بما لا يعنيك فكلام الشخص فيما لا يعنيه
يقسي القلب ويوهن البدن ويعسر اسباب الرزق ووعظ عمر بن الخطاب رجلا فقال له لا تتكلم
فيما لا يعنيك واعتزل عدوك واحذر صديقك الا الامين ولا امين الا من يخشى الله ولا تمش مع
الفاجر فيعلمك من فجوره ولا تطلعه على سرك ولا تشاور في امورك الا الذين يخشون الله
عز وجل وقال رجل للاحنف بن قيس بم سدت قومك واراد تنقيصه وعيبه فقال الاحنف بتركي
من امرك ما لا يعنيني كما عناك من امري ما لا يعنيك وروى عبيدة عن الحسن انه قال من علامة اعراض
الله عن العبد ان يجعل شغله فيما لا يعنيه وقيل للقمان الحكيم اي عملك اوثق في نفسك قال ترك ما لا
يعنيني وروي ان رجلا وقف عليه وهو يتكلم بالحكمة فقال الست عبد بني فلان وفي رواية الست عبد
فلان الراعي قال بلى لانه كان عبدا حبشيا وما قيل انه وبلال نوبيان لم يثبت وكان يرعى الغنم
قال فما الذي بلغ بك الى ما ارى قال قدر الله وصدق الحديث وترك ما لا يعنيني وفي الموطا بلغني
انه قيل له ما بلغ بك ما نرى يريدون الفضل قال صدق الحديث واداء الامانة وترك ما لا يعنيني وقيل
كيف اصبحت قال كيف اصبح من كانت نفسه بيد غيره ولبعضهم

لعمرك ما شي علمت مكانه احق بسجن من لسان مذلل على فيك مما ليس ينفعك قوله فقفل بشد يد حيثما كنت اقفل

وقال انس استشهد منا يوم احد فوجد على بطنه صخرة من الجوع فمسحت امه التراب عن وجهه وقالت
هنيئا لك الجنة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل
بما يعنيه ومن كلام بعض السلف من سال عما لا يعنيه حرم ما يعنيه ومر حسان ابن ابي سنان
بغرفة فقال متى بنيت هذه ثم اقبل على نفسه فقال تسالين عما لا يعنيك لاعاقبنك بصوم سنة
فصامها وعن يوسف بن عبيد ترك كلمة فيما لا يعني افضل من الصوم يوما وقال بعضهم مر ابراهيم
الخليل فراى عبدا في الهواء متعبدا فقال له بم نلت هذه المنزلة من الله تعالى فقال بامر يسير
فطمت نفسي عن الدنيا ولم اتكلم فيها بما لا يعنيني ونظرت فيما امرني به فعملت به وفيما نهاني عنه
فانتهيت فانا ان سالته اعطاني وان دعوته اجابني وان اقسمت عليه ابر قسمي سالته ان
يسكنني في الهواء فاسكنني وعن وهب بن منبه قال كان في بني اسرائيل رجلان بلغت
عبادتهما الى ان مشيا على الما فبينما هما يمشيان على البحر اذ هما برجل يمشي في الهواء فقالا له

له يا عبد الله باي شي ادركت هذه المنزلة بيسير من الدنيا فطمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني
عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت الصمت فان اقسمت على الله ابر قسمي وان سالته اعطاني
وقوله من حسن اسلام المرء الخ خبر واجب التقديم عا في المبتدا من ضمير يعود على الخبر من باب على التمرة مثلها
زبدا وقوله تركه ما لا يعنيه مبتدا حديث حسن من طريق وصحيح من اخرى رواه الترمذي في جامعه
وغيره كابن ماجة هكذا اي موصولا ورواه غيرهما مرسلا والاتصال يقدم على الارسال وهو اصل
كبير في تاديب النفس وتهذيبها عن الرذايل والنقايص وترك ما لا جدوى فيه ولا نفع وهو من جوامع
كلمه المختصة به صلى الله عليه وسلم الحديث الثالث عشر عن ابي حمزة بمهملة فزاي كناه بذلك النبي صلى الله
عليه وسلم لما روي عنه انه قال كناني النبي صلى الله عليه وسلم كنت اجتنيها قال الازهري البقلة التي
كنى بها انس كان في طعمها لذع فسميت حمزة بفعلها يقال رمانة حامزة اي فيها حموضة ومنه حديث
عمر انه شرب شرابا فيه حمازة اي لذع وحدة اي حموضة انس بن مالك رضي الله تعالى عنه بن النضر بالنون
والضاد المعجمة الساكنة بن ضمضم بفتح المعجمتين ابن زيد بن حرام بن جندب بن عامر بن غنم بفتح الغين
المعجمة وسكون النون بن عدي بن النجار الانصاري الخزرجي وامه ام سليم بنت ملحان بن خالد بن زيد
بن حرام واختلف في اسمها فقيل سهلة وقيل رميلة وقيل رميثة وقيل انيفة تزوجها مالك بن
النضر فولدت له انس بن مالك ثم قتل فخطبها ابو طلحة قبل ان يسلم فقالت اما اني فيك لراغبة
وما مثلك يرد ولكنك رجل كافر وانا امراة مسلمة فان تسلم فذلك مهري لا اسالك غيره فاسلم
ابو طلحة وتزوجها قال ثابت فما سمعنا بمهر قط كان اكرم من مهر ام سليم وهو الاسلام
خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم لان امه ذهبت به الى النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينة
وقالت له هذا غلام يخدمك فقبله وكان له حينئذ تسع سنين وقيل ثمان وقيل عشر قال انس
فخدمته عشر سنين ويروى تسع سنين فما قال لي لشي فعلته لم فعلته ولا لشي تركته لم تركته وكنت
واقفا اصب الماء على يديه فرفع راسه فقال الا اعلمك ثلاث خصال تنتفع بها فقلت بلى بابي
وامي انت يا رسول الله فقال متى لقيت احدا من امتي فسلم عليه يطل عمرك واذا دخلت
بيتك فسلم عليهم يكثر خير بيتك وصل صلاة الضحى فانها صلاة الابرار الاوابين وقالت
امه يوما يا رسول الله خويدمك ادع الله له فقال اللهم اكثر ماله وولده واطل عمره واغفر ذنبه
ويروى بدل الاخيرة وادخله الجنة قال انس فلقد رزقت من صلبي سوى ولد ولدي ماية وخمسة
وعشرين ابنا ذكورا ولم يرزق الا ابنتين على ما قيل وان بستاني ليثمر في السنة مرتين وفيه ريحان
يجيء منه ريح المسك ولقد بقيت حتى سيمت الحياة وانا ارجو الرابعة وكان يصلي فيطيل القيام
حتى تقطر قدماه دما وشكا له قيمه عطش ارضه فتوضا وخرج الى البرية فصلى ركعتين
ودعا فسارت سحابة حتى غشيت ارضه ومطرت حتى ملاتها فارسل غلامه وقال انظر اين
بلغت هذا فنظر فاذا هي لم تعد ارضه وفي رواية لم تعدها الا يسيرا وذلك في الصيف وكان

اذا ختم القراة جمع ولده واهل بيته ودعا لهم وكان ابو غالب يقول لم ار احدا اضن بكلامه
من انس بن مالك وخرج مع النبي صلى الله عليه وسلم الى بدر وانما لم يعد في البدريين لانه لم
يكن في سن من يقاتل وغزا مع النبي صلى الله عليه وسلم ثمان غزوات واستمر في خدمة المصطفى
صلى الله عليه وسلم الى توفي وهو عنه راض فاقام بالمدينة وشهد الفتوح ثم قطن بالبصرة ومات
بها سنة تسعين او احدى او اثنين او ثلاث وتسعين ورجح النووي زمن الحجاج وهو ابن تسع
وتسعين او مائة وسنة او ثلث سنين او عشرين سنين او سبع سنين او عشرين سنة واوصى
ثابتا البناني ان يجعل تحت لسانه شعرة كانت عنده من شعر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ففعل وغسله محمد بن سيرين ودفن في قصره على فرسخين وقيل فرسخ ونصف من
البصرة وهو اخر من مات من الصحابة بها واما اخر الصحابة موتا مطلقا فهو عامر بن واثلة الليثي
روى انس الفين ومائتي حديث وستة وثمانين اتفقا منها على مائة وثمانية وستين وانفرد
البخاري بثلث وثمانين ومسلم باحد وسبعين ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا يومن
احدكم وفي رواية للاصيلي لا يومن احد وفي رواية ابن عساكر لا يومن عبد وفي رواية لمسلم والذي
نفسي بيده لا يومن عبد او لجاره بالشك وفي رواية ابي نعيم لا يومن عبد حتى يحب لاخيه ولجاره
بلا شك وذكر الجار مع دخوله فيما قبله لشدة الاعتنا به لخبر ما زال جبريل يوصيني بالجار حتى
ظننت انه سيورثه وعلى كل حال فالمراد لا يومن ايمانا كاملا والا فاصل الايمان حاصل بدون
ذلك لان من لم يتصف بهذه الصفة لا يكون كافرا وفي رواية للامام احمد وابن حبان ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال لا يبلغ عبد حقيقة الايمان اي كماله وقدم في حديث جبريل ان الايمان
هو التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والقدر ولم يذكر حب الانسان
لاخيه ما يحب لنفسه فدل على انه من كمال الايمان لا من اجزائه بحيث تختل ذاته بعدمه
ونفي اسم الشي على نفي الكمال عنه سايغ مستفيض في كلامهم كقولهم فلان ليس بانسان فان
قلت اذا كان المراد نفي كمال الايمان يلزم ان يكون من حصلت له هذه الخصلة مومنا كاملا
وان لم يات ببقية الاركان فالجواب ان هذا ورد مورد المبالغة في تحصيل هذه الخصلة المحمودة حتى
حتى كان تلك المحبة ركنه الاعظم لا صلاة الا بطهور او مستلزم لها اذ يستفاد من اخيه
المسلم ملاحظة بقية صفات المسلم واضاف احد المفيد للعموم الضمير المذكور نظرا للغالب
والا فالاناث كذلك والضمير راجع لامة الاجابة حتى يحب بالنصب لا نحتى هنا جارة
لا عاطفة ولا ابتدائية وان بعدها مضمرة والرفع بجعلها عاطفة بفساد المعنى اذ عدم
الايمان ليس سببا للمحبة وقوله يحب المحبة الميل الى ما يوافق المحب ثم الميل قد يكون بما يستلذ
بحواسه كحسن الصورة وربما يستلذ بفعله اما لذاته كالفضل والكمال واما لاحسانه
كجلب نفع او دفع ضر لاخيه اي كل اخ في الاسلام من غير ان يخص بمحبته احدا دون احد
بشهادة انما المومنون اخوة والاضافة فان اضافة المفرد تفيد العموم ووقع في رواية

الاسماعيلي حتى يحب لاخيه المسلم ما يحب لنفسه من الخير والظاهر ان التعبير بالاخ المسلم جرى على
الغالب لانه ينبغي لكل مسلم ان يحب للكافر الاسلام وما يتفرع عليه من الكمالات وقال ابن العماد
الاولى ان يحمل على عموم الاخوة حتى يشمل الكافر والمسلم فيحب لاخيه الكافر ما يحب لنفسه وهو
دخوله في الاسلام كما يحب لنفسه ولاخيه المسلم الدوام عليه ولذا ندب الدعاء له بالهداية انتهى
ما يحب لنفسه من الطاعات والمباحات الدنيوية وسواء كان ذلك في الامور الحسية كالغنى او
المعنوية كالعلم معه كالنفس الواحدة كما حث صلى الله عليه وسلم على ذلك بقوله في الحديث الصحيح
المومنون كالجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له ساير الجسد بالحمى والسهر وقال ابن عباس
رضي الله عنهما اني لامر على اية من كتاب الله تعالى فاود ان الناس يعلمون منها ما اعلم وكان عتبة الغلام
اذا اراد ان يفطر قال لبعض اخوانه المطلعين على عمله اخرج الى تمرات فيكون لك مثل الجزاء قال ابن بطال
وغيره المحبة على ثلاثة اقسام محبة اجلال وتعظيم كمحبة الوالد ومحبة شفقة ورحمة كمحبة الولد ومحبة
مساكنة واحسان كمحبة ساير الناس انتهى واللام تدل على ان المراد الخير والمنفعة اذ هي للاختصاص
بالمنافع وكذا محبته لنفسه تدل عليه اذ لا يحب لنفسه الا الخير وقد تقدم التصريح به في رواية الاسماعيلي
فاندفع قول بعضهم هذا عام مخصوص فان الانسان يحب لنفسه وطي حليلته ولا يجوز ان
يحبه لاخيه حال كونها في عصمته لانه محرم عليه وليس له ان يحب لاخيه فعل محرم عليه وقوله ما يحب لنفسه
اي مثل ما يحب لنفسه لا عينه مع سلبه عنه ولا مع قيامه بمحله اذ قيام الجوهر او العرض بمحلين محال
وهو مساو لقول بعضهم من جهة لا يزاحمه فيها قال البيضاوي المراد المحبة من جهة العقل وان كان على
خلاف هوى النفس كالمريض يعاف الدواء بطبعه فينفر عنه ويميل اليه بمقتضى عقله فيهوى تناوله
لما يعلم ان صلاحه فيه وقال عياض كبعضهم ظاهر الحديث طلب المساوات وحقيقته تستلزم
التفضيل لان كل واحد يحب ان يكون افضل الناس فاذا احب اخيه مثله دخل هو في جملة المفضولين
وتعقبه الحافظ ابن حجر بان المراد الزجر عن هذه الارادة والحث على التواضع فلا يحب ان يكون افضل
من غيره ليرى له عليه مزية ويستفاد ذلك من قوله تعالى تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون
علوا في الارض ولا فسادا والعاقبة للمتقين فهو مستلزم للمساوات قال الكرماني ومن الايمان
ان يبغض لاخيه ما يبغض لنفسه من الشر ولم يذكره لان حب الشي مستلزم لبغض نقيضه فترك
النص عليه انتهى ومن ثم قيل للاحنف بن قيس ممن تعلمت الحلم قال من نفسي قيل له وكيف ذلك قال كنت
اذا كرهت شيا من غيري لا افعله باحد مثله وقال السري وقع ببغداد حريق فاستقبلني رجل وقال
نجا حانوتك فقلت الحمد لله منذ قلتها وانا نادم حيث اردت لنفسي دفع الضرر دون المسلمين
ولي ثلاثون عاما استغفر الله من ذلك رواه البخاري ومسلم في مسند الامام احمد عن يزيد بن اسد
القرشي قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم اتحب الجنة قلت نعم قال فاحب لاخيك ما تحب

لنفسك واني بلا عقب السابق لان ما قبله وصف للاسلام وهذا وصف للايمان وذكر فيما قبل المطلوب
متكررو ذكر في هذا المطلوب فعله واما الايثار وهو تقديم الغير على النفس فهو امر عظيم مدح الله اهله
في كتابه العزيز بقوله تعالى ويوثرون على انفسهم وسبب نزولها ما روي عن ابي هريرة رضي الله عنه
انه قال جاء ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني مجهود فارسل الى بعض نسايه
فقالت والذي بعثك بالحق نبيا ما عندنا الا الماء ثم ارسل الى الاخرى فقالت مثل ذلك ما عندنا الا
الماء فقال من يضيف هذه الليلة فقام رجل من الانصار يقال له ابو المتوكل وقيل ابو طلحة
فقال انا يا رسول الله فانطلق الى رحله فقال لامراته هل عندك شي فقالت لا الا قوت صبياني فقال
فعلليهم بشي فاذا دخل ضيفنا فاطفي السراج ونومي الاطفال وقدمي للضيف ما عندك ففعلت
واظهرا له انهما ياكلان معه فنزل قوله تعالى ويوثرون على انفسهم ولو كان بهم خصاصة الى قوله
فاولئك هم المفلحون فلما اصبح غدا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لقد عجب الله من صنعكما
الليلة بضيفكما فان قلت اذا لم يكن عندها الا قوت الصبيان وهو يدل على ان الصبيان كانوا جياعا
فكيف ساغ تنويمهم طاوين فالجواب ان الصبيان لم تشتد حاجتهم للاكل وانما خشي ان الطعام لو
جي به للضيف وهم مستيقظون لا يتركون الاكل منه ولو كانوا شباعا على عادة الصبيان فيشوشون
على الضيف وروي الحسن ان رجلا اصبح صايما على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما امسى لم يجد
ما يفطر عليه الا الماء ثم اصبح صايما فلما كان اليوم الثالث اجهده الجوع ففطن به رجل من الانصار فلما
امسى اتى به الى منزله وقال لاهله هل عندكم من طعام فقال اهله عندنا من طعام ما يشبع الواحد
وكانا صايمين ولهما صبية فقال لزوجته اذا دخل الضيف فنومي الصبية قبل العشا واطفي السراج
ونظهر للضيف اننا ناكل معه حتى يشبع فجات بثريد ووضعته ودنت من السراج كانها تريد ان
تصلحه فاطفاته فلما اصبح الضيف غدا الى النبي صلى الله عليه وسلم فنزلت هذه الاية وقال ابن عمر اهدي
الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم راس شاة فقال ان اخي فلانا احوج الى هذا منا فبعثه
اليهم فلم يزل يبعث به واحد الى اخر حتى تداولها سبعة ابيات حتى رجعت الى الاول وتقدم ذكر قصة
ابن عمر رضي الله عنهما في عنقود من العنب وروي ان عمر ابن الخطاب اخذ اربعماية دينار فجعلها في صرة ثم
قال للغلام اذهب بها الى ابي عبيدة ابن الجراح ثم تلكا ساعة في البيت حتى تنظر ما يصنع بها
فذهب بها الغلام اليه فقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجاتك فقال وصله الله
ورحمه ثم قال تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة الى فلان حتى انفدها فرجع الغلام الى عمر فاخبره
فوجده قد اعد مثلها الى معاذ بن جبل وقال اذهب بها الى معاذ ابن جبل وتلكا في البيت ساعة
حتى تنظر ما يصنع فذهب بها اليه فقال يقول لك امير المومنين اجعل هذه في بعض حاجاتك
فقال رحمه الله ووصله وقال يا جارية اذهبي لبيت فلان بكذا وبيت فلان بكذا فاطلعت
امراة معاذ فقالت ونحن والله مساكين فاعطنا فلم يبق في الخرقة الا ديناران فرمى بهما اليها

فرجع الغلام الى عمر فاخبره بذلك فسر عمر بذلك وقال انهم اخوة بعضهم من بعض ونحوه عن
عايشة في اعطاء معاوية كما مر في مناقبها وقال ابو يزيد البسطامي ما غلبني احد غلبني شاب
من اهل بلخ قدم علينا حاجا فقال لي يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت له اذا وجدنا اكلنا
واذا فقدنا صبرنا فقال هكذا كلاب بلخ عندنا فقلت له ما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا
واذا وجدنا اثرنا وحكي عن الحسن الانطاكي انه اجتمع عنده نيف وثلاثون رجلا بقرية الري ومعهم
ارغفة معدودة لا تشبع جميعهم فكسروا الرغفان واطفوا السراج وجلسوا للطعام فلما رفع
فاذا هو بحاله لم ياكل احد منهم شيا ايثارا لصاحبه على نفسه والايثار بالنفس فوق الايثار بالمال فقد
قال حذيفة العدوي انطلقت يوما اليرموك اطلب ابن عم لي ومعي شي من الما وانا اقول ان كان به رمق
سقيته فاذا انا به فقلت اسقيك فاشار براسه ان نعم فاذا رجل يقول اه اه فاشار الي ابن عمي
ان انطلق اليه فانطلقت اليه فاذا هو هشام بن العاص فقلت اسقيك فاشار ان نعم فسمع اخر يقول
اه اه فاشار هشام ان انطلق اليه فجيته فاذا هو قد مات فرجعت الى هشام فاذا هو قد مات
فرجعت الى ابن عمي فاذا هو قد مات الحديث الرابع عشر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحل اي لا يجوز فلا ينافي وجوب القتل في احدى الثلاث
الاتية لان الجايز يصدق بالجايز بالواجب وفي رواية لمسلم زيادة على هذا في اوله ولفظه قام
فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال والذي لا اله غيره لا يحل دم قال سيبويه اصله دمي
على فعل بالتسكين لانه يجمع على دماء ودمي اي بكسر الدال في الاول وضمها في الثاني مثل ظبي
وظباء وظبي ودلو ودلاء ودلي ولا يجمع على هذا الا فعل بالتسكين وقيل اصله فعل بالتحريك
وعليه فهل الذاهب منه اليا وبدل عليه قولهم في تثنيته دميان وانه جاء جمع مخالفا لنظايره
وهو ما قاله المبرد او الواو لان بعض العرب تقول في تثنيته دموان وهو ما قاله غيره وعلى كل
فحذف المضاف واقيم المضاف اليه مقامه امرء يقال فيه مر ايضا قال الله تعالى واعلموا ان
الله يحول بين المرء وقلبه ومونثه امراة ومراة وحكي بعضهم انه يجوز مرء بفتح الرا من غير همز
وخص الذكر هنا بالذكر لشرفه واصالته وغلبته دوران الاحكام عليه كما مر والا فالانثى
والخنثى كذلك جريا على طريقة الاكتفا باحد الضدين كما في سرابيل تقيكم الحر اي والبرد او لانه
كما قال الحراني يشترك فيه المذكر والمونث وقوله دم امرء كناية عن ازهاق روحه ولو لم يرق
دمه كما لو خنقه او سمه او بالنظر للغالب لان الغالب في القتل اراقة الدم مسلم خرج
به الكافر وسقط من قلم المص هنا ما رواه الشيخان في روايتهما بعده يشهد ان لا اله الا الله
واني رسول الله وهو صفة كاشفة واعلم انه الاصل في الدما العصمة عقلا ونقلا اما عقلا
فلانه في القتل فساد الصورة الانسانية المخلوقة في احسن تقويم والعقل يا باه واما نقلا فلقوله
تعالى ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الا بالحق وقوله ومن يقتل مومنا متعمدا فجزاوه جهنم وقول

المصطفى عليه الصلاة والسلام ليحذر احدكم ان يحول بينه وبين الجنة ملء كف من دم يهرقه
بغير حق وقوله فاذا قالوها عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وقوله من اعان على قتل مسلم
ولو بشطر كلمة لقي الله مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله وقوله من هدم بنيان ربه
فهو ملعون اي من قتل نفسا بغير الحق لان الجسم خلقه وركبه ثم استثنى من عدم الجواز قوله
الا باحدى خصال ثلاث فيجب القتل فيها لما فيه من المصلحة العامة وهي حفظ الانساب والنفوس
والاديان الا ان يعفو مستحق القصاص او يرجع المرتد الى الاسلام وانث احدى وثلاث لان المراد الخصال
كما تقرر وفي رواية للبخاري الا ثلاثة نفر الثيب اسم جنس يشمل الذكر والانثى والمراد به المحصن وهو المسلم
الحر البالغ العاقل الواطي او الموطوة وطيا مباحا في عقد نكاح لازم بانتشار وعدم مناكرة وخرج
بالثيب البكر فحده جلد مائة جلدة ان كان حرا ونصفها ان كان رقيقا ويغرب الذكر الحر عاما والاصح ان
الحدود بمجردها كفارات وقيل لا بد من التوبة معها وجمع بحمل الاول على ذات الذنب والتوبة على جراته
وقوله الثيب بالجر بدل مما قبله ولا بد فيه وفيما بعده من مضاف محذوف تقديره خصلة الزاني وقصاص
النفس بالنفس وترك التارك لدينه وبدون هذا التقدير يتعذر الابدال لان الثيب وما
بعده ليسا نفس الخصال بل اصحاب الخصال ويجوز رفعه على الخبر اي وهي او المبتدا اي منها
والثاني اولى ويجوز نصبه على انه مفعول لفعل محذوف الزاني باثبات الياء وحذفها من باب الكبير
المتعال واثباتها كما قال المصنف اشهر وعن عبد الله بن عمر انه قال اول ما خلق الله عز وجل من
الانسان فرجه فقال هذا امانتي عندك فلا تضعها الا في حقها والمراد بحل دم المحصن الزاني انه يجب
رجمه بالحجارة حتى يموت ولا يجوز بغير ذلك اجماعا والنفس المكافية بالنفس اي بقتلها ظلما عدوانا
لقوله تعالى وكتبنا عليهم فيها اي في التوراة ان النفس بالنفس ولما في الصحيح انه عليه الصلاة والسلام
رضخ راس اليهودي الذي رضخ راس امراة وخرج بالمكافية ما اذا كان القاتل زايدا بالاسلام او
الحرية فان كان زايدا بالاسلام فلا يقتل لخبر البخاري لا يقتل مسلم بكافر وكذا لو كان زايدا بالحرية
لمفهوم قوله تعالى الحر بالحر والعبد بالعبد ولان الرقيق مال متقوم فالتحق بساير الاموال وخبر من قتل
عبده قتلناه منقطع ويقتل الادنى بالاعلى ككتابي بعبد مسلم لان زيادة الاسلام اعلى من الحرية
بخلاف العكس فلا يقتل رقيق مسلم بكافر وخرج بالعمد الخطا وبالعدوان قتل البغاة ويقتص
من الفرع للاصل لا عكسه لانه سبب في ايجاد فرعه فلا يكون فرعه سببا لاعدامه الا ان يضجعه ويذبحه
او يبقر بطنه فيقتص منه ح والنفس تذكر وتونث والغالب عليها التانيث والتارك لدينه
اي المرتد لان في اقراره على الردة خللا لنظام عقد الاسلام ولا فرق بين الرجل والمراة عند
الجمهور وقال ابو حنيفة لا تقتل المراة اذا ارتدت كما لا تقتل نساء اهل الحرب في الحرب واستثناء
القاتل والزاني من المسلم ظاهر لان الزنا والقتل لا يخرجهما عن الاسلام واما استثناء المرتد
منهم باعتبار ما كان قبل ردته سيما وعلاقة الاسلام مرتبطة به بدليل انه لا يقتل حتى يستتاب
ثلاثا ويقتل الزاني والقاتل ولو تابا بخلاف المرتد لان التوبة في الاخير تزيل عنه وصف

الكفر بخلاف فيها في الاولين فانها لا تزيل الوصف بالزاني والقتل المفارق للجماعة تفسير للتارك
لدينه فهو صفة موكدة لان المراد بالجماعة جماعة المسلمين وفراقهم هو الردة عن الدين فالمراد
المفارقة للقلب والاعتقاد او الفعل المكفر كالسجود للصنم لا المفارقة بالبدن الا ان ينضم
اليه المفارقة باللسان والظاهر ان اللام في المفارق لدينه او في قوله للجماعة زايدة كما زيدت
في قوله تعالى قل عسى ان يكون ردف لكم وقوله تعالى واذ بوانا لابراهيم مكان البيت
ونحو ذلك فان ترك وفارق يتعديان بنفسهما واسم الفاعل من الفعل المتعدي متعد كفعله
كما ان القاصر كذلك زيدت بالفعل والا فالاصل التارك دينه المفارق الجماعة كما تقول الضارب
زيدا ولا تقول الضارب لزيد وكان زيادتها لتوكيد المعنى قال الطوفي في عموم قوله التارك
لدينه يقتضي انه اذا تهود نصراني او تنصر يهودي انه يقتل لانه تارك لدينه ولقايل ان يقول
ان التارك لدينه مستثنى من المسلم كالزاني والقاتل وح لا يدل على ما ذكره رواه البخاري
في الديات ومسلم في الحدود الحديث الخامس عشر عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال من كان يومن بالله اي ايمانا كاملا منجيا من عذابه لان المتوقف على هذه الا
فعال كمال الايمان لا حقيقته او هو على المبالغة في الاستجلاب الى هذه الافعال كما يقول القايل لولده
ان كنت ابني فاطعني ونحوه تحريضا وتهييجا له على الطاعة لا على انه بانتفا طاعته ينتفي انه ابنه
وعدل الى المضارع هنا وفيما بعده قصد الاستمرار الايمان وتجدده امتثالا له وقتا فوقتا
واليوم الاخر هو يوم القيمة سمي بذلك لانه لا ليل بعده ولتاخره عن الدنيا وخصه بالذكر
هنا دون نحو الملايكة مما ذكر معه في الحديث السابق لانه محل الجزاء على الاعمال حسنها وقبيحها
فليقل اللام لام الامر ويجوز سكونها وكسرها حيث دخلت عليها الفا او الواو وسكونها اكثر
ومنه قوله تعالى فليستجيبوا لي وليومنوا بي خيرا اي كلاما يثاب عليه او ليصمت ضبطه المص
بفتح اليا وضم الميم وقال الطوفي قد سمعناه بكسرها وهو القياس لان قياس فعل بفتح
العين ماضيا يفعل بكسرها مضارعا نحو ضرب يضرب ويفعل بضم العين فيه قليل كما في الخصايص
لابن جني انتهى والصمت مجرد السكوت عن الكلام اي يسكت عما لا خير فيه وهو شامل للصمت
عن الشر وعن المكروه وعن المباح لان المباح ربما يجر الى مكروه او محرم وعلى تقدير انه لا يجر اليهما
ففيه ضياع للوقت فيما لا يعني وقدم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه واثر يصمت على
يسكت لانه اخص اذ هو السكوت مع القدرة وهذا هو المامور به اما السكوت مع العجز
لفساد آلة النطق فهو الخرس او لتوقفها فهو العي والصمت قفل الفم كما قال عمر رضي الله
عنه وكذا قيل وكم فاتح ابواب شر لنفسه   اذا لم يكن قفل على فيه مقفل   وقيل الصمت منام
اللسان والتكلم يقظته والمرء مخبوء تحت طي لسانه لا تحت طيلسانه وفي الحديث
من صمت نجا واعلم ان الانسان اما ان يتكلم او يسكت فان تكلم اما بخير فهو ربح او ع
شر فهو خسران وان سكت فاما عن شر فربح او عن خير فخسر فله في كلامه وسكوته

ربحان

ربحان ينبغي تحصيلهما وخسران ينبغي التخلص منهما وذكر بعضهم ان الكلام اربعة اقسام ضرر
محض ونفع محض وضرر ومنفعة ولا ضرر ولا منفعة فالضرر المحض لا بد له من السكوت
عنه وكذا ما فيه ضرر ومنفعة ولا تفي المنفعة بالضرر واما ما لا منفعة فيه ولا ضرر فهو
فضول والاشتغال به تضييع زمان وهو عين الخسران فلا يبقى الا القسم الرابع
فيسقط ثلاثة ارباع الكلام وفيه خطر اذا كان يجر ما فيه اثم من الريا والتصنع ونحوهما
وقال في الحديث الا انبئكم باموري خفيفين لم يلق الله بمثلهما الصمت وحسن الخلق
وقال لقمان لابنه لو كان الكلام من فضة كان السكوت من ذهب وقيل من قول
سليمان ومعناه كما قال ابن المبارك لو كان الكلام في طاعة الله من فضة كان السكوت
من معصية الله من ذهب وما احسن قول بعضهم اذا ما اضطررت الى كلمة
فدعها وباب السكوت اقصد فلو كان نطقك من فضة لكان سكوتك من عسجد
ولابراهيم العتبكي قالوا سكوتك حرمان فقلت لهم ما قدر الله ياتيني بلا نصب
ولو يكون كلامي حين انشره من اللجين لكان الصمت من ذهب وهو صريح في ان الكف عن المعصية
افضل من عمل الطاعة وفي ان الصمت افضل من الكلام لكن ذهب جماعة من السلف الى تفضيل
الكلام لان نفعه متعد وعليه فقول الخير خير من الصمت والصمت خير من قول الشر وتكلم قبيصة
بن ذؤيب عند عمر بن الخطاب فقال يا قبيصة انك فتق اللسان فسيح الصدر فاحذر عثرات
اللسان وكان يقال ادنى نفع الصمت السلامة وادنى ضرر النطق الندامة وقال الاصمعي سمعت
اعرابيا يقول دع من الكلام ما تعتذر منه وتكلم بما شئت وقال سفيان الصمت امان من تحريف
اللفظ وعصمة من زيغ النطق وسلامة من فضول القول وهيبة لصاحبه وقال بعض الحكما دبر
كلامك كما تدبر سهمك وارفق لا تنكسر واعلم ان اللسان سهم يخطي ويصيب واغتنم السكوت فان
ادنى نفعه السلامة وان اشقى الناس من ابتلي بلسان مطلق وقلب مطبق فهو لا يحسن
ان ينطق ولا يقدر ان يسكت وقال احرص اطلق لسانه بكل ما يعلم كان اكثر منامه حيث لا يحب
وسيل ابن المقفع اي شي انفع للانسان قال عقل يولد به قيل فان فاته ذاك قال ادب يتقوم
قيل فان فاته ذاك قال مال يستره قيل فان فاته ذاك قال صمت يلزمه قيل فان فاته ذاك قال
قبر يحبسه وكان ابو بكر الصديق يجعل في فيه حجرا ليقل كلامه وكذلك عمر بن الخطاب وروي ان
رجلا سيل ملكا في مرض موته فقال اوصني فقال ان شئت جمعت لك علم العلما وحكم الحكما وطب
الاطبا في ثلاث كلمات اما علم العلما فاذا سيلت عما لا تعلم فقل لا اعلم واما حكم الحكما فاذا كنت
جليس قوم فكن اسكتهم فان اصابوا كنت من جملتهم وان اخطاوا سلمت من خطايهم واما
طب الاطبا فاذا اكلت طعاما فلا تقم الا ونفسك تشتهيه فانه لا يلم بجدك غير مرض
الموت وسيل ابراهيم ابن الحسن عن سلامة القلب فقال بالعزلة والصمت وترك استماع خوض
الناس وروي عن ابي بكر بن عباس انه قال اربعة من الملوك تكلم كل واحد منهم بكلمة
كانها رميت من قوس واحد قال ملك كسرى لا اندم على ما لم اقل وقد ندمت على ما قلت

وقال ملك الصين مالم اتكلم بكلمة فانا املكها فاذا تكلمت بها ملكتني وقال قيصر ملك الروم انا
على رد مالم اقل اقدر مني على رد ما قلت وقال ملك الهند العجب ممن يتكلم بكلمة ان رفعت ضرته
وان لم ترفع لا تنفعه وعن لقمان الحكيم انه قال لابنه يا بني من يصحب صاحب السوء لا يسلم
ومن يدخل مداخل السوء يتهم ومن لا يملك لسانه يندم وقال اكثم ابن صيفي ومن يدع لسانه فرسله
فبين فكيه يكون مقتله قال بعض الحكما لسان المرء شفرة يمرها على اوداجه وقال الحسن البصري
من كثر كلامه كثر سقطه ومن كثر ماله كثر اثمه ومن ساء خلقه عذب نفسه وعن ثابت البناني
رحمه الله تعالى فقال بلغني ان العافية في عشرة تسعة منها في السكوت وواحدة في العزل عن
الناس وقال مالك بن دينار كان الابرار يتواصون بثلاث سجن اللسان وكثرة الاستغفار
والعزلة ومن وصايا بعض الكبار اياك وكثرة الكلام فانه يظهر من عيوبك ما بطن ويحرك من
عدوك ما سكن وقال يحيى القطان انما ساد ابن عون الناس بحفظ لسانه وقال خارجة بن
مصعب صحبت ابن عون ما يزيد على عشرين سنة فلم اعلم ان الملايكة كتبت عليه خطيئة وقال
مخلد بن الحسين ما تكلمت بكلمة اريد ان اعتذر منها منذ خمسين سنة وكان وهب بن منبه يعد
كلامه كل يوم ويحفظه وقال الفضيل بن عياض كان بعض اصحابنا يعد كلامه من الجمعة الى الجمعة
ومن الحكمة انما جعل لك لسان واحد واذنان ليكون ما تسمع اكثر مما تقول وعن الاصمعي انه
قال بلغني ان رجلا قال لاخر والله لئن قلت لي واحدة لتسمعن عشرة قال لكنك لو قلت
عشرة لم تسمع واحدة وانشد ابو بكر بن خلف اذا نطق السفيه فلا تجبه فخير من اجابته السكوت
سكت عن السفيه فظن اني عييت عن الجواب وما عييت ولكني اكتسيت ثوب حلم
وجنبت السفاهة ما بقيت وشتم رجل الاحنف بن قيس فسكت عنه فاعادها عليه والح والاحنف
ساكت فقال الرجل والهفاه ما يمنعه من جوابي الا هواني عليه ونقل البيهقي عن ذي النون
المصري انه قال العز الذي لا ذل فيه سكوتك عن السفيه ٥٥ عطب السفيه بيده وفيه انشد الاصمعي
وما شيء احب الى اللئيم اذا شتم الكريم من الجواب متاركة اللئيم بلا جواب اشد على اللئيم من السباب
ومن ثم قال الاعمش جواب الاحمق السكوت والتغافل يطفي شرا كثيرا ورضى المتجني غاية لا تدرك
والاستعطاف عون للظفر وقيل اوحي الله الى عيسى عليه السلام اذا كنت وحدك فاحفظ قلبك واذا
كنت بين الناس لسانك واذا كنت على الطريق فاحفظ عينك فهذه تورثك السلامة والصحة
وقال الغزالي لا تبسط لسانك فيفسد عليك شانك وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه في
وصيته لابنه الحسين يا بني امسك لسانك فان تلاف المرء في منطقه وعن بعضهم عفة اللسان
صمته فان اللسان سبع ضار فان لم توثقه عدى عليك وانشد بعضهم اغتنم ركعتين في ظلمة الليل
اذا كنت فارغا مستريحا واذا ما هممت بالخوض في الباطل فاجعل مكانه تسبيحا
واغتنام السكوت افضل من خوض وان كنت في الحديث فصيحا واستثنى العلما من الصمت اربعة
انواع العلم وجميع القربات والكلام مع الضيف والعروس والمسافر واما ما تدعو الحاجة اليه
من قوله قم وكل ونحو ذلك فانه خارج عن هذا وقال سهل بن عبد الله التستري ان بالصمت والعزلة
وقلة الطعام والمنام صار الابدال ابدالا ومعنى الابدال انهم ابدلوا من الاقوال والاخلاق

الذميمة

الذميمة افعالاحميدة كالجهل بالعلم والشح بالجود والشرة بالعفة والطيش بالتؤدة وعن ذي
النون المصري احسن الناس لنفسه املكهم للسانه وعنه ايضا انه قال بينا انا اسير
في نواحي الشام اذ رفعت لي روضة خضراء وفي وسطها شاب قايم يصلي تحت شجرة تفاح فتقدمت
اليه وسلمت عليه فلم يرد علي السلام فسلمت عليه ثانيا فاوجز في صلاته ثم كتب في الارض
باصبعه منع اللسان من الكلام لانه هدف البلاء وجالب الافات فاذا نطقت فكن لربك ذاكرا
لاتنسه واحمده في الاوقات قال ذو النون فبكيت طويلا وكتبت باصبعي في الارض
وما من كاتب الا سيبلي ويبقي الدهر ما كتبت يداه فلا تكتب بكفك غير شي يسرك في القيمة ان تراه
قال فصاح الشاب صيحة فارق الدنيا فهممت لاخذ في غسله وكفنه واذا بقايل يقول خل عنه فان
الله عز وجل وعد ان لا يتولي امره الا الملايكة قال ذو النون فملت الي شجرة فركعت عندها
ركعتين ثم اتيت الي الموضع الذي مات فيه فلم اجد له اثرا ولا عرفت له خبرا وقال الفضيل
بن عياض من عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا يعنيه وعن ذي النون اصون الناس لنفسه
املكهم للسانه وفي صحف ابراهيم عليه الصلاة والسلام من عد كلامه من عمله قل كلامه الا فيما
يعنيه وانشد بعضهم وسمعك صن عن سماع القبيح كصون اللسان عن النطق به
فانك عند سماع القبيح شريك لقايله فانتبه وقال ابن المبارك احفظ لسانك ان اللسان
سريع الي المرء في قتله وان اللسان دليل الفواد يدل الرجال علي عقله وقال بعضهم
احفظ لسانك واستعذ من شره ان اللسان هو العدو الذابح وزن الكلام اذا نطقت بمجلس
وزنا يلوح به الصواب اللايح فالصمت من سعد السعود بمطلع يحيي الغني والنطق سعد ذابح
واختلف العلما هل يكتب كل ما يتكلم به المرجحين المبلح وهو ظاهر قوله تعالي ما يلفظ من قول الا
لديه رقيب عتيد او لا يكتب الا ما فيه ثواب او عقاب واليه ذهب ابن عباس وغيره
وعليه فتكون الاية مخصوصة اي ما يلفظ من قول يترتب عليه جزا وعلي انه يكتب المباح
فالذي يكتبه كاتب السيات ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم جاره ولفظ رواية مسلم
فليحسن الي جاره اي بالبشر وطلاقة الوجه وكف الاذي وبذل الندي وتحمل الجفا وغير ذلك
لخبر الجار امين علي جاره فعليه ان يبذل لجاره علمه ويكف اذاه عنه ان راي عورة سترها
وان راي سيئة غفرها وان راي حسنة افشاها والخبر من اراد ان يحبه الله فعليه بصدق الحديث
واداء الامانة وان لا يوذي جاره وقال بعضهم حسن الجوار في اربعة اشيا ان يواسيه بما
عنده وان لا يطمع فيما لجاره وان يمنع اذاه عنه وان يصبر علي اذيته وقال الحسن ليس
حسن الجوار كف الاذي ولكن حسن الجوار احتمال الاذي ومن اكرامه ان لا يمنعه من غرز خشبة
في جداره لخبر الموطا والصحيحين لا يمنع احدكم جاره ان يغرز خشبة في جداره يقول ابو هريرة
مالي اراكم عنها معرضين والله لارمين بها بين اكتافكم بالنون وروي بالنون يونس بن عبد الاعلي

عن ابن وهب سمعته من جماعة خشية بلفظ الواحد الباجي قال العبد الغني كل الناس يقولون خشية
على الجمع غير الطحاوي قال على التوحيد وعن انس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مازال جبريل
يوصيني بالجار حتى ظننت انه سيورثه ومازال يوصيني بالنسا حتى ظننت انه سيحرم طلاقهن
ومازال يوصيني بالمماليك حتى ظننت انه سيجعل لهم مدة اذا انتهوا اليها عتقوا ومازال
يوصيني بالسواك حتى حسبت ان يحفي فمي وروي كاد ومازال يوصيني بقيام الليل حتى ظننت ان
خيار امتي لا ينامون ليلا وقد كان لمالك ابن دينار جار يهودي فحول اليهودي مسجمه الى جدار البيت
الذي فيه مالك وكان الجدار منهدما فكانت تدخل منه النجاسة ومالك ينظف البيت في كل يوم ولم يقل
شيا واقام على ذلك مدة وهو صابر على الاذى فضاق صدر اليهودي من كثرة صبره على هذه المشقة فقال
له يا مالك اذيتك وانت صابر ولم تخبرني فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مازال جبريل يوصيني
بالجار حتى ظننت انه سيورثه فندم اليهودي واسلم وحسن اسلامه وعن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال كم من جار متعلق بجاره يوم القيامة يقول يا رب هذا اغلق بابه دوني فمنعني معروفه
وعن ابي شريح عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والله لا يومن والله لا يومن والله لا يومن قالوا
لقد خاب وخسر من هو يا رسول الله قال من لا يامن جاره بوايقه اي غوايله وشروره وفي البيهقي
عنه صلى الله عليه وسلم من احب ان يحبه الله ورسوله فليصدق الحديث وليود الامانة ولا يوذ جاره
وروي ان رجلا جا الى النبي صلى الله عليه وسلم يشكو جاره فقال النبي صلى الله عليه وسلم كف اذاك عنه واصبر
على اذاه فكفى بالموت مفرقا وروي عن سفيان الثوري انه قال عشرة اشيا من الجفا اولها رجل او امراة
يدعو لنفسه ولا يدعو لوالديه وللمومنين والمومنات والثاني يتعلم القران ولا يقرا منه كل يوم والثالث
ماية اية و رجل دخل المسجد وخرج ولم يصل ركعتين و شخص يمر على المقابر ولم يسلم على اهلها والرابع
ولم يدع لهم والخامس رجل دخل المدينة في يوم الجمعة ولم يصل الجمعة والسادس رجل او امراة
نزل في محلتهم رجل عالم ولم يذهب اليه ليتعلم منه شيا من العلم والسابع رجلان ترافقا ولم يسال
كل منهما عن اسم صاحبه ورجل دعاه رجل الى ضيافة فاجابه ولم يذهب الى الضيافة والتاسع رجل
شاب يضيع شبابه ولم يطلب العلم والادب والعاشر رجل شبعان وجاره جايع ولا يعطيه
من طعامه شيا وكان من دعا داود عليه السلام اللهم اني اسالك اربعة واعوذ بك من اربعة
فاما اللواتي اسالك فاني اسالك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا صابرا وزوجة تعينني
في دنياي واخرتي واما اللواتي اعوذ بك منهن فاني اعوذ بك من ولد يكون علي سيدا ومن
امراة تشيبني قبل وقت المشيب ومن مال يكون عذابا لي وبالا علي ومن جار ان راى
مني حسنة كتمها وان راى سيئة افشاها وكانت الجاهلية تشدد امر الجار ومراعاته
وحفظ حقه وهو راجع الى قوله تعالى والجار ذي القربى والجار الجنب قال ابن عباس وغيره
الجار القريب النسيب والجنب الذي لا قرابة بينك وبينه وقيل القربى المسلم والجنب
الذمي وقيل القريب المسكن منك والجنب غيرهم وروى البزار عن جابر مرفوعا الجيران
القربى

ثلاثة جار له حق واحد وهو ادنى الجيران وجار له حقان وجار له ثلاثة حقوق وهو افضل الجيران
فاما الجار الذي له حق واحد فجار مشرك له حق الجوار واما الذي له حقان فجار مسلم له حق الاسلام
وحق الجوار واما الذي له ثلاثة حقوق فجار مسلم ذو رحم له حق الاسلام وحق الجوار وحق الرحم
ثم الجار يقع على الساكن مع غيره كقول الاعشى لز وجته اجارتنا بيني فانك طالق وعلى الملاصق
وعلى اربعين دارا من كل جانب فني البخاري في الادب المفرد من قول الحسن البصري وقد سيل
عن الجار فقال اربعين دارا امامه واربعون دارا خلفه واربعون دارا عن يمينه واربعون دارا
عن يساره ومثله للاوزاعي ويطلق الجار على من بالبلد مع غيره قال تعالى لا يجاورونك فيها
الا قليلا وهنا تنبيه وهو انه اذا امر باكرام الجار مع الحايل بين الانسان وبينه فينبغي
له ان يراعي الحافظين اللذين ليس بينه وبينهما جدار ولا حايل فلا يوذيهما بايقاع المخالفات
في مرور الساعات فقد ورد انهما يسران بوقوع الحسنات ويحزنان بوقوع السيئات
فينبغي اكرامهما ومراعات جانبهما بالاكثار من عمل الطاعات والمواظبة على تجنب المعاصي فهما
اولى بالاكرام من كثير من الجيران ومن كان يومن بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه الغني والفقير
بالبشر في وجهه وبسط يده وتحيته واجلاسه في صدر المجلس وطيب معه والمبادرة الى احضار
ما تيسر عنده من الطعام من غير كلفة ولا اضرار باهله وفي كتاب المنتخب عن العزد ورعن ابي
الدرداء مرفوعا اذا اكل احدكم مع الضيف فليلقمه بيده فاذا فعل ذلك كتب له عمل سنة صام نهارها
وقيام ليلها وفي حديث قيس بن سعد من اكرام الضيف ان يضع له ماء يغسل به حين يدخل المنزل
ومن اكرامه ان يركبه اذا انقلب الى مجلسه ان كان بعيدا والضيف يطلق على الواحد والاثنين
والجمع لانه مصدر قال الله تعالى ان هولاء ضيفي ولابن الجوزي مات الكرام وولوا وانقضوا ومضوا
ومات من بعدهم تلك الكرامات وخلفوني في قوم ذوي بخل لو ابصروا طيف ضيف في الكرى ما توا
وروي عن ابراهيم على نبينا وعليه افضل الصلاة والسلام كان يكنى ابا الضيفان وكان يمشي الميل والميلين
في طلب الضيف وكان لقصره اربعة ابواب واتفق له قضيتان متعارضتان شكر في احدهما وادب في الاخرى
اما الاولى فهي انه عليه السلام نزل به رجل من عبدة الاوثان فاكرمه فضجت الملايكة في السموات وقالوا
يا ربنا خليلك يكرم عدوك فقال اللهم انا اعلم بخليلي منكم ثم امر جبريل فنزل فعرض عليه قول الملايكة فبكى
وقال يا جبريل تعلمت من مولاي لانه رايته يحسن الى من يسيء واما الاخرى فانه نزل به رجل من عبدة
الاوثان فاستضافه فابي عليه الا ان يترك دينه فانصرف فامر الله جبريل ان ينزل اليه فنزل اليه
وقال له يقول لك ربك استضافك عبدي فابيت الا ان يترك دينه وانا ارزقه ثمانين سنة ان الله ح
على شركه فبكى ابراهيم وقام يقفو اثر الوثني الى ان لحقه فعرض عليه الرجوع فابي الا ان يخبره بسبب
ذلك فقال له ابراهيم عاتبني فيك واخبره فبكى الوثني وقال يا ابراهيم اسلمت لله رب العالمين
ثم ان الامر بالاكرام منوط بثلاثة ايام كما جاء مصرحا به في عدة اخبار وظاهرها وجوب الضيافة
وبه قال احمد وحملها الجمهور على انه كان في صدر الاسلام فانها كانت واجبة حين اذا كانت المواساة
واجبة فلما ارتفع وجوب المواساة ارتفع وجوب الضيافة او على اهل الذمة المشروط عليهم

ضافة المارة الا انها تسقط عنهم في الظلم او في المضطرين او مخصوص بالعمال المبعوثين لقبض الزكاة
ثم ان الامر للندب انما هو لمن عنده فاضل عن قوته وقوت عياله اما غيره فلا ضيافة عليه بل ليس له
ذلك واما خبر الانصاري الذي سلف في الحديث المتقدم فقد سبق الجواب عنه رواه البخاري
في الادب ومسلم في باب الحث على اكرام الضيف من كتاب الايمان الحديث السادس عشر
عن ابي هريرة رضي الله عنه ان رجلا ابهمه وقد جزم القسطلاني في شرح البخاري ان اسم جارية
بالجيم بن قدامة كما عند احمد وابن حبان انتهى ونازع فيه يحيى القطان والعجلي وغيرهما بانهم يقولون
ان جارية تابعي لا صحابي وفي حديث الطبراني انه سفيان بن عبد الله الثقفي قال قلت يا رسول قلت في الاسلام
الله قولا انتفع به واقلل قال لا تغضب وفي حديث اخر انه ابو الدرداء قال قلت يا رسول الله تم
قال دلني على عمل يدخلني الجنة قال لا تغضب ولك الجنة وفي حديث ابي يعلى انه ابن عمر قال قلت
يا رسول الله قل قولا واقلل لعلي اعقله وفي حديث احمد عن ابن عمر دلني على ما يباعدني من غضب الله زاد
ابو كر بس عن ابن عباس عند الترمذي ولا تكثر لعلي اعيه والظاهر كما قال الولي العراقي ان السائل عن ذلك
تعدد قال للنبي صلى الله عليه وسلم اوصني قال لا تغضب يحتمل ان المراد لا تفعل الاسباب المقتضية للغضب
وافعل الاسباب التي تنفيه كالحلم والسخا والحيا ويحتمل ان المراد لا تعمل بمقتضى الغضب اذا حصل بل
جاهد نفسك على ترك تنفيذه وليس النهي راجعا الى نفس الغضب لانه مطبوع في الانسان فردد
كرر السائل السوال مرارا ووقع في رواية عثمان ابن ابي شيبة قال لا تغضب ثلاث مرات فافصح
فيها ببيان عدد المرار وكانه لم يقنع بقوله لا تغضب فطلب وصية ابلغ منها وانفع فلم يزده صلى الله
عليه وسلم عليها واعادها له حيث قال كرثانيا وثالثا لا تغضب تنبيها له تكرارها على عموم
نفعها لما فيها من جلب المصالح ودر المفاسد فهو كما قال له العباس علمني دعا ادعو به يا رسول
فقال سل الله العافية فعاوده مرارا فقال له يا عباس يا عم رسول الله سل الله العافية
في الدنيا والاخرة فانك اذا اعطيت العافية في الدنيا والاخرة اعطيت كل خير وكذلك لما قال
لاصحابه اجتمعوا لا اتلو عليكم ثلث القران فاجتمعوا فتلا عليهم ثلث القران سورة الاخلاص ثم دخل منزله قلت في جم
فاموا ينتظرونه ليكمل لهم ثلث القران فخرج عليهم فقال لما تنتظرون اما انها تعدل ثلث القران
يعني سورة الاخلاص قيل يحتمل انه صلى الله عليه وسلم علم من هذا الرجل كثرة الغضب فخصه بهذه
الوصية لانه صلى الله عليه وسلم كان يامر كل احد بما هو اولى به وروى انس ان رجلا قال يا رسول الله
ما اشد من كل شي قال غضب الله قال فما ينجي من غضب الله قال لا تغضب والغضب فوران
دم القلب وغليانه وقيل تغير ينشا عنه غليان دم القلب لارادة الانتقام والغيظ اصل الغضب
وكثيرا ما يتلازمان وقيل بالفرق بينهما وهو ان الغيظ لا يظهر على الجوارح بخلاف الغضب فانه
يظهر على الجوارح مع فعل ما ولا بد وقد خلق الله الغضب من النار وعجنه بطينة الانسان
فمهما نوزع في غرض من اغراضه اشتعلت نار الغضب فيه وفارت فورانا يغلي منه دم القلب
وينتشر في العروق ويرتفع الى اعلى البدن ارتفاع الما في القدر ثم ينصب في الوجه والعينين

حتى

حتى يحمر منه اذ البشرة لصفايها كالزجاجة تحكي ما وراها من لون الدم هذا اذا غضب على من
دونه واستشعر القدرة عليه فان كان على من فوقه وايس من الانتقام منه انقبض الدم
الي جوف القلب وكمن فيه وصار حزنا فاصفر اللون فان كان على من يساويه الذي يشك في
القدرة عليه تردد الدم بين انبساط وانقباض فيحمر اللون تارة ويصفر اخرى والغضب
يتحرك من داخل الجسد الي خارجه والحزن يتحرك من خارجه الي داخله ولذلك يقتل الحزن
ولا يقتل الغضب لبروز الغضب وكمون الحزن فصار الحادث عن الغضب السطوة والا
نتقام والحادث عن الحزن المرض والسقام ويترتب على الغضب تغيرا لظاهر والباطن
والرعدة في الاطراف وخروج الافعال من غير ترتيب وقبح الصورة حتى لو راي الغضبان
نفسه لسكن غضبه حيا من قبح صورته وعن ابن عباس في قوله تعالى فاصفح الصفح الجميل
قال الرضا بغير عتاب وقد روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اشدكم من غلب على نفسه
عند الغضب واحلمكم من عفى عند القدرة وفي البخاري عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله
تعالى ادفع بالتي هي احسن هو الصبر عند الغضب والعفو عند الاساءة وعنه صلى الله
عليه وسلم انه قال من دفع غضبه دفع الله عنه عذابه ومن حفظ لسانه ستر الله عورته
وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال من كظم غيظه وهو يستطيع ان ينفذه دعاه الله يوم القيمة على
رؤس الخلايق حتى يخيره الله في اي الحور شاء وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كان يوم
القيمة نادي مناد من كان اجره على الله فليدخل الجنة فيقال من ذا الذي اجره على الله فيقوم
العافون عن الناس يدخلون الجنة بغير حساب وعنه صلى الله عليه وسلم انه قال ليس الشديد
بالصُرَعة انما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب والصرعة بضم الصاد وفتح
الراء المهملتين الذي يكثر صرع الناس وقال عمر من اتقى لم يشف غيظه ومن خاف الله
لم يفعل ما يريد وقال لقمان لابنه يا بني لا تذهب ماء وجهك بالمسيلة ولا تشف غيظك
بفضيحتك واعرف قدرك تنفعك معيشتك وقال ابو حاتم حلم ساعة يدفع شرا كثيرا وقد
ان اوس بن الصامت ظاهر من زوجته خولة بنت ثعلبة في حال غضبه واجتمع سفيان
الثوري وابو خيثمة اليربوعي والفضيل بن عياض فتذكروا الزهد فاجمعوا على ان افضل الاعمال
الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال ابن المبارك كنت عند منصور جالسا فامر
بقتل رجل فقلت يا امير المومنين اذا كان يوم القيمة نادي مناد بين يدي الله تعالى من كانت
له عند الله يد فليتقدم فلا يتقدم اليه الا من عفى عن ذنب فامر باطلاقه وقال الاصمعي
سمعت اعرابيا يقول لا يوجد العجول محمودا ولا الغضوب مسرورا وعن ابي الحسن
المدايني انه قال لقي رجل حليما فضرب به على قدمه ضربة موجعة فلم ير للغضب فيه اثر
فقيل له في ذلك قال اقمت ضربته مقام حجر اعثر به وعن سهل بن عبد الله لا يبلغ عبد حقيقة

الايمان حتى يكون لعباد الله كالارض اذا هم عليها ومنافعهم منها وعن ميمون ابن مهران ان جاريته
جاءت ذات يوم بصحفة فيها مرق حار وعنده اضياف فعثرت فصبت المرق على راسه فاراد ميمون
ان يضربها فقالت الجارية يا مولاي اعمل بقول الله تعالى والكاظمين الغيظ قال لها قد فعلت فقالت
اعمل بما بعده والعافين عن الناس قال قد عفوت عنك قالت الجارية والله يحب المحسنين قال ميمون
قد احسنت اليك فانت حرة لوجه الله تعالى ولك الف درهم وعن عبد الرزاق قال صبت جارية
لعلي بن الحسين الما ليتهيا للصلاة فسقط الابريق من يد الجارية على وجهه فشجه فرفع علي بن
الحسين راسه اليها فقالت الجارية ان الله عز وجل يقول والكاظمين الغيظ قال لها قد كظمت
غيظي قالت والعافين عن الناس قال لها عفى الله عنك قالت والله يحب المحسنين قال فاذهبي
فانت حرة لوجه الله تعالى وحكي عن بعض الملوك انه كتب في ورقة ارحم من في الارض يرحمك من
في السما وويل لحاكم الارض من حاكم السما اذكرني حين تغضب اذكرك حين اغضب ثم دفعها
الى وزيره وقال اذا غضبت فادفعها الي فكان كلما غضب دفعها اليه فينظر فيها فيسكن
غضبه وحكي عن بعض الصلحا انه راى رجلا حمالا ذا قوة شديدة محمرا وجهه مزبدا اشدقاه
معربدا فقال الصالح ما لهذا فقيل له انه شتمه شخص فقال الصالح وا عجبا هذا الشخص
يقدر ان يحمل احمالا ثقيلة ولا يقدر ان يحمل كلمة وكان الشعبي مولعا بهذا البيت ليست
ليست الاحلام في حال الرضا انما الاحلام في حين الغضب وكان معاوية رضي الله عنه من احلم
العرب ومن ثم كان يقول ما غضبي على من اقدر عليه ومن لا اقدر عليه اي ان الغضب تعب
محض لا فايدة فيه لان المؤذي لي ان قدرت عليه عاقبته ان شيت بلا غضب والا كان مجرد
الغضب محض تعب لانه وحده لا يشفي ولا فايدة فيه على كل تقدير والمراد ما تعاطينا اسبابه
ولا دفعته لانه جبلي وحكي عن موسى صلوات الله وسلامه عليه انه لما قيل له خذها ولا تخف لف
كمه على يده وتناولها فقيل له لو اذن الله فيما تحذر هل كان ينفعك ذلك فقال لا ولكني عبد
ضعيف ومن ضعف خلقت وكان معروف العجلي يقول ما تكلمت في غضبي بما اندم عليه
اذا رضيت وهذا كله في الغضب الدنيوي لا الديني ولهذا كان المصطفى صلى الله عليه وسلم
اذا انتهكت حرمات الله لا يقوم لغضبه شي حتى ينتصر للحق وكان بين عينيه عرق يدره
اي يظهره الغضب وقد كان موسى عليه السلام رجلا حديدا مجبولا على الحدة والخشونة
والتغلب في كل شي شديد الغضب لله ولدينه فلم يتمالك حين راى قومه يعبدون
العجل بعد ما راوا من الايات العظام فاخذ براس اخيه ولحيته يجره اليه ويحكى ان الخضر
لما خرق السفينة غضب موسى واخذ برجل الخضر ليلقيه في البحر حتى ذكره يوشع عهده
مع الخضر فخلاه ومن ثم ضرب الحجر الذي فر بثوبه حيا من ان يرى عريانا لانه كان كثير
الحيا ستيرا فاذا جماعة من بني اسراييل قالوا ما يستتر هذا التستر الا لعيب

في جسده اما برص واما ادرة وهي كبر الانثيين فانطلق ذات يوم يغتسل في عين جبار من الشام
وجعل ثيابه على صخرة ففر الحجر بثوبه فتبعه موسى وهو يقول ثوبي حجر ثوبي حجر حتى انتهى الى ملا
بني اسرائيل فرواه عريانا احسن ما خلق الله وبراه الله مما يقولون وكانت بنو اسرائيل
تغتسل عراة يرى بعضهم سوءة بعض وقام على الحجر فطفق به ضربا بعصاه فوالله ان بالحجر لندبا
من اثر ضربه ثلاثا او اربعا او خمسا الا ان الله تعالى خلق فيه حياة فصار كدابة نفرت من ذلك بهنا
ويحتمل ان غضبه على الحجر من باب غلبة الطباع كما غلب عليه الطبع البشري حين لف كمه على يده حين
اخذ العصا وحجر منادى مفرد محذوف منه حرف الندا وثوبي منصوب بفعل مضمر التقدير
اعطني ثوبي او اترك ثوبي فحذف الفعل لدلالة الحال عليه فان قيل كيف نادى موسى نداء من
يعقل اجيب بانه صدر عنه فعل من يعقل واما ما ورد من انه لما جاءه ملك الموت وقال اجب
ربك فلطمه ففقأ عينه فلانه دخل عليه في صورة لا يعرفها وقيل المراد بفقئ العين هنا المجاز
يعني انه ناظره وحاجه فغلبه موسى بالحجة وضعف لقوله فرد الله عليه عينه لانه وقع في الر
واية ان الملك رجع الى الله وقال انك ارسلتني الى عبد لا يريد الموت وفقأ عيني
فرد الله عليه عينه ثم قال ارجع الى عبدي فقل له الحياة تريد فان كنت تريدها فضع
يدك على متن اي ظهر ثور فما وارت يدك من شعره فانك تعيش بها سنة قال ثم ماذا اي ما يكون بعد تلك السنين
قال الموت قال فالان من قريب قال رب ادنني من الارض المقدسة رمية حجر قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لو اني عنده لاريتكم قبره الى جانب الطريق عند الكثيب الاحمر قال
وهب خرج موسى لبعض حاجته فمر برهط من الملائكة يحفرون قبرا لم ير شيئا قط احسن منه
ولا مثل ما فيه من الخضرة والنضرة والبهجة فقال يا ملائكة الله لمن تحفرون هذا القبر قالوا
لعبد كريم على ربه فقال ان لهذا العبد عند الله لمنزلة ما رايت كاليوم مضجعا فقالت
الملائكة يا صفي الله اتحب ان يكون لك قال وددت قالوا فانزل فاضطجع فيه فنفعل وتوجه
الى ربه ثم تنفس اسهل تنفس فقبض الله روحه ثم سدت عليه الملائكة وقيل ان ملك الموت
اتاه بتفاحة من الجنة فشمها فقبض روحه وكان عمره مائة وعشرون سنة بعث
هارون الرشيد ليلا الربيع الى الشافعي فهجم عليه من غير اذن فقال اجب فقال الشافعي
في مثل هذا الوقت وبغير اذن فقال بذلك امرت قال فخرجت معه فلما صرت بباب الدار
قال لي اجلس ودخل فقال له الرشيد ما فعل محمد بن ادريس قال احضرته قال ادخله فادخلني
فتاملني ثم قال يا محمد ارعناك فانصرف راشدا يا ربيع احمل بدرة دراهم فلما خرجت
قال الربيع بالذي سخر لك هذا الرجل ما الذي قلت فاني احضرتك وانا ارى موضع السيف
من قفاك فقال سمعت مالك بن انس يقول سمعت نافعا يقول سمعت عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما يقول دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بهذا الدعا يوم الاحزاب فكفي
وهو اللهم اني اعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك وعظيم جلالك من كل طارق الا طارقا

قال الموت امر هو

يطرق بخير اللهم انت غياثي فبك اغوث وانت عياذي فبك اعوذ وانت ملاذي فبك الوذ
يا من ذلت له رقاب الجبابرة وخضعت له مقاليد الفراعنة اجرني من خزيك وعقوبتك
واحفظني في ليلي ونهاري ونومي وقراري لا اله الا انت تعظيما لوجهك وتكريما
وتشريفا لسبحات عرشك فاصرف عني شر عبادك واجعلني في حفظ عنايتك وسرادقات
حفظك وعد علي بخير يا ارحم الراحمين وفي رواية عن الفضل بن الربيع صاحب هارون
ان الشافعي قال له قلت شهد الله انه لا اله الا هو اللهم اني اعوذ بنور قدسك وبركة طهارتك
وبعظمة جلالك من كل عاهة وافة وطارق الانس والجن الا طارقا يطرق بخير يا ارحم الراحمين
اللهم بك ملاذي قبل ان الوذ وقبل ان اغوث يا من ذلت له رقاب الفراعنة وخضعت او غياثي ح
له مقاليد الجبابرة اللهم ذكرك شعاري ودثاري ونومي وقراري اشهد ان لا اله الا انت
اضرب علي سرادقات حفظك وقني وحفني برحمتك يا رحمن قال الفضل فكتبتها وجعلتها
في مزداي وكان الرشيد كثير الغضب علي وكان كلما هم ان يغضب حركتها في وجهه فيرضى واعلم
ان الغضب له دواء مانع ودواء دافع فالمانع بذكر فضيلة الحلم وما جا في كظم الغيظ من الفضل
وما ورد في عاقبة ثمرة الغضب من الوعيد والرافع بان يستعيذ من الشيطان ويتوضا
ويغتسل بالما البارد لانه من الشيطا والشيطان من النار والنار يطفيها الما وان غضب
وهو قايم قعد او اضطجع واقوى الاشيا في منعه ورفعه التوحيد الحقيقي وهو اعتقاد
انه لا فاعل حقيقة في الوجود الا الله فان الخلق آلات ووسايط كبرى وهي من له عقل
واختيار كالانسان وصغرى وهي ما انتفى عنه ذلك كالعصا المضروب بها ووسطى
وهي من فيها الثاني فقط كالدواب ومن ثم قال انس خدمت المصطفى صلى الله عليه وسلم
عشر سنين فما قال لي لشي فعلته لم فعلته ولا لشي تركته لم تركته ولكن يقول قدر الله
وما شا فعل ولو قدر لكان وما ذاك الا لكمال معرفته بانه لا فاعل ولا معطي ولا مانع ولا ضار
ولا نافع الا الله تعالى رواه البخاري في الادب وهو من جوامع كلمه التي خص بها ولهذا قال
ابن التين جمع في هذه اللفظة خير الدنيا والاخرة الحديث السابع عشر عن ابي يعلى وقيل
ابي عبد الرحمن شداد بالتشديد ابن اوس بفتح فسكون فمهملة بن ثابت بن المنذر بن حرام
بن عمرو بن زيد مناة بن عدي بن عمرو بن مالك بن النجار الانصاري وهو ابن اخ حسان بن ثابت
قيل انه شهد بدرا وهو غلط وانما البدري والده وكان شداد اذا دخل الفراش يتقلب
عليه ولا ياتيه النوم فيقول اللهم ان النار قد اسهرتني واذهبت عني النوم ثم يقوم يصلي
حتى يصبح وكان يقول انكم لم تروا من الخير الا اسبابه ولم تروا من الشر الا اسبابه الخير كله
بحذافيره في الجنة والشر كله بحذافيره في النار وان الدنيا عرض حاضر ياكل منها البار وا
لفاجر والاخرة وعد صادق يحكم فيها ملك قاهر ولكل بنون فكونوا من ابناء الاخرة

ولا تكونوا من ابناء الدنيا وروي عنه انه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اذا كنز الناس الذهب والفضة فاكنزوا هذه الكلمات اللهم اني اسيلك الثبات
في الامر والعزيمة على الرشد واسيلك شكر نعمتك وحسن عبادتك واسيلك من خير ما تعلم
واعوذ بك من شر ما تعلم واستغفرك لما تعلم انك انت علام الغيوب وعن ابي الدردا انه كان ان ابا يعلي
يقول ان لكل امة فقيها وان فقيه هذه الامة شداد ابن اوس وان من الناس من يوتى علما ولا يوتى
حلما وقد اوتي علما وحلما قال ابن اسعد نزل شداد فلسطين ومات بها سنة ثمان وخمسين
وقيل احدى واربعين وقيل سنة اربع وستين وهو ابن خمس وسبعين سنة ولما حضرته الوفاة
قال ان اخوف ما اخاف على هذه الامة الريا والشهوة الخفية رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الله كتب اي اوجب وفرض نحو كتب عليكم الصيام او طلب والاول هو موضوع كتب
عند اكثر الفقها والاصوليين والثاني اولى لان الاحسان تارة يكون واجبا كقطع الحلقوم والودجين
في الذبح وتارة يكون مندوبا كاحداد الشفرة الاحسان مصدر احسن اذا اتى بالشي حسنا وهو
ما حسنه الشرع لا العقل خلافا للمعتزلة والمراد به هنا تحسين الاعمال المشروعة بان ياتي بها على الوجه
المرضي بان يوقع الفعل على سنن الشرع لا مجرد الانعام على الغير لان الاول اعم نفعا واكثر فايدة لان
الاحسان في الفعل يعود منه نفع عليه وعلى غيره على كل شي الا ولى كما قال القرطبي وغيره ان على هنا
بمعنى في كما في قوله تعالى واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان اي في ملكه ويقال كان كذا على عهد
فلان اي في عهده ويحتمل ان تكون بمعنى الى والاظهر ان كل شي هو المكتوب عليه الاحسان ويحتمل انها على
بابها والتقدير كتب الاحسان في الولاية على كل شي او ان المراد بالشي المكلف اي كتب الاحسان على كل مكلف
وقوله على كل شي قضية كلية مسورة بكل شاملة لجميع جزييات الدين والاحسان الى نفسه
ان لا يوردها موارد السو ولا يظلمها بمعصية ولا يطيعها في كل ما تريد ولا يهنيها بشغا غيظ
ولذلك الهم سبحانه مخلوقاته بالاستغفار للعلما فان لهم عقلا وفضلهم لقوله عليه الصلاة والسلام
ان العالم يستغفر له من في السموات ومن في الارض حتى الحيتان في الما وما في التنزيل والملايكة
يسبحون بحمد ربهم والى اهله ان يحسن عشرتهم ولا يكلفهم ما لا يطيقون ولا يضيعهم قال صلى الله
عليه وسلم كفى بالمر اثما ان يضيع من يعول والى خدمه بان لا يكلفهم من العمل ما لا يطيقون ولا يضيعهم
والى الصديق انه لا يغشهم بل ينصحهم ويحسن صحبتهم ويحمل اذاهم ويكرم مثواهم والى الانبيا صلوات
الله وسلامه عليهم اجمعين ان يومن بهم ويعلم انه لمن ربهم وان يعتقد كمالهم وعصمتهم من الكباير
والصغاير وانهم صفوة الله وخلص عباده والى ساير الناس ان يعلمهم ما ينفعهم في معاشهم
ومعادهم وارشاد سبيل الخيرات واجتناب المنكرات والدعا لهم انهم بالتوفيق والكفا رهم
بالهداية والى الملايكة ان يومن بهم وانهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما امرهم ويفعلون
ما يومرون وان يحسن عشرة الحفظة منهم بان لا يفعل في حضرتهم ما يكرهون والى الجن

ان اتقق ظهورهم بان يدعوهم الي الخير وترك الشر والي شياطينهم بالاعاليهم ككفار الانس بالاسلام وقد
اكرمهم الشارع وافراهم بان جعل العظم زادهم والروث لدوابهم وللنافية اسوة حسنة والي الحيوان
بان لا يجيعه ولا يعطشه ولا يضربه لغير موجب ولا يكلفه من العمل ما لا يطيقه ولا يستمر راكبا علي
الدابة وهي واقفة الا لحاجة وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم رايي في النار امراة حميرية سوداء طويلة
تعذب بسبب هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تسقها ولم تدعها تاكل من خشاش الارض حتي ماتت وان
تلك الهرة تنهشها في قبلها ودبرها اذا اقبلت نهشتها واذا ادبرت نهشتها وخشاش
الارض بحشرات حشراتها وقال ابو سليمان الداراني ركبت مرة حمارا فضربته مرتين او ثلاثا
فرفع راسه ونظر الي وقال يا ابا سليمان القصاص يوم القيمة فان شيت فاقلل وان شيت
فاكثر قال فقلت لا اضرب شيا بعده ثمن احسن في ذلك كله فقد او نحر اكثرا وفي شر اكثر وقوله
علي كل شي قاعدة الحديث الكلية ثم ذكر منجز بيانها التخفيف في القتل والذبح اما لان سبب
الذي هو فعل الجاهلية اقتضاه فانهم كانوا يمثلون في القتل بجدع الانف وصلم الاذن وقطع
اليد والرجل ونثر البطن وشق الكبد وكانوا يذبحون بالمدي الكالة والعظم والقصب
مما يعذب الحيوان واما لان القتل والذبح غاية ما يفعل من الاذى فاذا طلب الاحسان فيهما ففي
غيرهما اولي فقال فاذا قتلتم قصاصا او حدا اذ لا قتل في الشرع غير ذلك فاحسنوا ويستثني
منه قتل قاطع الطريق بالصلب والزاني المحصن بالرجم لورود النصوص بذلك قيل وحشرات
وسباع والفواسق الخمس لانها موذية وقد خرجت بالنص فلا حظ لها بالاحسان وفيه نظر
اذ جواز قتلها او وجوبه لا ينافي احسانه كيفيته القتلة بكسر القاف هيئة القتل مثل
الجلسة والركبة بكسر الجيم والراء هيئة الجلوس والركوب وبالفتح المصدر واحسان القتل اختيار
اسهل الطرق واخفها واسرعها ازهاقا واسهل وجوه قتل الادمي ضربه بالسيف في العنق
ولذا يكره قتل النمل والبق والبراغيث وساير الحشرات بالنار لانه من التعذيب وفي الحديث
لا يعذب بالنار الا رب النار قال الجزولي وابن ناجي وهذا ما لم يضطر لكثرتهم فيجوز حرق
ذلك بالنار لان في تتبعها بغير النار حرجا ومشقة ويجوز نشرها في الشمس قال الاقفهسي
وقتلها بغير النار والغمص والعرك جايز لقوله صلى الله عليه وسلم وقد سيل عن حشرات الارض
تؤذي احدا فقال ما يوذيك فلك اذا يته قبل ان يوذيك وما خلق للاذاية فابتداؤه بالاذاية
جايز واذا ذبحتم ما يحل ذبحه من البهايم فاحسنوا الذبحة بالكسر اي هيئة الذبح
وجا في بعض الروايات فاحسنوا الذبح بفتح الذال وبغير ها وهو المصدر وهي التي
في اكثر نسخ صحيح مسلم فلا توكل المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما ذكر
معها واحسان الذبح في البهايم الرفق بها فلا يصرعها بعنف وا يصلح المحل بان ياخذ بيده

اليسرى

اليسرى جلد حلقها من لحيها الاسفل بالصوف او غيره حتى يظهر من البشرة موضع الشفرة وضجع
ما يراد ذبحه على شقه الايسر لانه امكن للذابح حيث كان يعمل باليمين اكثر او كان اضبط
وهو الذي يعمل بيديه جميعا والاعسر يضجعها على الايمن والنية والتسمية مع الذكر وقطع
الحلقوم والودجين ويكون ذلك من المقدم لا من القفا وليحد بسكون اللام للامر وبضم اليا
من احد وفتحها من حد احدكم شفرته بفتح الشين المعجمة وقد تضم وهي السكين العريضة
واصل الشفرة حد السكين وشفرة السيف حده وشفير جهنم حرفها وشفير الوادي
طرفه وشفير العين منبت شعر الجفن ومنه تسمية السكين بالشفرة من باب تسمية الشي
باسم جزئه والاحداد واجب في الكالة ومندوب في غيرها وينبغي مواراتها عنها في
حال احدادها فقد روى الخلال والطبراني انه صلى الله عليه وسلم مر برجل واضع رجله
على صفحة شاة وهو يحد شفرته وهي تلحظ اليه ببصرها قال افلا قبل هذا تريد ان
تميتها موتات هلا حددت شفرتك قبل ان تضجعها وعن مالك ان عمر راى رجلا يحد شفرته
وقد اخذ شاة ليذبحها فضربه بالدرة وقال اتعذب الروح الا فعلت هذا قبل ان تاخذها
وقد نهى عليه الصلاة والسلام عن صبر البهائم ولعن من اتخذ شيئا فيه الروح غرضا وليرح
بضم المثناة ذبيحته بسقيها عند الذبح واضجاعها بمكان سهل غير وعر وتعجيل امرار
السكين عليها بقوة ليسرع موتها وبالامهال بسلخها حتى تبرد واذ لا يحد السكين بحضرتها
كما مر ولا يجرها من موضع لاخر فقد روى ابن ماجه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم مر برجل
وهو يجر شاة باذنها فقال دع اذنها وخذ بسالفتها اي وهي مقدم العنق وروى عبد الرزاق
عن الوضين بن عطا ان جزارا فتح بابا على شاة ليذبحها فانفلتت منه حتى جاءت النبي صلى
الله عليه وسلم فاتبعها واخذ يسحبها برجلها فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم اصبري لامر
الله وانت يا جزار فسقها الى الموت سوقا رفيقا وروي عن عمر انه راى رجلا يجر شاة برجلها
ليذبحها فضربه بالدرة وقال قدها للموت قودا جميلا وعن الامام مالك جواز جرها الى مذبحها
وعن ابي الحسن بكره ذبح شاة واخرى تنظر سيما بنتها او امها فعن نوف البكالي ان صيدنا
ذبح عجلا بين يدي امه فخبل وفي رواية فيبست يده فبينما هو تحت شجرة وفيها وكر
فيه فرخ فوقع الفرخ منه للارض ففتح فاه وجعل يصرخ فرحمه واخذه واعاده لوكره
فرد الله اليه عقله او يده كما كانت ومن الاحسان اليها ان لا تحمل فوق طاقتها ولا تركب
واقفة الا لحاجة ولا يحلب منها ما يضر ولدها ولا يشوى السمك والجراد حتى يموت والذبيحة
فعيلة بمعنى مفعولة اي مذبوحة باعتبار ما تؤول اليه وتاؤها للنقل من الوصفية
الى الاسمية لان العرب اذا وصفوا بفعيل مؤنثا وذكروا الموصوف حذفوا التاء من فعيل

اكتفاء بتانيث الموصوف فقالوا امراة قتيل وعين كحيل وشاة ذبيح فاذا حذفوا الموصوف
اثبتوا التا فقالوا قتيلة بني فلان وذبيحتهم لعدم دال على التانيث ح ويعرب ح
اسما لا صفة فالصحيح ان التا للنقل من الوصفية الى الاسمية فهو من عطف الخاص
على العام لان احداد الشفرة واراحة الذبيحة من جملة الاحسان اليها الا انه خصه
بالذكر لبيان فايدته اذ الذبح بالة كالة يعذب الذبيحة وربما دعى ذلك لتحريمها
لعدم حصول الذكاة الشرعية رواه مسلم وكذا الامام احمد واصحاب السنن
الاربعة وهو من قواعد الدين العامة الحديث الثامن عشر عن ابي ذر بالذال المعجمة
المفتوحة وتشديد الرا جندب بن جنادة بضم الجيم فيهما وتثليث دال الاول وقيل اسمه
برير بضم البا الموحدة وراء مكررة ابن جندب وقيل جندب بن عبد الله وقيل جندب بن السكن
والمشهور جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد بن الوقيعة بن حرام بن غفار بن مليل بن
ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان
قال ابن الكلبي ويقال جندب بن جنادة بن قيس بن عمرو بن مليل بن صعير بن حرام بن غفار
وتواضعه وزهده متشبهان في الحديث بتواضع عيسى عليه السلام وزهده وكان يتعبد
قبل مبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عاو يتوجه اينما وجهه الله فانطلق هو واخوه
انيس حتى نزلا بحضرة مكة فذهب اخوه وابطا عليه ثم جا فقال له ما حبسك قال لقيت
رجلا يزعم ان الله ارسله على دينك فقال له ما تقول الناس فيه قال يقولون انه شاعر وكاهن
ولكن سمعت قول الكهان فما هو بقولهم وقد وضعت قوله على اقرا الشعر فوالله ما يلتيم
والله انه لصادق وانهم لكاذبون فقال له ابو ذر هل انت كافي حتى انطلق فانظر قال نعم
وكن من اهل مكة على حذر فانطلق ابو ذر حتى قدم مكة فلقي رجلا فقال اين هذا الرجل الذي
تدعونه الصابي فاغرى عليه من عنده فمالوا عليه بكل مدرة وعظم حتى ادموه وخر
مغشيا عليه فلما افاق اتى زمزم فشرب من مايها وغسل عنه الدم ودخل بين الكعبة واستارها
ولبث ثلثين بين يوم وليلة ماله طعام الا ما زمزم وسمن حتى تكسرت عكن بطنه وما
وجد جوعا في تلك المدة فبينما اهل مكة في ليلة قمراء وما يطوف بالبيت غير امراتين فاتيا
عليه وهما يدعوان اسافا ونائلة فقال انكحا احدهما الاخر فانطلقتا يولولان ويقولان
لو كان ههنا احد من انفارنا فاستقبلهما رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وهما هابطان
من الجبل فقال ما لكما قالتا الصابي بين الكعبة واستارها قال ما قال لكما قالتا قال لنا كلمة
تملا الفم قال فجا رسول الله صلى الله عليه وسلم هو وصاحبه حتى استلم الحجر وطاف بالبيت
ثم صلى فاتاه واسلم على يديه وهو اول من حياه بتحية الاسلام فقال وعليك السلام ورحمة
الله ممن انت قال ابن غفار واخبره بمقامه بين الكعبة واستارها تلك المدة قال له فمن

كان يطعمك قال ما كان لي طعام الا ماء زمزم فقال ابو بكر ائذن لي يا رسول الله في طعامه الليلة
فاذن له وانطلق النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وهو معهما حتى فتح ابو بكر بابا فجعل يقبض
لهما من زبيب الطايف فكان ذلك اول طعام اكله بمكة ثم قال رسول الله صلى الله عليه
وسلم اني وجهت الى ارض ذات نخل فما احسبها الا يثرب فهل انت مبلغ عني قومك
لعل الله عز وجل ان ينفعهم بك فياجرك فيهم فانطلق حتى اتى اخاه انيسا فقال له ما صنعت
فاخبره بانه اسلم وصدق فاسلم اخوه وصدق ثم اتيا امهما فاسلمت وصدقت ثم اتوا قومهم
غفارا فاسلم بعضهم قبل ان يقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وقال بقيتهم اذا قدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم اسلمنا فقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فاسلم بقيتهم
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم غفار غفر الله لها واسلم سالمها الله ولما امره رسول
الله صلى الله عليه وسلم بالرجوع الى قومه فقال والذي نفسي بيده لاصرخن بها بين ظهرانيهم
فخرج حتى اتى المسجد ونادى باعلى صوته اشهد ان لا اله الا الله واشهد ان محمدا رسول الله فقام القوم
فضربوه حتى اضجعوه واتى العباس فاكب عليه وقال ويلكم الستم تعلمون انه من غفار وان طريق
تجارتكم الى الشام عليها فانقذه منهم ثم عاد من الغد الى مثلها وثاروا اليه فضربوه فاكب عليه العباس
فانقذه وروي عنه قال انا رابع اربعة في الاسلام ويقال كان خامس خمسة ولما رجع الى
بلاد قومه اقام فيها حتى مضت بدر واحد والخندق ثم هاجر الى المدينة ووصفه النبي صلى الله عليه
وسلم في عدة احاديث بانه اصدق الناس لهجة وفي رواية ما اظلت الخضراء اي السما وما اقلت الغبراء
اي حملت الارض اصدق لهجة من ابي ذر وقال علي في حقه وعاء ملي علما ثم اوكي عليه فلم يخرج منه شي
حتى قبض وروي ان رجلا من اهل البصرة ركب الى زوج ابي ذر بعد موته فسالها عن عبادته فقالت
كان نهاره اجمع في ناحية يتفكر وقام يوما عند الكعبة فقال يا ايها الناس انا جندب الغفاري هلموا الى الاخ
الناصح الشفوق فاكتنفه الناس فقال ارايتم لو ان احدا اراد سفرا اليس يتخذ من الزاد ما يصلحه
ويبلغه قالوا بلى قال فسفر القيامة ابعد ما تريدون فخذوا ما يصلحكم قالوا وماذا يصلحنا قال حجوا حجة
لعظايم الامور وصوموا يوما شديدا حره لطول يوم النشور وصلوا ركعتين في سواد الليل لوحشة
القبور كلمة خير تقولها او كلمة سو تسكت عنها لوقوف يوم عظيم تصدق بمالك لعلك تنجو اجعل الدنيا
مجلسين مجلسا في طلب الحلال ومجلسا في طلب الاخرة والثالث يضرك ولا ينفعك لا ترده اجعل المال
درهمين درهما تنفقه على عيالك من حله ودرهما تقدمه لاخرتك والاخر يضرك ولا ينفعك لا ترده
ثم نادى باعلى صوته يا ايها الناس قد قتلكم حرص لا تدركونه ابدا ولما خرج مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم في غزوة تبوك ابطا به جمله مما فيه من الاعيا والتعب فتخلف عن الجيش فاخذ متاعه وحمله
على ظهره وسار حتى ادرك رسول الله صلى الله عليه وسلم نازلا بالجيش وكانوا قبل وصوله قالوا يا رسول
الله تخلف ابو ذر وابطا به بعيره فقال دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله بكم وان يك غير ذلك
فقد اراحكم الله منه فلما اشرف على القوم قالوا يا رسول الله ان هذا الرجل يمشي على الطريق

وحده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كن ابا ذر فلما تامله القوم قالوا يا رسول الله هو والله ابو ذر
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم رحم الله ابا ذر يمشي وحده ويموت وحده ويبعث وحده
وكان في صدر الاسلام يجب على الشخص انفاق ما فضل على الحاجة في اليوم والليلة ثم نسخ
ذلك وكان ابو ذر يرى بقاء الوجوب وان ما زاد على اليوم والليلة لا يجوز ادخاره وانه من
الكنز الذي ذمه الله بقوله والذين يكنزون الذهب والفضة الاية وكان ينادي بذلك في الاسواق
في الشام لما خرج اليها بعد موت ابي بكر فنهاه معاوية فلم يمتثل فشكاه الى عثمان ودس عليه
معاوية رجلا بالف دينار وقال له الامير الي معاوية ارسل لك هذه ففرقها جميعا ولم يبت عنده
منها شي ثم حضر له ذلك الرجل بامر معاوية وقال اني غلطت في اعطائك الالف دينار وانما
ارسلني لغيرك وانا اخشى ان يعاقبني معاوية على ذلك فقال يا هذا والله ما امسى عندنا من دراهمك
شي ولكن اصبر حتى يصير عطاونا ندفع ذلك اليك ثم ان عثمان كتب له انه يقدم عليه فقدم فقال له
شئت تنحيت فكنت قريبا فاجابه ونزل بالربذة ولما حضرته الوفاة بكت زوجته فقال
لها ما يبكيك فقالت وما لي لا ابكي وانت تموت بفلاة من الارض ولا يد انى بنفسك وليس
معنا ثوب يسعك كفنا ولا لك فقال لا تبكي وابشري فاني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول لا يموت بين امراتين مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار ابدا وان
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لنفر انا منهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده
عصابة من المومنين وليس من اولئك النفر احد الا وقد مات في قرية وجماعة واني انا الذي اموت
بفلاة من الارض والله ما كذبت ولا كذبت فابصري الطريق قالت فقلت اني وقد ذهب الحاج
وانقطعت الطريق فقال انظري فكنت اسند الى الطريق فاقوم عليه ثم ارجع عليه فامرضه
فبينا انا كذلك اذ انا برجال على رواحلهم كانهم الرخم فالحت بثوبي فاسرعوا الي ووضعوا
السياط في نحورها يستبقون الي فقالوا ما لك يا امة الله فقالت امرؤ من المسلمين تكفنونه
فانه يموت قالوا ومن هو قلت ابو ذر قالوا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت نعم قالت
ففدوه بابائهم وامهاتهم واسرعوا اليه حتى دخلوا فسلموا فرحب بهم وقال ابشروا فاني سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول لا يموت بين امراتين مسلمين ولدان او ثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار
ابدا وسمعته يقول لنفر كنت فيهم ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المومنين
وليس من اولئك النفر احد الا وقد هلك في قرية وجماعة وانا الذي اموت بفلاة من الارض
والله ما كذبت ولا كذبت وانه لو كان عندي ثوب يسعني كفنا او لامراتي ثوب يسعني كفنا لم اكفن
الا في ثوب هو لي اولها واني انشدكم الله لا يكفنني منكم رجل كان اميرا او عريفا او وصيا او
نقيبا قالوا وليس احد من القوم الا وقد قارف من ذلك شيئا الا فتى من الانصار قال انا اكفنك
في ردائي وفي ثوبين من عيبتي من غزل امي قال فكفني انت فكفنه الانصاري ودفنه هو والنفر
الذين كانوا معه وفي رواية اخرى انه اوصى زوجته وغلامه في مرضه ان يغسلاه ويكفناه

ويحملاه على قارعة الطريق فاول ركب يمر بكما قولا له هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاعينونا على دفنه فلما مات فعلوا ذلك واقبل عبد الله بن مسعود في رهط من
الكوفة فوجدوا الجنازة على ظهر الطريق قد كادت الابل تطاها فقام اليهم الغلام وقال
هذا ابوذر صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعينونا على دفنه فاستهل عبد الله بن
مسعود يبكي ويقول صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم تمشي وحدك وتموت وحدك
وتبعث وحدك ثم نزل هو واصحابه فصلوا عليه وواروه روي له مايتا حديث وثمانون
حديثا اتفقا منها على اثني عشر وانفرد البخاري بحديثين ومسلم بسبعة عشر والي
عبد الرحمن معاذ بن جبل بن عمرو بن اوس بن عايذ بن عدي بن كعب بن عمرو بن ادد الانصاري
المدني اسلم وعمره ثماني عشرة سنة وشهد العقبة مع السبعين وبدرا والمشاهد كلها
مع رسول الله صلى الله عليه وسلم واردفه رسول الله صلى الله عليه وسلم وراه وبعثه الى
اليمن بعد غزاة تبوك وخرج معه يشيعه ويوصيه ومعاذ راكب ورسول الله صلى الله عليه وسلم
يمشي فلما فرغ قال يا معاذ انك عسى ان لا تلقاني بعد عامي هذا ولعلك تمر بمسجدي هذا
وقبري فبكى معاذ وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اعلم امتي بالحلال والحرام
معاذ بن جبل وعن ابي مسلم الخولاني انه قال اتيت مسجد دمشق فاذا حلقة فيها كهول من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم واذا شاب فيهم اكحل العين براق الثنايا كلما اختلفوا في شي
ردوه الى الفتى قال فقلت لجليس لي من هذا قال هذا معاذ بن جبل وعن شهر بن حوشب ان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اذا تحدثوا وفيهم معاذ نظروا اليه هيبة له وقد تقدم في الحديث
الثالث عشر ذكر زهده وفعله في الدنانير التي ارسل بها سيدنا عمر اليه وروي ان رجلا جا الى عمر بن الخطاب
رضي الله عنه فقال يا امير المومنين اني غبت عن امراتي سنتين فجيت وهي حبلى فشاور عمر الناس
في رجمها فقال معاذ يا امير المومنين ان كان لك عليها سبيل فليس لك على ما في بطنها سبيل فاتركها
حتى تضع فتركها فوضعت غلاما قد خرجت ثنيته فعرف الرجل الشبه فقال ابني ورب الكعبة فقال
عمر عجزت النسا ان يلدن مثل معاذ لولا معاذ هلك عمر وكان تحته امراتان فاذا كان عند احدهما
لم يشرب الما من بيت الاخرى ثم توفيتا بالسقم الذي اصابهم بالشام والناس في شغل فدفنتا في حفرة
فاسهم بينهما ايهما تقدم في القبر وكان اذا تهجد من الليل قال اللهم قد نامت العيون وغارت النجوم
وانت حي قيوم اللهم طلبي للجنة بطي وهربي من النار ضعيف اللهم اجعل لي عندك هدى ترده الى يوم
القيمة وقال له النبي صلى الله عليه وسلم يا معاذ اني لاحبك فقال وانا احبك والله يا رسول الله
قال فلا تدع ان تقول دبر كل صلاة اللهم اعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك وقال يأتي معاذ يوم
القيمة بين يدي العلما برتوة اي برمية سهم وقيل بحجر وقيل ميل وقيل مد البصر وروي ان ابن مسعود
قال ان معاذا كان امة قانتا لله حنيفا فقال له فروة ابن نوفل يا ابا عبد الرحمن ان ابراهيم كان
امة قانتا لله حنيفا فقال اما نسيته هل تدري ما الامة وما القانت قال الله اعلم قال الامة
الذي يعلم الناس الخير والقانت المطيع لله عز وجل ولرسوله وكان معاذ بن جبل يعلم الناس

الخير وكان مصيعًا لله ورسوله وجاءه رجل وقال علمني فقال وهل انت مطيعي قال نعم انا على
طاعتك حريص فقال صم وافطر وصل ونم واكتسب ولا تاثم ولا تموتن الا وانت مسلم واياك
ودعوة المظلوم وقال لابنه يا بني اذا صليت فصل صلاة مودع لا تظن انك تعود اليها
ابدا واعلم يا بني ان المومن من يموت بين حسنتين حسنة قدمها وحسنة اخرها ولما اصيب
ابو عبيدة في طاعون عمواس استخلف معاذ بن جبل واشتد الوجع فقال الناس لمعاذ ادع الله ان
يرفع عنا هذا الرجز قال انه ليس برجس ولكنه رحمة ربكم ودعوة نبيكم وموت الصالحين قبلكم
وشهادة يخص الله بها من يشاء من عباده ايها الناس خافوا ما هو اشد من ذلك ان يغدو الرجل منكم
من منزله فلا يدري امؤمن هو او منافق وخافوا امارة الصبيان اللهم آت آل معاذ نصيبهم الاوفى
من هذه الرحمة فطعن ابناه فقال كيف تجدانكما قالا يا ابانا الحق من ربك فلا تكونن من الممترين
قال وانا ستجداني ان شاء الله من الصابرين ثم طعنت امرأتاه فهلكتا وطعن هو في ابهامه
فجعل يمسها بفيه ويقول اللهم انها صغيرة فبارك فيها فانك تبارك في الصغير حتى هلك وانما نسب
الطاعون الى عمواس وهي قرية بين الرملة وبيت المقدس لانه اول ما بدا بها رضي الله عنهما
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتق الله الامر للوجوب او لكل من يتاتى توجيه الامر اليه ليعم كل مامور
حتى لا يختص به مخاطب دون اخر حيثما كنت حيث ظرف مكان يضاف للجمل والمراد به هنا التعميم
اي في اي مكان واي حال كنت فيه وقيل انها هنا ظرف زمان اي بناء على مجيئها للزمان لان التقوى في جميع
الازمنة اعم منها في جميع الامكنة لان الثاني يصدق على ما اذا حصل منه تقوى ومعصية في
المجلس الواحد بخلاف الاول وما زائدة سترها ذه رواية حذفها وهذا من جوامع كلمه صلى الله عليه
وسلم فان التقوى وان قل لفظها كلمة جامعة بان يطاع فلا يعصى ويذكر فلا ينسى ويشكر فلا يكفر
بقدر الامكان ومن ثم شملت خير الدارين اذ هي تجنب كل منهي عنه وفعل كل مامور به وسيل علي بن ابي
طالب رضي الله عنه عن التقوى فقال هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والقناعة
بالقليل والاستعداد ليوم الرحيل وقال عمر بن عبد العزيز التقوى ترك ما حرم الله واداء ما افترض الله
فما رزق الله بعد ذلك فهو خير الى خير وقيل تقوى الله ان لا يراك حيث نهاك ولا يفقدك حيث امرك
ولهذا قال بعضهم لشخص اذا اردت ان تعصي فاعصه حيث لا يراك او اخرج من داره او كل غير رزقه
وقال بعضهم من علامات التحقق بالتقوى ان ياتي المتقي رزقه من حيث لا يحتسب واذا اتاه من
حيث يحتسب فما تحقق بالتقوى فانه قيل في تفسير قوله تعالى ومن يتق الله يجعل له من امره مخرجا
ويرزقه من حيث لا يحتسب اي من يتق الله في الرزق بقطع العلايق يجعل له مخرجا بالكفاية
وقيل من يتق فيقف عند حدوده ويجتنب معاصيه يجعل له مخرجا يخرج من الحرام الى الحلال ومن
الضيق الى السعة ومن النار الى الجنة ويرزقه من حيث لا يحتسب من حيث لا يرجو وقال سهل
بن عبد الله ومن يتق الله باتباع السنة يجعل له مخرجا من عقوبة اهل البدع ويرزقه الجنة
من حيث لا يحتسب وقيل من يتق الله بالصبر يجعل له مخرجا من الشدائد وقال ابن عباس مخرجا من

شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدا يد يوم القيمة وقال اكثر المفسرين انها نزلت في عوف بن مالك
الاشجعي اسر المشركون ابنا له يسمى سالما فاتى رسول الله صلى الله عليه وسلم وشكى الفاقة اليه
وقال ان العدو اسر ابني وجزعت الام فما تامرنا فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله واصبر وامرك
واياها ان تستكثرا من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظم فعاد لبيته وقال لامرته ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم امرني واياك ان نستكثر من قول لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فقالت
نعم ما امرنا به فجعلا يقولان فغفل العدو عن ابنه فساق غنمهم وجا بها الى ابيه وهي اربعة
الاف شاة فنزلت الاية وفي رواية انه اصاب ابلا من القوم خمسين بعيرا وفي اخرى فافلت ابنهم
من الاسر وساق ناقة للقوم ومر في طريقه بسرح لهم فاستاقه وقال مقاتل اصاب غنما ومتاعا
وكتب عمر لابنه اما بعد فاني اوصيك بتقوى الله عز وجل من اتقاه وقاه ومن اقرضه جزاه ومن
شكره زاده فاجعل التقوى نصب عينيك ورجا قلبك ولما ولي علي رضي الله عنه بعث رجلا على
سرية فقال اوصيك بتقوى الله الذي لا بد لك من لقائه ولا منتهى لك من دونه وهل تملك الدنيا
والاخرة الا بالتقوى وقال رجل ليونس بن عبيد اوصني فقال اوصيك بتقوى الله والاحسان فان الله
مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وقال لرجل يريد الحج اوصني قال اتق الله فمن اتقى الله فلا وحشة
عليه وفي منهاج العارفين ان بعض الصالحين قال لبعض اشياخه اوصني بوصية قال اوصيك بوصية
رب العالمين للاولين والاخرين وهي قوله تعالى ولقد وصينا الذين اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم
ان اتقوا الله وفي الحديث عنه عليه الصلاة والسلام انه قال من احب ان يكون اكرم الناس فليتق
الله ولبعضهم رضي الله عنه من عرف الله فلم تغنه معرفة الله فذاك الشقي ما يصنع العبد بعز الغنى
والعز كل العز للمتقي وجاءت في القران لمعان الايمان نحو قوله تعالى والزمهم كلمة التقوى اي التوحيد
والتوبة نحو قوله تعالى ولو ان اهل القرى امنوا واتقوا اي تابوا والطاعة نحو قوله تعالى ان انذروا انه
لا اله الا انا فاتقون وترك المعصية نحو قوله تعالى واتوا البيوت من ابوابها واتقوا الله اي لا تعصوه
والاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب اي اخلاص القلوب والخشية نحو قوله تعالى اعبدوا
الله واتقوه اي اخشوه ولقد احسن القايل اذا المرء لم يلبس ثيابا من التقوى
تقلب عريانا ولو كان كاسيا وخير لباس المرء طاعة ربه ولا خير فيمن كان لله عاصيا
ولابي الدرداء رضي الله عنه يريد المرء ان يعطى مناه ويابى الله الا ما ارادا يقول المرء فايدتي ومالي
وتقوى الله افضل ما استفادا ودخل رجل غيضة كثيرة الاشجار وقال لو خلوت هنا بمعصية
من كان يراني فسمع هاتفا بصوت ملا الغيضة الا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير
وراود شخص اعرابية وقال لا يراني الا الكواكب فقالت له اين مكوكبها وا تبع بفتح الهمزة
وسكون المثناة فوق وكسر الموحدة الحق السيئة الصادرة منك صغيرة وكذا كبيرة كما هو
اقتضاه ظاهر الخبر والحسنة بالنسبة اليها التوبة منها فلا ملجا لقصره على الصغيرة كما فعل
الشارح الهيتمي الا انه فر من اعتقاد المرجئة من ان كل حسنة تكفر السيئة صغيرة كانت او

اوكبيرة واصل سيئة سيوئة فقلبت الواو يا وادغمت في الاخرى الحسنة صلاة اوصوما او صدقة وان
قلت او تسبيحا او تهليلا او استغفارا او غير ذلك تمحها اي السيئة المثبتة في صحف الكاتبين
وذلك لان المرض والشي يعالج بضده كالبياض يزال بالسواد وهو مجزوم بحذف الواو جوابا
للامر والمراد باتباعها اياها فعلها وجعلها تابعة لها اي واقعة بعدها بحيث تقرب منها وهذا
مقيد بغير حقوق العباد كالغيبة فانه لا يمحوها الا الاستحلال اذا بلغت من قيلت فيه بعد
بيان وجه الظلامة ان امكن والا فينبغي ان يكثر من الاستغفار والدعاء له لحديث اذا اغتاب احدكم
اخاه فليستغفر له فان ذلك كفارة واعلم ان الصغيرة تكفرها التوبة ونحوها واجتناب الكبائر
امتثالا وان لم تحصل توبة والعبادات وان لم تحصل توبة ايضا وقد ورد ان رجلا يسمى نبهان التمار
وكنيته ابو مقبل كان له حانوت يبيع فيه تمرا فجائته امراة اجنبية حسناء تشتري منه تمرا فقال
لها ان داخل الحانوت ما هو خير من هذا فلما دخلت اصاب منها ما يصيب الرجل من امراته
من الضم والتقبيل غير انه لم يجامعها ثم جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله اني اصبت حراما
فاقم علي فاعرض عنه فقال له عمر لقد سترك الله لو سترت نفسك ثم كرر ذلك نبهان مرارا وهو
يعرض عنه حتى ذكر له القصة فقال له صلى الله عليه وسلم توضا وضوءا حسنا وصلى مع النبي صلى الله عليه
وسلم فنزل قوله تعالى واقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
ذلك ذكرى للذاكرين وقال صلى الله عليه وسلم ما من رجل يتطهر فيحسن الطهر ثم يعمد الى مسجد من
هذه المساجد الا كتب له بكل خطوة يخطوها حسنة ويرفعه بها درجة ويحط بها عنه سيئة وروى
البخاري عن ابن مسعود رضي الله عنه ان رجلا اصاب من امراة قبلة فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فانزل الله عز وجل اقم الصلاة طرفي النهار وزلفا من الليل ان الحسنات يذهبن السيئات
فقال الرجل الي هذا قال لجميع امتي كلهم عظمته لمن اتعظ فقال معاذ يا رسول الله هذا له
خاصة ام للناس عامة فقال بل للناس عامة وروي ان رجلا جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله اني المممت بذنب عظيم فماذا يكفر عني فقال ذنبك اعظم ام السموات فقال ذنبي
اعظم فقال ذنبك اعظم ام الكرسي فقال ذنبي اعظم فقال ذنبك اعظم ام العرش فقال ذنبي اعظم فقال
ذنبك اعظم ام الله اي عفوه فقال بل عفو الله اعظم فقال عليه الصلاة والسلام عليك بالجهاد في
سبيل الله تعالى فقال يا رسول الله اني لمن اجبن الناس ولولا ان اهلي تونسني اذا خرجت ليلا
ما كنت افعله فقال عليك بالصيام فقال والله يا رسول الله ما اشبع من خبز قط فقال لم
عليك بالصلاة في جوف الليل فقال يا رسول الله لولا اهلي يوقظوني لصلاة الصبح ما قمت لها
فتبسم صلى الله عليه وسلم حتى بدت نواجذه فقال عليك بكلمتين خفيفتين على اللسان ثقيلتين
في الميزان حبيبتين الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فعل فلا تعجزاهما
المسكين اذا اتيت سيئة بقلبك او لسانك او جوارحك ان تتبعها بحسنة من صلاة
او صدقة وان قلت او ذكر ولو بالباقيات الصالحات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر
سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم فانها احب الكلام الى الله وحبيب الى الرحمن وخفيف

على

على اللسان وثقيل في الميزان وروي عن منصور بن عمار انه قال كان فتى من الانصار يقال له ثعلبة
وكان يخدم النبي صلى الله عليه وسلم ثم انه ذات يوم مر بباب رجل من الانصار فاطلع عليه فوجد
امراته تغتسل فكرر النظر اليها بعينيه ثم خاف ان ينزل الوحي على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما اصبح خرج هاربا من المدينة مستحييا من النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا لقي جبلا بين
مكة والمدينة فنزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم وقال يا رسول الله ان الهارب من امتك بين
الجبال يتعوذ من النار فبعث النبي صلى الله عليه وسلم عمر بن الخطاب وسلمان الفارسي رضي الله عنهما
وقال لهما ايتيا بثعلبة بن عبد الرحمن فخرجا فوجدا راعيا من رعاة المدينة فقال يا عمر لعلك تريد
الهارب من جهنم قال عمر وما علمك انه هارب من جهنم قال لانه اذا كان نصف الليل خرج علينا
من هذا الشعب واضعا يده على ام راسه وهو يبكي وينادي يا ليتك قبضت روحي مع الارواح
وجسمي مع الاجسام فقال عمر اياه اريد فانطلق بهما حتى اذا كان في بعض الليل خرج عليهما وهو ينادي
قبضت روحي مع الارواح وجسمي مع الاجسام فغدا عمر عليه فلما سمع حسه قال الامان الامان
متى الخلاص من النار فقال له عمر اجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لماذا فقال لا لهم الا انه
ذكرك بالامس فبكى وارسلني اليك فقال له عمر لا تدهمني على رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو
يصلي او بلال يقول قد قامت الصلاة قال افعل فلما اتى عمر المدينة واتى به الى المسجد ورسول الله
صلى الله عليه وسلم يصلي فلما سمع قراءة النبي صلى الله عليه وسلم قال يا عمر ويا سلمان ما فعل ثعلبة بن عبد الرحمن
قالا هو ذا يا رسول الله فقال اما الذي غيبك عني قال ذنبي يا رسول الله فقال النبي صلى الله عليه وسلم
افلا اعلمك كلمات ان الله يغفر الذنوب والخطايا قال بلى يا رسول الله قال قل اللهم ربنا آتنا في الدنيا
حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار وقال ذنبي اعظم يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله
عليه وسلم بل كلام الله اعظم ثم امره بالانصراف الى منزله فانصرف فلما ان انصرف تمرض ثلثة ايام
واتى سلمان الفارسي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ان ثعلبة يجود بنفسه فدخل عليه
رسول الله صلى الله عليه وسلم واخذ راسه فوضعه في حجره فازاله عن حجر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم وما تجد فقال مثل دبيب النمل بين جلدي وعظمي فنزل
جبريل فقال يا رسول الله يقول الله لو لقيني بقراب الارض ذنوبا للقيته بقرابها مغفرة فاعلم
النبي صلى الله عليه وسلم فصاح صيحة حتى غشي عليه ثم توفي فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
غسله وكفنه وصلى عليه ثم احتمل الى قبره فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم يمشي على اطراف
انامله فقالوا يا رسول الله رايناك تمشي على اطراف انامك فقال لم استطع ان امشي على الارض
من كثرة اجنحة الملائكة وظاهر قوله تمحها انها تزال حقيقة من الصحيفة وهو المتبادر الى الفهم
لان الاصل الحقيقة وجوز قوم كونه عبارة عن ترك المواخذة مع بقائها في الصحيفة وهو تجوز
يحتاج لدليل وظاهره ان الحسنة وان كانت بعشر امثالها لا تمحو الا سيئة واحدة والتضعيف
لا يمحو شيئا وليس مرادا بل هي تمحو عشر سيئات بما اخرجه الطبراني عن ابي مالك الاشعري عن النبي
صلى الله عليه وسلم انه قال اذا نام ابن ادم فقال الملك للشيطان اعطني صحيفتك فيعطيه

ايا ها فاذا وجد في صحيفته من حسنة محي بها عشر سيئات من صحيفة الشيطان وكتبهن حسنات
وروي وكيع عن ابن مسعود انه قال وددت اني صولحت ان اعمل كل يوم تسع خطيئات
وحسنة فاشار الي ان الحسنة تمحو تسع خطيئات وتفضل له واحدة من ضعف ثواب الحسنة
ثم ان الحسنة والسيئة لهما اطلاقات فتطلق الحسنة ويراد بها التوحيد كما في قوله تعالى في النمل
من جا بالحسنات يعني التوحيد فله خير منها ومن جا بالسيئة يعني الشرك فكبت وجوههم في النار
نظير ما في القصص والانعام وتطلق الحسنة على كثرة المطر والخصب والسيئة على قحط المطر
وقلة الخير كقوله تعالى فاذا جاتهم الحسنة قالوا لنا هذه وان تصبهم سيئة يعني قحط المطر وقلة النبات بالحسنات
يطيروا بموسي ومن معه وقال تعالى ثم بدلنا مكان السيئة يعني قحط المطر وقلة الخصب
الحسنة كثرة المطر والخصب وقوله تعالى وبلوناهم بالسيئات يعني كثرة المطر والخصب وقلة المطر
والجدب وقال في الروم وان تصبهم سيئة يعني قحط المطر بما قدمت ايديهم وتطلق الحسنة على العافية
والسيئة على العذاب في الدنيا كقوله تعالى ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة فالسيئة العذاب في الدنيا
والحسنة العافية وتطلق الحسنة على العفو والقول المعروف والسيئة على القول القبيح والاذى كقوله
تعالى في القصص ويدرون بالحسنة السيئة اي يدرون بالقول الحسن والمعروف القول السيء والاذى
وتطلق الحسنة على النصر والغنيمة والسيئة على القتل والهزيمة كقوله تعالى في آل عمران ان تمسسكم حسنة
تسؤهم يعني النصر والغنيمة يوم بدر وان تصبكم سيئة يعني القتل والهزيمة يوم احد وخالق
الناس اي وعامل الناس بخلق بضمتين ويسكن ثانيه تخفيفا وهي السجية التي طبع عليها وعرفوه
بانه ملكة للنفس تصدر عنها الافعال بسهولة من غير فكر وروية فخرج بالملكة كل عرض غير قار
من الاحوال وبصدوره عن النفس ما يصدر عن الجوارح كالكتابة وغيرها من الصنايع وبقيد
السهولة ما كان بصعوبة كالصبر على بعض النوايب وكذا ما صدر بتفكر فكله لا يسمى خلقا حسن
والخلق الحسن ملكة نفسانية تحمل صاحبها على كل جميل وفي المفهم الخلق اي من حيث هو اوصاف
الانسان التي يعامل بها غيره وهي محمودة ومذمومة فالمحمودة اجمالا ان تكون مع غيرك على نفسك
فتنصف منها ولا تنتصف لها وتفصيلا العفو والحلم والجود والصبر والرحمة ولين الجانب
وتحمل الاذى وقول الهيتمي في شرح الشمايل في تعريفه ملكة نفسانية ينشا عنها جميل الافعال وكمال
الاحوال تعريف للخلق الحسن فقط وقد قال مجاهد في تفسير قوله تعالى واذا مروا باللغو مروا كراما
انهم اذا اوذوا صفحوا ووصف عبد الله ابن المبارك الخلق الحسن بقوله هو بسط الوجه وبذل
المعروف وكف الاذى وسيل سلام بن مطيع عن حسن الخلق فانشا يقول
تراه اذا ما جيته متهللا كانك تعطيه الذي انت سايله وعن انس رضي الله عنه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صافح رجلا لم ينزع يده من يده حتى يكون الرجل هو الذي
ينزع ولا يصرف وجهه عن وجهه حتى يكون الرجل هو الذي ينصرف ولم ير مقدما ركبتيه

يعلا

على جليسه قط والاحاديث في مدح الخلق الحسن كثيرة منها قوله صلى الله عليه وسلم ما من شي يوضع
في الميزان اثقل من حسن الخلق وان صاحب حسن الخلق ليبلغ درجة صاحب الصلاة والصوم
ومنها قوله صلى الله عليه وسلم لما سيل عن اكثر ما يدخل الناس الجنة فقال التقوي الله وحسن الخلق
وسيل عن اكثر ما يدخل الناس النار فقال الفم والفرج ومنها قوله صلى الله عليه وسلم خياركم احسنكم
اخلاقا ومنها افضل ما اعطي المرء الخلق الحسن وعن الحسن انه قال من اعطي حسن صورة وخلقا
حسنا وزوجة صالحة فقد اعطي خير الدنيا والاخرة وفي الحديث خصلتان لا تكونان في مومن
سو الخلق والبخل وعن ابن عباس قال قال موسى عليه السلام يا رب امهلت فرعون اربعماية
سنة وهو يقول انا ربكم الاعلى ويكذب اياتك ورسلك فقال الله انه كان حسن الخلق
سهل الحجاب فاحببت ان اكافيه وقيل لذي النون المصري من اكثر الناس هما قال اسواهم خلقا
وقال صلى الله عليه وسلم اكمل المومنين ايمانا احسنهم خلقا وان العبد ليبلغ بحسن الخلق درجة
القايم الصايم وحسن الخلق وان كان جبليا لكن في الحديث رمز الي انه يمكن اكتسابه
والا لم يكن للامر به فايدة لما ورد يا معاذ حسن خلقك مع الناس اي عاملهم بطلاقة
وجه وجبر الخواطر وكف الاذي فان ذلك مود لاجتماع القلوب وانتظام الاحوال وهو جماع
الخير وملاك الامر غير ان الامر عام خص بمستحقه فخرج به الكفار والظلمة فاغلظ عليهم
رواه الترمذي في البر وقال حديث حسن فقط وفي بعض النسخ حسن صحيح وهو حديث
عظيم وقاعدة من قواعد الدين الحديث التاسع عشر عن ابي العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب
ولد في الشعب وبنو هاشم محصورون قبل خروجهم منه بيسير وذلك قبل الهجرة بثلاث سنين
وتوفي النبي صلى الله عليه وسلم وهو ابن ثلاث عشرة سنة وقيل بن خمسة عشرة سنة وصححه احمد وقيل ابن
عشر والاول ما صح عنه من قوله في حجة الوداع وانا حينئذ قد ناهزت الاحتلام وكان حبر الامة
وسمي البحر لغزارة علمه وصح انه صلى الله عليه وسلم دعا له بقوله اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل اللهم
علمه الحكمة وتاويل القران اللهم بارك فيه وانشر منه واجعله من عبادك الصالحين وكان عمر وعثمان
يدعوانه فيشير عليهما مع اهل بدر حتي قال بعضهم لعمر اتدعو هذا الفتي وفي ابنائنا من هو مثله فقال انه
ممن قد علمتم فدعاهم يوما ودعاه معهم فسالهم عن هذه السورة اذا جا نصر الله والفتح ورايت
الناس يدخلون في دين الله افواجا فقالوا امر الله نبيه اذا فتح عليه ان يستغفره وان يتوب اليه
فقال اما تقول يا ابن عباس فقال ليس كذلك ولكنه اخبر نبيه صلى الله عليه وسلم بحضور اجله فقال
اذا جا نصر الله والفتح اي فتح مكة ورايت الناس يدخلون في دين الله افواجا اي فعند ذلك علامة موتك
فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فقال كيف تلومونني عليه بعد ما ترونه وقال له عمر والله انك
لاصبح فتياننا وجها واحسنهم عقلا وافقههم في كتاب الله عز وجل وقال الحسن كان ابن عباس
يقوم على منبرنا هذا فيقرا البقرة وال عمران فيفسرهما اية اية وكان عمر اذا ذكره يقول ذاكم فتي الكهول
له لسان سؤول وقلب عقول وقال ابن مسعود نعم ترجمان القران ابن عباس لو ادرك اسناننا
ما عاشره منا احد وقال مسروق ادركت خمسماية من الصحابة اذا خالفوا ابن عباس لم يزل يقررهم

حتي يرجعوا الي قوله وقال كنت اذا رايته قلت احلم الناس واذا تكلم قلت افصح الناس واذا
حدث قلت اعلم الناس وعن عمرو بن دينار ما رايت مجلسا اجمع لكل خير من مجلس ابن عباس
وثبت انه راي جبريل مرتين وهذا سبب عماه في اخر عمره فانه ورد انه سيل النبي صلي الله عليه وسلم
عمن راه معه ولم يعرفه فقال له ذاك جبريل اما انك ستفقد بصرك وفي ذلك يقول
ان ياخذ الله من عيني نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل
وفي فمي صارم كالسيف ماثور وعنه انه قال لما قبض صلي الله عليه وسلم قلت لرجل من الانصار
هلم نسال اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم فانهم اليوم كثير فقال واعجبا لك يا ابن عباس اترى
الناس يفتقرون اليك وفي الناس من اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم من فيهم قال فتركت
ذاك واقبلت اسيل اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم عن الحديث وانه كان ليبلغني الحديث
عن الرجل فاتي بابه وهو قايل فاتوسد التراب فيخرج فيراني فيقول يا ابن عم رسول الله صلي الله
عليه وسلم ما جاء بك هلا ارسلت الي فاتيك فاقول لا انا احق ان اتيك فاسيالك عن الحديث
فعاش ذالك الرجل حتي راني وقد اجتمع الناس حولي يسيلوني فيقول لهذا الفتي كان اعقل مني
وعن ابي صالح قال لقد رايت من ابن عباس مجلسا لو ان جميع قريش فخرت فيه لكان لها فخرا
رايت الناس اجتمعوا حتي ضاق بهم الطريق فما كان احد يقدر ان يجي ولا يذهب قال فدخلت
عليه فاخبرته بمكانهم علي بابه فقال ضع لي وضوءا فتوضا وجلس وقال اخرج وقل لهم من كان يريد
ان يسيل عن القراة وحروفه فليدخل قال فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتي ملوا البيت والحجرة
فما سالوه عن شي الا اخبرهم به وزاد مثل ما سيلوا عنه او اكثر ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج
فقل لهم من اراد ان يسيل عن تفسير القراة او تحو ته تاويله فليدخل قال فخرجت فاذنتهم
فدخلوا حتي ملوا البيت والحجرة فما سالوه عن شي الا اخبرهم به وزادهم مثل ما سالوه او
اكثر ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من اراد ان يسال عن الحلال والحرام والفقه فليدخل
فخرجت فقلت لهم فدخلوا حتي ملوا البيت والحجرة فما سالوه عن شي الا اخبرهم به وزادهم
مثله ثم قال اخوانكم ثم قال اخرج وقل من اراد ان يسيل عن الفرايض وما اشبهها فليدخل قال
فخرجت فاذنتهم فدخلوا حتي ملوا البيت والحجرة فما سالوه عن شي الا اخبرهم به وزادهم مثله
ثم قال اخوانكم فخرجوا ثم قال اخرج فقل من اراد ان يسيل عن العربية والشعر والغريب
من الكلام فليدخل قال فدخلوا حتي ملوا البيت والحجرة فما سالوه عن شي الا اخبرهم به وزادهم
قال ابو صالح فما رايت مثل هذا لاحد من الناس وعن ابن عمر ان رجلا اتاه يسيله عن قوله
تعالي اولم ير الذين كفروا ان السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما فقال اذهب الي
الشيخ فاسيله ثم تعال فاخبرني ما قال فذهب الي ابن عباس فساله فقال ابن عباس
كانت السما رتقا لا تمطر وكانت الارض رتقا لا تنبت ففتق هذه بالمطر وهذه بالنبات

فرجع الرجل الى ابن عمر فاخبره فقال ان ابن عباس قد اوتي علما صدق هكذا كان نتا ثم قال ابن عمر
قد كنت اقول ما يعجبني جراءة ابن عباس على تفسير القرآن فالآن قد علمت انه اوتي علما
وشتمه رجل فقال له انك لتشتمني وفيّ ثلاث خصال اني لآتي على الاية من كتاب الله
تعالى فلوددت ان اجمع الناس يعلمون منها ما اعلم واني لاسمع بالحاكم من حكام الارض
يعدل فافرح به ولعلي لا اقاضي اليه ابدا واني لاسمع بالغيث اصاب البلد من بلاد المسلمين
فافرح به ومالي بها سائمة وكان يقول ما بلغني عن اخ لي مكروه قط الا انزلته احد ثلاثة منازل
ان كان فوقي عرفت له ذلك من قدره وان كان نظيري تفضلت عليه وان كان دوني لم احتفل به
هذه سيرتي في نفسي فمن رغب عنها فارض الله واسعة وعن طاووس انه قال ما رايت
احدا كان اشد تعظيما لحرمات الله من ابن عباس والله لو اشا اذا ذكرته ان ابكي لبكيت
وكان ابن عباس يقول لان اعول اهل بيت من المسلمين شهرا او جمعة او ما شاء الله
احب الي من حجة بعد حجة ولطبق بدانق اهديه الى اخ لي في الله احب الي من دينار
انفقه في سبيل الله عز وجل وكان يقول خذ الحكمة ممن سمعت فان الرجل ليتكلم بالحكمة
وليس بحكيم فتكون كالرمية خرجت من غير رام توفي رضي الله عنه بالطايف سنة ثمان وستين
في خلافة ابن الزبير وقيل سنة تسع وقيل سنة سبعين وهو ابن احدى وسبعين سنة وصلى
عليه محمد بن الحنفية وقال اليوم مات رباني هذه الامة ولما وضع ليصلى عليه جا طاير ابيض
حتى دخل في اكفانه فالتمس فلم يوجد فلما سوي عليه التراب سمع قايل يقول يا ايتها النفس
المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلي في عبادي وادخلي جنتي ولما بلغ جابر بن عبد
الله وفاته صفق باحدى يديه على الاخرى وقال مات اعلم الناس واحلم الناس ولقد اصيبت
به هذه الامة مصيبة لا ترتق قال كنت خلف النبي صلى الله عليه وسلم اي على بغلة كما نقله
الواحدي عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال اهدى كسرى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة فركبها بحبل
من شعر ثم اردفني خلفه وسار بي مليا ثم التفت فقال يا غلام الخ وفيه جواز الارداف
على الدابة ان اطاقته يوما اي في النهار دون الليل فقال يا غلام بضم الميم لانه نكرة مقصودة
وخاطبه بذلك لان سنه اذ ذاك كان نحو عشر سنين واصله من الاغتلام وهو شدة الشبق
ويطلق الغلام على الرجل مجازا باسم ما كان عليه كما يقال للصغير شيخ مجازا ولفظ رواية
احمد يا غلام او يا غليم على الشك اني اعلمك كلمات ذكر له ذلك قبل الكلمات ليكون
ذلك اوقع في نفسه اذ حصول الشي بتشوف وتنشط الذهن الما المبارد على الظما
لان الوصول بعد الطلب الذ من المساق بلا تعب والتعليم تنبيه النفس لتصور
المعاني وربما استعمل في معنى الاعلام لكن الاعلام اختص بما اذا كان باخبار سريع
والتعليم اختص بما يكون بتكرير وتكثير حتى يحصل منه اثر في نفس المتعلم وفي رواية مسلم
ينفعك الله بهن او بعلمهن او بالعمل بمقتضاهن او بهما وجوابها بطبيعة القلت

ليؤذنه بانها قليلة اللفظ فيسهل حفظها واعلمه بعظم خطرها ورفعة محلها بتنويهها تنويه
التعظيم وتاهيله لهذه الوصايا الخطيرة القدر الجامعة من الاحكام والحكم والمعارف ما يفوق الحصر
دليل على ان المصطفى صلى الله عليه وسلم علم ما يؤول اليه امر ابن عباس من العلم والمعرفة بكمال الا
خلاق والاحوال الباطنة والظاهرة احفظ الله اي احفظ دين الله من التضييع والتبديل بان
تحفظ اوامره التي اوجبها ونواهيه التي حرمها فتقف عند اوامره بالامتثال وعند نواهيه بالاجتناب
فلا يراك حيث نهاك فاذا اطعته باجتناب نواهيه وامتثال امره احاطك بمعقبات من بين
يديك ومن خلفك يحفظونك من امر الله وحقيقة الحفظ صيانة المحفوظ من الضياع او ان
يصل اليه اذى يحفظك في نفسك واهلك ومالك ومصداق ذلك قوله تعالى من عمل صالحا من ذكر او
انثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة وما يصيب الانسان من نوائب ومصايب انما هو بتضييعه
اوامر الله تعالى وتعديه حدوده بشهادة قوله وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم وعبر بقوله
يحفظك دون يجزه لان الجزاء من جنس العمل الاترى الى قوله تعالى اوفوا بعهدي اوف بعهدكم وقوله
تعالى اذكروني اذكركم وقوله تعالى ان تنصروا الله ينصركم فمن حفظ الله بامره حفظه الله من بين
يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته وقد راى ابراهيم بن ادهم رجلا نايما وعنده
حية في فمها طاقة نرجس فما زالت تذب عنه حتى استيقظ ومن حفظ الله في صباه وقوته
حفظه الله في كبره ومتعه بحوله وقوته وجاوز بعض العلما كالقاضي الحسين الطبري
والبغوي والجويني مائة سنة وهو ممتع بعقله وقوته ووثب الجويني يوما وثبة فكلم بسببها
فقال هذه جوارح حفظناها من المعاصي في الصغر فحفظها الله علينا في الكبر ونقل عن القاضي
ابي الطيب انه عاش مائة وستين سنة ولم يختل عضو من اعضائه فقيل له في ذلك فقال لم اعص
الله بعضو منها وقد يتعدى الحفظ الى ذريته كما في قوله تعالى وكان ابوهما صالحا وكان سعيد
ابن المسيب يقول لابنه لازيدن في صلاتي من اجلك رجاء ان تحفظ ثم تتلو وكان ابوهما صالحا وكان
عمر بن عبد العزيز يقول ما من مؤمن صالح يموت الا حفظه الله في عقبه وعقب عقبه وقد يتعدى
الحفظ الى جيرانه واهل ناحيته لقول ابن المبارك ان الله يحفظ بالرجل الصالح ولده وولد ولده وا راي شعصاي
لدويرات التي حوله وعكس هذا ان بعض السلف سال فقال هذا ضيع الله في صغره فضيعه الله
في كبره احفظ الله عامر تجده تجاهك بضم التا وفتح الها اصله وجاه بضم واوه وكسرها ثم قلبت تاء وهو
في الاصل بمعنى امامك بفتح الهمزة المصرح بها في الرواية الاتية لكنه لاستحالة الجهة عليه تعالى بمعنى
معك حفظا واحاطة وتاييدا واعانة فالمعية معنوية لا ظرفية وانشد بعضهم
اذا نحن ادلجنا وانت امامنا كفى لمطايانا بذكراك هاديا وهو توكيد لما قبله ومن ثم اورده بلا عاطف
لكمال الاتصال بينهما وخص الامام من بقية الجهات الست اشعارا باشرف المقصد وبان الانسان
مسافر الى الاخرة غير قار في الدنيا والمسافر انما يطلب امامه لا غير فكان المعنى تجده حيثما توجهت

وقصدت

وقصدت من امر الدنيا والدين وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم ارسل سفينة مولاه في امر فا
نكسرت بهم السفينة فخرج الى البر فجاءه الاسد فقال انا رسول رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل
الاسد يمشي معه حتى دله على الطريق فلما وقف عليها فجعل يهمهم كانه يودعه وروي ان ابن عمر كان في
سفر فلقي جماعة قد وقفوا على الطريق خوفا من السبع فقال انما يسلط على ابن ادم ما يخاف ولو انه لم يخف
غير الله لم يسلط عليه شي وقال المزني قصدت السلام على ابي الخير النيسابوري فلما صلينا المغرب
خرجت لاستطهر فقصدني السبع فعدت اليه واخبرته فخرج وصاح بالاسد وقال له الم اقل لك لا تتعرض
لاضيافي فتنحى عنه وتطهرت فلما رجعت قال لي الشيخ اشتغلتم بتقويم الظاهر فخفتم الاسد واشتغلنا
بتقويم الباطن فخافنا الاسد اذا سالت اي اذا اردت ان تسال شيا فاسال الله دون
غيره ان يعطيك اياه فانه الغني على التحقيق والمولي لكل خير وتوفيق وخزاين الوجود بيده وامرها
اليه لا معطي ولا مانع سواه وانشد بعضهم سلم الامر الى مالكه فله العلم المحيط الواسع
واطلب المعروف منه دائما فهو معط ذاك وهو المانع وقال طاووس وعطا اياك ان تطلب
حوائجك ممن يغلق بابه دونك وعليك بمن بابه مفتوح الى يوم القيمة امرك ان تساله ووعدك
ان يجيبك وقال عامر ابن قيس قرات ايات في كتاب الله فاستغنيت بالله عن الناس قوله
تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو فلم اسال غيره كشف ضري وقوله تعالى وان
يردك بخير فلا راد لفضله فلم ارد الخير والفضل الا منه وقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على
الله رزقها فلم اطلب الرزق من غيره فاغناني عن الناس بهذه الايات وقال الفضيل بن عياض
احب الناس الى الناس من استغنى عن الناس وابغض الناس الى الناس من احتاج الى الناس
وسالهم واحب الناس الى الله عز وجل من ساله واستغنى به عن غيره وابغض الناس اليه من استغنى
عنه وسال غيره وقال ابن السماك ان في طلب الرجل الحاجة من اخيه فتنة ان هو اعطاه حمد
غير الذي اعطاه وان منعه ذم غير الذي منعه اي لانه لا معطي ولا مانع في الحقيقة الا الله
وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من استغنى بالله عز وجل احوج الناس اليه ومن دعاء الامام
احمد بن حنبل رضي الله عنه اللهم كما صنت وجهي عن السجود لغيرك فصنه عن مسالة غيرك وكان
بعضهم يقع سوطه فلا يسال احدا يناوله اياه لان السوال فيه ذل وافتقار وكان بعضهم يقول
من احتجت اليه هنت عليه وقال بعض العارفين قيل لي في نوم لا بيقظة او بيقظة لا بنوم لا تبدين
فاقة لغيري فاضاعفها عليك مكافاة بسوء ادبك انما ابتليتك بالفاقة وحكمت لنفسي
بالغنى لتفزع منها الي وتتضرع بها الي فان وصلتها بي وصلتها بالغنى وان وصلتها بغيري قطعت
عنك مواد معونتي وسال رجل الامام احمد ان يعظه فقال الامام ان كان الله تعالى تكفل بالرزق
فاهتمامك لماذا وان كان الرزق مقسوما فالحرص لماذا وان كان الخلف على الله فالبخل لماذا وان
كانت الجنة حقا فالراحة لماذا وان كانت النار حقا فالمعصية لماذا وان كانت الدنيا فانية فالطمانينة
لماذا وان كان الحساب حقا فالجمع لماذا وان كان كل شي بقضاء الله وقدره فالحزن لماذا وقال حاتم الاصم

لزوجته لما اراد الخروج للغزو كم اعطيك نفقتك قالت على قدر حياتك قال حاتم ليس هذا بيدي قالت
امر الرزق ايضا ليس بيدك ثم بعد ما خرج سالتها عجوز وقالت لها غاب حاتم عنك كم ابقى لك من
النفقة فقالت لها حاتم كان مرزوقا والرازق ما غاب عني واذا استعنت اي طلبت الاعانة
على امر من امور الدنيا والدين وكذا حذف المعمول الموزن بالعموم فاستعن بالله لانه القادر على كل شي
وغيره عاجز عن كل شي والاستعانة انما تكون بقادر على الاعانة واما من هو كل على مولاه لا قدرة
له على انفاذ ما يهواه لنفسه فضلا عن غيره فكيف يؤهل للاستعانة به او يستمسك بسببه
ومن كان عاجزا عن النفع والدفع عن نفسه فهو عن غيره اعجز ليت النمل بهضم نفسه فاستعانة
مخلوق بمخلوق كاستعانة مسجون بمسجون فلا تستعن الا بمولاك فهو وليك في اخراك واولاك
كيف تستعين بعبد مع علمك بعجزه ممن لا يستطيع رفع نازلة عن نفسه كيف يرفعها
عن غيره من ابنا جنسه فلا تستنصر الا به فهو الولي الناصر ولا تعتصم الا بحبله فانه
العزيز القادر وكتب الحسن الى عمر بن عبد العزيز لا تستعن بغير الله يكلك الله اليه وما احسن
قول الخليل على نبينا وعليه الصلاة والسلام لجبريل لما قال له الك حاجة حين وضع في المنجنيق
اما اليك فلا قال سل ربك قال حسبي من سؤالي علمه بحالي وقال بعض العارفين لا تطلب معونة
المخلوق فتوجه عليك الحقوق وقد لا تفي بها وعليك بالافتقار والانكسار والذلة والاضطرار
اضطرار امن يجيب المضطر اذا دعاه ويكشف السوء وقال بعضهم لا تكن عبدا الا لمن يقوم
بمصالحك بعينك في امر ربك وما يقوم بامورك الا الله فلا تستعن الا به ولا يستعبدك
سواه فهو المسخر لك عباده ثم اكد صلى الله عليه وسلم ما تقدم وحث على التوكل والاعتماد على
الله بقوله واعلم ان الامة خطاب لابن عباس والمراد العموم وانما اكد الامر حثا على تيقن
انه لا نفع ولا ضر الا من الله والمراد بالامة هنا جميع الخلق كما صرح به في رواية احمد واما
مدلولها وضعا فالجماعة كقوله تعالى امة من الناس يسقون واتباع الانبيا كما تقول نحن
من امة محمد صلى الله عليه وسلم والرجل الجامع للخير كقوله تعالى ان ابراهيم كان امة قانتا لله
حنيفا قال الشاعر وليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد والدين والملة
كقوله تعالى انا وجدنا اباءنا على امة وقول بعضهم وهل يستوي ذو امة وكفور وقال الاخر
كنا على امة اباينا ويقتدي الاخر بالاول والزمان كقوله تعالى امة معدودة وقوله تعالى
وادكر بعد امة اي بعد حين وزمان والقامة كقولك فلان حسن الامة اي القامة والرجل
المنفرد بدينه الذي لم يشركه فيه احد لقوله صلى الله عليه وسلم يبعث زيد بن عمرو بن نفيل
امة وحده والام كهذه امة زيد اي ام زيد واما الامة بالكسر فهي النعمة كما قال الجوهري
واما الامة بالفتح فاي شجة للراس افضت للدماغ لو اجتمعت انثر باعتبار اللفظ
وذكر

وذكر ما بعده باعتبار المعنى ولفظ لو بمعنى ان اذ المعنى على الاستقبال كما في قوله تعالى لو تركوا من خلفهم
ذرية ضعافا خافوا عليهم ونكتة العدول هو ان اجتماعهم على الامداد من المستحيلات بخلاف اتفاقهم
على الاذى فانه ممكن من غير المعصومين ولذا قيل الظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لا تظلم
على ان ينفعوك بشي من خيري الدنيا والاخرة لم ينفعوك الا بشي قد كتبه الله تعالى لك في الازل
وان اجتمعوا على ان يضروك بشي زاد احد لم يكتبه الله عليك لم يضروك الا بشي قد كتبه الله
تعالى عليك كما يشهد بذلك قوله تعالى وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له الا هو وان يردك بخير
فلا راد لفضله وقوله تعالى ما اصاب من مصيبة في الارض ولا في انفسكم الا في كتاب وبيانه ان ازمة
الوجود بيده منعا واطلاقا فاذا اراد غيرك ضرك بما لم يكتب عليه دفعه الله تعالى عنك بصرف
ذلك الغير عن مراده بعارض من عوارض القدرة الباهرة مانع من الفعل من اصله كمرض او شغل
او نسيان او صرف قلب او من تاثيره ككسر قوس ومعارضة سهم وفساد رمي ومن تيقن ذلك
لم يشهد نفعه وضره الا منه وما احسن ما قيل افوض امري الى خالقي فحسبي الله ونعم الوكيل
ولا ارجعن الى غيره فانه الاله لكل كفيل ولا ينافي هذا قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام
فاخاف ان يقتلون انا نخاف ان يفرط علينا لان الانسان مامور بالفرار من اسباب العطب
الى اسباب السلامة وانه لم يسلم بدليل خذوا حذركم ولا تلقوا بايديكم الى التهلكة وقول عمر انا نفر
من قدر الله الى قدر الله ولهذا قيل في المعنى على المرء ان يسعى لما فيه نفعه وليس عليه ان يساعده الدهر
رفعت الاقلام اي تركت الكتابة بها لفراغ الامر وانبرامه وتمت كتابة ما كان وما يكون الى يوم
القيمة كما جا في جامع الترمذي ان اول ما خلق الله القلم قال اكتب قال وما اكتب قال اكتب
القدر ما كان وما يكون فان قلت فما التوفيق بينه وبين ما اشبهه من قوله صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله جوهرة او درة فنظر اليها فذابت واول ما خلق الله نوري او روحي واول ما خلق
الله تعالى اللوح واول ما خلق الله تعالى العقل وما نقل عن السلف اول ما خلق الله تعالى ملك
الموت كروبي فالجواب ما افاده بعض العارفين من ان الاسما مختلفة والمسمى واحد وهو
الروح المحمدي لانه باعتبار كونه درة صدف الوجود يسمى جوهرة ودرة باعتبار نورانيته
يسمى نورا وباعتبار وفور علمه يسمى عقلا اذ قال له اقبل على الدنيا رحمة للعالمين ثم قال له ارجع الى
ربك فرجع الى المعراج ثم قال وعزتي وجلالي ما خلقت خلقا احب الي منك بك اعرف وبك
اخذ يعني عباده من اخذ منك الشريعة وبك اي بشفاعتك اعطي الدرجات العالية وبك اعاقب
الكافرين وبك اثيب المومنين وباعتبار جريان الامور وفق متابعته والاقتدا به يسمى علما وباعتبار
مظهريته للعلوم يسمى لوحا وباعتبار غلبة الصفات الصفات الملكية ملكا كروبيا وجفت
بالجيم اي يبست الصحف جمع صحيفة وفيه حذف اي كتابة الصحف اي فرغ من الامر وجفت كتابته لان
الصحيفة حين كتابتها لا بد ان تكون رطبة المداد او بعضه بخلاف ما اذا فرغ منها وهذا من احسن

الكنايات وارشق العبارات فهو عبارة عن قدم المقادير فلا تبديل ولا تغيير ولا ينافي هذا قوله
تعالى يمحوا الله ما يشاء ويثبت لان المحو والاثبات مما جفت به الصحف ايضا كما في تفسير القاضي
لان القضا قسمان مبرم ومعلق وحكي ان عبد الله بن طاهر دعا الحسين بن الفضيل وقال له اشكل
علي ثلاث ايات دعوتك لتكشفها الي قوله فاصبح من النادمين وقد صح ان الندم توبة وقوله تعالى كل
يوم هو في شان وقد صح ان الصحف جفت بما هو كاين الي يوم القيمة وقوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى فما بال الاضعاف فقال الحسين يجوز ان لا يكون الندم توبة اذ ذاك وان كان توبة
لنا لان الله تعالى خص هذه الامة بخصايص لم يشاركها فيها الامم وقيل ان ندم قابيل لم يكن على قتل
هابيل ولكن على حمله واما قوله كل يوم هو في شان فانها شؤون يبديها ولا يبتديها واما قوله
تعالى وان ليس للانسان الا ما سعى فمعناه ليس له الا ما سعى عدلا ولي ان يجازيه على الواحدة
الفا فضلا فقام عبد الله وقبل راسه وسوغ خراجه انتهى وقال ابن عباس قوله تعالى وان ليس للانسان
الا ما سعى منسوخ بقوله تعالى والذين امنوا واتبعناهم ذرياتهم بايمان الاية وقيل هي خاصة بقوم
موسى وابراهيم لانه وقع حكاية في صحفهما عليهما الصلاة والسلام بقوله ام لم ينبأ بما في صحف موسى
وابراهيم الذي وفى وقيل اريد بالانسان الكافر واما المومن فله ما سعى اخوه وقيل اللام في
الانسان بمعنى على كقوله تعالى وان اساتم فلها اي عليها وقوله تعالى ولهم اللعنة اي عليهم وقام
رجل الى بعض العلما وهو على كرسيه للوعظ يقرر تفسير كل يوم هو في شان فقال يا هذا ما يفعل
ربك الان فافحم وبات مهموما فراى المصطفى صلى الله عليه وسلم وذكر له ذلك فقال له انما الخضر
وانه سيعود فقل له شؤون يبديها لا يبتديها يخفض اقواما ويرفع اخرين فاصبح مسرورا فاتاه
فاعاد السوال فاجابه فقال له الخضر صل على من علمك وانصرف مسرعا قيل واول من كتب العربي
وغيره آدم وقيل اسماعيل هو اول من كتب العربي وقيل غيرهما ولم يصح في ذلك شي وقال الكلبي
اول من وضع الخط نفر من طي فساروا الى مكة فتعلمه منهم جماعة ثم اتوا الى الانبار فتعلمه نفر منهم
ثم اتوا الحيرة وعلموه جماعة مردود بانه لا يوثق بنقله نعم يمكن ان يقال انهم اول من تعلم الخط
لا انهم اول من وضعه رواه الترمذي في جامعه وقال حسن صحيح وهو حديث عظيم واصل كبير
في رعاية حقوق الله تعالى والتفويض لامره والتوكل عليه وفي رواية غير الترمذي وهو عبد
بن حميد في مسنده والامام احمد احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك بفتح الهمزة
بالمعنى المقرر فيما قبله فان قيل لم خص الامام دون باقي الجهات الست فالجواب ان الانسان سائر
ومسافر والمسافر انما يطلب امامه لا غير تعرف بتشديد الرا المفتوحة اي تحبب وتقرب الى الله
بلزوم الطاعات والانفاق في القربات والشكر على ما اولاك في الرخا اي سعة الرزق وصحة البدن
يعرفك في الشدة بتفريج الهموم والغموم ويجعل لك من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا بما سلف
من ذلك التعريف كما وقع للثلاثة الذين خرجوا يرتادون لاهليهم فبينما هم يمشون اذ اصابهم
المطر فاووا الى غار فانحدرت عليهم صخرة من الجبل فسدت عليهم فقالوا انظروا ماذا عملتم
من الاعمال الصالحة فاسالوا الله بها فانه ينجيكم فقال احدهم اللهم انك تعلم انه كان لي والدان شيخان
كبيران ولي صبية صغار وكنت ارعى عليهم فاذا رحت عليهم فحلبت بدات بوالدي فاسقيهما

هو ابن الشجري هو

قبل

قبل ولدي وانه نأى بي الشجر وفي رواية فاصابني غيث فحبسني فما اتيت حتى امسيت فحلبت
كما كنت احلب وجئت بالحلاب فوجدتهما قد ناما فقمت عند رءوسهما اكره ان اوقظهما من
نومهما واكره ان ابدا بالصبية وهم يتضاغون اي يصيحون عند قدمي ومحلبي على يدي فلم يزل ذلك
دابي ودابهما حتى طلع الفجر فانتبها فسقيتهما فان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج
عنا فرجة نرى منها السما ففرج الله عنهم فرجة حتى رأوا السما وقال الثاني اللهم انه كانت لي ابنة
عم احبها اشد ما يحب الرجال النسا فراودتها عن نفسها فابت حتى اتيتها بماية دينار فسعيت
حتى جمعت ماية دينار فاعطيتها فلما قعدت بين رجليها قالت يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم
الا بحقه فقمت عنها وهي احب الناس الي وفي رواية اخرى انه قال فراودتها عن نفسها فابت فاصابتها
حاجة فاتتني فقلت لها حتى تمكنيني من نفسك فابت وذهبت ثم رجعت وقد اصابها شدة
وفي رواية اخرى ان زوجها كان مريضا وكان بينهما اولاد صغار قد اصابهم القحط فاتت له وهو
يابى عليها حتى تمكنه من نفسها فذكرت ذلك لزوجها فقال امكنيه من نفسك واغني عيالك فاتته
المرة الرابعة فقالت دونك فلما قعد منها مقعد الرجل من المراة ارتعدت من تحته فتركها ودفع
لها ما احتاجت اليه ثم قال اللهم ان كنت تعلم اني فعلت ذلك ابتغا وجهك فافرج عنا فانفرج منها فرجة
اخرى وقال الثالث اللهم انك تعلم اني استاجرت عمالا يعملون كل رجل منهم بمدين من طعام الارز فعملوا
فوفيتهم اجورهم فقال رجل كان عملي افضل منهم فابيت ان ازيده وفي رواية اخرى انه جا احد الاجرا
في نصف ~~الليل~~ فعمل في بقية نهاره مثل ما عمل غيره في يومه كله فرايت انه لا انقص من اجره شيئا فقال الرجل النهار
منهم انه جا في نصف النهار وانا جيت من اوله فساويت بيننا بالاجرة فقلت هل نقصت من
شرطك شيا فغضب وترك الاجرة وذهب فوضعت حقه في جانب من البيت ما شا الله ولم ازل
ازرع له حتى جمعت من ذلك ابلا وبقرا وغنما فمر بي بعد حين شيخ ضعيف لا اعرفه فقال ان لي عندك حقا
فذكره حتى عرفته فقلت له اياك ابغي وهذا حقك فعرضته عليه فقال لي يا عبد الله لا تسخر بي ان لم تتصدق
علي فاعطني حقي قلت والله ما اسخر انه لحقك ما لي فيه شي فدفعت ذلك اليه جميعا فان كنت فعلت
ذلك ابتغا وجهك فافرج عنا ما بقي ففرج الله عنهم انتهى وقوله فافرج بالوصل وضم الرا من الثلاثي
وضبطه بعضهم بهمزة وكسر الرا من الرباعي وعن بكر ابن عبد الله المزني ان قصابا ولع بجارية لبعض
جيرانه فارسلها اهلها الى حاجة لهم في قرية اخرى فتبعها فراودها عن نفسها فقالت لا تفعل وانا
اشد حبا لك منك لي ولكن اخاف الله فقال انت تخافيه وانا لا اخافه فرجع تائبا فاصابه العطش
حتى كاد ان ينقطع عنقه فاذا هو برسول لبعض انبيا بني اسرائيل فاخبره بما حصل له من العطش
فقال له تعال حتى ندعو قال ما لي من عمل فقال انا ادعو وامن انت قال فدعا الرسول وامن
فاظلتهما سحابة حتى انتهيا الى القرية فاخذ القصاب الى مكانه ومالت السحابة عليه فرجع اليه
الرسول وقال زعمت ان ليس لك عمل وانا الذي دعوت وانت امنت فاظلتنا سحابة ثم تبعتك
لتخبرني ما امرك فاخبره فقال التايب من الله بمكان ليس احد من الناس بمكانه وعن ابي ادريس
الاودي انه قال كان رجلان في بني اسرائيل عابدان وكانت جارية يقال لها سوسن عابدة وكانوا
ياتون بستانا فيتعبدون فيه فاشتغف بها العابدان فكتم كل واحد ذلك عن صاحبه واختبا

شديدة

كل واحد منهما تحت شجرة ينظران اليها فنظر كل منهما صاحبه وهو مختبي فسال كل واحد منهما الاخر
عن سبب اختبايه فاظهر كل واحد منهما ما عنده من حب سوسن واتفقا على ان يراوداها فلما
جات لتتقرب قالا لها قد عرفت طوع بني اسرايل لنا وانك ان لم تطيعينا قلنا اذا اصبحنا انا
اصبنا معها رجلا وان الرجل افلت فقالت لهما ما كنت لاطيعكما فاخذاها واخرجاها
وذكرا انهما اصابا معها رجلا فجا دانيال وهو ابن ثلث عشرة سنة فوضعوا الكرسيا فجلس
عليه وقال قدموهما فجاء كالمستهزئ بهن وقالا اقض بيننا ففرق بينهما وقال لاحدهما خلف
اي شجرة رايتها قال وردا تفاحة واحضر الاخر فقال وردا غيرها واختلفا فنزلت نار من
السما فاحرقتهما ونجت سوسن وعن ابي عبد الله البلخي ان شابا كان في بني اسرايل لم يُر
احسن منه وكان يبيع القفاف فبينما هو ذات يوم يطوف بقفافه خرجت امراة من دار ملك
من ملوك بني اسرايل فلما راته رجعت مبادرة فقالت لابنة الملك يا فلانة اني رايت شابا
بالباب يبيع القفاف لم ار شابا قط احسن منه فقالت لها ادخليه فخرجت اليه فقالت يا فتى
ادخل نشتر منك فدخل فاغلقت دونه الابواب ثم استقبلته ابنة الملك كاشفة عن وجهها
ونحرها فقال لها استتري عافاك الله فراودته عن نفسه فابى وقال لها اتق الله فقالت
له ان لم تطاوعني والا اخبرت الملك انك دخلت لتراودني عن نفسي فابى ووعظها ثم قال ضعوا
لي وضوا فتح الواليها فوضعوه في مكان لا يستطيع ان يفر منه بينه وبين الارض اربعون
ذراعا فلما صار فيه القى نفسه منه فاهبط الله ملكا حتى اخذ بضبعيه ووقع قايما
على رجليه وكان في بني اسرايل رجل يقال له جريج كان يصلي فجاته امه فدعته فقال اجيبها
او اصلي ونادته في صلاته ولم يجبها فقالت اللهم لا تمته حتى تريه وجوه المومسات اي الزانيات
وكان جريج في صومعته فتعرضت له امراة فابى فاتت راعيا ومكنته من نفسها فولدت غلاما
وقالت هو من جريج فاتوه فهدموا صومعته وانزلوه وسبوه فتوضا وصلى ثم اتى بالغلام فقال
له من ابوك يا غلام وفي رواية يا بابوس ببايين موحدتين بينهما الف وهو ولد الزانية
فقال الراعي فقالوا دعنا نبني صومعتك بالذهب فقال لا الا من طين وعن وهب بن منبه
انه قال بينما امراة من بني اسرايل على ساحل البحر تغسل ثيابا وصبي لها يدب بين يديها
اذ جا سايل فاعطته لقمة من رغيف كان معها فما كان اسرع من ان جا ذيب فالتقم الصبي فجعلت
تعدو خلفه وهي تقول يا ذيب يا ذيب ابني فبعث الله اليها ملكا انتزع الصبي من فم
الذيب ورمى به اليها وقال لقمة بلقمة وتقدم قصة عوف بن مالك الاشجعي عند قوله
في الحديث السابق اتق الله حيث ما كنت بخلاف فرعون فانه لما تنكر الحيبه في حال رخايه
لم ينفعه اللجا عند بلايه قال له الان وقد عصيت قبل وقيل يجوز ان يكون على حذف مضاف
اي تعرف الى ملايكة الله بالتزام الطاعات واظهار العبادات يعرفوك في الشدة بواسطة

شفاعتهم

شفاعتهم عنده في تفريج غمك وكربك والاول اولى لاستغنائه عن التقدير ويؤيد الثاني ما روي من ان
العبد اذا كان له دعا في الرخا ودعا حال الشدة قالوا ربنا هذا صوت لا نعرفه ولذا ورد ان يونس
عليه السلام لما دعى في بطن الحوت قالت الملائكة يا رب هذا صوت معروف من بلاد غريبة فقال
الله عز وجل اما تعرفون ذلك قالوا ومن هو قال عبدي يونس قالوا عبدك الذي لم يزل يرفع له عمل متقبل
ودعوة مستجابة قال نعم قالوا يا ربنا افلا ترحم من كان يعمل في حال الرخا فتنجيه من البلا قال بلى فامر
الله عز وجل الحوت فطرحه بالعراء واعلم ان ما اخطاك اي جاوزك فلم يصل اليك لم يكن ليصيبك لانه
لما بان بكونه اخطاك انه غير مقدر عليك واستعمال الخطا فيه مجاز لان حقيقته العدول عن الجهة او الوقوع
على خلاف المراد وفيه مبالغة من حيث دخول اللام المؤكدة للنفي على الخبر وتسليط النفي على الكونية وسرايته
للخبر وما اصابك لم يكن يقدر ليخطيك اذ لا يصيب الانسان الا ما قدر عليه وفي الحديث انه صلى الله
عليه وسلم قال ان لكل شي حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الايمان حتى يعلم ان ما اصابه لم يكن ليخطيه
وما اخطاه لم يكن ليصيبه وفيه الحث على التوكل والرضا ونفي الحول والقوة عنه قيل علامة التوكل ثلاث
لا يسأل ولا يرد ولا يحبس قيل اول مقام في التوكل ان يكون العبد بين يدي الله تعالى كالميت بين يدي
الغاسل يقلبه كيف اراد اذ لا يكون له حركة ولا تدبير واعلم ان التوكل محله القلب والحركة بالظاهر لا تنافي التوكل
وقيل التوكل هو التعلق بالله تعالى في كل حال وقيل التوكل هو الاستسلام لجريان القضا والاحكام وقيل هو
الاكتفا بالله مع الاعتماد عليه واعلم تنبيه على ان الانسان في هذه الدار معرض للمحن والبلايا سيما الصلحى
قال تعالى ولنبلونكم بشي من الخوف والجوع ونقص من الاموال والانفس والثمرات وبشر الصابرين الايات
فينبغي للانسان ان يصبر ويحتسب ويرضى بالقضا والقدر ان النصر من الله للعبد اي اعانته له يقال نصر
الغيث البلد اذا اعانه على النبات والنصر والناصر المعين والاول منهما ابلغ في الاعانة من الثاني
مع الصبر لانه سبب النصر ومن ثم كان الغالب على المنتصر لنفسه عدم النصر ومن صبر ورضي بحكم
الله حصل له التاييد والظفر وعن علي كرم الله وجهه انه قال الصبر من الايمان بمنزلة الراس
من الجسد ومن كلام وهب ثلاث من كن فيه اصاب البر سخاوة النفس والصبر على الاذى وطيب
الكلام وقيل الصبر تجرع المرارة من غير تعبس وقيل هو الوقوف مع الله تعالى بحسن الادب وقيل هو
الاستعانة بالله وقيل الصبر على الطلب عنوان الظفر والصبر في المحن عنوان الفرج وقيل حبس
الشبلي في المارستان فدخل عليه جماعة فقال من انتم فقالوا احبابك جئنا زائرين فاخذ يرميهم
بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبابي لصبرتم على بلاي واعلم ان الصبر يشمل الصبر على العدو
الظاهر كالكفار واهل البدع والفسقة وعلى العدو الباطن كالنفس الامارة والهوى والشيطان
لان جهاد ذلك اعظم من جهاد العدو ويدل له ما جا في حديث ضعيف انه صلى الله عليه وسلم قال لقوم
قدموا من الجهاد مرحبا بكم قدمتم من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر قالوا وما الجهاد الاكبر قال
مجاهدة العبد هواه وان الفرج بفتحتين وهو كشف الغم مع الكرب يعني انه يعقبه
لا محالة لعدم دوامه فانه من الانس الجليل روي ان مفتاح بيت المقدس كان نعتد

سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام لا يامن عليه احدا فقام ليلة ليتهجد فتعسر عليه فاستعان
بالانس فتعسر عليهم فاستعان بالجن فتعسر عليهم فجلس حزينا كئيبا فظن ان ربه قد منعه
فتحه فبينما هو كذلك اذ اقبل شيخ متكي على عصاه وقد طعن في السن وكان من جلساء داود
عليه الصلاة والسلام فقال يا نبي الله مالي اراك حزينا فقال قمت لهذا الباب افتحه فتعسر علي
فاستعنت بالانس والجن فلم يفتح فقال الشيخ الا اعلمك كلمات كان ابوك يقولهن عند كربه فيكشف
عنه قال بلى قال قل اللهم بنورك اهتديت وبفضلك استغنيت وبك اصبحت وامسيت
ذنوبي بين يديك استغفرك واتوب اليك فلما قالها فتح انتهى وذكر ابو نعيم في الحلية عن مسعر ان
رجلا ركب البحر فكسرت سفينته فوقع في جزيرة فمكث ثلاثة ايام لم ياكل ولم يشرب فتمثل فقال
اذا شاب الغراب اتيت اهلي وصار القار كاللبن الحليب فاجابه مجيب لم يره وقال
عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراءه فرج قريب قال فجاءت سفينة فحملته واصاب
خيرا كثيرا واخرج ابن عساكر عن محمد بن عمر قال امر الحجاج باحضار رجل من السجن فلما احضر امر بضرب
عنقه فقال يا ايها الامير اخرني الى الغد فقال ويحك واي فرج في تاخير يوم ثم امر برده الى السجن
فسمعه الحجاج يقول عسى فرج ياتي به الله انه له كل يوم في خليقته امر فقال الحجاج والله ما اخذه
الا من القران كل يوم هو في شان وامر باطلاقه واخرج ابن النجار عن معروف الكرخي من قال ثلاث
مرات وكان في غم فرج الله عنه غمه اللهم احفظ امة محمد اللهم ارحم امة محمد اللهم عاف امة محمد
اللهم اصلح امة محمد اللهم فرج عن امة محمد واخرج البيهقي عن حماد بن سلمة ان عاصم بن اسحاق شيخ
القراء في زمانه قال اصابتني خصاصة فجئت الى بعض اخواني فاخبرته بامري فرايت في
وجهه الكراهة فخرجت من منزله الى الجبانة فصليت ما شاء الله ثم وضعت وجهي على الارض
وقلت يا مسبب الاسباب يا فاتح الابواب يا سامع الاصوات يا مجيب الدعوات يا قاضي الحاجات
اكفني بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك قال فوالله ما رفعت راسي حتى سمعت وقعة
بقربي فرفعت راسي فاذا بحداة طرحت كيسا احمر فاذا فيه ثمانون دينارا وجوهرا ملفوفا
في قطنة فبعت الجوهر بمال عظيم وفضل الدنانير فاشتريت منها عقارا وحمدت الله على ذلك
وفي الصحيح وغيره ان اعرابية كانت تخدم نساء النبي صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرا ما تقول
ويوم الوشاح من تعاجيب ربنا الا انه من دارة الكفر نجاني فسالتها عائشة عن ذلك فقالت شهدت
عروسا تجلى ودخلت مغتسلا وعليها وشاح فوضعته فجاءت حداة فاخذته ففقدوه فاتهموني
به ففتشوني حتى قبلي فدعوت الله ان يبرئني فجاءت الحداة بالوشاح فالقته بينهم
وفي رواية فرفعت راسي وقلت يا غياث المستغيثين وان مع العسر يسرا لقوله تعالى سيجعل
الله بعد عسر يسرا وعن انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لو جاء العسر فدخل
هذا الجحر لجاءه اليسر حتى يدخل عليه فيخرجه وتنوين يسر للتعظيم مبالغة مع ما فيه من

المصطحب

المصاحبة في معاقبته واتصاله به اتصال المتقاربين واليسر السهولة ومنه اليسار للغنى
لانه تتسهل به الامور واليد اليسرى لان الامور تتسهل بمعاونتها لليمنى فان قلت كيف
الجمع بين قوله تعالى يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر وما لا يريده تعالى لا يكون ولا
يقع اجماعا من اهل السنة فدل على عدم وقوع العسر ضرورة كونه لم يرده وقوله تعالى فان مع
العسر يسرا ان مع العسر يسرا يدل قطعا على وقوعه فالجواب ان المراد بالعسر في الاية الاولى
العسر في الاحكام فقط بدليل قوله تعالى لا يكلف الله نفسا الا وسعها وما جعل عليكم في الدين
من حرج وقوله صلى الله عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة مع ان صدر الاية يدل على ذلك وهو
قوله تعالى ومن كان مريضا او على سفر فعدة من ايام اخر واما الاية الثانية والمراد بالعسر فيها
العسر في الارزاق والاكتساب دون الاحكام وروى الحاكم عن الحسن البصري مرسلا ان
المصطفى صلى الله عليه وسلم قال لن يغلب عسر يسرين اي كما دل عليه قوله تعالى فان مع العسر يسرا
ان مع العسر يسرا لان النكرة المعادة غير الاولى والمعرفة المعادة عين الاولى غالبا فيهما وما
احسن قول القايل لا تجزعن لعسرة من بعدها يسران وعد اليس فيه خلاف كم عسرة ضاق الفتى لنزولها
لله في اعطامها الطاف وقال الشاعر ايضا اذا اشتدت بك البلوى ففكر في الم نشرح
فعسر بين يسرين اذا ذكرته فافرح قال ابن ابي جمرة كان علي رضي الله عنه اذا كان في شدة
استبشر وفرح واذا كان في رخا قلق فقيل له في ذلك قال اما من ترحة الا وتتبعها فرحة وما
من فرحة الا وتتبعها ترحة ثم تلى الاية وما احسن حكاية العتبي قال كنت ذات يوم في بادية
وانا بحالة من الغم فالقي في روعي بيت من الشعر اري الموت لمن اصبح مغموما له اروح
فلما جن الليل سمعت هاتفا يهتف في الهوا الا ايها المرء الذي الهم به برح اذا اشتدت بك العسرى
ففكر في الم نشرح فعسر بين يسرين اذا ذكرته فافرح فان العسر مقرون بيسرين فلا تبرح
فحفظتها ففرج الله عني الحديث الموفى عشرين عن ابي مسعود عقبة بن عمرو بن ثعلبة بن اسيرة
قال صاحب الاكمال بفتح الهمزة وكسر السين ابن عسيرة بفتح العين وكسر السين المهملتين بن
عطية بن خدارة بن عوف بن الحارث بن الخزرج كذا نسبه الكلبي وابن سعد وتابعهما ابن عبد البر
وقال فيما حكاه عن الرشاطي اسيرة بن عسيرة بضم اولهما وفتح ثانيهما ويقال في اسيرة يسيرة
بيا مضمومة ومن قال فيه بالنون فقد صحف وخدارة بخا مضمومة كما قال ابن عبد البر ويقال ايضا جدارة
بجيم مكسورة الانصاري الخزرجي البدري نسبة الى بدر نزولا وسكنا لانه لم يشهد وقعتها مع
رسول الله صلى الله عليه وسلم على الاصح الذي قال به الجمهور ولكن الذي ذهب اليه البخاري ومسلم
وغيرهما انه شهدها ثم شهد العقبة الثالثة مع السبعين وكان اصغرهم وشهد احدا وما بعدها
من المشاهد ونزل الكوفة وابتنى بها دارا توفي بالمدينة وقيل بالكوفة سنة احدى او اثنين واربعين
وقيل في خلافة علي وقيل اخر خلافة معاوية وقيل توفي بعد السبعين وقيل سنة احدى وثلاثين والقول

الاخيران ضعيفان روي له مائة حديث وحديثان اتفاقا على سبعة وانفرد البخاري بواحد ومسلم بسبعة
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس بالرفع في جميع الطرق والعايد على
ما محذوف والتقدير مما ادركه الناس ويجوز النصب والعايد ضمير الفاعل وادرك بمعنى بلغ
اي مما بلغ الناس ثم ان الجار والمجرور من قوله مما خبر ان واسمها قوله الاتي اذا لم تستحي الخ اي على تقدير
القول اي قولهم اذا لم تستح كما قاله الطيبي وهو غير متعين بل يصح ان تجعل الجملة في الاسم على ارادة
اللفظ اي هذا اللفظ او يجعل الجار هو الاسم فتكون من تبعيضية اي ان بعض ما ادرك وجملة
اذا لم تستح هي الخبر من كلام النبوة الاولى اي مما اتفقت عليه الانبيا عليهم الصلاة والسلام
لانه جا في شريعة ادم واتفقت عليه بقيتها فما من نبي من الانبيا الا وندب اليه وحث عليه ولم ينسخ
في شريعة من الشرايع لانه امر قد علم صوابه وظهر فضله واتفقت عليه العقول وتلقته جميع الامم
بالقبول واضافة الكلام الى النبوة للاشعار بان ذلك من نتايج الوحي وقوله الاولى ليست في
رواية البخاري وان كان ظاهر كلام المص خلافه لانه نسبه كله لرواية البخاري وهي ثابتة في رواية احمد
وابي داوود وابن ماجه عن الصحابي المذكور اذا لم تستح بحذف اليا واثباتها ويكون الجازم حذف اليا
الثانية لانه من استحيا والاول من استحى فاصنع وفي رواية فافعل والصنع اخص من العمل ما شيت
الامر للتهديد والتوبيخ اي اذا نزع منك الحيا وكنت لا تستحي من الله ولا تراقبه في فعل اوامره
واجتناب نواهيه فاصنع ما شيت اي ما تهواه نفسك من الرذايل فان الله مجازيك عليه
ونظيره قوله تعالى اعملوا ما شيتم وقوله تعالى فاعبدوا ما شيتم من دونه فاذا نزع الحيا صنعت
النفس ما تهوى وانشد بعضهم في هذا المعنى قوله اذا لم تخش عاقبة الليالي ولم تستحي فاصنع ما تشا
فلا والله ما في العيش خير ولا الدنيا اذا ذهب الحيا وقال اخر اذا لم تصن عرضا ولم تخش خالقا
وتستح مخلوقا فما شيت فاصنع او هو للاباحة اي انظر الى ما تريد ان تفعله فان كان مما
لا يستحيى من الله ومن الناس في فعله فافعله وان كان مما يستحيى من الله ومن الناس في فعله
فدعه وعلى هذا مدار الاحكام من حيث ان الفعل اما ان يستحيى منه وهو الحرام والمكروه وخلاف
الاولى واجتنابها مشروع او لا يستحيى منه وهو الواجب والمندوب والمباح وفعل الاولين مطلوب
والثالث جايز او هو بمعنى الخبر كما في قوله صلى الله عليه وسلم من كذب علي متعمدا فليتبوا مقعده من
النار اي صنعت ما شيت لان ترك الحيا يوجب الاستهتار والانهماك في هتك الاستار والمراد
الحث على الحيا والتنويه بفضله اي ما لم يجز صنع ما شيت لم يجز ترك الاستحيا والاول اولى
واظهر والحيا بالمد لغة تغير وانكسار يعتري الانسان من خوف ما يعاب به وقيل انقباض
وخشية يجدها الانسان من نفسه عند ما يطلع منه على قبيح واصطلاحا خلق يبعث
على ترك القبيح ويمنع من التقصير في حق ذي الحق وحده ابو القسم الجنيد بانه رؤية
الالاء اي النعم ورؤية التقصير فيتولد بينهما حالة تسمى حياء واما الحيا بالقصر فيطلق على

المطر

المطر وعلى فرح الناقة وقد صح انه صلى الله عليه وسلم الحيا خير كله الحيا لا ياتي الا بخير وحكي
ان رجلا راى النبي صلى الله عليه وسلم فقال له انت قلت الحيا خير كله بالقصر فقال لا ثم راءه
ثانيا فسأله مثل ذلك فقال لا فاخبر بذلك بعض العلما فقال له الحيا بالقصر فرح الناقة
والذي في الحديث بالمد فراه الثالثة وقال انت قلت الحيا خير كله بالمد فقال نعم وينبغي
ان يراعي فيه القانون الشرعي فان منه ما يذم كالحيا المانع من الامر بالمعروف والنهي
عن المنكر مع وجود شرطه فان هذا جبن لا حيا ومثله الحيا في العلم المانع من سواله
عن مهمات المسايل في الدين اذا اشكلت عليه ومن ثم قالت عايشة رضي الله عنها
نعم النسا نسا الانصار لا يمنعهن الحياء ان يسالن عن امر دينهن ولهذا جاءت ام سليم
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله ان الله لا يستحي من الحق هل على
المراة من غسل اذا هي احتلمت فقال نعم اذا رات الماء وروى البيهقي عن الاصمعي انه قال من
لم يحتمل ذل التعلم ساعة بقي في ذل الجهل ابدا وروى ايضا عن عمر قال لا تتعلم العلم لثلاث
ولا تتركه لثلاث لا تتعلم لتماري به ولا تباهي به ولا تراي به ولا تتركه حيا من طلبه ولا
زهادة فيه ولا رضا بجهالة وعن عمر ايضا من رق وجهه رق علمه وقال علي رضي الله
عنه من كسي بالحيا ثوبه لم ير الناس عليه عيبه وقيل لابي سفيان ما اول الحياء قال ان تستحي
منه ان يراك حيث نهاك قيل فما غايته قال ان تستحي منه ان يعلم انك تريد بقلبك سواه وقال
بعض السلف لابنه يا بني اذا دعتك نفسك الى معصية فارم ببصرك الى السما واستح ممن فيها
وادم ببصرك الى الارض واستح ممن فيها فان لم تفعل فعد نفسك من البهايم وعن ابي ايوب
الانصاري رضي الله عنه انه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اربع من سنن المرسلين
التعطر والنكاح والسواك والحياء وكان صلى الله عليه وسلم اشد حيا من العذراء في خدرها
وروي انه عليه الصلاة والسلام قال لاصحابه استحيوا من الله حق الحياء وردد ذلك مرارا قالوا
انا لنستحي والحمد لله قال ليس ذاك ولكن الاستحياء من الله حق الحيا ان تحفظ الراس وما وعى
والبطن وما حوى وان تذكر الموت والبلا فمن فعل ذلك فقد استحيى من الله حق الحيا وما زال
يكرر ذلك حتى ابكاهم وقال للذي راه يعاتب اخاه في الحيا دعه فان الحيا من الايمان وجعل منه وان
كان عزيزة لان استعماله على قانون الشرع يحتاج الى قصد واكتساب وعلم وعن الفضيل خمسة من علامات
الشقا القسوة في القلب وجمود العين وقلة الحيا والرغبة في الدنيا وطول الامل وقيل في
قوله تعالى ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه البرهان انها القت ثوبا على وجه صنم في زاوية
البيت فقال يوسف ما الذي تفعلين قالت استحي منه فقال يوسف عليه الصلاة والسلام انا اولى
ان استحي من الله وقيل اذا جلس الرجل ليعظ الخلق ناداه ملكاه عظ نفسك عما تعظ به اخاك والا
فاستحي من سيدك فانه يراك قال الحليمي ويدخل في جملة الحيا من الله ثم من الناس ستر العورة فقد

تقدم روي البيهقي عن انس رضي الله عنه قال خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما الى غنم له وفيها اجير له يرعاها
واذا بالاجير متجرد فيها فدعاه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له كم لك عندنا من اجرك فقال يا رسول
الله الم احسن الرعاية والولاية فقال اني لا احب ان تكون فيها من لا يستحي من الله عز وجل اذا خلي
ودخل محمد بن عبد الرحمن الحمام فراي بعض اخوانه عريانا فغض عينيه فقال له العريان مذ كم عميت
قال مذ هتك الله سترك وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت مكارم الاخلاق عشرة تكون في الرجل
ولا تكون في ابنه وتكون في الابن ولا تكون في الاب وتكون في العبد ولا تكون في سيده يقسمها الله
لمن يريد به السعادة صدق الحديث وصدق البأس واعطا السايل والمكافاة بالصنايع وحفظ الا
مانة وصلة الرحم والتذمم للجار والتذمم للصاحب وقري الضيف وراسهن الحياء انتهى
ومعنى صدق البأس الصدق في مقابلة العدو ومعنى التذمم ان يحفظ ذمامه اي حرمته
وحقه ويطرح عن نفسه ذم الناس ومن علامات الحيا ان لا يخاف غير الله كما حكي عن بعضهم انه قال
خرجنا ليلة فمررنا باجمة واذا رجل نايم وفرسه عند راسه ترعا فحركناه وقلنا له الا تخاف
ان تنام في هذا الموضع الشنيع المخوف فرفع راسه وقال استحي منه ان اخاف غيره ووضع راسه ونام
وروي عن عمر رضي الله عنه انه دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجده يبكي فقال وما يبكيك
يا رسول الله قال اخبرني جبريل عليه السلام ان الله يستحي من عبد يشيب في الاسلام ان يعذبه افلا يستحي
الشيخ من الله تعالى ان يذنب وقد شاب في الاسلام وفي الحديث ايضا انه يوتى بشيخ يوم القيمة
بين يدي الله تعالى فيقال له ما فعلت من الحسنات فيقول يا رب فعلت كذا وكذا والله يعلم انه كاذب
فيامر الله به الى الجنة فتقول الملايكة يا رب انه كاذب فيقول الله علمت ذلك منه ولكن استحييت منه
ان اكذب شيبته رواه البخاري في ذكر بني اسرايل تنبيه حكي ان بعضهم وافى البصرة نحو
شعبة ليسمع منه ويكثر فصادف المجلس قد انقضى وانصرف شعبة الى منزله فحمله السرف
الى ان سال عن منزل شعبة فارشد اليه فجا فوجد الباب مفتوحا فدخل من غير استيذان فوجد
شعبة جالسا على البالوعة يبول فقال السلام عليك رجل غريب قدمت من بلدة بعيدة لتحدثني
بحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فاستعظم شعبة ذلك قال يا هذا دخلت منزلي بغير اذني
وتكلمني على مثل هذه الحالة فقال اني خشيت الفوت فقال له اخرج عني حتى اصلح من شاني فلم يفعل واستمر
في الالحاح قال وشعبة يخاطبه وذكره في يده يستبري فلما اكثر قال اكتب حدثنا منصور بن المعتمر
عن ربعي بن خراش عن ابي مسعود عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ان مما ادرك الناس من كلام
النبوة الاولى اذا لم تستح فاصنع ما شيت ثم قال والله لا حدثتك بعد هذا الحديث ولا حدثت
قوما تكون فيهم الحديث الحادي والعشرون عن ابي عمرو بالواو لانهم ذكروا ان اسم عمرو المفتوح
العين يكتب في حال الرفع والجر بالواو للفرق بينه وبين عمر المضموم العين ولا تكتب فيه في النصب
لحصول الفرق بالالف وانما جعلت الواو فيه رفعا وجرا لخفته من ثلاثة اشيا فتح اوله وسكون ثانيه

وحرف

وصرفه وقيل ابي عمرة بالهاء سفيان بتثليث اوله بن عبد الله بن ابي ربيعة وقيل بن خطيط بن الحارث
الثقفي معدود من اهل الطايف وكان عاملا لعمر رضي الله عنه عليها حين عزل عنه عثمان بن ابي العاص
روى مسلم عنه هذا الحديث فقط قال قلت يا رسول الله قل لي في الاسلام اي دينه وشريعته قولا جامعا
لامورها اكتفي به بحيث لا احتاج بعده الى ان اسيل عنه احدا غيرك لكونه واضحا في نفسه مبينا
لغيره وفي رواية بدل غيرك بعدك اي بعد سوالك كقوله تعالى وما يمسك فلا مرسل له من بعده اي من
بعد امساكه وقوله في الرواية الاولى غيرك ملزوم هذا اللفظ فانه اذا لم يسيل بعد سواله احدا يلزم
منه انه لا يسيال غيره قاله الطيبي قال قل امنت بالله لفظ الترمذي قل ربي الله ثم استقم
على عمل المامورات عقدا بالجنان وقولا باللسان وفعلا بالاركان واجتناب المنهيات وهاتان
الجملتان منتزعتان من قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا الاية والسين فيها سين
الموافاة والمطاوعة كما يقال ارضيته فاسترضى وقال ابن فورك هي سين الطلب والمعنى انهم طلبوا
من الله ان يقيمهم على التوحيد وحفظ الحدود والاستقامة لغة ضد الاعوجاج اي الاستوا في جهة الا
نتصاب واصطلاحا قال بعضهم لا يطيقها الا الاكابر لانها الخروج عن المالوفات ومفارقة الرسوم
والعادة والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق وقال البيضاوي اتباع الحق والقيام با
لعدل ولزوم المنهج المستقيم وذلك خطب جسيم لا يحصل الا لمن اشرق قلبه بالانوار القدسية
وتخلص من الكدورات البشرية والظلمات الانسية الطبيعية وايده الله من عنده وقليل
ما هم انتهى وقيل ان لا يختار العبد على الله شيا وقيل هي لزوم طاعة الله تعالى وقيل هي الاخلاص
في الطاعة وقيل هي ان تشهد الوقت الذي انت فيه قيامة قامت بان تستشعر قيامك
بين يدي مولاك فتحسن استقامتك له في دنياك وقال ابن فورك هي سوال الله تعالى ان يثبتهم
على الدين وقال بعض العارفين هي توبة بلا اصرار وعمل بلا فتور واخلاص بلا التفات
ويقين بلا تردد وتفويض بلا تدبر وتوكل بلا وهم وهذا مقام عزيز لا يحكمه الا من نصفى كالا
بريز وقيل هي المتابعة للسنة المحمدية مع التخلق بالاخلاق الرضية وقيل هي الاتباع مع
ترك الابتداع قال بعضهم والاستقامة اصعب المقامات مطلقا وهي كمقام الشكر اذ هو
صرف العبد في كل ذرة ونفس جميع ما انعم الله به عليه لما خلق لاجله من عبادة ربه عما يطيق
من جوارحه على الوجه الاقوم ومن ثم قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما في قوله تعالى فاستقم
كما امرت ما نزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم في جميع القران اية اشد ولا اشق عليه من هذه
الاية ولذا قال صلى الله عليه وسلم لاصحابه حين قالوا قد اسرع اليك الشيب شيبتني هود وا
خواتها واخرج ابن ابي حاتم لما نزلت هذه الاية شمر رسول الله صلى الله عليه وسلم فما رو ي
ضاحكا وقال الشبلي رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت له روي عنك يا رسول الله

انك تقول شيبتني هود واخواتها فما الذي شيبك منها قصص الانبيا وهلاك الامم فقال لا ولكني انما
شيبني منها قوله تعالى فاستقم كما امرت الخ لان قوله تعالى كما امرت تدل على ان الاستقامة تكون
بحسب المعرفة فمن كملت معرفته بربه عظم عنده امره ونهيه فاذا سمع كما امرت علم انه طولب
باستقامة تليق بمعرفته بجلال الامة وحقيق لمن فهم ذلك ان يشيب اذ لا يطيق الحيوان يأتي
بعبادة على حسب ما عرف من عظمة ربه بل لا بد ان يستصغر جميع ما يأتي به وان كان كاملا بالاضافة الى
عظمته لكن قال الشيخ فيض الجود في حديث شيبتني هود واخواتها ما نصه عدة السور الواردة في
جميع الروايات ثمانية هود والواقعة والحاقة وسال سايل والمرسلات وعم يتساءلون واذا الشمس كورت
والقارعة ولا تعارض بين هذه الروايات لان رواية شيبتني هود واخواتها تعم الجميع وتعين البعض
في بعض الروايات دون بعض يحمل على اسقاط بعض الرواة لذلك البعض لعدم سماع لم او على انه صلى
الله عليه وسلم عينه لبعض دون بعض فتكون الواقعة متعددة فظهر ايضا ان القول بان
المراد من سورة هود اية فاستقم غير مستقيم لان الاستقامة لم توجد في جميع السور الواردة
في الطرق الصحيحة ولم يذكر شورى في رواية من الروايات مع اشتمالها على ما في هود قوله فادع
واستقم كما امرت وليس للقايل بهذا القول حجة يستند اليها انتهى وقد يقال ان شورى متاخرة في
النزول عن الاخبار فلا يرد ما ذكر قال ابو علي الدقاق الاستقامة لها ثلاث مدارج اولها التقويم
ثم الاقامة ثم الاستقامة فالتقويم يكون من حيث تادب النفس لانه عبارة عن اصلاح الجوارح
وتعديلها بميزان الخوف والرجا لتسلم في النهايات وتستقيم على فعل الطاعة والاقامة تكون من حيث
تهذيب القلوب اي تطهيرها من الافات الذميمة والاستقامة من حيث تقريب الاسرار من
القلوب بان تكون افعال العبد كلها موزونة بميزان الشرع من غير تكلف تقويم ولا اقامة
فالمعنى الاول تمحيص والثاني تحقيق والثالث توفيق قال بعضهم وعلامة المستقيم ان تكون مثل
الجبل لان للجبل اربعة اوصاف الاول لا يذيبه الحر الثاني لا يضره البرد الثالث لا تحركه الريح
الرابع لا يذهب به السيل فكذلك المستقيم اذا احسن اليه انسان لا يحمله الاحسان ان يميل
اليه بغير الحق والثاني اذا اسا عليه شخص لا يتشوش منه بل ينجا وزعنه ويعد ذلك كالعدم
والثالث ان هوى نفسه لا يحوله عن امر الله والرابع ان متاع الدنيا لا يشغله عن طاعة الله
تعالى وقال القشيري الاستقامة درجة بها كمال الامور وتمامها وبوجودها حصول
الخيرات ونظامها ومن لم يكن مستقيما ضاع سعيه وخاب جهده وقال بعضهم انه لا يطيقه
الا الاكابر لانها الخروج عن المالوفات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الله
تعالى على حقيقة الصدق ولعزتها اخبر صلى الله عليه وسلم ان الناس لن يطيقوها فقد اخرج

احد استقيموا ولن تحصوا اي لن تطيقوا الاستقامة ولن تبلغوا كنهها رواه مسلم وهو من بدايع جوامع
كلمه صلى الله عليه وسلم التي اختص بها فانه صلى الله عليه وسلم جمع للسايل في هاتين الكلمتين جميع معاني
الاسلام لانه توحيد وطاعة فالتوحيد حاصل بالجملة الاولى والطاعة بجميع انواعها في ضمن الجملة الثانية
لان الاستقامة امتثال كل مامور واجتناب كل منهي واعظم ما يراعي استقامته بعد القلب اللسان
لانه ترجمان القلب المعبر عنه ولذا زاد الترمذي في هذا الحديث قلت ما اخوف ما اخاف علي فاخذ
بلسان نفسه وقال هذا وفي مسند احمد لا يستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه ولا يستقيم
قلبه حتى يستقيم لسانه وعن ابي سعيد الخدري مرفوعا اذا اصبح ابن ادم قالت الاعضا للسان
اتق الله فينا فانك ان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا الحديث الثاني والعشرون
عن ابي عبد الله وقيل كنيته ابو محمد وقيل ابو عبد الرحمن جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام بمهملتين
مفتوحتين بن عمرو بن سواد بتخفيف الواو بن مسلمة بكسر اللام ويقال بن حرام بن ثعلبة بن جابر بن
حرام بن كعب بن غنم بن كعب بن سلمة بن سعد بن علي بن اسد بن ساردة بن تزيد بالمثناة فوق بن جشم
بن الخزرج الانصاري السلمي بفتح السين واللام وامه انيسة بنت عقبة بن عدي بن سنان [illegible]
وبايعت رضي الله عنهما فابوه صحابي شهد العقبة مع السبعين وهو احد النقبا الاثنا عشر وبدرا
واحدا وقتل يوميذ ولما بلغ ابنه موته اقبل فاذا هو بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم مسجى قال
جابر فتناولت الثوب عن وجهه واصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ينهوني كراهة ان ارى ما به
من المثلة ورسول الله صلى الله عليه وسلم لا ينهاني فلما رفع قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما زالت
الملايكة حافة باجنحتها حتى رفع ثم لقيني بعد ايام فقال لي اي بني الا ابشرك ان الله عز وجل احيى اباك
فقال تمن فقال يا رب اتمنى ان تعيد روحي وتردني الى الدنيا حتى اقتل مرة اخرى قال اني قضيت
انهم لا يرجعون ولما قتل اي ابوه كان عليه دين وترك حايطا فبذل جابر لغرماء ابيه اصل ماله وهو الحايط
فلم يقبلوه ولم يرضوا بالامهال ولم يكن في ثمره سنين كفاف دينهم فذكر ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم
فامره بجذها وجعل كل صنف على حدة ثم طاف صلى الله عليه وسلم عليها وامره ان يكيل من واحد منها فوفى
الدين وفضل بعده اصع كثيرة وفي رواية وفضل مثلها كانوا يجدون كل سنة وفي رواية مثل ما اعطاهم
قال وكان الغرما يهودا فعجبوا من ذلك وشهد جابر العقبة الثالثة مع السبعين وكان اصغرهم
واستغفر له المصطفى صلى الله عليه وسلم في ليلة سبعا وعشرين مرة وروي عنه انه قال اقبلت عير يوم
الجمعة ونحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فانفتل الناس فلم يبق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
اثنا عشر رجلا انا فيهم فانزل الله عز وجل واذا راوا تجارة او لهوا انفضوا اليها وتركوك قايما واراد
شهود بدر فخلفه ابوه على اخواته وكانوا تسعا وخلفه ايضا يوم احد ثم شهد ما بعد ذلك لكن في البخاري

انه كان ينقل الماء يوم بدر ومات بالمدينة بعد ان ذهب بصره سنة ثلث او ثمان وسبعين عن اربع وتسعين سنة
وصلى عليه ابان بن عثمان بن عفان وهو يومئذ اميرها يقال انه اخر من مات من الصحابة بها روي له الف وخمسمائة
حديث واربعون حديثا اتفقا منها على ثمانية وخمسين وانفرد البخاري بستة وعشرين ومسلم بمائة وستة وعشرين
ان رجلا هو النعمان بن قوقل بقافين مفتوحتين بينهما واو ساكنة واخره لام الخزاعي شهد النعمان بدرا
وقتل يوم احد شهيدا وهو القائل يوم احد اقسمت عليك يا رب العزة لا تغيب الشمس حتى اطأ بعرجتي هذه
خضر الجنة فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان النعمان ظن بالله عز وجل خيرا فوجده عند ظنه فلقد رأيته
يطأ في خضرها ما به عرج سال النبي صلى الله عليه وسلم فقال ارايت بهمزة الاستفهام ادخلت على رايت
وهو بمعنى ترى اي نبئني بانه اذا صليت المكتوبات وهي الصلوات الخمس من كتب بمعنى فرض واتفق
ان الشبلي جاءه رجل وقال يا سيدي انا محب مطرود فقال له الشبلي الزم باب الحبيب فمضى
الرجل ولزم المسجد فكان يصلي الليل كله فاذا صلى الفجر عفر وجهه بالتراب وقال الهي المحروم يطلب
الوصال قال فما كان بعد ايام حتى سمع من جانب المسجد يا هذا قد غفر لك وواصلناك وصمت شهر
رمضان وهو على اربعة اقسام صوم عوام العوام وهو الكف عن المفطرات سواء الكف عن المحرمات ام لا
وصوم العوام وهو الكف عن المفطرات والمحرمات وصوم الخواص وهو الكف عن المفطرات والمحرمات والشبه
واللذات وصوم خواص الخواص وهو الكف عما سوى الله وانشد بعضهم صمت عن غيره فلما تجلى
كان لي شاغلا عن الافطار وتشوقت مرة ثم لما زارني جل عن مدى الانظار واحللت الحلال اي اعتقدت
حله وفعلت واجبه بقرينة السياق وحرمت الحرام اي اجتنبته والظاهر كما قال ابن الصلاح انه قصد
به اعتقاد حرمته وان لا يفعله بخلاف تحليل الحلال فانه يكفي فيه مجرد كونه حلالا وان لم يفعله انتهى ووجه
بانا لسنا مطلوبين بفعل الحلال من حيث ذاته بل المصلح تترتب على فعله فلم يكن فعله شرطا في دخول الجنة
بخلاف الحرام فانا مطلوبون باجتنابه وباعتقاد حرمته لذاته ولم ازد على ذلك شيئا من الطاعات المندوبة
ولم يذكر الزكاة والحج اما لعدم فرضهما او لكونه لم يخاطب بهما لفقد النصاب والاستطاعة واما لان قوله
وحرمت الحرام يتناوله لان ترك الفريضة من جملة المحرمات ادخل الجنة همزة الاستفهام فيه مقدرة
والمراد من غير عقاب كما هو ظاهر السياق لان مطلق دخولها انما يتوقف على التوحيد قال المؤلف مذهب اهل
الحق من السلف والخلف ان من مات موحدا دخل الجنة قطعا على كل حال كيف ما كان فان كان سالما من المعاصي
كطفل ومجنون اتصل جنونه بالبلوغ وتائب توبة صحيحة وموفق ما الم بمعصية قط فانهم يدخلون
الجنة ولا يدخلون النار اصلا لكنهم يردون على الخلاف في الورود والصحيح ان المراد به المرور على الصراط
وهو منصوب على ظهر جهنم واما من عمل كبيرة ومات بلا توبة فهو في المشيئة ان شاء جعله كالقسم الاول وان
شاء عذبه ثم يدخله الجنة ولا يخلد في النار احد مات موحدا ولو عمل جميع المعاصي كما انه لا يدخل الجنة
احد مات كافرا ولو عمل من اعمال البر ما عمل هذا مذهب اهل الحق الذي تظاهرت ادلة الكتاب والسنة
واجماع من يعتد باجماعه عليه قال نعم تدخلها كذلك وظاهر الحديث يقتضي ان الاعمال الصالحة اسباب
لدخول الجنة لان تعليق الحكم على الوصف يشعر بالعلية وقد ثبت في الصحيح انه قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم انه لن ينجي احدا منكم عمله قالوا ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان يتغمدني

الله برحمته فالجواب ان دخول الجنة بمحض فضل الله ليس الا واما اختلاف مراتبها فبحسب العمل لكن
لابد للعبد ان يستند لفضله وهذا الحديث يدل على جواز ترك التطوع في الجملة لكن من تركها
ولم يعمل شيئا فقد فوت على نفسه ربحا عظيما وثوابا جسيما ومن داوم على ترك شي من السنن
كان ذلك نقصا في دينه وان قصد تركها الا استخفافا بها والرغبة عنها كفر وانما ترك النبي
صلى الله عليه وسلم تنبيهه عليها تيسيرا وتسهيلا عليه وتاليفا لقرب عهده بالاسلام
وخشية من نفرته لو اكثر عليه مع علمه بانه اذا تمكن الاسلام من قلبه شرح الله صدره ورغب
فيما رغبت فيه الصحابة من محافظتهم على التطوعات كمحافظتهم على الفرايض اغتناما لما جا من
عظيم ثوابها رواه مسلم في كتاب الايمان ومعنى قوله حرمت الحرام اجتنبته اي تركته ومعنى احللت
الحلال فعلته معتقدا حله فيه نظر يعلم من كلام ابن الصلاح المتقدم ولو قال اعتقدت حله لكان اولى
لان كل حلال لا يلزم فعله واوله المولف لامتناع ابقايه على ظاهره لان النعمان ليس له تحليل ولا تحريم
وانما ذلك للشارع فهو مجاز من باب اطلاق الملزوم وارادة اللازم والله اعلم بالصواب

الحديث الثالث والعشرون عن ابي مالك الحارث وقيل اسمه عبيد والمشهور ان اسمه كعب ابن عاصم
وقيل عامر وقيل عمرو رضي الله عنه مات في طاعون عمواس في خلافة عمر بن الخطاب وطعن هو ومعاذ ماتح
وابو عبيدة وشرحبيل في يوم واحد قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الطهور
بالفتح اسم للما الذي يتطهر به كسحور وفطور ووقود لما يتسحر او يفطر او يوقد به وبالضم للفعل وهو
المراد هنا اذ لا دخل للغير في الشطرية الاتية الا بتكلف بان يقال استعمال الطهور الخ وزعم ان الرواية
بالفتح لا الضم مردود لان الضم هو المختار وقول الاكثرين اذ المراد الفعل كما قال المولف وغاية
ما فيه انهم جوزوا الفتح ثم ان الطهور عند مالك ما تتكرر منه الطهارة كالصبور فجوزا الطهارة
بالما المستعمل وعند الشافعي هو الطاهر في نفسه المطهر لغيره ماكان او ترابا وقال ابو حنيفة
انه الطاهر فجوز ازالة النجاسة بالمايعات شطر بتقديم الشين المعجمة على الطا اي نصف الايمان
الكامل بالمعنى الاعم المركب من التصديق والاقرار والعمل وان كان ذا خصال كثيرة واحكام متعددة
لانها منحصرة فيما يطلب التنزه عنه وهو كل منهي عنه وفيما يطلب التلبس به وهو كل مامور به
وقيل المراد بالايمان الصلاة كقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم اي صلاتكم الى بيت المقدس
واطلق الايمان عليها لانها اعظم اثاره واشرف نتايجه وانما جعل الطهور شطرها لان صحتها باجتماع
امرين الاركان والشروط واقواها الطهارة فجعلت كانها الشروط كلها ونوزع بان فيه تجوزا في
قصر الايمان على الصلاة واخراج الشطر عن حقيقته الى معنى المماثل له وهو الشرط والمجاز لا بد له
من قرينة واما حمل المص الطهور على معناه الشرعي وهو الوضو فنظر فيه من وجهين احدهما
انه لا يتضح ح معنى الشطرية الا بادعا انه ينتهي تضعيف الاجر فيه الى نصف الايمان وهذا وان
قيل به الا انه يحتاج الى دليل ثانيهما ان الطهور لا ينحصر في الوضو بل يعم الغسل والتيمم والطهارة
من الخبث وليس واحد من هذين النظرين في محله كيف وفي رواية ابن ماجة وابن حبان في صحيحه

اسباغ الوضوء شطر الايمان والمراد انما هو رواية الترمذي والوضوء شطر الايمان وح فيقال يحتمل ان معناه انه
تمام الشطر لانه كل الشطر والمراد بالوضوء فيه معناه اللغوي وهو يرجع لمعنى الطهارة الذي قررناه اولا
لكن يعكر رواية اسباغ الوضوء فانها نص بان المراد الوضوء الشرعي وان حمل الطهور على الوضوء والوضوء
على معناه الشرعي والشطر على مطلق الجزء اتضح هذا المقام وزال الاشكال واما قول من قال ان الايمان
يطهر نجاسة الباطن والوضوء يطهر نجاسة الظاهر ففيه بحث لانه ح ليس شطر الايمان بل هو مماثل له في
التطهير تنبيه خص الله الاعضا بالوضوء لان ادم صلى الله على نبينا وعليه توجه الى الشجرة بالوجه
ومشى اليها بالرجل ووضع يده على راسه فامره الله بغسلها تكفيرا للخطايا ه ثم ان الطهور ورد في القران
لمعان الاول الطهور من الشرك كقوله تعالى في البقرة وطهر بيتي للطائفين اي من الاوثان فلا تدع حوله وثنا
يعبد من دون الله وقال تعالى في المفصل في صحف مكرمة مرفوعة مطهرة يعني من الشرك والكفر والثاني
طهور القلب من الريبة كقوله تعالى ذالكم ازكى لكم واطهر والله يعلم وانتم لا تعلمون وفي الاحزاب واذا
سالتموهن متاعا فاسألوهن من وراء حجاب ذالكم اطهر لقلوبكم وقلوبهن اي من الريبة الثالث الطهور
بمعنى الحل كقوله تعالى في هود هولاء بناتي هن اطهر لكم يعني احل لكم الرابع الطهور من الذنب كقوله
في براءة خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها اي من الذنوب الخامس الطهور من الحيض كقوله
تعالى في البقرة ولهم فيها ازواج مطهرة اي من الحيض السادس التنزه عن اتيان الرجال في الادبار كقوله
تعالى في الاعراف اخرجوهم من قريتكم انهم اناس يتطهرون اي يتنزهون عن اتيان الرجال في ادبارهم
السابع الطهور من جميع الاحداث كقوله تعالى في الانفال وينزل عليكم من السما ما ليطهركم به
يعني من الاحداث والجنابة الثامن الاغتسال كقوله تعالى في البقرة ولا تقربوهن حتى يطهرن فاذا تطهرن
اي اغتسلن التاسع بمعنى الاستنجا كقوله تعالى في براءة فيه رجال يحبون ان يتطهروا يعني يغسلوا اثر
البول والغائط والحمد لله يحتمل هذا اللفظ وحده لانه افضل جميع صيغ الحمد كما دل عليه الكتاب والسنة
ويحتمل انه هذا اللفظ وجميع ما اشتق منه كحمدت الله وليس المراد به الفاتحة بكمالها خلافا لمن زعم تملا
بمثناة فوقية او تحتية والاول ارجح ولفظ ابن ماجة ملء الميزان اي ثواب التلفظ بها مع استحضار
معناها والاذعان له على كفة الميزان التي هي مثل طباق السموات والارض وفيه كالايات والاحاديث الشهيرة
اثبات الميزان ذي الكفتين واللسان ووزن الاعمال بها بعد ان تجسم وتكون الحسنات جواهر بيض مشرقة
والسيئات جواهر سود مظلمة او توزن صحايفها المشتملة عليها وميزانه مفعال من الوزن اصله موزان
قلبت الواو يا لانكسار ما قبلها كميقات وميعاد لانهما من الوقت والوعد وقيل ولكل انسان ميزان
لظاهر قوله تعالى ونضع الموازين والاصح انه ليس الا ميزان واحد خلافا لمن قال لكل امة ميزان ولكل انسان
ميزان والجمع اما باعتبار الموزونات او لكونه ذا اجزاء على حد قوله شابت مفارقه مع انه ليس
للانسان الا مفرق واحد وجمل ذو عثانين مع انه ليس له الا عثنون واحد وهو شعرات طوال تحت
حنكه لكنهم سموا كل محل من المفرق مفرقا وكل محل من العثنون عثنونا او لتعظيم شانه وتفخيم او
لان كل واحد يتكون له الميزان بصورة ما كان العبد عليه في دار الدنيا والكافر كالمومن في وزن الاعمال
لكن يوتى باعماله في قبح صورة وقوله تعالى فلا نقيم لهم يوم القيمة وزنا اي نافعا او قدرا فان قيل اذا وزنت

لاعمال ورجحت او خفت ماذا يفعل بها بعد ذلك فالجواب ان من سعد وضعت اعماله الصالحة على باب
داره في الجنة فيكون ذلك زيادة في نعيمه وان كان خاسرا وضعت على باب داره في النار
ليكون ذلك زيادة في عذابه تنبيه قال بعض الشافعية افضل المحامد ان يقال الحمد لله
حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده واحتج على ذلك بما في الاخبار ان الله تعالى لما اهبط ادم الى الارض قال
يا رب علمني المكاسب وعلمني كلمة تجمع لي فيها المحامد فاوحى الله تعالى اليه ان قل ثلاث مرات
عند كل صباح ومسا الحمد لله حمدا يوافي نعمه ويكافي مزيده فقد جمعت لك فيها جميع المحامد وقيل
افضل المحامد الحمد لله بجميع محامده كلها ما علمت منها وما لم اعلم على جميع نعمه كلها ما علمت منها
وما لم اعلم زاد بعضهم عدد خلقه كلهم ما علمت منهم وما لم اعلم واحتج له بما روي ان رجلا قال لهذه
الكلمات معرفات فلما كان من العام المقبل حج واراد ان يقولها فسمع قايلا يقول يا عبد الله
اتعبت الحفظة فانهم يكتبون ثواب هذه الكلمة من العام الماضي الى الان وينبني على ذلك مسيلة
وهي من حلف بالطلاق ليحمدن الله بافضل المحامد فقال لكل فريق لا يبر الا بما قاله وقيل لا يبر حتى يقول
ليس كمثله شي وهو السميع البصير وقيل لا يبر حتى يقول اللهم لا احصي ثنا عليك انت كما اثنيت
على نفسك وسبحان الله والحمد لله تملان بالفوقية باعتبار انهما جملتان او بالتحتية باعتبار انهما
لفظان او ذكران او نوعان او شك من الراوي تملا بالفوقية اي هذه الكلمة لانها يطلق عليها
كلمة لغة كما يقال في الخطبة والرسالة والقصيدة كلمة او بالتحتية اي هذا اللفظ او هذا الذكر ما بين
السموات والارض وذلك لان الحمد وحده يملا الميزان فاذا اضاف اليه سبحان ملا زيادة على ذلك
ما بين السما والارض اذ الميزان مملوء بثواب التحميد وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم من قال
سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة ومن قال الحمد لله كتب
له ثلاثون حسنة وانما كان كذلك لان الحمد في ضمنه التوحيد الذي هو لا اله الا الله ففي قوله الحمد
لله توحيد وحمد وقوله لا اله الا الله توحيد فقط واورد على هذا قوله عليه الصلاة والسلام
افضل ما قلته انا والنبيون من قبلي لا اله الا الله واجيب بانه محمول على من اراد الخروج من الكفر
الى الاسلام بكلمة التوحيد والاول لمن استقر الايمان في قلبه وعن ابي هريرة رضي الله عنه ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال سبحان الله وبحمده في كل يوم مائة مرة حطت خطاياه وان
كانت مثل زبد البحر وعنه ايضا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح وحين يمسي
سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يات احد يوم القيمة بافضل مما جاء به الا احد قال مثل ما قال او زاد عليه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عن جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج
ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسماها جويرية وكره ان يقال خرج من
عند برة فخرج وهي في المسجد ورجع بعدما تعالى النهار فقال ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت
بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك اربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بكلماتك لوزنتهن سبحان
الله وبحمده عدد خلقه ورضى نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته قال الامام فخر الدين الحمد لله

ثمانية احرف وابواب الجنة ثمانية فمن قال هذه الثمانية عن صفا قلبه استحق ثمانية ابواب الجنة وقال
بعضهم اول كلمة ذكرها ابونا ادم الحمد لله رب العالمين واخر كلمة ذكرها اهل الجنة الحمد لله رب
العالمين اما الاول فلانه ادم لما بلغ الروح الى سرته عطس فقال الحمد لله رب العالمين فاجابه
الله يرحمك الله واما الثاني فلقوله تعالى واخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين والصلاة لشرا
يطها المصححة والمكملة نور من باب قولهم زيد عدل وفي ذلك ثلاثة اوجه اما ان يكون جعله
نفس العدل مبالغة في التشبيه واما ان يكون معناه ذو عدل على حذف مضاف وانما ان يكون
بمعنى عادل وعلى الاول جعل الصلاة نفس النور مبالغة في التشبيه من حيث انها تمنع عن المعاصي
وتنهى عن الفحشاء والمنكر وتهدي الى الصواب كما ان النور يستضاء به اولانها سبب في استنا
رة القلب واشراقه بانوار المعارف ومكاشفات الحقايق اولانها تكون نورا لصاحبها بالبرهان
في الدنيا او بالانس في القبر لقول ابي ذر صلوا ركعتين في ظلمة الليل لظلمة القبور وفي عرصات
القيمة لخبر بشر المشائين في ظلم الليل الى المساجد بالنور التام يوم القيمة وفي صحيح ابن حبان
انه صلى الله عليه وسلم ذكر الصلاة وقال من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيمة وفي مسنده
الحديث ان امتي يدعون يوم القيمة غرا محجلين من اثار الوضوء والغرة نور يخلقه الله في جباه المو
والتحجيل نور يخلقه الله في اقدامهم وعلى الثاني يكون المعنى ذات نور ويؤيده ما رواه الطبراني عن
عبادة بن الصامت عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا حافظ العبد على صلاته فاتم وضوءها
وركوعها وسجودها والقراءة فيها قالت له حفظك الله كما حفظتني وصعد بها الى السماء ولها
نور حتى تنتهي الى الله لتشفع لصاحبها وعلى الثالث منورة لوجه صاحبها لما جاء من صلى بالليل
حسن وجهه بالنهار رواه لم يثبت حديثا فهو اثر عن شريك قاله ثابت لما دخل عليه وفي رياض
الرياحين لليافعي عن شقيق البلخي قال طلبنا ضياء القبور فوجدناه في صلاة الليل وطلبنا جواب
منكر ونكير فوجدناه في قراءة القران وطلبنا عبور الصراط فوجدناه في الصوم وطلبنا ظل العرش فوجدناه
في الخلوة والصدقة اي الزكاة كما في رواية ابن حبان ويصح حملها على المعنى الاعم ان مال للواجبة والمندوبة
وهو اسم برهان هو لغة الشعاع الذي يلي وجه الشمس ومنه خبر ان روح المومن تخرج من جسده ولها
برهان كبرهان الشمس ومنه يسمى الحجة القاطعة برهانا لوضوح دلالتها واصطلاحا الدليل والمرشد
فهي مفزوع اليها كما يفزع الى البراهين لانه اذا سيل الشخص يوم القيمة عن مصرف ماله كانت
صدقاته براهين على صدق جوابه ويجوز ان يوسم المتصدق بسيما يعرف بها فتكون برهانا له على حاله
ولا يسيل عن مصرف ماله او هي حجة ودليل على ايمان من تصدق فمن تصدق استدل بصدقته على صدق
ايمانه وعلى صدق محبته لمولاه ولما لديه من الثواب لبذله محبوبه بالجبلة والطبع رجاء ثوابه فلولا
صحة ايمانه لما بذل عاجلا لاجل واما المنافق فيمتنع منها لكونه لا يعتقدها كقضية ثعلبة الانصاري فانه
قال للنبي صلى الله عليه وسلم ادع الله ان يرزقني مالا فقال النبي صلى الله عليه وسلم ويلك يا ثعلبة قليل

تؤدي شكره خير من كثير لا تطيقه ثم عاود ثانيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اما ترضى ان تكون مثل نبي الله
لو شئت ان تسير معي الجبال ذهبا لسارت فقال والذي بعثك بالحق لئن دعوت الله فرزقني
مالا لاعطين كل ذي حق حقه فدعا له صلى الله عليه وسلم فاتخذ غنما فنمت كما ينمو الدود فضاقت
عليه المدينة فتنحى عنها فنزل واديا من اوديتها حتى صار يصلي الظهر والعصر في جماعة وترك
ما سواهما ثم نمت وكثرت حتى ترك الصلوات الا الجمعة وهي تنمو حتى ترك الجمعة ايضا فقال النبي
صلى الله عليه وسلم يا ويح ثعلبة ثلاثا ثم نزل خذ من اموالهم صدقة الاية فبعث صلى الله عليه
وسلم رجلين على الصدقة وقال لهما مرا بثعلبة وفلان رجل من بني سليم فخذا صدقاتهما فاتيا
ثعلبة واقراه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ما هذه الا اخت الجزية انطلقا حتى
تفرغا ثم عودا فعادا عليه فامتنع فانزل الله ومنهم من عاهد الله لئن اتانا من فضله الايات
فكان شخص من اقاربه حاضرا فذهب اليه واخبره فجمع زكاة ماله واتى بها للنبي صلى الله عليه وسلم
فلم يقبلها ثم اتى بها لابي بكر فلم يقبلها ثم لعمر ثم لعثمان وهلك في خلافة عثمان وتقدم ما فيه من
رده والذي عليه المفسرون انه من المنافقين وحكي عن بعض المذكرين انه قال في مجلسه ان
الرجل اذا اراد ان يتصدق فانه ياتيه سبعون شيطانا فيتعلقون بيديه ورجليه وقلبه
ويمنعونه من الصدقة فلما سمع بعض القوم ذلك قال اني اقاتل هؤلاء السبعين وخرج من
المسجد واتى المنزل وملا ذيله من الحنطة واراد ان يخرج ويتصدق فوثبت زوجته وجعلت
تنازعه وتجاذبه حتى اخرجت ذلك من ذيله فرجع الرجل خائبا الى المسجد فقال له المذكر ما ذا عملت
فقال هزمت السبعين فجاءت امهم فهزمتني والصبر هو لغة الحبس ومنه المصبورة التي
نهي عنها وهي الدجاجة ونحوها تتخذ غرضا وترمى حتى تقتل وسمي شهر رمضان شهر الصبر لانه
شهر تحبس فيه النفوس عن شهواتها من المطعم والمشرب والمنكح وسمي الصابر في المصيبة
صابرا لانه حبس نفسه عن الجزع وقيل انما سمي الصبر صبرا لان تمرره في القلب وازعاجه النفس
لتمرره في الفم وشرعا الثبات على الكتاب والسنة وقال ابن عطاء الله هو الوقوف مع البلاء بحسن
الادب وقال الاستاذ ابو علي الدقاق هو ان لا يعترض على المقدور واما اظهار البلاء لا على وجه الشكوى
فلا ينافي الصبر وقيل حبس النفس على مراد الله تعالى وقيل حبس النفس عن شاق التكليف
وهو مساو لقول بعضهم هو حبس النفس على العبادات ومشاقها والمصائب وحرارتها
وعن المنهيات والشهوات ولذاتها وافضل انواعه الاخير فالاول لما جاء عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم انه قال الصبر ثلاثة فصبر على المصيبة وصبر على الطاعة وصبر عن المعصية فمن
صبر على المصيبة حتى يردها بحسن عزائها كتب الله له ثلثماية درجة ما بين الدرجة الى الدرجة
كما بين السماء والارض ومن صبر على الطاعة كتب الله له ستماية درجة ما بين الدرجة الى الدرجة

كما بين تخوم الارض الى منتهى العرش ومن صبر على المعصية كتب الله له تسعماية درجة ما بين الدرجة
الى الدرجة ما بين تخوم الارض الى منتهى العرش مرتين قال بعضهم الصبر صبران فاللئام اصبر
اجساما والكرام اصبر نفوسا وليس الصبر المحمود ان يكون صاحبه قوي الجسد على الكد
والكل كما هو من صفات البهايم بل ان يكون للنفس غلوبا وللامور محتملا ولجاشه عند الحفاظ
مرتبطا والفرق بين المتصبر والصابر والصبور ان الاول هو الذي يتحمل المشاق وتظهر عليه وانما
يمنعه من التسخط خوف الله والثاني هو من تعود حمل المشاق فلم تظهر عليه والثالث هو الذي
عود نفسه الهجوم على المكاره بلا كلفة في ذلك دون المرارة تنبيهان الاول عن ابي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال البلا بالمومن والمومنة في نفسه
وماله وولده حتى يلقى الله وما عليه من خطيئة الثاني عن عكرمة انه قال طفي سراج رسول الله صلى
الله عليه وسلم فقال انا لله وانا اليه راجعون فقيل له يا رسول الله امصيبة هي قال نعم كل شي
يوذي المومن فهو مصيبة وقيل في قوله تعالى فاصبر صبرا جميلا الصبر الجميل ان يكون صاحب المصيبة
في القوم لا يدرى من هو ضيا فيه ما مر في نور واصله ضواء فقلبت الواو كما قلبت في الصيام والقيام
والضيا هو النور الذي فيه حرارة واحتراق كضوء الشمس بخلاف النور فانه محض اشراق قال تعالى هو
الذي جعل الشمس ضيا والقمر نورا ونحوه للزمخشري وانما جعل الصلاة نورا والصبر ضيا لانه اخص منها
لاشتماله عليها وعلى غيرها من الطاعات ثم مر فكان الضيا الاخص من النور الذي هو كالوصف الزايد
عليه اولى به واورد على هذا الله نور السموات والارض واشرقت الارض بنور ربها واجيب بان معنى
قوله نور اي منور فاورد ابقا السوال ولم يقل مضي لان النور اعم واشمل لانه يكون ليلا ونهارا والضيا
لا يكون الا للنهار بالشمس على ان المراد بالنور الهدى اي هادي اهلها ثم ان جعل الضو ابلغ من النور انكره في
الفلك الداير وقال ليس له في اللغة شاهد ولا في الاستعمال مساعد ولا دليل في الاية لجواز ان يكون من
التذبيح ليجتنب التكرير واجيب بان كلام ابن السكيت بحسب اصل الوضع وما ذكر بحسب
الاستعمال تنبيه ورد انه صلى الله عليه وسلم قال ايما رجل صبر على سو خلق امراته اعطاه الله
من الاجر مثل ما اعطى ايوب عليه الصلاة والسلام على بلايه وايما امراة صبرت على سو خلق زوجها
اعطاها الله من الاجر مثل ما اعطى آسية بنت مزاحم امراة فرعون وروي ان رجلا جا الى عمر
رضي الله عنه يشكو اليه خلق زوجته فوقف ببابه ينتظره فسمع امراته تستطيل عليه بلسانها
وهو ساكت لا يرد عليها فانصرف الرجل قايلا اذا كان هذا حال امير المومنين فكيف حالي فخرج
عمر فراه موليا فناداه ما حاجتك فقال يا امير المومنين جيت اشتكي اليك خلق زوجتي
واستطالتها علي فسمعتك زوجتك كذلك فرجعت وقلت اذا كان هذا حال امير المومنين
مع زوجته فكيف حالي فقال له عمر اني احتملها لحقوق لها علي انها طباخة لطعامي خبازة لخبزي
غسالة لثيابي مرضعة لولدي ويسكن قلبي بها عن الحرام فاني احتملها يا اخي فانها مدة يسيرة

وكان

وكان لبعض الصالحين اخ يزوره كل سنة مرة فجاء مرة لزيارته فطرق بابه فقالت زوجته من فقال اخو
زوجك في الله تعالى جاء لزيارته فقالت ذهب يحتطب لا رده الله وبالغت في شتمه وسبه فبينما
هو كذلك واذا باخيه قد حمل الاسد حزمة الحطب وهو مقبل به فلما وصل لاخيه سلم عليه ورحب
به ثم انزل الحطب عن ظهر الاسد وقال اذهب بارك الله فيك ثم ادخل اخاه وهي تسبه فلا
يجيبها فاطعمه ثم ودعه فانصرف على غاية من التعجب من صبره ثم جاء في العام الثاني فدق الباب فقالت
امراته من فقال اخو زوجك في الله جاء يزوره قالت مرحبا وبالغت في الثناء عليه وامرته با
نتظاره فجاء اخوه والحطب على ظهره فادخله واطعمه وهي تبالغ في الثنا فلما اراد مفارقته ساله
عما رأى من تلك ومن هذه ومن حمل الاسد وحمله على ظهره فقال يا اخي توفيت تلك الشرسة وكنت
صابرا على اذيتها وبغيها فسخر الله لي الاسد الذي رايته يحمل الحطب بصبري عليها وصرت الآن
احمل الحطب على ظهري لراحتي مع هذه وذكر بعض المفسرين ان ابا بكر رضي الله عنه كان عند النبي
صلى الله عليه وسلم ورجل من المنافقين يسبه وابو بكر لا يجيبه والنبي صلى الله عليه وسلم يتبسم
فاجابه ابو بكر فقام النبي صلى الله عليه وسلم وذهب وتبعه ابو بكر فقال يا رسول الله ما دام يسبني
كنت جالسا ساكتا فلما اجبته قمت وذهبت فقال ان ملكا كان يجيبه فلما اجبته
ذهب الملك وجاء الشيطان وانا لا اكون في مجلس يكون فيه الشيطان فنزل قوله تعالى فمن عفى
واصلح فاجره على الله وعن بشر الحافي قال كان بعبادان رجل قد قطعه البلاء وسال تحرقناه فجيته يوما
على وجهه وهو مع ذلك كثير الذكر عظيم الشكر لله تعالى فاذا هو مطروح من خشيته فوضعت
على حجري وجعلت اسال الله ان يكشف ما به فافاق فسمع دعاي فقال من هذا الفضولي الذي
يدخل بيني وبين ربي ويعترض علي في نعمتي ونحى راسه من حجري قال بشر فعقدت مع الله
عقدا ان لا اعترض على احد في نعمة اراها عليه والقران قيل تسميته بذلك توقيفية وقيل لجمعه السور
والايات المختلفة والقران على وزن فعلان بمعنى مفعول من قرات الشي قرانا جمعته او من قرات الكتاب قراة
وقرانا تلوته لانه مجموع ومتلو بمعنى الامر والنهي والاخبار والوعد والوعيد والقصص والمواعظ او
من قرا الماء في الحوض اذا جمع وقرات الناقة لنهاية الضبع جمعته اي امتثلت امره واجتنبت نهيه
وانقطعت بمواعظ وقيل من قرات الكتاب قراة وقرانا اذا تلوته لانه مجموع ومتلو فائدة عن عبد الاعلى بن
النجم قالت ليلة في ايام ابن حريش وابن خلف المعافري بمصر وكانت ليلة الجمعة وانا اقول في نفسي لا ادري
من اتبع هل ابن حريش واصحابه وهو يقول بخلق القران او ابن خلف واصحابه وهو يقول ان القران كلام الله
غير مخلوق فلما اويت الى فراشي رايت شخصا جاني وقال قم فقمت فقال لي قل قلت وما اقول قال
سبحان من رفع السماء بلا عماد للنظرة فتزينت بالساطعات اللامعات وبالغرة ما قال الخلق في القران
بخلقه الاكرة لكن كلام منزله من عند خلاق البشرة وقال اكتبه فمددت يدي فكتبته فيه
فلما استيقظت رايته مكتوبا وقوله في الحديث خيركم من تعلم القران وعلمه صحيح وقال صلى الله عليه
وسلم لو كان القران في اهاب ما مسته النار قيل معناه من حمل القران وقراه لم تمسه النار
يوم القيمة حجة لك في المواطن التي تسيل فيها كالقبر والميزان والصراط او حجة عليك في تلك
المواطن ان اعرضت عنه ولم تعمل به وقد روي عمرو بن شعيب عن ابيه عن جده عن النبي صلى الله عليه وسلم

يمثل القران يوم القيمة رجلا فيوتى بالرجل قد حمله فخالف امره فيمثل له خصما فيقول يا رب
قد حملته اياي فبئس حاملا قد تعدى حدودي وضيع فرايضي وركب معصيتي وترك طاعتي فما يزال
يقذف عليه بالحجج حتى يقول شانك به فياخذ بيده فما يرسله حتى يكبه على وجهه في النار قال ويوتى
بالرجل الصالح قد حفظ امره فيمثل له خصما فيقول يا رب قد حملته اياي فخير حامل حفظ حدودي وعمل
بفرايضي واجتنب معصيتي واتبع طاعتي فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقال شانك به فياخذ بيده فما يزال
يلبسه حلة الاستبرق ويعقد عليه تاج الملك ويسقيه كاس الخمر وفي الحديث القران شافع مشفع
اي لمن عمل به وماحل مصدق اي لمن لم يعمل به من قدمه امامه قاده الى الجنة ومن جعله وراءه دفعه في قفاه
الى النار وماحل من المماحلة وهي المكابرة والمكايدة ومنه ماحل اذا تكلف الحيلة واجتهد فيها ومحل بفلان
اذا مكر فيه وكاده وكان القران يكيد من يجعله وراء ظهره وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه يجي
القران يوم القيمة فيشفع لصاحبه فيكون قايدا لصاحبه الى الجنة او يشهد عليه فيكون سايقا له الى النار وجا
في بعض الاحاديث من حفظ القران اعطي ثلث النبوة اي اعطي علم ثلث النبوة وقال بعض السلف ما جالس
احد القران فقام عنه خاليا بل اما ان يربح واما ان يخسر ثم تلى قوله وننزل من القران ما هو شفا ورحمة للمومنين
ولا يزيد الظالمين الا خسارا وقيل لك او عليك في المباحث الشرعية والوقايع الحكمية لانه المرجع عند التنازع
فتستشهد به على صحة دعواك او يستند به خصمك عليك فاية كان بعض المتصدرين للقراة في
الجامع العتيق قد حلف بالطلاق الثلاث انه لا يجيز احدا يقرا عليه فيستحق الاجازة الا بخمسة دنانير
فاتفق انه قرا عليه رجل فقير فلما اكمل ساله الاجازة فاخبره بيمينه فتالم خاطره فاخبر به اصحابه فجمعوا
له خمسة دنانير فاتى بها للشيخ فلم ياخذها فخرج من عنده فراى المحمل يدار به فقال والله لا انفقت هذه
الا في الحج فاشترى ما يحتاجه وسار حتى وصل الى مكة فلما قضى مناسكه رحل الى المدينة الشريفة فلما وصل
الى قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم قال السلام عليك يا رسول الله ثم قرا عشرا جمع فيه الايمة السبعة
وقال هذه قراتي عن فلان عن فلان عنك عن جبريل عليكما الصلاة والسلام عن الله سبحانه وتعالى وقد سالت
شيخي الاجازة فابى علي وقد استغثت بك يا رسول في تحصيلها ثم نام فراى النبي صلى الله عليه وسلم
وقال له سلم على شيخك وقل له رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لك اجزني بلا شي فان لم يصدقك
فقل له بامارة زمرا زمرا فلما وصل الفقير الى مصر اخبر شيخه وبلغه الرسالة بغير امارة فلم يصدقه
فقال له بامارة زمرا زمرا فصاح الشيخ وخر مغشيا عليه فلما افاق ساله اصحابه عن ذلك فقال كنت كثيرا
ما اتلو القران فمررت يوما على قوله تعالى ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني وان هم الا يظنون
فحلفت لا اقرا القران الا متدبرا فيه فلا اتجاوز من القران الا اليسير مدة طويلة حتى نسيته فقمت خ
فكبرت عن عيني وشرعت في حفظه فحفظته فبينما انا اتلو ذات يوم فمررت على قوله تعالى ثم اورثنا
الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الاية فقلت ليت شعري من اي الاقسام انا ثم قلت لست
من الثالث ولا من الثاني بيقين فيتعين ان اكون من القسم الاول فنمت تلك الليلة
حزينا فرايت النبي صلى الله عليه وسلم فقال بشر قراء القران انهم يدخلون الجنة زمرا زمرا
ثم اقبل على ذلك الفقير يقبل وجهه قال اشهدكم علي اني قد اجزته ليقرا ويقري من شاء وكل ذلك
ببركة رسول الله صلى الله عليه وسلم كل الناس اي كل انسان يغدو يقال غدا يغدو اذا بكر
اي كل انسان يصبح في اول النهار ساعيا في تحصيل اغراضه والغد وسير اول النهار ضد

الرواح ملحوظ من الغدوة بالضم ما بين الفجر وطلوع الشمس فبايع نفسه خبر مبتدا محذوف اي
فهو بايع نفسه والمبتدا لكثرة حذفه معروفا الخبر فمعتقها من عذاب النار او موبقها مهلكها
وقوله فمعتقها خبر اخر او بدل من قوله فبايع نفسه واراد بالبيع المبادلة فان عمل خيرا وجد خيرا
فيكون معتقها من النار وان عمل شرا استحق شرا فيكون موبقها او اراد بالبيع الشرا بقرينة
قوله فمعتقها اذ الاعتاق انما يصح من المشتري اي ممن ترك الدنيا واثر الاخرة اشترى نفسه
من ربه في الدنيا فيكون معتقها ومن ترك الاخرة واثر الدنيا اشترى نفسه بالاخرة فيكون موبقها
فجعل مرور الزمان وانقضاء الانفاس بمنزلة بذل الثمن بمقابلة ما اختاره من المثمن من خير او شر
ولبعضهم نفسي الى ما ضرني داعي يكثر اسقامي واوجاعي كيف احتيالي من عدوي اذا كان عدوي بين اضلاعي
وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال من قال حين يصبح اللهم اني اصبحت اشهدك واشهد حملة عرشك
وملايكتك وجميع خلقك انك انت الله لا اله الا انت وحدك لا شريك لك وان محمدا عبدك
ورسولك مرة اعتق الله ربعه من النار او مرتين فنصفه او ثلاثا فثلاثة ارباعه او اربعا فكله
وكذا اذا امسى لانه بتكرير هذه الكلمات اربع مرات تبلغ حروفها ثلاثمائة وستين حرفا وان ادم مركب
من ثلاثمائة وستين عضوا فاعتق الله بكل حرف عضوا فان قلت من اعتق بعض عبده كمل عليه
فكيف فكيف لا يكمل العتق لمن قال ذلك مرة او مرتين او ثلاث فالجواب ان التكميل يقع قهرا
والله تعالى منزه عن ذلك ولان ملك الله لعباده حقيقي وملك العبد لمن في ملكه مجازي فيزال
بادنى الامور ولان العتق بالسراية انما يكون في عتق يحصل به الخروج عن ملك المالك لا في العتق
من النار او لان العتق بالسراية رفقا بالمعتق بالكسر لانه يحصل به عتق جميعه من النار لحديث
من اعتق رقبة مومنة اعتق الله بكل عضو منها عضوا منه من النار حتى الفرج بالفرج وهذا
لا ياتي مثله في حق الله رواه مسلم وكذا احمد والترمذي باللفظ المذكور من صحابيه وقد قال ابن القطان
اكتفوا بكونه في مسلم فلم يبحثوا عنه وقد بين الدارقطني وغيره انه فيه انقطاعا الحديث الرابع والعشرون
عن ابي ذر جندب بن جنادة المتخلي عن الدنيا المشمر للعقبى الغفاري بكسر الغين المعجمة وفتح الفا
نسبة الى غفار قبيلة من كنانة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي بصيغة المضارع
اصله يرويه فحذف عايد الموصول وفي رواية فيما روي عن ربه عز وجل فهو من جملة الاحاديث
القدسية وكان ابو ادريس راويه عن ابي ذر اذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه انه
قال يا عبادي جمع عبد وهو لغة الانسان يتناول الحر والعبد والذكر والانثى لكن المراد به هنا
بدلالة قوله الاتي انسكم وجنكم جميع الثقلين لتساويهم في التكليف وتعاقب القوي والضعف
وقال البيضاوي يجوز ان يكون شاملا لذوي العلم كلهم من الثقلين والملايكة ويكون ذكر الملايكة
مطويا في قوله وجنكم وتوجه الخطاب نحوهم لا يتوقف على الفجور منهم وعلى امكانه لانه كلام صادر
على سبيل الفرض والتقدير انتهى وفيه بحث لانه صرح فيما ياتي بالانس والجن دون الملايكة فدل على
على ارادتهم دونهم خصوصا والملايكة ليسوا من اهل الضلال والطعام وتقدير ذلك فيهم بعيد
ويا حرف نداء وضع لنداء البعيد وقد ينادى به القريب تنزيلا له منزلة البعيد اما لعظمته

كيا رب يا الله وهو اقرب اليه من حبل الوريد او لغفلته كما هنا فانهم غافلون عن تلك الامور العظيمة
او للاعتنا بالمدعو اليه وزيادة الحث عليه كما في يا ايها الناس اعبدوا ربكم اني حرمت
من التحريم وهو لغة المنع فشبه سبحانه وتعالى تنزهه عن الظلم بتحرز المكلف عما نهي عنه
شرعا في الامتناع عنه واستعار له التحريم ثم اشتق له الفعل فيكون استعارة تبعية الظلم
هو لغة وضع الشي في غير محله وشرعا التصرف في ملك الغير بغير حق او مجاوزة الحد وكلاهما
محال اذ لا ملك ولا حق لغيره ولا احد معه بل هو الذي خلق المالكين والاملاك وتفضل عليهم بها
وحد لهم الحدود وحرم واحل فلا حاكم يتعقبه ولا حق يترتب عليه تعالى عن ذلك علوا كبيرا على نفسي
اي تنزهت وتعاليت عنه لقوله تعالى ان الله لا يظلم الناس شيئا فالظلم مستحيل على الله عز وجل
وذهب المعتزلة الى ان الله تعالى قادر على الظلم وهو متصور منه لكن لا يفعله عدلا منه وتنزها
واحتجوا بقوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد وهو تمدح بنفي الظلم والحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ويصح
منه فلو قال الشخص اني منعت نفسي من صعود السما لسخر منه ورد قولهم بانه لو جاز ان يكون مقدورا له
لجاز ان يكون موصوفا به تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا وقولهم ان الحكيم لا يتمدح الا بما يقدر عليه ممنوع
لانه قد يتمدح الانسان بحسن القامة والخلق الحسن الذي هو جبلة فيه وغريزة له فان قيل ظلام من
صيغ المبالغة فيوهم ان المنفي المبالغة في الظلم وكثرته لا هو من اصله فالجواب من عدة اوجه وهي ان
هذه الصيغة وهي صيغة فعال قد تاتي للنسبة كتمار فقوله بظلام اي بمنسوب الى الظلم وذلك
ينفيه من اصله وبانه وان كان للكثرة لكن جي به في مقابلة العبيد الذي هو جمع كثرة ويرشحه قوله
تعالى علام الغيوب عالم الغيب حيث قابل في الاول المبالغة بالجمع وفي الثاني صيغة اسم الفاعل
الدالة على اصل الفعل بالواحد وبان صيغة المبالغة وغيرها في صفاته تعالى سوا في الاثبات
فجري النفي على ذلك وبانه تعريض بان ثم ظلاما للعبيد من ولاة الجور وقال بعضهم صفات الله
تعالى بلغت غاية الكمال فلو اتصف بالظلم كان عظيما نعاه على حد عظمته لو كان ثابتا او اراد نفي
اصل الظلم لكن القليل بالنسبة الى رحمته العامة الزائدة كثير وقضية هذا الحديث جواز اطلاق
النفس على الله تعالى على غير وجه المشاكلة وهو الصحيح كما قال امام الحرمين بدليل كتب على نفسه
الرحمة ويحذركم الله نفسه وادعا انه مشاكلة تقديرية تكلف وقول اهل المعاني انها لا تطلق
عليه الا مشاكلة كقوله تعالى تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك غير صحيح كما قال السبكي وجمع
بعض المحققين بين القولين فقال النفس لها معنيان الذات وهذا يصح اطلاقه من
غير مشاكلة والجسم وهذا لا يطلق عليه الا مشاكلة وقد قال الزمخشري في قوله تعالى ولا
تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار النهي يتناول الانحطاط في هواهم والانقطاع اليهم
ومصاحبتهم وزيارتهم ومداهنتهم والرضا باعمالهم والتشبه بهم والتزي بزيهم ومد العين
الى زهرتهم وذكرهم بما فيه تعظيم لهم وتامل قوله تعالى ولا تركنوا فان الركون هو الميل الى الظا

الظالمين وحكي ان الواثق صلى خلف الامام فقرا الامام هذه الاية فغشي عليه فلما افاق قال هذا فيمن ركن
فكيف بالظالم وقال الحسن جعل الله الدين بين ولا تركنوا ولا تطغوا ولما خالط الزهري السلاطين
كتب اليه اخ له في الدين عافانا الله واياك من الفتن فقد اصبحت بحال ينبغي لمن عرفك ان يدعو
لك ويرحمك اصبحت شيخا كبيرا وقد اثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه صلى الله
عليه وسلم واعلم ان ايسر ما ارتكبت واخف ما احتملت انك انست وحشة الظالم وسهلت سبيل
الغي بدنوك ممن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين ادناك اتخذوك قطبا تدور عليك رحى
باطلهم وجسرا يعبرون عليك الى بلائهم وسلما يصعدون فيه الى ضلالهم يدخلون الشك بك على العلما
ويقتادون بك قلوب الجهلا فما ايسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك وما اكثر ما اخذوا منك مما
افسدوا عليك من دينك فما يومنك ان تكون ممن قال الله فيهم فخلف من بعدهم خلف اضاعوا الصلاة
الاية وانك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل فداو دينك فقد دخله سقم وهيئ زادك
فقد حضر السفر البعيد وما يخفى على الله من شي في الارض ولا في السما وروي ان عمر بن عبد العزيز
لما استخلف قال زهاد الشام هذا العبد الصالح الذي قام على الناس قبلهم وما علمكم بذلك قالوا
اذا قام على الناس خليفة عدل كففت الدنيا عن شيا كهنا وجعلته اي الظلم بينكم محرما
اي حكمت بتحريمه عليكم ومنعتكم منه سوا كان كاخذ مال او لا كظلم النفس وروي الشيخان الظلم ظلمات
يوم القيمة ورويا ايضا ان الله ليملي للظالم حتى اذا اخذه لم يفلته ثم قرا وكذلك اخذ ربك اذا اخذ
القرى وهي ظالمة وروى البخاري من كانت عنده مظلمة لاخيه فليستحله منها فانه ليس ثم دينار ولا
درهم من قبل ان يوخذ لاخيه من حسناته فان لم يكن له حسنات اخذ من سيات اخيه فطرحت
عليه وفي الحديث الصحيح اتدرون من المفلس قالوا يا رسول الله المفلس فينا من لا دينار له ولا
متاع قال ان المفلس من امتي من اتي يوم القيمة بصلاة وزكاة وصيام وقد شتم هذا وضرب هذا
واخذ مال هذا فياخذ هذا من حسناته وهذا من حسناته فان فنيت حسناته قبل ان
يقضي ما عليه اخذ من سياتهم فطرح عليه ثم طرح في النار وقال عليه الصلاة والسلام من
دعا للظالم بالبقا فقد احب ان يعصى الله في ارضه ولما ظلم احمد بن طولون استغاث الناس
من ظلمه وتوجهوا الى السيدة نفيسة وشكوا ذلك اليها فقالت لهم متى يركب قالوا في غد
فكتبت في رقعة ووقفت في طريقه وقالت ابن طولون فلما راها عرفها فنزل من فرسه
واخذ منها الرقعة وقراها واذا فيها ملكتم فاسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم ففسقتم ورددت
اليكم الارزاق فقطعتم هذا وقد علمتم ان سهام الاسحار نافذة غير مخطية لاسيما من قلوب
اوجعتموها واكبادا جوعتموها واجسادا عريتموها اعملوا ما شئتم فانا صابرون وجوروا
فانا بالله مستجيرون واظلموا فانا لله متظلمون وسيعلم الذين ظلموا اي منقلب ينقلبون
قال فعدل لوقته وهذا وما قبله توطية لقوله فلا تظالموا بتخفيف الظا اصله تتظالموا
حذفت احدى التاءين تخفيفا ويجوز تشديد الظا بادغام الاخرى فيها وزعم

بعضهم انه الروايه اي لا يظلم بعضكم بعضا فان الله يقتص للمظلوم من الظالم بقدر ظلامته وفي الحديث ينادي
منادي يوم القيمة اين الظلمة واشياع الظلمة حتى من لاق لهم دواة او برا لهم قلما فيجمعون في تا
بوت من حديد فيرمي بهم في جهنم وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من مشى مع مظلوم
ليعينه على مظلمته ثبت الله قدميه على الصراط يوم تزل الاقدام ومن مشى مع ظالم ليعينه على ظلمه
ليعينه ازل الله قدميه على الصراط يوم تدحض فيه الاقدام وبعث عبد الرحمن بن مسلم الى الضحاك
بعطاء اهل بخارى وقال اعطهم فقال اعفني فلم يزل يستعفيه حتى اعفاه فقال له ما عليك ان تعطيهم انت
ولا ترزاهم شيا فقال اني لا احب ان اعين الظلمة على شي من امرهم فايدة ان قيل اي اية في كتاب الله
احوف فالجواب قيل ويحذركم الله نفسه وقيل سنفرغ لكم ايها الثقلان وقيل فاين تذهبون وقيل
من يعمل سوا يجز به وقيل افحسبتم انما خلقناكم عبثا وقيل ان بطش ربك لشديد وقيل ام حسب
الذين اجترحوا السيئات قال الهيتمي ولما ذكر تعالى ما اوجبه من العدل وحرمة الظلم على نفسه
وعلى عباده اتبعه بذكر احسانه اليهم وغناه عنهم وفقرهم اليه وانهم لا يقدرون على جلب منفعة
لانفسهم ولا دفع مضرة عنهم الا ان يكون هو الميسر لذلك مشيرا الى ذلك الجلب والدفع اما في الدين
او الدنيا فصارت اربعة اقسام وهي الهداية والمغفرة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدين
والاطعام والكسوة وهما جلب منفعة ودفع مضرة في الدنيا واهم هذه الاقسام طلب الهداية
ولذا افتتح بها فقال يا عبادي كرر النداء زيادة لتعظيمهم وتشريفهم كلكم ضال اصل الضلال في
اللغة الغيبوبة يقال ضل الماء في اللبن اذا غاب فيه ومنه قول الرجل الذي قال لبنيه اذا امت فاحرقوني
ثم ذروني في الريح لعلي ان اضل ربي اي يخفى موضعي عليه وضل الكافر اذا غاب عن الحجة ومن هذا
قوله أئذا ضللنا في الارض اي غبنا فيها بالموت وصرنا ترابا ومنه قوله في الانعام وضل عنكم ماكنتم
تعملون يعني غاب عنكم ذكر ما كنتم تزعمون وقال في الانعام وضل عنكم ماكنتم تفترون يعني غاب عنكم
ذكر الالهة ويطلق الضلال بمعنى النسيان ومنه قوله تعالى ان تضل احداهما فتذكر احداهما الاخرى
ومعنى تضل تغفل وتسهو وضل اي لم يهتد يقال رجل ضال اذا اخطا الطريق ورجل مضلل اذا
لم يتوجه لخير قال الشاعر الم تسئل فتخبرك الديار عن الحي المضلل اين ساروا وليس المراد بالضلال
المحبة كما في قوله تعالى حكاية عن اخوة سيدنا يوسف انك لفي ضلالك القديم اي في محبتك القديمة ليوسف
وكما قاله بعض المفسرين في قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي محبا له فهداك ويطلق الضلال بمعنى عدم العلم
بتفصيل الامور وعليه حمل اكثر المفسرين قوله تعالى ووجدك ضالا فهدى اي غير عالم تفصيل شرعك او قوله
كلكم ضال اي فاقد طريق الهداية او سالك طريق غيرها من الضلالة وهي فقدان طريق يوصل الى المطلوب
وقيل سلوك طريق لا يوصل اليه وضلال الطريق العدول عن سمته الا من هديته الهداية هي لغة الدلالة
بلطف ولذا لا تستعمل في غير الخير الا تهكما كقوله تعالى فاهدوهم الى صراط الجحيم وفي عرف اهل الحق
الدلالة على طريق يوصل الى المطلوب حصل او لم يحصل وعند المعتزلة الدلالة الموصلة اليه قال بعضهم
ولا نزاع بينهم في الحقيقة لان الهداية تجي تارة بمعنى خلق الاهتدا نحو يهدي من يشا فلذا نفي

الهداية في قوله تعالى انك لا تهدي من احببت وتارة بمعنى بيان الحق فلهذا نسبت اليه صلى الله عليه
وسلم وانك لتهدي الى صراط مستقيم وذكر الخازن في تفسير قوله تعالى هذا بيان للناس وهدى وموعظة
للمتقين ما نصه وقيل في الفرق بين البيان والهدى والموعظة لان العطف يقتضي المغايرة فالبيان
هو الدلالة التي تفيد ازالة الشبهة بعد ان كانت حاصلة والهدى هو طريق الرشد المامور بسلوكه
دون طريق الغي والموعظة هي الكلام الذي يفيد الزجر عما لا ينبغي في طريق الدين فاستهدوني
اي اطلبوا مني الهداية اي الدلالة الموصلة الى طريق الحق اهدكم بفتح الهمزة وكسر الدال الى الطريق
المستقيم وفي هذا اشارة الى انه تعالى لا يجب عليه شي خلافا للمعتزلة بقولهم في وجوب الصلاح والاصلح عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا يا عبادي كلكم جايع الا من اطعمته لان الخلق ملكه ولا ملك
لهم بالحقيقة وهو الرزاق وخزاين الرزق بيده وهم عبيد لا يملكون شيا فمن لم يطعمه بفضله بقي
جايعا بعدله اذ ليس له عليه اطعام احد فان قلت كيف هذا مع قوله عز وجل وما من دابة في الارض
الا على الله رزقها فالجواب ان هذا الالتزام منه تفضل لا ان عليه للدابة حقا بالاصالة اذ لا يجب
عليه شي وشبه هذا قوله تعالى انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب
ولا يمنع من نسبة الاطعام اليه ما يشاهد من ترتب الارزاق على اسبابها الظاهرة كالصنايع
لانه المقدر لها بحكمته الباطنة فالجاهل محجوب بالظاهر عن الباطن والكامل لا يحجبه ظاهر عن
باطن ولا عكسه بل يعطي كل مقام وحال حقه واعلم ان المقرر في علم الكلام ان من اعتقد ان شيا من
الاسباب العادية يوثر بطبعه اي بذاته وحقيقته فهو كافر اجماعا وان من اعتقد ان الله
خلق فيها قوة توثر فهو فاسق مبتدع وفي كفره قولان ومن اعتقد انها لا توثر بطبعها ولا بقوة
جعلها الله فيها وانما الموثر هو الله تعالى ولكن التلازم بينها وبين ما قارنها عقلي لا يمكن تخلفه
فهذا جاهل بحقيقة الحكم العادي وربما جره ذلك الى الكفر وان من اعتقد حدوث الاسباب وانها
لا توثر بطبعها ولا بقوة جعلها فيها ويعتقد صحة التخلف بان يوجد السبب العادي ولا يوجد
المسبب وان الموثر في السبب والمسبب هو الله تعالى فهو الموحد الناجي فايدتان الاولى ورد في الحديث
ان من الملايكة ملكا له اربعة اوجه وجه كوجه الانسان وهو يسال الله تعالى الرزق لبني ادم ووجه كوجه
الاسد وهو يسال الله تعالى الرزق للسباع ووجه كوجه الثور وهو يسال الله تعالى الرزق للبهايم ووجه
كوجه النسر وهو يسال الله تعالى الرزق للطير واخرج الشيخان وغيرهما المسلم ياكل في معا واحد والكافر
ياكل في سبعة امعا واخرج مسلم اضاف رسول الله صلى الله عليه وسلم ضيفا كافرا فامر رسول الله صلى الله عليه
وسلم فحلبت شاة فشرب حلابها ثم اخرى فشرب حلابها حتى شرب حلاب سبع شياه ثم انه اصبح فاسلم فامر
له رسول الله صلى الله عليه وسلم بشاة فحلبت فشرب حلابها ثم اخرى فلم يستتمه فقال صلى الله عليه وسلم
ان المسلم يشرب في معا واحد والكافر في سبعة امعا واخرج البزار بسندين احدهما رجاله ثقات
اكثر الناس شبعا في الدنيا اكثرهم جوعا يوم القيمة قاله لابي جحيفة لما تجشى قال فما ملات بطني منذ
ثلاثين سنة الثانية اخرج البيهقي بسند فيه ابن لهيعة عن عايشة رضي الله عنها قالت راني رسول
الله صلى الله عليه وسلم وقد اكلت في اليوم مرتين اما تحبين ان يكون لك شغل الا جوفك الاكل في اليوم
مرتين من الاسراف والله لا يحب المسرفين وصح خبر من الاسراف ان تاكل كلما اشتهيت فاستطعموني

اي سلوني الاطعام ولا يغرنّ ذا الكثرة ما في يده فانه ليس بحوله وقوته بل الله تعالى المتفضل عليه
تنبيه الطعام ورد في القران على وجوه الاول الطعام الذي جاكله الناس كقوله تعالى اطعمهم
من جوع وامنهم من خوف وقال في الانعام وهو الذي يطعم ولا يطعم الثاني الذبايح كقوله تعالى في المايدة
وطعام الذين اوتوا الكتاب حل لكم يعني ذبايحهم حل لكم وذبايحكم حل لهم الثالث الطعام بمعنى
السمك كقوله تعالى احل لكم صيد البحر وطعامه يعني السمك الرابع بمعنى الشرب كقوله تعالى ليس
على الذين امنوا وعملوا الصالحات جناح فيما طعموا اي شربوا من الخمر قبل التحريم وكقوله تعالى في البقرة
ومن لم يطعمه فانه مني يعني ومن لم يشربه فانه مني فينبغي لرمع ذلك ان لا يغفل عن سوال ادامة
الله نعمته عليه لانه قلما نزعت عن انسان فعادت اليه كما قال صلى الله عليه وسلم ما نزعت النعمة عن قوم
فعادت اليهم اطعمكم اي ايسر لكم اسباب تحصيله لان العالم كله حيوانه وجماده مطيع لله فسخر السحاب
السحاب يسقي في بعض الامكنة ويحرك قلب فلان لاعطا فلان ويحوج فلانا الى فلان لينال منه نفعا
والانسان وان صبر على الجوع لا بد له من الطعام فقد كان عبد الرحمن بن ابي نعم لا ياكل في الشهر الا مرة فادخله
الحجاج بيتا واغلقه فتحه بعد خمسة عشر يوما ظانا انه مات فوجده قايما يصلي فقال تصلي بغير وضو فقال
انما يحتاج للوضو من ياكل ويشرب وانا على الطهارة التي دخلتني عليها واسر الروم امراة في زمن سيف
الدولة فهربت ومشت مايتي فرسخ لم تاكل شيا فقال لها سيف الدولة كيف قويت على المشي
فقالت كلما جعت قرات قل هو الله احد ثلاث مرات فاشبع وفي الحديث لا يدخل ملكوت السماء
من ملأ بطنه وقال لعايشة ادعوا لقرع باب الجنة يفتح لكم قالت وكيف نديم قال بالجوع والظماء
وقال ايضا ما من عمل احب الى الله من الجوع والظما فان شئت قال الزمخشري لو سيل اهل القبور
ما سبب قصر اجالكم لقالوا التخمة ولقد احسن القايل فيمن اكثر اكله فقال يميت الطعام القلب ان زاد كثرة
كزرع اذا بالما قد زيد سقيه وان لبيبا يرتضي نقص عقله باكل لقيمات لغد ضل سعيه يا عبادي
كلكم عار لحاتزل من بطن امه محتاج الى الكسوة الا من كسوته فاستكسوني اي اسيلوني الكسوة وهي اللباس الستر
بفتح الهمزة وكسر السين وضمها اي ايسر لكم الاسباب المحصلة لها ومما نقل عن حكم عيسى على نبينا وعليه افضل الصلاة
والسلام ابن ادم انت اسوء بربك ظنا حين كنت اكمل الناس عقلا لانك تركته الحرص حين كنت جنينا محمولا ورضيعا
ملفولا ثم ادركته عاقلا قد اصبت رشدك وبلغت اشدك وذكر الطعام واللباس لشدة الحاجة اليهما
اذ لا مندوحة عنهما بل هما اصل من امور الدين وتحمل بها منافع يا عبادي انكم تخطئون بضم التاء وكسر
الطاء على الاشهر اي تفعلون الخطيئة عمدا وروي بفتح التاء والطاء على وزن تفرقون ويقال خطا اذا فعل ما ياثم
به فهو خاطي ومنه انا كنا خاطئين ويقال في الاثم ايضا اخطا فهما صحيحان قاله المولف وزعم بعضهم انه
لا يجوز ان يكون هذا من الرباعي لانه الفعل عن غير عمد وهو لا يواخذ به لحديث رفع عن امتي الخطا والنسيان
والكلام انما هو فيما فيه اثم بدليل فاستغفروني بخلافه من الثلاثي فانه يكون عن عمد ونوزع بانه لا نسلم
ان اخطا منحصر في الفعل من غير قصد بل ياتي بمعنى الثلاثي ايضا اي فعل الخطيئة عمدا بالليل والنهار
قدم الليل لشرفه واصالته لانه وقت العبادة والخلوة ولان الظلمة هي الاصل والنور طار عليها يسترها
ولان الشهور غررها الليالي وقوله بالليل والنهار من باب مقابلة الجمع بالجمع اي يصدر منكم الخطا
لا دايما بل من بعضكم ليلا ومن بعضكم نهارا اذ الغالب ان العبد لا يستغرق الدهر كله في الخطايا

وانا

وانا اغفر الذنوب جميعا هو كقوله تعالى ان الله يغفر الذنوب جميعا وهو عام مخصوص بما عدا الشرك
وما لا يشا الله مغفرته كقوله تعالى ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا
وسبب نزول الايتين ما روي عن ابن عباس قال اتى وحشي الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد اتيتك
مستجيرا فاجرني حتى اسمع كلام الله فقال رسول الله قد كنت احب ان اراك على غير جوار فاما
اذا اتيتني مستجيرا فانت في جواري حتى تسمع كلام الله فانزل الله والذين لا يدعون مع الله الها اخر الى
قوله مهانا فقال قد فعلت هذا كله انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله الا من تاب وامن وعمل
صالحا الاية فقال ارى شرطا فلعلي لا اعمل صالحا انا في جوارك حتى اسمع كلام الله فانزل الله تعالى
ان الله لا يغفر ان يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشا فقال لعلي ممن لا يشا الله انا في جوارك حتى اسمع
كلام الله فانزل الله عز وجل قل يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الاية
قال نعم الان لا ارى شرطا فاسلم وقوله وانا اغفر الذنوب جميعا اورد الخبر مضارعا لافادة الاستمرار
التجددي وعرف الذنوب بلام الاستغراق واكدها بقوله جميعا المفيد كل منهما العموم ليقوي
الرجا فلا يقنط احد من رحمة الله لعظيم ذنبه فاستغفروني اي اطلبوا مني مغفرة ذنوبكم
واصل الغفر الستر وغفرت المتاع سترته والمغفر وقاية تستر الراس في الحرب وغفران الذنب
ستره اغفر لكم لقوله صلى الله عليه وسلم لولا تذنبون وتستغفرون لذهب بكم ولجاء بقوم غيركم
فيذنبون ويستغفرون فيغفر لهم قيل ومن لازم على هذه الاشيا السبعة عاش سعيدا ومات
شهيدا احدها ان يقول عند ابتدا كل شي بسم الله وعند الفراغ منه الحمد لله واذا راى ما يكره قال
لا حول ولا قوة الا بالله واذا راى ما يستعظم قال لا اله الا الله واذا اصابته مصيبة قال انا لله
وانا اليه راجعون واذا راى ذنبا استغفر الله واذا راى انه يعمل فعلا قال ان شا الله فينبغي
للانسان ان يعود لسانه عليها وذكر عن وهب بن منبه ان ابليس عليه لعنة الله لقي يحيى بن زكريا
عليهما الصلاة والسلام فقال يحيى اخبرني عن طبايع بني ادم عندكم فقال ابليس اما صنف منهم فهم
مثلك معصومون لا نقدر عليهم على شي وصنف ثان فهم في ايدينا كالكرة في ايدي الصبيان
وقد كفونا انفسهم وصنف منهم وهم اشد الاصناف علينا نقبل على احدهم حتى ندرك منه حاجتنا ثم
ينزع الى الاستغفار فيفسد علينا ما ادركنا منه فنحن لا نياس منه ولا ندرك حاجتنا منه
يا عبادي انكم لن تبلغوا ضري بفتح الضاد وضمها فتضروني بحذف نون الاعراب في جواب النفي ولن
تبلغوا نفعي فتنفعوني اي لا يتحقق ضر ولا نفع فتضروني او تنفعوني قال تعالى ان احسنتم احسنتم لانفسكم
وان اساتم فلها وما اقتضاه ظاهر الحديث ان لضره او نفعه غاية لكن لا يبلغها العباد غير مراد
بل هو موول بما ذكر من باب قوله ولا ترى الضب بها ينجحر وقوله على لاحب لا يهتدى لمناره اي لا ضب
فيها فلا انجحار ولا منار له فلا اهتداء والمعنى هنا لا يتعلق بي ضر ولا نفع فتضروني او تنفعوني قال بعض الكاملين
وفي قوله لن تبلغوا ضري الخ اشعار بان ما تقدم من الهداية والاطعام والكسوة والغفران ليس لدفع ضر
ولا لجلب نفع بل هو محض فضل يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم سمي الانس انسا لظهورهم
وانهم يونسون اي يبصرون وسمي الجن جنا لاجتنانهم قال في شرح المقاصد والجن اجسام لطيفة

هوائية تتشكل باشكال مختلفة وتظهر منها احوال عجيبة والشياطين اجسام نارية شانها القا الناس
في الفساد والغواية انتهي والظاهر ان المراد كل منها كما يدل عليه السياق تتمة قال المولف الجن موجودون
وقد يراهم بعض الادميين واما قوله تعالى انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم فمحمول على الغالب
ولو كانت رويتهم محالة لما قال صلى الله عليه وسلم في الشيطان الذي تغلب عليه في صلاته لقد هممت
ان اربطه حتى تصبحوا تنظرونه اليه كلكم تلعب به غلمان المدينة وقال القاضي عياض رويتهم على
خلقتهم وصورهم الاصلية ممتنعة لظاهر الاية الا الانبيا عليهم الصلاة والسلام ومن خرقت له
العادة وانما يراهم بنو آدم على غير صورهم كما جاء في الاثار قلت هذه دعوى مجردة فانه لم يصح لها مستند
فهي مردودة انتهى كلام المولف وجزم شيخ الاسلام بما جزم به المولف وقوله انسكم وجنكم
بيان وتفصيل بعد اجمال كانوا كلهم تقاة بررة على اتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي بضم
الميم شيا لفظ الترمذي ما زاد ذلك في ملكي جناح بعوضة ولفظ ابن ماجة لم يزد في ملكي جناح
بعوضة قيل اراد باتقى قلب رجل محمد صلى الله عليه وسلم يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم كانوا
كلهم عصاة مجرمة على اشقى قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيا ولفظ ابن ماجة ولو اجتمعوا
وكانوا على اشقى قلب عبد من عبادي لم ينقص من ملكي جناح بعوضة اي لا ينقص ملكه بكفر الكافرين
ولا بمعصية العاصين بل ملكه كامل لا نقص فيه بوجه من الوجوه واراد بالاشقى قلب الشيطان وهو من الجن
عند اكثر المتكلمين يا عبادي لو ان اولكم واخركم وانسكم وجنكم قاموا وللترمذي وابن ماجة اجتمعوا
في صعيد واحد الصعيد وجه الارض وظاهرها اي ارض واحدة ومقام واحد فسالوني فاعطيت
كل انسان منهم مسالته ما نقص ذلك الذي اعطيته مما عندي ولفظ الترمذي وابن ماجة من ملكي
اي لان امره بين الكاف والنون اذا اراد شيا قال له كن فيكون وفي مسند البزار عن ابي هريرة رضي الله
عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال خزاين الله الكلام اذا اراد شيا قال له كن فكان وليس المراد ان
هناك قولا يتوقف عليه الايجاد وانما هو كناية عن وجوده في اسرع وقت عقب تعلق الارادة به فعبر
عن تلك السرعة بقول كن اذ لا يمكن اقل منه في القول ولا يستنكر العطا الكثير مع عدم النقص
فالنار والعلم يقتبس منهما ولا ينقص منهما شي بل يزيد العلم بالعطا وقال القاضي قيد السوال بالاجتماع
في مقام واحد لان تزاحم السوال مما يضجر منه المسئول ويدهشه تعالى الله عن ذلك علوا
كبيرا الا كما ينقص المخيط بكسر الميم وسكون الخا المعجمة وفتح المثناة التحتية اي الابرة الة الخياط
اذا ادخل البحر المحيط بالدنيا اي بالنسبة الى راي العين اذ هو في راي العين لا ينقص من البحر شيا
من هذا البحر صح فكذلك العطا من الخزاين الالهية لا ينقصها شيا البتة وهذا نظاهر بما في قول الخضر لموسى ما نقص علمي
وعلمك من علم الله عز وجل الا كما ينقص هذا العصفور الذي راه يشرب من البحر لابد وان ينقصه
شيا وان قل والابرة يتعلق بها ما تبتل به الا انه بحسب الروية لا ينقص شيا ويحكى ان رجلا سال
ابن الجوزي عن شرب العصفور من البحر فقال افمه شي يضيع فيه وهذا جواب على جهة

التحقيق

التحقيق وقول الخضر لموسى على جهة التقريب واما لو فرضنا الوجود مملوا حبا واخذ العصفور منه واحدة
لنقص به بالضرورة لكن ليس ثم ما ينقصه ولفظ الترمذي الا كما لو ان احدكم بالبحر فغمسه فيه ابرة ثم
رفعها اليه ولفظ ابن ماجة الا كما لو ان احدكم مر بشفة البحر فغمس فيها ابرة ثم نزعها ونقص يستعمل
لازما كنقص المال ومتعديا نحو نقصت زيدا حقه وهو هنا متعد لان محل اذا ادخل البحر نصب فيه
يا عبادي انما هي الضمير راجع الى ما يفهم من قوله اتقى قلب رجل وافجر قلب رجل وهي الاعمال الصالحة والقبيحة
او هي ضمير الشان يفسره اعمالكم احصيها اضبطها واحفظها لكم بعلمي وملائكتي الحفظة لا لاحتياج لهم
بل ليكونوا بين الخالق وخلقه ولهذا يقال يوم القيمة لبعض الناس كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا وبالكرام
الكاتبين شهودا ثم اوفيكم اياها اي اعطيكم جزاءها تاما ما جزاء كان او شرا فحذف المفعول الثاني وهو
المضاف فانقلب الضمير المخفوض بالاضافة منصوبا منفصلا والتوفية اعطاء الحق على التمام والكمال
والتوفية تكون في الاخرة لقوله تعالى وانما توفون اجوركم يوم القيمة او في الدنيا ايضا لما روي انه صلى الله
عليه وسلم فسر ذلك بان المومنين يجازون بسيئاتهم في الدنيا ويدخلون الجنة بحسناتهم والكافر يجازي بحسناته
في الدنيا ويدخل النار بسيئاته فمن وجد خيرا اي ثوابا ونعيما او حياة طيبة هنيئة فليحمد الله تعالى على
توفيقه للطاعات والاعمال الصالحة وعدل عن التكلم الى الغيبة كما في انا اعطيناك الكوثر فصل لربك تجددا
لنشاط السامع واهتماما بذكر الله دون الضمير وتفخيما لشانه وايقاظا للاصغاء ومن وجد غير ذلك اي
شرا ولم يذكره للعظة تعليما لنا كيفية الادب في النطق بالكناية عما يوذي او يستهجن او يستحيى منه او اشارة
الى انه اذا اجتنب لفظه فكيف فعله فلا يلومن بالنون للتحذير الا نفسه لتفريطه بكسبه القبيح
المترتب عليه ذلك لان للعبد جزءا اختياريا وان كان بخلقه تعالى وايجاده على وفق ارادته والمعتزلة قالوا
فلا يلومن الا نفسه موذن بان العبد هو الخالق لافعاله القبيحة وردعا ورد شاهدا باستناد جميع
الكائنات الى الله تعالى ابتداء فالمعنى هنا فلا يلومن الا نفسه حيث اثرت شهواتها على رضى خالقها فكفرت
بانعمه ولم تذعن لاحكامه وحكمه فاستحقت ان يعاملها بمظهر عدله وان يحرمها مزايا جوده وفضله
رواه مسلم في كتاب الادب ورواه ايضا احمد والترمذي وابن ماجة من صحابيه المذكور ولجلالته
وعظم فوائده كان ابو ادريس راويه عن ابي ذر اذا حدث به جثا على ركبتيه تعظيما له الحديث الخامس
والعشرون عن ابي ذر ايضا ان اناسا هم فقراء المهاجرين كما بينه في رواية البخاري من حديث ابي هريرة
وسمى منهم في رواية ابي داود ابا بكر وفي رواية النسائي ابا الدرداء قال في الفتح والظاهر ان ابا هريرة
منهم وكذا زيد بن ثابت ولا تنافي بين فقراء المهاجرين وعد زيد مع انه انصاري لاحتمال التغليب
من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الاصحاب جمع صاحب وهو لغة من بينك وبينه مواصلة وان
قلت وعرفا قال الحافظ ابن حجر من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مومنا به ومات على ذلك والمراد باللقي ما هو اعم
من المجالسة والمماشاة ووصول احدهما الى الاخر وان لم يكالمه ويدخل فيه روية احدهما للاخر وهو اولى من
قول بعضهم من راى لانه يخرج ابن ام مكتوم ونحوه من العميان وهم صحابة بلا تردد وقوله مومنا به يخرج من
لقيه كافرا واسلم بعد موته كرسول قيصر ومن لقيه مومنا بغيره فقط من الانبياء ونقل شيخ الاسلام م
ان في كلام ابن حجر ما يدل على ان لقيه في حال نبوته وح فيخرج من لقيه مومنا بانه سيبعث ولم يدرك البعثة
كزيد بن عمرو بن نفيل وعده ابن منده من الصحابة قال شيخ الاسلام ولا بد ان يكون اللقي قبل وفاته

ليخرج من بعدها كما وقع لابي ذؤيب خويلد بن خالد الهذلي واشترط شيخ الاسلام ايضا في الملاقي ان
يكون مميزا فيخرج عبد الله بن عدي بن الخيار الذي احضر اليه عليه الصلاة والسلام غير مميز ومن
حنكه من الاطفال كعبد الله بن الحارث بن نوفل وعبد الله بن طلحة الانصاري او مسح وجهه كعبد
الله بن ثعلبة بن صعير فهولاء لهم روية وليس لهم صحبة وهو ظاهر كلام ابي زرعة الرازي وابي حاتم وابي داود
وجزم ابن قاسم تلميذ المحلي في شرح جمع الجوامع بعدم اشتراط التمييز وبه جزم السنهوري مصرحا
بان فيه خلافا واما من ارتد بعد صحبته فقضية مذهب مالك احباط العمل بمجرد الردة لانهم يرون احباط
العمل بها فلا يسمى صحابيا الا اذا عاد الى الاسلام ولقي النبي صلى الله عليه وسلم كعبد الله بن ابي سرح وقضية
من لا يرى الاحباط الا بالموت كالشافعية انه يسمى صحابيا اذا عاد للاسلام بعد موته صلى الله عليه وسلم
كما في الاشعث بن قيس فانه ارتد واتي به اسيرا الى ابي بكر فعاد للاسلام فقبل منه وزوج اخته والظاهر اشتراط
رويته في عالم الشهادة فلا يطلق اسم الصحبة على من راه من الملائكة والنبيين واستشكل ابن الاثير
ذكر مومني الجن في الصحابة دون مومني الملائكة وهم اولى بالذكر من هولاء واجيب بان الجن من جملة المكلفين
الذين شملتهم الرسالة والبعثة فكان ذكر من عرف اسمه ممن راه حسنا بخلاف الملائكة والظاهر
ان عيسى يطلق عليه اسم الصحبة ايضا لانه راه في الارض قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم بالهمز من
النبا وهو الخبر وعليه ففعيل يحتمل ان يكون بمعنى مفعول اذ هو منبا بالغيب او بمعنى فاعل
اذ هو منبئ بما اطلعه الله عليه ويصح ترك الهمز في هذين الوجهين تسهيلا واما في لغة من
لا يهمزه فهو ماخوذ من النبوة بفتح النون وهي ما ارتفع من الارض يقال نبا الشي اذا ارتفع
فالمعنى على هذا ان النبي مرفوع الرتبة ونهيه صلى الله عليه وسلم عن المهموز بقوله لا تقولوا يا نبي
الله اي بالهمز بل قولوا يا نبي الله بلا همز لانه قد يرد بمعنى الطريد فخشي صلى الله عليه وسلم في الابتدا
سبق هذا المعنى الى بعض الاذهان فنهاهم عنه فلما قوي اسلامهم وتواترت به القراة نسخت النهي
لزوال سببه ذهب اهل الدثور الذهاب المضي ويستعمل في المعاني والاعيان يقال ذهب في الارض
ذهابا مضى وذهب مذهب فلان قصد قصده وطريقته وذهب في الدين مذهبا راى فيه رايا واحدث
فيه بدعة والدثور بضم المهملة والمثلثة جمع دثر بفتح فسكون كفلوس جمع فلس وهو المال الكثير
قال الخطابي ووقع في رواية البخاري اهل الدور وجرى عليه صاحب المطالع وهو غلط والصواب الدثور كذا
رواه الناس كلهم بالاجور جمع اجر وهو ما يعود على الانسان من ثواب عمله الدنيوي او الاخروي والمراد
هنا الثاني ولا يقال الا في النفع دون الضر بخلاف الجزا ورواية البخاري بالدرجات العلى والنعيم المقيم واحترز
بالمقيم من العاجل فانه قل ما يصفو وان صفا قليلا اعقبه الكدر والزوال وزاد البخاري في الدعوات
قال وكيف ذلك قالوا يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم زاد في حديث ابي الدرداء ويذكرون كما نذكر
ويتصدقون بفضول اموالهم اي باموالهم الفاضلة عن كفايتهم وقيدوا بذلك بيانا لفضل الصدقة فانها ان
بغير الفاضل عن الكفاية مكروهة بل قد تحرم لحديث كفى بالمرء اثما ان يضيع من يعول ولفظ البخاري في الا
وانفقوا من فضول اموالهم وليس لنا اموال ويسلم في الصلاة ويتصدقون ولا نتصدق ويعتقون
ولا نعتق وقد لهم ذلك بل حسدوا بل تحسروا على ما فاتهم من الصدقة والبر مما لا يقدرون عليه وتعذر
عليه فعله لفرط حرصهم وقوة رغبتهم في العمل الصالح ظنا منهم ان الصدقة لا تكون الا بمال فارشدهم
المصطفى

المصطفى صلى الله عليه وسلم الى ان بكل نوع صدقة حيث قال لهم جوابا عن ذلك تطمينا لخاطرهم وتقريرا
لكونهم ربما ساووا الاغنيا اوليس الهمزة للانكار وليس بمعنى لا اي لا تقولوا ذلك فانه قد جعل
الله لكم ما تصدقون به بتشديد الصاد والدال كما هو الرواية واصله تتصدقون فادغمت احدى
التائين في الصاد بعد قلبها صادا وقد تحذف احداهما فتخفف الصاد وحرف صلة تصدقون وهو
الجار والمجرور للعلم به وقد روي انه عليه الصلاة والسلام قال من كان له مال فليتصدق من ماله ومن
كان له قوت فليتصدق من قوته ومن كان له علم فليتصدق من علمه وعنه ايضا افضل الصدقة صدقة
اللسان قيل يا رسول وما صدقة اللسان قال الشفاعة تفك بها الاسير وتحقن بها الدم وتجر بها
المعروف والاحسان الى اخيك وتدفع عنه الكريهة وعنه ايضا تبسمك في وجه اخيك صدقة
وامرك بالمعروف ونهيك عن المنكر صدقة واماطتك الحجر والشوك والعظم عن الطريق صدقة
وافراغك من دلوك في دلو اخيك صدقة ان بكل تسبيحة اي قول سبحان الله ومعناه تنزيه الله
تعالى عما لا يليق به من كل نقص فيلزم نفي الشريك والصاحبة والولد وجميع الرذائل صدقة اي حسنة
وعن خالد بن عمران ان النبي صلى الله عليه وسلم خرج على اصحابه فقال خذوا جنتكم فقالوا يا رسول الله
من عدو حضر قال بل من النار قالوا وما جنتنا من النار قال سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم فانهن ياتين يوم القيمة مقدمات ومنجيات ومعقبات
وهن الباقيات الصالحات ومعنى قوله مقدمات انها تقدم صاحبها الى الجنة ومنجيات تنجيه من
النار ومعقبات حافظات والبا في قوله بكل سببية ويجوز ان تكون ظرفية مجازا فكان التسبيحة
لما كانت سببا جعلت ظرفا لها فتشبيهها بالظرف استعارة بالكناية واثبات ما هو من خواص الظرف
لها تخييل بانها من جنسه تناسبا للتشبيه كما شبه الجذع لتمكن المصلوب به في ولاصلبنكم في
جذوع النخل بالظرف استعارة مكنية واثبت لها ما هو من خواصه تخييلا وقوله صدقة بالنصب
اسم ان وبكل متعلق بجار ومجرور وهو الخبر المحذوف تقديره لكم وليس بخبر لعدم الفائدة وكل تكبيرة
اي قول الله اكبر صدقة فيه وما بعده وجهان كما قال ابن فرح الرفع على الاستيناف والنصب عطفا
على صدقة وهو الاجود وكل تحميدة اي قول كل ما اشتق من مادة الحمد كالحمد لله واحمد الله ونحمد الله
وحمدت الله ونحو ذلك صدقة وتسميته هذا وما قبله وما بعده صدقة من مجاز المشابهة اي اجر كاجر
الصدقة فحذف كاف التشبيه للمبالغة ثم حذف اجرا فبقي اجر صدقة ثم حذف المضاف واقيم المضاف
اليه مقامه واعرب باعرابه وقيل معناه انها صدقة على نفسه وكل تهليلة اي قول لا اله الا الله
صدقة قالت ام هانئ بنت ابي طالب رضي الله عنها كنت اتي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت
يا رسول الله علمني شيئا اقوله وانا جالسة فقال قولي الله اكبر مائة مرة خير لك من مائة بدنة مجللة
متقبلة قولي سبحان الله مائة مرة خير لك من مائة فرس في سبيل الله قولي الحمد مائة مرة خير لك من
مائة رقبة من ولد اسماعيل تعتقينهم قولي لا اله الا الله مائة مرة لا يدرك لها شيء ولا يستقبلها
وفي رواية احمد والنسائي انه صلى الله عليه وسلم قال لام هانئ سبحي الله مائة تسبيحة فانها تعدل
مائة رقبة من ولد اسماعيل واحمدي الله مائة تحميدة فانها تعدل مائة فرس ملجمة مسرجة تحملين
عليها في سبيل الله وكبري الله مائة تكبيرة فانها تعدل لك مائة بدنة مقلدة متقبلة وهللي
الله مائة تهليلة ولا احسبه الا قال تملا ما بين السما والارض ولا يرفع لاحد مثل عملك الا

ان ياتي بمثل ما اتيت به وفي الحديث ايضا من كبر ماية وسبح ماية وهلل ماية كان له خيرا من عشر رقاب
يعتقها ومن سبع بدنات ينحرها وعن ابن مسعود رضي الله عنه انه قال اذا حدثتكم حديثا انباتكم
بمصداقه من كتاب الله عز وجل ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله
اكبر وتبارك الله الا واخذهن ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يمر بهن على جمع من الملايكة
الا استغفروا لقايلهن حتى يجيئ بها وجه رب العالمين ومصداقه من كتاب الله عز وجل اليه يصعد
الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه وامر نكره ايذانا بان كل فرد من افراده صدقه وكذا نهي ولو عرفا
لاحتمل انه للجنسية او عهدية فلا تفيد النص على الا ذلك وهو اما مجرور او مرفوع بما سلف وعلى الثاني
سوغ الابتدا به كونه عاملا في الجار والمجرور وبالمعروف عرفه اشارة لتعظيمه وتعريره وثبوته وانه
مالوف معهود في عرف الشرع صدقة بشروطه الاتية ونهي عن منكر نكره للتحقير ولانه في حيز المعدوم وا
لمجهول الذي لا الف للنفس به صدقة بشروطه الاتية ويدخل في الامر بالمعروف الامر بالايمان وباتباع السنة
ويدخل في النهي عن المنكر النهي عن الكفر وعن البدعة واخرهما عما قبلهما رعاية للترقي لوجوبهما بخلاف
ما قبلهما والواجب افضل من غيره بل نقل امام الحرمين ان ثواب الفرض يزيد على ثواب النفل بسبعين
ضعفا الحديث ورد فيه وفي بضع بضم فسكون يطلق ويراد به الفرج ويطلق ويراد به الجماع وارادة كل
منهما هنا صحيحة وعلى الاول يكون على حذف مضاف تقديره وفي وطي بضع احدكم صدقة اذا قارنته
نية صالحة كاعفاف نفسه او زوجته عن نظر او فكر محرم او قضا حقها من معاشرتها بالمعروف المامور به
او طلب ولد يوحد الله او يكثر به المسلمون او يكون له فرطا اذا مات لصبره عليه وقد كان عمر رضي الله عنه
يتزوج المراة لا قصد له فيها الا ارادة الولد للمكاثرة او ليموت فيكون له اجره فعلم ان المباح يصير طاعة
بالنية الصالحة وانما اعاد في هنا لان هذا النوع من الصدقة اغرب من الكل حيث جعل قضا الشهوة
ونيل اللذة بهذا الطريق صدقة وفي الحديث انه صلى الله عليه وسلم قال لعمر الا اخبرك بخير ما يكنز المرء المراة
الصالحة اذا نظر اليها سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته وعن زيد بن حارثة رضي الله
عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يا زيد تزوج تزدد عفة الى عفتك ولا تتزوج خمسا
لا شهبرة ولا لهبرة ولا نهبرة ولا هيدرة ولا لفوتا اما الشهبرة فهي الزرقا البذية واللهبرة الطويلة
المهزولة والنهبرة القصيرة الذميمة والهيدرة العجوز المدبرة واللفوت ذات الولد من غيرك رواه
الديلمي في مسند الفردوس قالوا متعجبين من ذلك مستبعدين ان الانسان يكون بفعل ما للنفس
فيه حظ وفيه ثواب ايأتي احدنا شهوته فيكون له فيها اجر اي بسببها كما في حديث في النفس المومنة
ماية من الابل اي دية باقية عليها ظاهر فيتها مجاز احعلت الشهوة كالظرف له من حيث كونها منشاه وهو
مترتب عليها كما في ولاصلبنكم في جذوع النخل قال ارايتم لو وضعها اي شهوته في حرام اكان قال الطيبي
اقحم همزة الاستفهام على سبيل التقرير بين لو وجوابها تاكيدا للاستخبار في قوله ارايتم عليه وزر اي
اثم وجوابه محذوف كانهم قالوا نعم قال فكذلك اي فمثل حصول الوزر له بوضعها في الحرام حصول الاجر
اذا وضعها في الحلال كان له اجر بالرفع والنصب كما في شرح مسلم والرفع ظاهر لانه اجر اسم كان
وله خبرها واما النصب فتقديره كان ذلك الوضع اجرا رواه مسلم وفي رواية له فرجع الفقرا الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمع اخواننا اهل الاموال بما فعلنا ففعلوا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم ذلك فضل الله يوتيه من يشا وهذا مشعر بتفضيل الغني الشاكر

على الفقير الصابر وبه قال الجمهور واختاره العسقلاني والسيوطي وهو الاصح لان الغني يوجر من وجوه
منها الشكر ومنها الصبر على ما يعطيه من الزكاة الواجبة ومنها الانفاق على من يلزمه وغير ذلك والفقير
يوجر من وجهين الصبر على الفقر مع الرضا والشكر والثاني تصرفه فيما لا بد له منه من نفقة نفسه ومن
يلزمه ولان الفقر مع الصبر هو اول احواله صلى الله عليه وسلم والغني مع الشكر هو اخرها وعادة الله
الجارية مع انبيائه ورسله انهم لا يختم لهم الا بافضل الاحوال فختمه لافضل خلقه بالغنى مع الشكر دليل
على انه افضل من الشكر مع الصبر ولحديث سعد في الوصايا انك ان تذر ورثتك اغنياء خير من ان
تذرهم عالة ولحديث كعب بن مالك حيث استشار في الخروج من ماله كله فقال صلى الله عليه وسلم
امسك عليك بعض مالك فهو خير لك وقال العز بن عبد السلام الفقير الصابر افضل واليه ذهب جمهور
الصوفية لخبر تعس عبد الدينار ولان مدار الطريق على تهذيب النفس ورياضتها وذلك مع الفقر اكثر
منه مع الغنى وقال الداوودي ان الذي اعطي الكفاف افضل والكفاف حالة متوسطة بين الفقر و
الغنى وان الفقر والغنى محنتان من الله يمتحن بهما من يشا من عباده لقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة
الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ولقوله صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل رزق ال محمد كفافا واما
الحديث الذي اخرجه الترمذي اللهم احيني مسكينا وامتني مسكينا الحديث فهو ضعيف
وعلى تقدير ثبوته فالمراد انه لا يجاوز به الكفاف وقيل متقابلان وقيل بالوقف ومحل الخلاف فيمن
يصلح حاله في الغنى والفقر بان كان اذا استغنى قام بجميع وظايف الغنى من البذل والاحسان والمواساة
واداء حقوق المال وشكر الملك الديان واذا افتقر قام بجميع وظايف الفقر كالرضا والصبر والقناعة
واما من يصلح حاله بالغنى فقط بان ما يودي حق الله تعالى في حالة الغنى ولا يوديه في حالة الفقر فالغنى
افضل اتفاقا ومن يصلح حاله بالفقر بان يودي حق الله في حالة الفقر ولا يوديه في حالة الغنى فالفقر
افضل اتفاقا فان قلت ما حقيقة الغنى ما المراد بالشاكر والصابر فالجواب كما قال الاقفهسي ان الغنى
ما زاد على القدر المحتاج اليه والغني الشاكر هو الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح وا
لمندوب والفقير الصابر الذي لا يشتكي فقره انتهى فقد بين ان الغنى ما زاد على الحاجة وبين الغني الشاكر
بانه الذي يكتسب المال من المباح وينفقه في المباح والمندوب ولو قال بدل المندوب المطلوب ليشمل
الواجب كان اولى وقوله ما زاد على المحتاج اليه يشمل ذلك حتى في اليوم فاذا حصلت له زيادة على المحتاج
اليه في كل يوم كان غنيا في ذلك اليوم وفي اليوم الذي لا يحصل له فيه ذلك ليس بغني وقيل الغني هو
الشاكر الذي لا يبقي مما يدخل عليه من المال الحلال الا ما يحتاج اليه حالا او ما يرصده لا حوج ونحوه

الحديث السادس والعشرون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
كل سلامى بضم السين وتخفيف اللام وفتح الميم وقصر الالف وهي في الاصل عظم يكون في فرسن البعير
كما قاله ابو عبيدة قال الجوهري والفرسن اسم لاصغر ما في البعير من العظام ثم عبر بها عن مطلق
العظم من الادمي وغيره وفي حديث عائشة رضي الله عنها خلق الانسان على ستين وثلثمائة
مفصل فعلى كل مفصل صدقة وقال سهل بن عبد الله التستري في الانسان ثلثمائة

وستون عرقا مائة وثمانون ساكنة ومائة وثمانون متحركة فلو تحرك الساكن او سكن المتحرك لم ينم وسلامى واحد وجمعه سواء عند الاكثر وقيل جمعه سلاميات بفتح الميم وتخفيف اليا من الناس اي من كل واحد من الناس عليه ظاهره الوجوب وليس كذلك بل هو مندوب وندبه كما قال ابن حجر بالاستقرا من خارج لا بالصيغة وذكر الضمير وان كانت السلامى مؤنثة باعتبار العظم والمفصل او لرجوعه لكل كما قيل به لانها بحسب ما تضاف اليه كقوله تعالى كل نفس ذائقة الموت ان كل نفس لما عليها حافظ وكل شيء فعلوه في الزبر وهو في الحديث هنا اضيفت لمؤنث فلو رجع اليها لانث صدقة شكر له تعالى لان تركيب هذه العظام وسلامتها من اعظم النعم على العبد فيحتاج كل عظم منها الى صدقة عنه بخصوصه ليتم شكر نعمته اذ لو غير واحد منها عما هو عليه لاختل نظمه وتعطلت عليه احواله وتكدر عيشه وضاق ذرعه كما لو قصر الطويل او طال القصير او رق الغليظ او غلظ الرقيق وخصت السلامى بالذكر لما في التصرف بها من دقائق الصنائع التي اختص بها الانسان وتحيرت فيها الافهام ولذا قال تعالى بلى قادرين على ان نسوي بنانه اي نجعل اصابع يديه ورجليه مستوية شيئا واحدا كخف البعير وحافر الحمار فلم يمكن ان يعمل بها شيئا مما يعمل باصابعه المتفرقة ذات المفاصل من فنون الاعمال دقها وجلها ولهذا السر غلب الصغار من العظام على الكبار وايضا فالصدقة تدفع البلا فبوجودها عن اعضائك يرجى اندفاع البلا عنها فقد حكي انه كان رجل من قوم صالح قد اذاهم فقالوا يا نبي الله ادع الله عليه فقال اذهبوا فقد كفيتموه وكان يخرج كل يوم يحتطب قال فخرج يومئذ ومعه رغيفان فاكل احدهما وتصدق بالاخر ثم جاء بحطبه سالما لم يصبه شيء فدعاه صالح وقال اي شيء صنعت اليوم قال قد خرجت ومعي قرصان فتصدقت باحدهما واكلت الاخر فقال صالح عليه السلام حل حطبك فحله فاذا فيه اسود مثل الجذع عاض على جذر من الحطب قال بهذا دفع عنك يعني بالصدقة وروي ان قصارا كان في زمن عيسى عليه السلام وكان يفسد على الناس اقمشتهم فسالوا عيسى عليه السلام ان يدعو عليه بالهلاك فاقبل القصار عند غروب الشمس ورزمته على راسه فعجبوا من ذلك واخبروا عيسى فطلبه فحضر برزمته فقال له افتح رزمتك ففتحها فاذا فيها ثعبان عظيم قد الجم بلجام من حديد فقال له عيسى عليه السلام ما صنعت اليوم من الخير فقال ما صنعت شيئا الا ان رجلا نزل الي من صومعته فشكى الي الجوع فدفعت له رغيفا كان معي فقال له عيسى ان الله قد بعث لك هذا العدو فلما تصدقت امر الله ملكا فالجمه بهذا اللجام قال الطيبي وكل سلامى مبتدا ومن الناس صفته وعليه صدقة الجملة خبره والراجع الى المبتدا الضمير المجرور في الخبر كل يوم منصوب على الظرفية لاضافته الى الظرف ولما كان اليوم قد يعبر به عن المدة الطويلة المشتملة على الايام الكثيرة كما يقال يوم صفين وهو عدة ايام وعن مطلق الزمان قليلا كان او كثيرا ليلا كان او نهارا كما في قوله تعالى كل يوم هو في شان وقوله تعالى واتوا حقه يوم حصاده وقوله الا يوم ياتيهم ليس مصروفا عنهم وعن الدولة ومنه قوله تعالى وتلك الايام نداولها بين الناس وعما قابل الليل ومنه قوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال وثمانية ايام حسوما ولما كان الاخير هو المراد بينه بقوله تطلع بضم اللام فيه الشمس حيث يصبح سليما من الآفات باقيا على الهيئة التي تتم بها منافعه وافعاله فالصدقة في مقابل ما في تلك السلامى من

النعم

النعم وفي بعض الاثار كم من نعمة لله عز وجل في عرق ساكن فاذا كان ذلك في عرق فكيف بجميع العظام
قال وهب مكتوب في حكمة آل داوود العافية الملك الخفي اي فهي النعم المسيول عنه يوم القيمة
المعني بقوله تعالى ثم لتسالن يومئذ عن النعيم وقال ابن مسعود النعيم الامن والصحة وقيل صحة
الجسم وشرب الماء البارد وقال ابن عباس النعيم صحة الابدان والاسماع والابصار يسئل الله العباد
فيما استعملوها وهو اعلم بذلك منهم وهو قوله ان السمع والبصر والفواد كل اوليك كان عنه مسيولا
وشكى شخص الى يوسف بن عبيد ضيق حاله فقال له يوسف ايسرك ان لك ببصرك مائة
الف درهم فقال الشخص لا قال فبيدك قال لا قال فبرجلك قال لا وعدد نعم الله عز وجل عليه فقال ارى
عندك هذا وانت تشكو الحاجة واخرج ابن ابي الدنيا بسند فيه ضعف يوتي بالنعم يوم القيمة
وبالحسنات والسيات فيقول الله لنعمة من نعمه خذي حقك من حسناته فلم تترك له حسنة
الا ذهبت بها ولما كان المتبادر من الصدقة صدقة المال بين انها لا تنحصر فيه بقوله
تعدل اي ان تعدل فان والفعل في محل رفع مبتدا او خبر صدقة محذوفت ان فارتفع الفعل كما في
قوله تعالى ومن آياته يريكم البرق والاصل ان يريكم لانه في موضع رفع مبتدا خبره من آياته
او اوقع الفعل فيه موقع المصدر مع قطع النظر عن ان ونظيره تسمع بالمعيدي خير من ان
تراه اي سماعك بين الاثنين المتحاكمين او المتخاصمين او المتهاجرين اذا كان حاكما او مصلحا اذ ينوي
به رفع المنازعة بينهما ساعة وقوله بين الاثنين هذا لفظ مسلم ولفظ البخاري بين الناس واخرج
الاصبهاني انه صلى الله عليه وسلم قال يا ابا هريرة عدل ساعة خير وافضل من عبادة ستين سنة
قيام ليلها وصيام نهارها ويا ابا هريرة جور ساعة في حكم اشد واعظم عند الله من معاصي ستين
سنة وفي الحديث الا انبئكم بصدقة يسيرة يحبها الله تعالى قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات
البين اذا تقاطعوا وعن الحسن عنه صلى الله عليه وسلم انه قال افضل الناس عند الله يوم القيمة
المصلحون بين الناس وروى الترمذي انه صلى الله عليه وسلم قال الا اخبركم بما هو افضل من درجة
الصيام والصلاة والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال اصلاح ذات البين وعن بعض الصحابة رضي
الله عنهم انه قال من اراد فضل العابدين فليصلح بين الناس وعن انس بن مالك رضي الله عنه
انه قال من اصلح بين اثنين اعطاه الله بكل كلمة عتق رقبة وما احسن قول القايل
ان الفضائل كلها لو جمعت رجعت باجمعها الى شيئين
تعظيم امر الله جل جلاله والسعي في اصلاح ذات البين
صدقة عليهما لوقايتهما ما يترتب على الخصام من قبيح الاقوال والافعال ومن ثم عظم فضل الصلح كما
اشار اليه بقوله لا خير في كثير من نجواهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس وجاز
الكذب فيه مبالغة في وقوع الالفة لئلا تدوم العداوة وتعين فيه وفيما بعده ما في تعدل الرجل وصنع
طردي في دابته وفي معناها السفينة فيحمل عليها او يرفع له متاعه اصله ما ينتفع به المسلم
صدقة منه عليه قال الحافظ ابن حجر قوله فيحمل عليها اعم من ان يريد يحمل عليها المتاع او الراكب وحمل الرا
كب لابد ان يحمله كما هو او يعينه في الركوب وقوله او يرفع شك من الراوي او تنويع والحملة

الطيبة من نحو ذكر ودعا للنفس والغير وتناجي وسلام عليه ورد وتشميت عاطس وشفاعة
عند حاكم ونصح وارشاد على الطريق نحو سلام عليك وحياك الله وانك لمحسن وانت رجل مبا
رك وقد احسنت جوارنا وغير ذلك لانه مما يسر السامع صدقة منه على غيره او نفسه
لما فيه من سرور السامع واجتماع القلوب وقد ورد انه اذا التقى المسلمان تنزل عليهما مائة
رحمة وتسعون لاكثرهما بشرى وعشر لاقلهما رواه في العوارف مرفوعا وبكل خطوة بفتح الخا
المرة الواحدة من المشي واما بالضم فما بين القدمين وهو مبتدا والبا زايدة يمشيها وفي
رواية يخطوها الى الصلاة والظاهر ان مثلها الاعتكاف والطواف وعيادة المريض وغير ذلك
من وجوه الطاعات صدقة وفي الحديث اذا تطهر الرجل ثم اتى المسجد يرعى الصلاة كتب له كاتباه
بكل خطوة يخطوها الى المسجد عشر حسنات والقاعد يرعى الصلاة كالقانت اي القايم في الصلاة ويكتب
من المصلين من حين يخرج من بيته حتى يرجع اليه وفيه ايضا اعظم الناس اجرا في الصلاة ابعدهم
اليها ممشى اي وانما كان اعظم اجرا لما يحصل في بعد الدار عن المسجد من كثرة الخطا فانه قيل روى
احمد عن حذيفة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فضل البيت القريب من المسجد كفضل المجاهد
على القاعد عن الجهاد فالجواب انه هذا في نفس البقعة وذاك في الفعل فالابعد دارا مشيه اكثر وثوابه
اعظم والفضل القريب افضل من البيت البعيد واختلف فيمن قارب الخطا بحيث يساوي خطا من داره
بعيدة والى المساواة جنح الطبري والراجح عدم المساواة لكثرة المشقة في البعيد دون القريب
وتميط بضم اوله وفتحه اي تنحي وتزيل يقال ماط الشيء واماطه نحاه ازالة حقيقة او حكما بان يترك القاده
في الطريق لما رواه البيهقي في الشعب عن انس ان رجلا راى في النوم قايلا يقول لم بشر عايذ بن عمرو
المزني بالجنة فلم يفعل فاتاه في الثانية فلم يفعل فاتاه في الثالثة فلم يفعل فاتاه في الرابعة فقال له
لم ذلك فقال انه لا يلقي اذاه في طريق المسلمين وكان عايذ لا يخرج من داره ماء الى الطريق لا من مطر ولا
من غيره وكان اذا مات له سنور دفنه في داره ولا يخرجه اتقاء شر المسلمين وكان عايذ هذا ممن
بايع تحت الشجرة الاذى ما يؤذي المار كقذر وشوك وحجر وحيوان مخوف ودعم جدار مايل لانه
نفع عام وقد روي ان رجلا راى غصن شوك في الطريق فقطعه فشكر الله فغفر له عن الطريق
صدقة منه على الناس وعلى الحيوان وعن ابي برزة قال قلت يا رسول الله علمني شيئا انتفع به
قال ازل الاذى عن طريق المسلمين كالشوك الموذي والحجر الذي يعثر به والحيوان المخوف منه ودعم الجدار
ونحوه فانه نفع عام وفي الصحيح ان رجلا كان ممن قبلكم راى غصن شوك في الطريق فنحاه فشكر
الله على ذلك فغفر له وراى رجل فرخا وقع من عشه فرده اليه فغفر الله له واخر راى كلبا ياكل الثرى
من العطش فسقاه فغفر له وامراة رات كلبا يلهث عطشا فاخرجت خفها فاخرجت له
ماء فغفر لها وعكس ذلك المراة التي دخلت النار في هرة لا هي اطعمتها ولا ارسلتها تاكل من خشاش
الارض وصح في كل كبد حرا اجر وفي رواية احمد عن طريق المسلمين فغلبهم على غيرهم لشرفهم واخر
هذه لانها دون ما قبلها كما يشير اليه خبر الايمان بضع وسبعون شعبة اعلاها شهادة ان لا
اله الا الله وادناها اماطة الاذى عن الطريق قيل وحسن كلمة التوحيد عند اماطته ليجمع

بين اعلا الايمان وادناه وحمل بعض الصوفية الطريق على القلب والاذى على الوسواس التي
تعرض له واماطتها دفعها عنه وهو تكلف بعيد وكذا حمل الاذى على اذى الظالم والطريق
على طريقته تعالى وهو شرعه واحكامه بل رواية وادناها المذكوره صريحة في رد ذلك
لان الاماطة بهذا المعنى من افضل الشعب لا من ادناها رواه البخاري في الصلح والجهاد
ومسلم وفي بعض طرق مسلم يصبح على كل سلامى من احدكم صدقة وكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة
صدقة وكل تهليلة صدقة ويجزي عن ذلك ركعتان تركعهما من الضحى اي لان الصلاة عمل بجميع الابدان
فتحركا المفاصل كلها فيها بالعبادة فاذا صلى العبد فقد قام كل عضو منه بوظيفته وادى شكر نعمته
وكان تخصيص الضحى بذلك من بين ركعتي الفجر وغيرهما من الرواتب مع انها افضل من ركعتي الضحى تحصيل
للشكر لانها لم تشرع جابرة لنقص غيرها بخلاف ساير الرواتب فانها شرعت جابرة لنقص متبوعها
فلم يتمحض فيها القيام بشكر تلك النعم الباهرة والضحى لما لم يكن فيها ذلك تمحضت للقيام بذلك كذا
قيل وفيه شي والوجه ما قاله الحافظ العراقي ان الاختصاص بالضحى لخصوصية فيها وسر لا نعلمه الا
الله تعالى ورسوله واخرج ابوداود والنسائي من قال حين يصبح اللهم ما اصبح بي من نعمة او باحد
من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك فلك الحمد ولك الشكر فقد ادى شكر ذلك اليوم ومن قال حين
يمسي فقد ادى شكر ليلته الحديث السابع والعشرون قال الهيتمي وهو في الحقيقة حديثان لكنهما
لما توارداعلى معنى واحد كانا كالحديث الواحد فجعل الثاني كالشاهد للاول عن النواس بفتح
النون وتشديد الواو واخره سين مهملة بن سمعان بكسر السين وفتحها واقتصار ابن الاثير على
الكسر يدل على انه ارجح بن خالد بن عبد الله بن قرط بن عبد الله بن ابي بكر بن كلاب بن ربيعة بن عامر
بن صعصعة بن عمرو الكلابي العامري رضي الله عنه كان يشبغي عنهما لان لابيه وفادة والنواس من اهل
الصفة ووقع في مسلم انه انصاري وحمل على انه حليف لهم قال اقمت مع رسول الله صلى الله عليه
وسلم بالمدينة سنة ما يمنعني من الهجرة اي العود الى الوطن الا الاسيلة التي ترد على المصطفى صلى الله
عليه وسلم من بعض اصحابه فاقامته تلك السنة كانت مع عزمه على العود الى وطنه لكنه احب ان
يتفقه في الدين تلك السنة بسماع تلك الاسيلة التي ترد عليه صلى الله عليه وسلم واجوبتها روى له
سبعة عشر حديثا اقتصر مسلم منها على ثلاثة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال البر بكسر الموحدة
وهو كما قال الزمخشري اسم جامع للخير وكل فعل مرضي وهو في تزكية النفس كالبر بالضم في تغذية
البدن والفعل منه بر يبر على وزن فعل يعمل كعلم يعلم حسن الخلق بضم اللام وسكونها اي
التخلق مع الخلق وهو كما مر طلاقة الوجه وكف الاذى وبذل الندى وقلة الغضب وان يحب للناس
ما يحب لنفسه وهذا يرجع الى تفسير بعضهم له بانه الانصاف في المعاملة والرفق في المجادلة
والعدل في الاحكام والبذل والاحسان في اليسر والايثار في العسر وغير ذلك من الصفات
الحميدة وضده الجور والاثم ولذلك قابله به وقوله البر اي معظمه فالحصر مجازي كالحج عرفة والدين
النصيحة واذا اريد بحسن الخلق التخلق بالاخلاق الشرعية والتادب باداب الله التي شرعها
لعباده من امتثال امره وتجنب نهيه كان الحصر حقيقيا وقد يطلق البر في مقابلة العقوق
فيكون عبارة عن الاحسان كما ان العقوق عبارة عن الاساءة ويطلق بمعنى الصلة ومنه بررت

والدي بالكسر وخبر من ابر الناس بي قال امك قال ثم من قال ابوك قال ثم من قال الاقرب
فالاقرب وفي المثل ابر من فلحس وهو رجل من شيبان ذكروا انه حمل اباه وكان كبيرا على ظهره
فحج به وفيه ايضا ابر من العملس وهو ايضا رجل كان بارا بامه وكان يحملها على عاتقه الى حيث
ارادت ويعني الجنة ومنه قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا كما قال السدي ويعني الصدق
ومنه بر في يمينه اي صدق فيها ويعني القبول ومنه بر الله حجك وابره اي قبله ويعني اللطف
وحسن العشرة والصحبة ولين الجانب واحتمال الاذي ومنه قول عمر رضي الله عنه
أبُني ان البر شي هين وجه طلق وكلام لين ويقال بدل قوله وجه طليق فعل جميل وكلام لين
ويعني الطاعة بجميع انواعها الظاهرة والباطنة ومنه قوله تعالى ولكن البر من اتقي ولكن البر من
امن بالله واليوم الاخر الى قوله اولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون وهذه الامور كلها مجامع
حسن الخلق واذا قرن البر بالتقوي كما في قوله تعالى وتعاونوا على البر والتقوى فسر البر بمعاملة
الخلق بالاحسان والتقوي بمعاملة الحق بطاعته او البر بفعل الواجبات والتقوي باجتناب
المحرمات وقد روي الحسن عن ابي الحسن عن جد الحسن بسند حسن ان احسن الحسن الخلق الحسن
رواه الترمذي وقال الحديث حسن وقال ابن عباس رضي الله عنهما الخلق الحسن يذيب الخطايا كما
تذيب الشمس الجليد والخلق السيئ يفسد العمل كما يفسد الخل العسل وقال معاذ بن جبل اخر ما اوصاني
به رسول الله صلى الله عليه وسلم حين جعلت رجلي في الغرز يعني الركاب ان قال حسن خلقك
مع الناس يا معاذ وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت ان حسن الخلق وحسن الجوار وصلة الرحم
تعمر الديار وتزيد في الاعمار ولو كان القوم فجارا وروي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من لم يكن فيه
ثلاث خصال لم يجد طعم الايمان حلم يرد به جهل الجاهل وورع يحجزه عن المحارم وخلق يداري به الناس
وقال عاصم بن المصطلق دخلت المدينة فرايت الحسن بن علي رضي الله عنهما فاعجبني سمته وحسن رويته فاثار مني
الحسد ما كان يجنه اي يخفيه صدري لابيه من البغض فقلت انت ابن علي بن ابي طالب قال نعم فبالغت في
شتمه وشتم ابيه فنظر الي نظر عاطف رؤوف فقال اعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم خذ
العفو وامر بالعرف فقرا الي قوله فاذا هم مبصرون ثم قال خفض عليك استغفر الله لي ولك انك لو استعنتنا
لاعناك ولو استرشدتنا لارشدناك فتفرس فيّ الندم على ما فرط مني فقال لا تثريب اي لا عتب عليك
اليوم يغفر الله لك وهو ارحم الراحمين امن اهل الشام انت قلت نعم قال حياك الله وبياك وعافاك
انبسط لنا في حوائجك وما يعرض لك تجد عندنا افضل ظنك ان شا الله تعالى قال عاصم
فضاقت علي الارض بما رحبت ووددت انها قد ساخت بي ثم انسللت منه لواذا اي
ذهبت مختبيا مستترا وما على الارض احب الي من ابيه ومنه والاثم يطلق ويراد به
الذنب بسائر انواعه وهو المراد هنا ويطلق ويراد به خصوص الخمر ومنه قول
شربت الخمر حتى ضل عقلي كذاك الاثم يذهب بالعقول ماحاك بحا مهملة وتخفيف الكاف
من حاك يحيك ومنه قولهم ضربته فما حاك فيه السيف اي اثر وما يحيك كلامك في فلان اي
ما يوثر فيه وما يحيك الفاس في هذه الشجرة وفي بعض النسخ ماحاك بتشديد الكاف

وفي بعضها ما حاك بالتشديد من المحاكة في النفس وفي رواية في نفسك وفي رواية في صدرك والمعنى اثر في
القلب اضطرابا وقلقا فلم ينشرح له ولم يطمئن اليه والحايك الراسخ في قلبك الذي يهمك وجاء في بعض
الروايات والاثم حزاز القلوب بتشديد الزاي اي موثر فيها كما يوثر الحز في الشيء فهو بمعنى قوله هنا ما
حاك في النفس وفي اخرى حواز بتشديد الواو من حاز يحوز اي غلاب على القلوب وكرهت ان
يطلع عليه الناس لان النفس بطبعها تحب اطلاع الناس على خيرها وبرها وتكره ضد ذلك اذ
لها شعور من اصل الفطرة بما تحمد او تذم عاقبته ولكن غلبت عليها الشهوة حتى اوجبت لها
الاقدام على ما يضرها كما غلبت على السارق والزاني مثلا فاوجبت لهما الحد والمراد بالكراهة
هنا الدينية الجازمة لا العادية كمن يرى آكلا لحيا او بخل وغير الجازمة كمن يكره ان يركب بين
المشاة تواضعا او نحو ذلك فانه لو روي كذلك لم يبال والمراد بالناس وجههم واماثلهم لا رعا
عهم ولذا قال الشارح الاشبيلي عن صاحب الافصاح الناس معرف باللام فينصرف الى وجوههم
واماثلهم لا العوام وهذه علامة الاثم مركبة من مجموع الامرين او كل واحد منها علامة مستقلة ٥ه
ومقتضى العطف بالواو الاول ومقتضى الرواية الاتية الثاني وعلى الاول فالعمل ان وجد فيه الامران
كالزنا والربا فهو اثم قطعا وان انتفيا عنه كالعبادة فبر قطعا وان وجد فيه احدهما احتمل البر والاثم
فيكون من المشتبه والذي يتجه انهما متلازمان لان كراهة النفس تستلزم كراهة اطلاع الناس وعكسه
وعموم الحديث يقتضي ان الهم بالمعصية غير الجازم اثم لكن خصص عمومه خبر ان الله تجاوز لامتي عما وسوست
به نفوسها ما لم تعمل به او تتكلم فتقوله ما لم تعمل به مثلا او توسوس له نفسه بالزنا مثلا فيزني وقوله
او تتكلم مثل ان توسوس له بالقذف فيقذف او بالكذب فيكذب او بالنميمة فينم رواه مسلم
في كتاب البر والصلة من صحيحه وعن وابصة بالصاد بن معبد بفتح الميم والموحدة بن عتبة
بن الحارث بن شبر بن كعب من سعد بن الحارث بن ثعلبة بن داوود بن اسد بن خزيمة الاسدي يكنى
اباسالم ويقال ابا الشعثاء ويقال ابا سعيد رضي الله عنه قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم في
عشرة من قومه بني اسد بن خزيمة فاسلموا ورجع الى بلاده ثم نزل الجزيرة وسكن الرقة بفتح الرا
ودمشق وعمر الى قرب التسعين واعترب بالرقة ومات بها ودفن عند منارة جامعها فقال
اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال جيت تسيل استفهام تقريري حذفت همزته اي اجيت
تسيل عن البر اي الحلال قلت نعم فيه معجزة كبرى له حيث اخبر عما في نفسه قبل ان يتكلم به وفي
رواية احمد وانا اريد ان لا ادع شيا من البر والاثم الا سالته عنه واذا عنده جمع فذهبت
اتخطى الناس فقالوا اليك يا وابصة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت دعوني ادنو منه
فقال لي ادن يا وابصة فدنوت حتى مست ركبتاي ركبته فقال يا وابصة اخبرك عما تسيل عنه او
تسيلني قلت يا رسول الله اخبرني قال جيت تسيل عن البر والاثم فقلت نعم قال فجمع اصابعه الثلاث
فجعل ينكت بها في صدري ويقول يا وابصة استفت نفسك قال المصطفى صلى الله عليه وسلم
استفت قلبك اي اطلب الفتوى من قلبك وعول على ما فيه البر ما اي الشيء او الذي اطمانت اي
سكنت عليه وفي رواية اليه النفس واطمان اليه القلب لانه تعالى فطر عباده على معرفة الحق والسكون
اليه وقبوله وركز في الطبايع محبته والجمع بينه وبين النفس للتاكيد وهذا مطابق لقوله السابق
البر حسن الخلق لان حسنه تطمين اليه النفس والقلب وقد حكي ان ابا الحسن النوري

بكره انه ح

سنة تسع ح

لما وُشي به وبجماعته الى الخليفة ببغداد وقيل له انهم زنادقة واحضرهم وامر بقتلهم فجاء السياف فبادر
اليه النوري فسيل عن مبادرته فقال اوثر اصحابي بحياة لحظة فسال القاضي الخليفة ان ينظر في امرهم
ويبحث عن حالهم فاذن فطلب القاضي منهم رجلا ليتكلم معه فتقدم اليه النوري فساله عن مسايل فقهية
فنظر عن يمينه ثم عن يساره ثم اطرق ساعة ثم رفع راسه فاجاب بجواب صحيح فساله القاضي
عن التفاته واطراقه قال سالتني عن تلك المسايل ولا علم لي بها فسالت ملك اليمين فلم يجبني
ثم ملك الشمال فلم يجبني فسالت قلبي فاخبرني بما اجبت به فاخبر القاضي الخليفة وقال ان كان هولاء
زنادقة فما على وجه الارض مسلم والاثم ما اي شي او الذي حاك في النفس اي اثر فيها اضطرابا وفي الحديث
الاخر اياكم والحكاكة فانها المآثم وتردد في الصدر اي لم ينشرح له القلب والجمع بينهما للتاكيد
ايضا وان وفي رواية ولو وهو غاية لمقدر دل عليه ما قبله اي فالتزم العمل بما في قلبك وان افتاك
الناس اي علماؤهم كما في رواية وان افتاك المفتون اي قد اعطيتك علامة الاثم فاعتبرها في اجتنابه
ولا تقلد من افتاك بمقاربته وافتوك بخلافه فرخصوا لك فيه لانهم انما يطلعون على الظواهر لا السراير
والجمع للتاكيد كما في قوله تعالى فمهل الكافرين امهلهم رويدا فاتى بالثاني تاكيدا للاول لزيادة التحذير
قال الطيبي هذا شرط قطع عن الجزا تتميما للكلام السابق وتقريرا له على سبيل المبالغة وقال غيره
ان وصلية معطوف على مقدر اي ان لم يفتك الناس وان افتوك وقوله وافتوك تاكيد وقد حكي عن
بعض العارفين انه اتاه رجل يريد السلوك فادخله الخلوة وتركه اياما ثم دخل عليه فقال كيف ترى
صورتي عندك قال صورة خنزير فقال صدقت ثم تركه في الخلوة مدة ودخل عليه فساله كذلك فقال
صورة كلب ثم كذلك الى ان قال اراك صورة القمر ليلة تمامه فقال صدقت الان كمل حالك وصلحت
ان ترجع الى عملك وان تستفتي نفسك وان افتاك المفتون وما ذاك الا لان النفس اذا كانت في رعو
نتها وشهواتها كانت كالمراة الصدية فاذا قابلتها الاشيا وقع امثالها فيها معكوسا فاذا صقلت
بالمجاهدة وزال عنها الصدا ظهر مثال الاشيا مستويا من غير زيادة ولا نقص وحصلت تميز
كل خاطر وقع فيها لصفايها وقوله وافتوك توكيد لما قبله ولا يعارضه في الحديث السابق فمن
اتقى الشبهات الخ فان مقتضاه انها ليست اثما واجيب بان هذا محمول على ما اذا قويت الشبهة
ويكون من باب ترك الاصل للظاهر يعني اصل الحلال لاجل الشبهة وتمكنها وما سلف محمول على
ما اذا ضعفت الشبهة فيبني على اصل الحلال ويجتنب محلها ورعا وانما وحد الفعل الاول
لاسناده الى الظاهر وجمع الثاني لاسناده الى ضمير اذ الاصل فيه ان الفعل انما يكون له فاعل واحد
فان كان ظاهرا امتنع اتصال ضميره بالفعل لئلا يتعدد الفاعل فلا يسوغ نحو افتوك الناس واما
واسروا النجوى الذين ظلموا وعموا وصموا كثير فمن باب البدل من الضمير لا من باب تعدد الفاعل لامتناعه
الا في لغة اكلوني البراغيث وهي لغة ضعيفة وان لم يكن ظاهرا وجب اضماره لئلا يتجرد الفعل
عن الفاعل وهو غير جائز حديث صحيح وفي نسخة حسن رويناه بالسند المتصل حال كونه في
مسند الامامين الجليلين ابي عبد الله احمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن راشد المروزي قدمت
به امه من مرو وهي حامل به الى بغداد فولدت بها سنة مائة واربعة وستين وكان يحفظ الف الف

حديث ومات ببغداد ضحوة الجمعة في ربيع الاول سنة احدى واربعين ومايتين وله سبع وسبعون سنة ومسنده
فيه اربعون الف حديث وقيل ثلاثون تتكرر منها عشرة جمعه من سبعماية الف وخمسين الفا وقال جعلته
حجة بيني وبين الله تعالى وقال ابو زرعة كان احمد يحفظ الف الف حديث قيل وما يدريك قال ذاكرته فاخذت
عليه الابواب وقال الحارث بن عباس قلت لابي بن مسهر هل تعرف احدا يحفظ على هذه الامة امر دينها
قال لا الا شاب في ناحية المشرق يعني الامام احمد قال ابو عبيد القاسم بن سلام انتهى علم الحديث
الى الامام احمد بن حنبل وعلي بن المديني ويحيى بن معين وابي بكر قال عبد الرزاق اما يحيى بن معين فما رايت
مثله ولا اعلم بالحديث منه من غير سرد واما ابن المديني فحافظ سارد واما احمد فما رايت افقه منه
ولا اورع منه وقال الشافعي رضي الله عنه خرجت من بغداد فما خلفت فيها افقه من احمد ولا ازهد ولا اورع
منه فائدة قال المناوي في طبقاته وارتجت الدنيا لموت احمد بن حنبل واغلقت بغداد لمشهده
ومسحت الارض المبسوطة التي وقفت الناس للصلاة في سير مقادير الناس بالمساحة ستماية
الف وكان يقول للمبتدعة بيننا وبينكم الجنايز واسلم يوم موته من اليهود والنصارى والمجوس عشرة
الاف انتهى وفي حياة الحيوان حزر فدر من حضر جنازة احمد بن حنبل من الرجال فكانوا ثمانماية الف
ومن النساء ستين الفا واسلم يوم موته عشرون الفا من اليهود والنصارى والمجوس انتهى وقال النووي
في تهذيب الاسما واللغات امر المتوكل ان يقاس الموضع الذي وقف الناس فيه للصلاة على
احمد فبلغ مقام الفي الف وخمسين الفا وابي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل التميمي الدارمي نسبة
الى دارم بن مالك بن حنظلة بن زيد بن مناة بن تميم ولد سنة احدى وثمانين ومات يوم التروية سنة خمس
وخمسين ومايتين باسناد جيد وفي نسخة حسن فان قلت ما حكمة قول المص اولا حديث صحيح وقوله
هنا باسناد جيد فالجواب انه لا تلازم بين الاسناد والمتن فقد يصح السند او يحسن لاستجماع شروطه من
الاتصال والعدالة والضبط دون المتن لشذوذ فيه او علة فنص المص اولا على صحة المتن بقوله حديث صحيح
وثانيا على صحة السند بقوله باسناد جيد الحديث الثامن والعشرون عن ابي نجيح بفتح النون وكسر
الجيم وبالحا المهملة العرباض بكسر المهملة وسكون الراء وموحدة واخره معجمة واصله الطويل من الناس
وغيرهم الجلد المخاصم ابن سارية بسين مهملة ومثناة تحتية السلمي بضم ففتح من بني سليم بن منصور
صحابي من اهل الصفة وهم كما قال النووي زهاد من الصحابة فقراء غرباء كانوا ياوون الى مسجد النبي صلى الله
عليه وسلم وكان لهم في اخره صفة وهي مكان منقطع عن المسجد مظلل عليه يبيتون فيه وكانوا يقلون ويكثرون
في وقت سبعين وفي وقت غير ذلك رضي الله عنه نزل الشام وسكن حمص وكان من البكائين الذين نزل
فيهم قوله تعالى ولا على الذين اذا ما اتوك لتحملهم قلت لا اجد ما احملكم عليه الاية وكان من المشتاقين الى الله
تعالى يحب ان يقبضه اليه يقول في دعائه اللهم كبرت سني ووهن عظمي فاقبضني اليك وروي ان معاوية اعطى
المقداد حمارا من المغنم فقال العرباض ما كان لك ان تاخذه وما كان له ان يعطيكه وكاني بك في النار تحمله
على عنقك فرده المقداد ومات العرباض في فتنة ابن الزبير سنة خمس وسبعين في خلافة عبد الملك ابن
مروان قال وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوعظ وهو النصح والتذكير بالعواقب يقال وعظته
فاتعظ اي قبل الموعظة موعظة مصدر ميمي وتنوينه للتعظيم اي موعظة عظيمة وكانت هذه الموعظة
بعد صلاة الصبح كما في رواية الترمذي وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلاة الغداة موعظة

بليغة اي بالغ فيها بالانذار والتخويف لاجل ترقيقا القلوب وكان صلى الله عليه وسلم يعظ اصحابه
في غير الجمع والاعياد امتثالا لقوله تعالى وعظهم وقل لهم في انفسهم قولا بليغا وفيه ندب
المبالغة فيها لان لها وقعا في النفس وتاثيرا في القلب اذا صدرت من قلب ناصح سليم من
الادناس والقبايح فالواعظ ما لم يكن مقاله كفعاله لا ينتفع بوعظه ومنزلة الواعظ من الموعظ
منزلة الطبيب من المريض فكما ان الطبيب اذا قال للناس لا تاكلوا كذا فانه مضر ثم داوه
باكل عد سخرية وكذا الواعظ اذا امر بما لا يعمله فالواعظ من الموعوظ يجري مجرى الطابع من
المطبوع فكما يستحيل الطبع بما ليس منتقشا في الطابع يستحيل ان يحصل في نفس الموعوظ ما
ليس في الواعظ وقد حكي ان العارف الكبير سيدي ابي مدين المغربي مكث في بيته عاما لا يخرج
منه فاجتمع الناس ببابه وقالوا اخرج تكلم على الناس وانفعهم والزموه فخرج ففر منه عصافير
على سدرة بباب داره فرجع وقال لو صلحت للكلام عليكم ما فر مني الطير فقعد في بيته
عاما اخر فاتوه فخرج فنزل الطير عليه في مجلس وعظ يضرب باجنحته ويضطرب حتى مات منه
كثير ومات رجل من الحاضرين اهـ وقيل من وعظ بقوله ضاع كلامه ومن وعظ بفعله نفذت سهامه
وقيل عمل رجل في الف رجل ابلغ من قول الف رجل في رجل وجلت بكسر الجيم اي خافت ومنه وقلوبهم
وجلة من الوجل وهو الخوف من عذاب الله منها اي من اجلها ويصح كونها لابتدا الغاية القلوب
وذلك لاستيلاء سلطان الخشية على القلوب وتاثير الرقة فيها وانزعاجها من ذكر الساعة
واهوالها والنار وعذابها يشهد لذلك قول جابر رضي الله عنه كان صلى الله عليه وسلم اذا ذكر الساعة
اشتد غضبه وعلا صوته واحمرت عيناه كانه منذر جيش يقول صبحكم مساكم وذرفت
بذال معجمة وراء مهملة وفاء مفتوحة منها فيها امام العيون اي سالت دموعها وانصبت وكثر جريانها مفتوحة في
واخره عما قبله لانه انما ينشا عنه غالبا والعيون جمع كثرة وفيه اشارة الى ان تلك الموعظة اثرت
فيهم واخذت بمجامعهم ظاهرا وباطنا وذلك دليل على كمال معرفتهم ومراعاتهم لربهم وفيه دليل
على ان البكا من خوف الله وعذابه محمود وقد قال عليه الصلاة والسلام ابكوا فان لم تبكوا فتباكوا فان
اهل النار يبكون حتى تسيل دموعهم في وجوههم كانها جداول حتى تنقطع الدموع فتسيل الدما
فتقرح العيون فلو ان سفنا اجريت فيها لجرت وقال عليه الصلاة والسلام لا يلج النار من يبكي
من خشية الله عز وجل حتى يعود اللبن في الضرع وقال عليه الصلاة والسلام ما من قطرة احب الى الله
من قطرة دمع من خشية الله او قطرة دم اهريقت في سبيل الله وقال كعب الاحبار والذي
نفسي بيده لان ابكي من خشية الله تعالى حتى تسيل دموعي على وجهي احب الي من ان اتصدق بجبل
من ذهب وقيل لعطا السلمي ما تشتهي قال اشتهي ان ابكي حتى لا اقدر ابكي وفيه انه ينبغي للعالم
ان يعظ الناس ويذكرهم ويخوفهم ولا يقتصر فيهم على معرفة الاحكام والحدود فقلنا يا رسول
الله كانها موعظة مودع لعلمهم فهموا ذلك من مبالغته في الموعظة واستقصائه فيها فوق

العادة فظنوا ان ذلك لقرب وفاته ومفارقته لهم وفيه جواز الحكم بالقرائن لانهم انما فهموا ذلك من
توديعه اياهم بابلاغه في الموعظة اكثر من العادة واحتمال انه عرض فيها بالتوديع كما عرض في خطبة
حجة الوداع بقوله فيها لعلي لا القاكم بعد عامي هذا وطفق يودع الناس بعيد بدليل قولهم كانها قال بعض
الشراح لكنه في بعض طرق الحديث ان هذه موعظة مودع وهي شاهدة بذلك الاحتمال فاوصنا
بفتح الهمزة اي وصية جامعة كافية لمهمات الدين والدنيا وفيه استحباب استدعاء الوصية والوعظ
من اهلهما واغتنام اوقات اهل الخير والدين قبل فوتها قال اوصيكم بتقوى الله لانها زاد الاخرة
وكافلة لمن تمسك بها بسعادة الدارين لما مر من انها امتثال الاوامر واجتناب النواهي والتكاليف
الشرع لا تخرج عن ذلك ولذا اوصى الله تعالى بها الاولين والاخرين بقوله تعالى ولقد وصينا الذين
اوتوا الكتاب من قبلكم واياكم ان اتقوا الله واصلها وقيا بكسر اوله وقد تفتح من الوقاية قلبت
الواو تا كتراث ثم ابدلت اليا واوا والوقاية ما يستر الراس فالتقي جعل بينه وبين المعاصي وقاية
تحول بينه وبينها من قوة عزمه على تركها واستحضار علمه بقبحها وانشد بعضهم ٥٥ ٥٥
اذا انت لم ترحل بزاد من التقى ولاقيت بعد الموت من قد تزودا ندمت على ان لا تكون كمثله وانك لم ترصد كما كان ارصدا
والسمع اي حمل على ان المراد به الاصغاء الى كلامه ليتمكن من فهمه ومعرفته كان ما بعده تاسيسا
لمغايرته له وان حمل على قبول المسموع وعبر عنه بالسمع لانه فايدته كان ما بعده تاكيدا واليه
جنح الدلجي والهيتمي والطاعة بالفعل والاعتقاد وهي الموافقة بالظاهر والباطن فيما يامر به
وينهى عنه فان اطاع بظاهره دون باطنه فهو عاص وهذا في غير الاثم لحديث لا طاعة لمخلوق
في معصية الخالق وعطف السمع والطاعة على التقوى من باب عطف الخاص على العام نحو قوله تعالى فيهما
فاكهة ونخل ورمان لاشتمال الوصية بالتقوى على السمع والطاعة لولاة امور المسلمين وحكمة ذلك ترتب
المبالغة الاتية عليه وبعكسه نحو اركعوا واسجدوا واعبدوا ربكم وسال مسلم بن يزيد الجعفي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله ارايت ان قامت علينا امراء يسالونا حقهم ويمنعونا حقنا فما
تامرنا فاعرض عنه ثم ساله فقال اسمعوا واطيعوا فانما عليهم ما حملوا وعليكم ما حملتم وان تامر وفي
رواية وان استعمل عليكم عبد ولاحمد حبشي مجدع وللبخاري حبشي وان راسه زبيبة ولمسلم
ولو كان عبدا حبشيا مجدع الاطراف وهذا لا ينافي قوله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في
قريش ما بقي منهم اثنان الايمة من قريش الناس تبع لقريش لان ولاية العبيد قد تكون ناشية
عن امام قرشي بشهادة حديث الحاكم الايمة من قريش ابرارها امراء ابرارها وفجارها امراء
فجارها ولكل حق فاتوا كل ذي حق حقه وان امرت قريش عليكم عبدا حبشيا مجدعا فاسمعوا
واطيعوا وقوله وان تامر عليكم عبد اما من باب ضرب المثل بغير الواقع على طريق التقدير والفرض والا
فهو لا تصح ولايته ونظيره من بنى لله مسجدا ولو كمفحص قطاة بنى الله له بيتا في الجنة واما من باب
الاخبار بالغيب وان نظام الشريعة يختل حتى توضع الولايات على غير اهلها والامر بالطاعة حينئذ ايثار
لاخف الضررين اذا الصبر على ولاية من لا تجوز ولايته اهون من اثارة الفتنة التي لا دواء لها والاخلاق

منها ويشير الي هذا تعقيب ذلك بقوله فانه اي الشان من يعش منكم بعدي فسيري اختلافا كثيرا
بين الناس في ظهور الفتن وفي ظهور البدع والظاهر ان هذا بوحي اوحي اليه فانه صلي الله عليه وسلم
كشف له عما يكون الي ان يدخل اهل الجنة الجنة واهل النار النار كما صح في حديث ابي سعيد وغيره
ويجوز ان يكون بنظر واستدلال ولفظ ابن ماجة اختلافا شديدا وقد كان كذلك فهو من معجزاته
حيث اخبر عن غيب وقع وايتانه بالسين دون سوف يدل علي قرب الروية وكان الامر كذلك فظهر
فتنة عثمان وواقعة الجمل ومحاربة معاوية لعلي علي الامارة ومحاربته للحسن عليها فسلم الامر اليه
لاطفا نار الفتنة وظهر اعظم الفتن قتل الحسين وظهر يوم موته من الايات ان السما امطرت
دما وان اوانيهم مليت دما وان السما اشتد سوادها لانكساف الشمس حتي رويت
النجوم بالنهار واشتد الظلام حتي ظن ان القيمة قد قامت وان الكواكب ضرب بعضها بعضا
ولم يرفع حجر الا وجد تحته دم عبيط وان الورس انقلب رمادا وان الدنيا اظلمت ثلاثة ايام
وظهرت في السما الحمرة وقيل احمرت ثلاثة اشهر وقيل ستة اشهر ثم لا زالت الحمرة ترى بعد ذلك
بها وعن ابن سيرين ان الحمرة التي مع الشفق لم تكن حين قتل الحسين وفي الحديث النجوم امنة السما
اذا ذهبت النجوم اتي السما ما توعد وانا امنة لاصحابي فاذا ذهبت اتي اصحابي ما يوعدون
واصحابي امنة لامتي فاذا ذهب اصحابي اتي امتي ما يوعدون ومعناه ان النجوم مادامت باقية
في السما فالسما باقية فاذا انكدرت وتناثرت في القيمة ذهبت السما فانفطرت وانشقت واذا
ذهبت اتي اصحابي ما يوعدون من الفتن والحروب واذا ذهبت اصحابي اتي امتي ما يوعدون من ظهور البدع
والحوادث في الدين فعليكم بسنتي اي الزموا التمسك بطريقتي وسيرتي القويمة التي انا عليها
مما اصلته من الاحكام الاعتقادية والعملية الواجبة والمندوبة والمباحة وما تقرر من ان معنى السنة الطريقة
القويمة هو ما توافق فيه اللغة والشرع وتخصيصها بما طلب طلبا غير جازم اصطلاح حادث قصدوا
به التمييز بينها وبين الفرض قال عبد الرحمن بن يزيد لقي بن مسعود رجلا محرما وعليه ثيابه فقال
انزع عنك هذا فقال الرجل اقرا علي بهذا اية من كتاب الله تعالي قال نعم وما اتاكم الرسول فخذوه
وما نهاكم عنه فانتهوا فامتثل ونزع ثيابه وسنة اي طريقة الخلفا جمع خليفة وهو كل من قام مقام
غيره وانما اطلق علي الصحابة ذلك لانهم خلفوا رسول الله صلي الله عليه وسلم في الاحكام الراشدين
جمع راشد وهو من عرف الحق واتبعه والغاوي من عرفه ولم يتبعه والضال من لم يعرفه بالمرة المهديين
جمع مهدي وهو من هداه الله لاقوم طريق والراشدون المهديون لفظان مترادفان فان معناهما واحد ويحتمل
انهما اسما مفعول اي الذين ارشدوا اي ارشدهم الله وهداهم ويحتمل انهما اسما فاعل اي المرشدين الهادين
لغيرهم وهو عام اريد به خاص واللام للعهد والمعهود ابو بكر وعمر وعثمان وعلي والحسن رضي
الله عنهم فان ما عرف عن هولا او عن بعضهم اولي بالاتباع من بقية الصحابة اذا وقع بينهم الخلاف فيه
وقد ورد ان رجلا حلف لا يطا زوجته حينا فافتاه ابو بكر بان الحين الابد وعمر بانه اربعون سنة
وعثمان بانه سنة واحدة وعلي بانه يوم وليلة فعرض الرجل ذلك علي رسول الله صلي الله عليه وسلم

نوعام فقال لابي بكر ما دليلك بان الحين قال قوله تعالى في حق قوم يونس ومتعناهم الى حين وقال لعمر
ما دليلك على ان الحين اربعون سنة قال قوله تعالى هل اتى على الانسان حين من الدهر حين من الدهر
آدم العيب طينته على باب الجنة اربعين سنة وقال لعثمان ما دليلك على انه عام قال قوله تعالى تؤتي اكلها
كل حين وقال لعلي ما دليلك على انه يوم وليلة قال قوله تعالى فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون
فقال عليه الصلاة والسلام اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم وامر الرجل ان ياخذ بقول علي تخفيفا
له ومذهبنا موافق لما افتى به عثمان وقال صلى الله عليه وسلم الخلافة بعدي ثلاثون سنة ثم تصير ملكا
عضوضا وقد تمت بولاية الحسن ستة اشهر وقال اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر فخص
من تقدم اثنين وقال للمراة التي سالته وامرها ان ترجع اليه فقالت فان لم اجدك تريد الموت
فقال ايتي ابا بكر فخص ابا بكر قال التوربشتي ذكر سنتهم في مقابلة سنته لانه علم انهم لا يخطئون
فيما يستخرجون ويستنبطون من سنته بالاجتهاد ولانه عرف ان بعض سنته لا تشتهر الا في زمانهم
فاضاف اليهم لبيان ان من ذهب الى رد تلك السنة مخطئ فاطلق القول باتباع سنتهم سدا للباب
انتهى وقد ورد ان العول لم يكن في زمن رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا زمن ابي بكر الصديق
واول من نزل به ذلك عمر فقال لا ادري من اخره الكتاب فاوخره ولا من قدمه فاقدمه ولكن
رايت رايا فان يكن صوابا فمن الله وان يكن خطا فمن عمر وهو ان يدخل الضرر على جميعهم فحكم بالعول
ونقل ان الذي اشار عليه بذلك العباس ولم يخالفه احد من الصحابة الا ابن عباس لكنه لم يظهر ذلك الا
بعد موت عمر اجلالا له وهذا في حق المقلد الصرف في تلك الازمنة القريبة من زمن الصحابة اما فيما
بعد ذلك فلا يجوز كما قال ابن الصلاح تقليد غير الائمة الاربعة مالك وابي حنيفة والشافعي واحمد رضي
الله عنهم لان هولاء عرفت قواعد مذاهبهم واستقرت احكامها وخدمها تابعوهم وحرروها فرعا
فرعا وحكما حكما عضوا عليها وحد الضمير لان سنتهم كسنته في وجوب الاتباع بالنواجذ بذال
معجمة الانياب وقيل الاضراس اي عضوا عليها بجميع الفم لا نهشا باطراف الاسنان وهو كناية عن
شدة التمسك بها لان النواجذ مجردة اذا عضت شيئا نشبت فيه فلا يكاد يتخلص من قولهم ليس
في الامر معض اي مستمسك واياكم ومحدثات بفتح الدال جمع محدثة الامور اي اتقوا الامور المخترعة
في الدين المخالفة لسنن الخلفاء الراشدين واحذروها وكثيرا ما كان يتمثل الامام مالك بهذا البيت كما سلف
وخير امور الدين ما كان سنة وشر الامور المحدثات البدائع فان ذلك بدعة وان كل بدعة ضلالة و جا
في بعض روايات هذا الحديث فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار وقال بعض المفسرين من
المغضوب عليهم اهل البدع وعن العطا الخراساني لما نزل قوله تعالى ومن يعمل سوءا او يظلم نفسه
ثم يستغفر الله يجد الله غفورا رحيما صرخ ابليس صرخة عظيمة اجتمع اليه فيها جنوده من اقطار
الارض قائلين ما هذه الصرخة التي افزعتنا قال امر نزل بي لم ينزل قط اعظم منه قالوا وما هو فتلا
عليهم الاية وقال لهم هل عندكم من حيلة قالوا ما عندنا من حيلة قال لهم اطلبوا فاني ساطلب قال فلبثوا
ما شاء الله ثم صرخ اخرى فاجتمعوا اليه وقالوا ما هذه الصرخة التي لم نسمع منك مثلها الا التي
قبلها قال هل وجدتم شيئا قالوا لا قال لكني قد وجدت قالوا وما وجدت قال ازين لهم البدع
التي يتخذونها دينا ثم لا يستغفرون اي لان صاحب البدعة يراها بجهله حقا وصوابا و

براها ذنباحتى يستغفر الله تعالى وقد جاء في الحديث ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع
بدعته اي لا يثيبه على عمله ما دام متلبسا بتلك البدعة وهو عام مخصوص بالبدعة المحرمة
اذ البدعة تعتريها الاحكام الخمسة كما سبق والمراد الكلية الاغلبية وفي بعض الروايات
فان كل محدث بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار واخرج ابو نعيم اهل البدع شر الخلق والخليقة
والخلق والخليقة مترادفان وقيل المراد بالاول البهايم وبالثاني غيرهم واخرج غيره اصحاب البدع كلاب النار واخرج
البيهقي وابن عاصم في السنة ابى الله ان يقبل عمل صاحب بدعة حتى يدع بدعته قال بعضهم واعلم ان اهل البدع ثمانية المعتزلة
القايلين بان العباد خلقوا اعمالهم وبنفي الروية ووجوب الثواب والعقاب وهم عشرون فرقة والشيعة المفرطون في
محبة علي وهم اثنان وعشرون فرقة والخوارج المفرطة المكفرة لمذنب اذنب ذنبا كبيرا وهم عشرون فرقة والمرجية
القايلون بانه لا يضر مع الايمان معصية ولا ينفع مع الكفر طاعة وهم خمس فرق والنجارية الموافقون لاهل السنة في
خلق الافعال وللمعتزلة في نفي الصفات وحدوث الكلام وهم ثلاث فرق والجبرية القايلون بسلب الاختيار عن
العباد فرقة والمشبهة الذين يشبهون الحق بالخلق فرقة ايضا فتلك ثنتان وسبعون فرقة كلهم في النار والفرقة
الناجية هم اهل السنة وقد ورد في الحديث ستفترق امتي على بضع وسبعين فرقة كلهم في النار الا فرقة واحدة وهي
ما كان على ما انا عليه واصحابي رواه ابو داود والترمذي وقال الحديث حسن وفي نسخة حسن صحيح الحديث
التاسع والعشرون عن معاذ بن جبل بالتحريك ضد السهل رضي الله تعالى عنه قال قلت يا رسول الله اخبرني وفي
رواية انبئني بعمل التنوين فيه للتعظيم او للنوعية اي عمل عظيم او معتبر في الشرع فلا يرد انه اذا جعل يدخلني جواب
الامر يبقى بعمل غير موصوف والنكرة غير الموصوفة لا تفيد يدخلني الجنة اما ان يجعل مرفوعا والجملة في محل جر صفة لقوله
بعمل او مجزوما وما قال الطيبي وفي مثله مذهبان احدهما مذهب الخليل وهو ان يجعل الامر بمعنى الشرط وجواب
الامر جزاوا والتقدير ان تخبرني بعمل يدخلني الجنة وفيه اقامة السبب الذي هو الاخبار مقام المسبب الذي هو العمل
لان العمل هو السبب ظاهرا لا الاخبار والثاني مذهب سيبويه ان الجواب جزا شرط محذوف تقديره اخبرني بعمل
ان عملته يدخلني الجنة ويباعدني من النار وفي رواية احمد اني اريد ان اسالك عن كلمة قد امرضتني واحزنتني
قال سل عما شئت قال اخبرني بعمل يدخلني الجنة لا اسالك غيره وفيه دليل على شدة اعتنايه بالاعمال الصالحة
وعظيم فصاحته فانه اوجز وابلغ ولهذا احمد المصطفى صلى الله عليه وسلم مسيلته واستعظمها وان الاعمال
سبب لدخول الجنة ويشهد له قوله تعالى وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون وقوله تعالى ادخلوا
ادخلوا الجنة بما كنتم تعملون ولا ينافيه حديث البخاري لن يدخل احد الجنة بعمله قالوا ولا انت يا رسول الله
قال ولا انا الا ان يتغمدني الله برحمته وفي رواية لن يدخل احدا منكم الجنة عمله لان العمل نفسه لا يستحق
به احد الجنة ما لم يكن مقبولا والقبول انما يحصل برحمة الله تعالى فالمنفي في الحديث دخولها المجرد عن
القبول والمثبت في الاية دخولها بالعمل المقبول او المراد به جنة خاصة اي تلك الجنة الخاصة الرفيعة
بسبب الاعمال واما الدخول فبالرحمة او ان البا في بما كنتم للملابسة اي اورثتموها ملابسة لاعمالكم اي
لثواب اعمالهم او للعوض والمقابلة والمعطى بالعوض قد يعطي مجانا لا للسببية لان المسبب لا يوجد بدون
السبب خلافا للمعتزلة القايلين بان العمل سبب لدخولها واما البا في حديث لن يدخل احد
الجنة بعمله فهي سببية ولا كلام فايدة اخرج الحاكم وصححه انه صلى الله عليه وسلم قال خرج من عندي
خليلي

خليلي جبريل آنفا فقال يا محمد والذي بعثك بالحق ان لله عبدا من عباده عبد الله عز وجل خمسمائة سنة
على راس جبل في البحر عرضه وطوله ثلاثون ذراعا في ثلثين ذراعا والبحر المحيط به اربعة الاف فرسخ
من كل ناحية واخرج له عينا عذبة بعرض الاصبع تبض بما عذب فتستنقع باسفل الجبل
وشجرة رمان تخرج كل يوم رمانة يتعبد يومه فاذا امسى نزل فاصاب من الوضوء اخذ تلك الر
مانة فاكلها ثم قام لصلاته فسال ربه عند وقت الاجل ان يقبضه ساجدا قال ففعل فنحن نمر
عليه اذا هبطنا واذا عرجنا فنجد له في العلم انه يبعث يوم القيمة فيوقف بين يدي الله عز وجل
فيقول الرب عز وجل ادخلوا عبدي الجنة برحمتي فيقول رب بل بعملي فيقول الله تعالى حاسبوا عبدي
بنعمتي عليه وبعمله فتوجد نعمة البصر قد احاطت بعبادة خمسمائة سنة وبقيت نعم الجسد فضلة
عليه فيقول ادخلوا عبدي النار فيجر الى النار فينادي يا رب برحمتك ادخلني الجنة فيقول ردوه
فيوقف بين يديه فيقول يا عبدي من خلقك ولم تكن شيا فيقول انت يا رب فيقول ومن قواك لعبادة
خمسمائة سنة فيقول انت يا رب فيقول من انزلك في جبل وسط اللجة واخرج لك الما العذب
من الما الملح واخرج لك كل ليلة رمانة وانما تطرح مرة في السنة وسالته ان يقبضك ساجدا
ففعل فيقول انت يا رب قال فذلك برحمتي وبرحمتي ادخلك الجنة ادخلوا عبدي الجنة فنعم العبد
كنت يا عبدي فادخله الله الجنة قال جبريل انما الاشيا برحمة الله يا محمد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لمعاذ لقد سالت عن عظيم لان عظم الشي بعظم الاسباب والنجاة من النار امر عظيم فكيف مع دخول
الجنة وانه اي العمل الذي يدخل الجنة ويباعد عن النار ليسير على من يسره الله تعالى عليه
بتوفيقه وتهيئة اسباب الطاعة وشرح صدره للسعي فيما يؤديه الى السعادة الابدية فمن يرد الله
ان يهديه يشرح صدره للاسلام اعملوا ما شئتم فكل ميسر لما خلق له فالجملة فالتوفيق اذا ساعد
على شي تيسر وان كان ثقل الجبال تعبد الله عدل عن صيغة الامر تنبيها على ان المامور كانه متسارع الى
الامتثال وهو يخبر عنه اظهارا لرغبته في وقوعه والمراد بالعبادة النطق بالشهادتين ولما عبر بالعبادة
احتاج ان يوضحها بقوله لا تشرك به شيا ومنه يا ايها الناس اعبدوا ربكم اي وحدوه وما خلقت الجن
والانس الا ليعبدون اي يوحدون ويحتمل ان العبادة هنا تتناول الايمان الباطن والاسلام الظاهر
قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه احدا والاقرب الاول كما قال
الحافظ ابن حجر والعبادة كما قال شيخ الاسلام في شرح الرسالة القشيرية لها ثلاث درجات عليا
ووسطى ودنيا فالعليا ان يعمل العبد لله وحده امتثالا لامره وقياما بحق عبوديته والوسطى ان
يعمل لثواب الاخرة والدنيا ان يعمل للاكرام في الدنيا والسلامة من افاتها وما عدا عن الثلاث فهو من
الريا وان تفاوتت افراده واللام في قوله للاكرام لام العاقبة والمال لا لام العلة فالعمل لله
فقط لكنه يؤول عند الاطلاع عليه الى الاكرام وذكر بعض المفسرين عن بعض العارفين ما محصله
ان العبادة لها ثلاث درجات اولها ان تعبد الله طمعا في الثواب وهربا من العقاب وهذا هو المسمى

اللام واقعة في جواب قسم مقدر والتقدير والله لقد

بالعبادة واوسطها نتعبد الله لنتشرف بعبادته او لنتشرف بقبول تكاليفه او بالانتساب اليه وهذه
اعلا من الاولى واعلاه ان نعبده لكونه الها وخالقا ولكونك عبدا له وهذا يعكر على ما قاله شيخ الاسلام
وتقيم بالرفع الصلاة وهو وما بعده من عطف المغاير على المعنى الاول في تعبد وعليه فيكون قد ذكر له
التوحيد واعمال الاسلام والعام على الخاص على المعنى الثاني وتؤتي الزكاة وهي القدر المخرج من النصاب
للمستحق واتى بالزكاة عقب الصلاة لان الصلاة اعظم الطاعات البدنية والزكاة اعظم الطاعات المالية وقد
كتب سلمان الى ابي الدرداء رضي الله عنهما يا اخي اياك ان تجمع من الدنيا ما لا تودي شكره فاني سمعت رسول الله
صلى الله عليه وسلم يقول يجا بصاحب الدنيا الذي اطاع الله فيها وماله بين يديه كلما تكفأ به
الصراط اي مال قال له ماله امض فقد اديت حق الله فيّ ثم يجا بصاحب الدنيا الذي لم يطع الله فيها
وماله بين يديه كلما تكفأ به الصراط قال له ماله ويلك الا اديت حق الله فيّ فما يزال كذلك حتى يدعو
بالويل والثبور وتصوم شهر رمضان وتحج البيت الحرام ان استطعت اليه سبيلا ثم قال صلى الله عليه وسلم
الا ادلك اي ارشدك وهو عرض متضمن للحث نحو هل ادلكم على تجارة الاية اي اعرض ذلك عليك فهل تحبه
قصد به التشويق الى ما سيذكره له ليكون اوقع في نفسه وابلغ في ملازمته واحث على استفراغها
لافادته على ابواب الخير اي طرقه واسبابه الموصلة اليه ومن ثم جعلها ابوابا له لترتبه عليها تشبيها
له بامتعة في مكان له ابواب فهو استعارة مكنية تخييلية ثم الاضافة ان كانت بيانية كان المراد
به الاعمال الصالحة التي يتوصل بها الى اعمال الجمل منها كما استفيد من تسميتها ابوابا فهو من المجاز البليغ
لما فيه من تشبيه المعقول بالمحسوس واتى بجمع القلة اشارة الى تسهيل الامر على السامع ليزيد تشوقه
واقباله وان كانت بمعنى اللام كان المراد به الجزء العظيم وبها جميع الاعمال الصالحة ويدل للثاني رواية
ابن ماجه الا ادلك على ابواب الجنة وللاول تخصيص بعض الاعمال بالذكر بقوله الصوم اي صوم النفل لان
صوم الفرض تقدم جنة بضم الجيم اي وقاية من استيلا الشهوة والغفلة في العاجل ومن النار في الاجل
قال الطيبي انما جعل الصوم جنة من النار لان في الجوع سد مجاري الشيطان كما في الحديث ان الشيطان
يجري من ابن ادم مجرى الدم فسدوا مجاريه بالجوع فاذا سد مجاريه لم يدخل فيه فلم يكن سبب
العصيان الذي هو سبب دخول النار وفي خبر النسائي الصوم جنة من النار كجنة احدكم من القتال
والصدقة اي نفلها لان فرضها مر ذكره تطفئ بضم اوله وهمز اخره تمحو وفي رواية تكفر الخطيئة بالهمز بوزن
فعيلة وربما اسقطت الهمزة وشددت اليا والمراد الصغيرة المتعلقة بحق الله اما الكبيرة فلا يمحوها
الا التوبة واما حق الادمي فلا يمحوه الا الرضا من صاحبه وورد ان امراة جات الى حسان بن سنان
فسالته شيا فجعل ينظر اليها فاذا هي امراة جميلة فقال يا غلام اعطها اربعماية درهم فقيل له انها تسالك
درهما فاعطيتها اربعماية درهم قال فلما نظرت الى جمالها خشيت ان تقع في معصية فاحببت ان اغنيها
عسى ان يرغب فيها احد فيتزوجها ووجه رجل ابنه في تجارة فمضت ستة اشهر ولم يقع له على خبر
فتصدق برغيفين وارخ ذلك اليوم فلما كان بعد سنة رجع ابنه سالما فساله ابوه هل اصابك في
سفرك بلاء فقال غرقت السفينة بنا في وسط البحر وغرقت من جملة الناس واذا بشابين اخذاني
وطرحاني على الشط وقالا لي قل لوالدك هذا برغيفين فكيف لو تصدقت بزاد يزيد على ذلك

واما منع الصدقة فيصير العزيز ذليلا وحكي ان رجلا جلس يوما ياكل هو وزوجته وبين يديهما
دجاجة مشوية فوقف سايل ببابه فخرج اليه فنهره فاتفق بعد ذلك ان الرجل افتقر وزالت
نعمته وطلق زوجته وتزوجت بعده برجل فجلس ياكل في بعض الايام هو وزوجته وبين يديهما
دجاجة واذا بسايل يطرق الباب فقال لزوجته ادفعي له هذه الدجاجة فخرجت بها اليه فاذا
هو زوجها فدفعت اليه الدجاجة ورجعت وهي باكية فسالها زوجها عن بكايها فاخبرته ان
السايل كان زوجها وذكرت له قصته مع السايل الذي انتهره زوجها فقال لها زوجها انا
ذلك السايل كما يطفي الما النار اذا التي عليها وانما استعار لفظ الاطفا لمقابلته بقوله كما يطفي
الخ او لان الخطيئة يترتب عليها العقاب الذي هو اثر الغضب المستعمل فيه الاطفا وفيه استعارة
تبعية لانه شبه اذهاب الصدقة للخطيئة بالاطفا واستعار له الاطفا ثم اشتق منه الفعل او تخييلية
لانه شبه الخطيئة بالنار واثبت له ما هو من لوازمها من الاطفا وخصت الصدقة بذلك لتعدي
نفعها الى الخلق عيال الله وهي احسان اليهم والعادة ان الاحسان الى عيال الشخص يطفي غضبه وسبب
اطفا الما النار ان بينهما غاية التضاد اذ هي حارة يابسة والما بارد رطب فقد ضادها بكيفيته
والضد يدفع الضد ويعدمه وانما قال الصوم جنة والصدقة تطفي الخطيئة ولم يقل الصوم والصلاة
والصدقة بدون ذلك للاشارة الي اختلاف انواع الخير فان قلت ما اعراب ما ذكر فالجواب ان قوله
الصوم مبتدا اخبره جزء محذوف تقديره منها الصوم وقوله جنة خبر لمبتدا محذوف اي وهو جنة
وكذا قوله والصدقة تطفي الخطيئة وقد سيل ابن عباس رضي الله عنهما اي الصدقة افضل قال الما الم تروا
الي اهل النار حين استغاثوا الي اهل الجنة ان افيضوا علينا من الما او مما رزقكم الله وروي ان سعدا
اتي النبي صلي الله عليه وسلم فقال اي الصدقة احب اليك قال الما فحفر بيرا وقال هذه لام سعد
وفي رواية اخري انه قال يا رسول الله ان ام سعد كانت تحب الصدقة افينفعها ان اتصدق عنها قال
وعليك بالما وروي البخاري عن ابي هريرة ان رسول الله صلي الله عليه وسلم قال بينما رجل يمشي بطريق
اشتد عليه العطش فنزل بيرا فشرب ثم خرج فاذا الكلب ياكل الثرى من العطش فقال لقد بلغ
هذا الكلب مثل الذي بلغت فملا خفه ثم امسكه بفيه ثم رقي فسقي الكلب فشكر الله له فغفر له قالوا
يا رسول الله وان لنا في البهايم اجرا قال في كل كبد رطبة اجر وفي رواية في كل كبد حرى اجر وروي ان شربتهم
امراة كانت بغية فرات كلبا عطشانا فانتزعت بخفها ماء فسقته فغفر الله لها وعن عايشة
رضي الله عنها عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال من سقي مسلما من ما حيث يوجد الما فكانما اعتق
رقبة ومن سقي مسلما شربة من ما حيث لا يوجد الما فكانما احياها واخفا الصدقة اولي
لقوله تعالي ان تبدوا الصدقات فنعما هي وان تخفوها وتوتوها الفقرا فهو خير لكم الاية ولما رواه انس
انه عليه الصلاة والسلام قال ان صدقة السر تطفي غضب الرب وتدفع ميتة السو ولذا
كان علي بن الحسن يحمل الخبز علي ظهره بالليل ويتتبع به المساكين ويقول ان الصدقة في سواد الليل
تطفي غضب الرب ولما مات وجد في ظهره اثر سواد فقال الغاسل ما هذا فقيل انه كان يحمل
الدقيق علي ظهره ويعطيه لفقرا اهل المدينة وكان اذا اتاه سايل رحب به وقال مرحبا بمن

يجعل زاد ناالى الاخرة فايدة اخرج الشيخان من جملة حديث طويل وانك تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله الا
اجرت عليها حتى ما تجعل في في امراتك واخرج احمد باسناد جيد ما اطعمت نفسك فهو لك صدقة اي ان كان
مما لا بد منه لقصد التقوي به على الطاعة كما هو معلوم من القواعد الشرعية وما اطعمت ولدك فهو لك صدقة
وما اطعمت زوجك فهو لك صدقة وما اطعمت خادمك فهو لك صدقة واخرج الطبراني باسناد
حسن من انفق على نفسه نفقة يستعف بها فهي صدقة ومن انفق على امراته وولده واهل بيته فهي
صدقة وهذا مفسر لما قبله واخرج الدارقطني والحاكم وصحح اسناده كل معروف صدقة وما انفق الرجل
على اهله كتب له صدقة وما وقي المرء به عرضه كتب له به صدقة وما انفق المومن من نفقة فان
خلفها على الله وهو ضامن الا ما كان في بنيان او معصية وفسرت وقاية العرض بما يعطي الشاعر
وذي اللسان المتقى واخرج الطبراني في الاوسط اول ما يوضع في ميزان العبد نفقته على اهله
واخرج الطبراني بسند صحيح كل ما صنعت الى اهلك فهو صدقة عليهم وصلاة الرجل خص بالذكر لان
السايل ذكر ولان الخير غالبا في الرجال اذ اكثر اهل النار النسا لا للاحتراز عن المراة لانها مثله في ذلك من جوف
الليل اي في جوف الليل وبها عبر في بعض النسخ وحروف الجر تتناوب اولا بتدا الغاية فيكون مبتدا الصلاة
جوفه او للتبعيض اي صلاته بعض جوف الليل اذ هي فيه مطلقا افضل منها في النهار لان الخشوع والتضرع
فيه اسهل واكمل وللامام احمد وقيام الليل في جوف الليل يكفر الخطيئة قال ابن مسعود رضي الله عنه
ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم ينام الليل كله قال ذاك رجل بال الشيطان في اذنه واوحى الله الى داود
يا داود كذب من ادعى محبتي اذا جن ليله نام عني ولما قال الخليل لابنه يا بني اني ارى في المنام اني
اذبحك قال هذا جزا من نام عن حبيبه لو لم تنم ما امرت بالذبح وقيل للحسن البصري ما بال المتهجدين
من احسن الناس وجوها قال لانهم خلوا بالرحمن فالبسهم نورا من نوره وعن ابي مالك الاشعري قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان في الجنة غرفا يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها اعدها الله لمن الان
الكلام واطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام ويحصل فضل قيامه بصلاة ركعتين لخبر من
قام من الليل ولو قدر حلب شاة كتب من قوام الليل وخبر من استيقظ من الليل وايقظ امراته فصلى ركعتين
جميعا كتبا من الذاكرين الله كثيرا والذاكرات واختلف في الافضل اجزائه والصحيح الذي دلت عليه
الاحاديث انه ان جزاه نصفين فالنصف الثاني افضل او اثلاثا فالثلث الاخير افضل او اسداسا
فالسدس الرابع والخامس افضل وهذا هو الاكمل على الاطلاق لانه الذي واظب عليه النبي صلى الله عليه وسلم
وقال فيه افضل الصلاة صلاة اخي داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وروي الجنيد
بعد موته فقيل له ما فعل الله بك فقال طاحت الاشارات وغابت العبارات وفنيت العلوم ونفدت
الرسوم وما نفعنا الا ركيعات كنا نركعها عند السحر وكان ابو حنيفة يحيي نصف الليل فاشار
اليه انسان وهو يمشي وقال لغيره هذا يحيي الليل كله فلم يزل بعد ذلك يحيي الليل كله وقال اني استحيي من الله
ان اوصف بما ليس في من عبادته ولبعضهم تغيرتموا عنا بصحبة غيرنا واظهرتم الهجران ما هكذا كنا
واقسمتموا ان لا تحولوا عن الهوى فحلتم عن العهد القديم وما حلنا ليالي كنا نشتفي بوصالكم وقلبي الى تلك

من قرابيني جم

الليالي لقد رحنا وقد اجتهد السلف الصالح من الصحابة والتابعين فمن بعدهم في قيام الليل كعثمان
بن عفان رضي الله عنه فانه كان يصوم النهار ويقوم الليل الا هجعة اوله وكان يجمع القران في ركعة
وعبد الله بن عمرو بن العاص وكان زوجه ابوه امراة ثم جاء اليها فقال فكيف وجدت بعلك قالت
خير الرجال لم يلبس لنا كساء ولم يعرف لنا فراشا وعبد الله بن حنظلة قال مولى له يقال له سعد ولم يكن
لعبد الله فراش تنام عليه انما كان يلقي نفسه هكذا اذا اعيي من الصلاة توسد رداه وذراعه
ثم يهجع قليلا وصفوان بن سليم كان اعطى الله عهدا انه لا يضع جنبه على الارض فلما نزل به الموت
قيل له يرحمك الله الا تضطجع قال ما وفيت بالعهد اذا فاستند وما زال كذلك حتى خرجت نفسه
قال اهل المدينة وثقبت جبهته من كثرة السجود وعروة بن الزبير كان القراءة كل يوم نظرا في المصحف
ويقوم فما نراه تركها الا ليلة قطعت رجله ثم عاودها من الليلة المقبلة وسفيان الثوري كان اذا
جا الليل قال هذه ليلتي التي اموت فيها فما ينام حتى يصبح واذا اصبح قال كذلك ويلبس الثياب الرقاق
في البرد حتى يمنعه البرد من النوم وعامر بن عبد قيس كان اذا جا الليل قال اذهب عني النوم حر النار
فما ينام حتى يصبح وصهيب حكى الامام مالك انه كان يحييه فقالت له امراته افسدت نفسك نهارك
صايم وليلك قايم فقال يا مولاتي اذا ذكرت النار طار نومي واذا ذكرت الجنة استقر حزني
والسري السقطي كان ورده في الليل والنهار خمسماية ركعة والامام ابي الحسن الاشعري اقام
نيفا وعشرين سنة يصلي الصبح بوضوء العشا الاخرة وعبد العزيز ابن ابي داوود كان ياتي فراشه
فيمر يده عليه فيقول والله انك لين وفراش الجنة الين منك فيدرجه ويصلي الليل كله وكان سيدي
عبد الوهاب الشعراني قبل بلوغه ربما ختم القران في ركعة واحدة وكان ابو بكر كثيرا ما ينشد ويقول

هذا شعاري وهذا دثاري همان لا يفارقاني
التشوق والوجد في مكاني قد منعاني عن القرار

وكان سري السقطي ينشد ويقول لا في النهار ولا في الليل لي فرج فما ابالي اطال الليل ام قصرا لانني طول ليلي
هائم دنف وبالنهار اقاسي الهم والكدرا وعن علي بن بكار قال لي منذ اربعين سنة ما احزنني الا طلوع
الفجر وكان سيدي الرفاعي يقول اذا جن ليلي هام قلبي بذكركم انوح كما ناح الحمام المطوق وفوقي سحاب
يمطر الهم والاسى وتحتي بحار بالاسى تتدفق فلا هو مقتول ففي القتل راحة ولا هو ممنون عليه فيعتق
وقوله وصلاة الرجل قال البيضاوي هو مبتدا خبره محذوف اي كذلك تطفي الخطيئة او هي من ابواب
الخير والاول اظهر لاستشهاده صلى الله عليه وسلم بالاية وهي متضمنة للصلاة والانفاق ونقله
الطيبي ثم قال والاظهر ان يقدر الخبر شعار الصالحين كما في جامع الاصول ويشير فانه مطلوب زائد على
القرينتين وهي انهما افادتا المباعدة عن النار فتفيد هذه الادخال في الجنة ويتم الاستشهاد بالاية لان
قرة العين كناية عن السرور والفوز التام وهو مباعدة النار ودخول الجنة كما قال تعالى فمن زحزح عن
النار وادخل الجنة فقد فاز ثم تلا لفظ ابن ماجه ثم قرا يعني احتجاجا على فضل صلاة الليل ومدحا للفاعل
ذلك قوله تعالى تتجافى اي تتنحى وترتفع وتنبو جنوبهم جمع جنب وهو ما تحت ابطه الى كشحه

عن المضاجع اي مواضع الاضطجاع للنوم وهو الفرش لانه جمع مضجع بفتح الجيم وهو موضع الاضطجاع
للنوم حتى بلغ يعلمون ورواية الترمذي وابن ماجة حتى بلغ جزا بما كانوا يعلمون وذلك بما فيها من الثنا عليهم
من هجر النوم وارتكاب مشقة السهر وظهور الخوف والاحتياج اليه تعالى والانفاق مما رزقهم المترتب
عليه ما اخفي لهم من قرة اعين وجمهور المفسرين على ان ما في الاية كناية عن كثرة التنفل بالليل فانهم
اخفوا اعمالهم فجوزوا بما اخفي لهم من قرة اعين وانما تم اخفاؤه بالصلاة في جوف الليل فما قيل انه
كنايه عن الصلاة بين العشا بين يرده ظاهر سياق هذا الحديث وقد جاء ان الله تعالى يباهي
بقوام الليل في الظلام الملايكة يقول انظروا الى عبادي قد قاموا في ظلم الليل حيث لا يراهم احد
غيري اشهدكم اني قد اجتهم دار كرامتي وجا اذا جمع الله الاولين والاخرين نادى مناد بصوت
يسمع الخلايق سيعلم الجمع اليوم من اولى بالكرم ليقم الذين كانت تتجافى جنوبهم عن المضاجع
فيقومون وهم قليل ثم ينادي مناد ليقم الذين كانت لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون
وهم قليل ثم يحاسب ساير الناس وفي مسلم افضل بعد المكتوبة صلاة الليل وفي تهجد ابن ابي الدنيا
ان يحيى عليه السلام شبع ليلة فنام عن حزبه حتى اصبح فاوحى الله تعالى اليه يا يحيى هل وجدت
دارا خيرا من داري او جوارا خيرا من جواري وعزتي يا يحيى لو اطلعت على الفردوس اطلاعة
لذاب جسمك وذهبت نفسك اشتياقا اليه ولو اطلعت على جهنم اطلاعة لبكيت الصديد بعد
الدموع وللبست الجلود مع المسوح وحكى الحافظ بن رجب في لطايفه عن بعض العلما انه نام عن
تهجده ليالي فراى في منامه رجلين وقفا عليه فقال احدهما للاخر هذا كان من المستغفرين فترك
ثم قال صلى الله عليه وسلم الا اخبرك براس الامر اي الدين او العباده او الامر الذي سالت عنه وعموده
الذي يعتمد عليه كعمود الخيمة وذروة بتثليث الذال المعجمة والكسر افصح سنامه بفتح السين اعلاه
لان سنام البعير ما ارتفع في ظهره الجهاد لما فيه من مقاساة الاهوال وترك الاختلاط بالاهل والعيال
وسقط منه هنا شطر ثابت في اصل الترمذي لا يتم الكلام بدونه وكانه انتقل نظره من سنامه الى سنامه
اذ لفظ الترمذي بعد سنامه المذكور قلت بلى يا رسول الله قال راس الامر الاسلام وعموده الصلاة
وذروة سنامه الجهاد فيحتمل ان السقط من الاصل الذي نقل منه المص ويحتمل انه هنا من بعض النساخ
وفي قوله راس الامر الاسلام استعارة بالكناية تتبعها استعارة ترشيحية لانه شبه الامر المذكور بفحل
الابل وبالبيت القايم على عمد واضمر هذا التشبيه في النفس ثم ذكر ما يلايم المشبه به وهو الراس والسنام
والعمود والمراد بالاسلام النطق بالشهادتين كما جا مفسرا بهما في رواية احمد وانما كان هو الراس لانه
لا حياة لشي من الاعمال بدونه كما ان الحيوان لا حياة له بدون راسه والصلاة العمود لانه هو الذي يقيم
البيت ويهيئه للانتفاع به والصلاة هي التي تقيم الدين والجهاد هو ذروة السنام لان ذروة الشي اعلاه
والجهاد اعلى انواع الطاعات من حيث انه به يظهر الاسلام ويعلو على ساير الاديان واعلم انه اختلفوا في افضل
انواع البر بعد الفرايض فقال مالك وابو حنيفة العلم ثم الجهاد لقوله صلى الله عليه وسلم ما جميع انواع
البر في الجهاد الا كنقطة في بحر وما جميع اعمال البر والجهاد في طلب العلم الا كنقطة في بحر وقال الشافعي افضلها
الصلاة فرضا ونفلا وقال احمد افضلها الجهاد وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم سيل اي الاعمال افضل

فقال تارة الصلاة لاول وقتها وتارة الجهاد وتارة بر الوالدين وحمل على اختلاف السايلين لانه صلى الله
عليه وسلم كان طبيب الخلق فرب شخص كان الغالب عليه ترك المحافظة على الصلاة فقال له الصلاة في
اول وقتها ورب شخص كان الغالب عليه ترك الجهاد فقال له الجهاد ورب شخص كان الغالب عليه ترك
بر الوالدين واختلاف الازمان فرب عبادة في زمن افضل من غيرها او ان من مقدرة اي من افضل
الاعمال وعن ابي امامة الباهلي انه قال خرجنا مع النبي صلى الله عليه وسلم غزوة من غزواته فمر رجل بغار
فيه شي من ماء وحوله شي من البقل فحدث نفسه بان يقيم في ذلك الغار يشرب مما فيه من الماء ويصيب
مما حوله من البقل ويتخلى عن الدنيا قال لو اني اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرت له ذلك فان
اذن لي فعلت والا لم افعل فاتاه فقال يا نبي الله اني مررت بغار فيه ما يقوتني من الماء والبقل فحدثتني
نفسي بان اقيم فيه واتخلى عن الدنيا فقال النبي صلى الله عليه وسلم اني لم ابعث باليهودية
ولا بالنصرانية ولكني بعثت بالحنيفية السمحة والذي نفس محمد بيده لغدوة او روحة
في سبيل الله خير من الدنيا وما فيها ولمقام احدكم في الصف خير من صلاته ستين سنة وروى
الحاكم ان عثمان ابن مظعون جاء الى المصطفى صلى الله عليه وسلم فقال تحدثني نفسي بان اختصي فقال
خصا امتي الصوم فقال تحدثني نفسي بان اترهب في روس الجبال فقال ترهب امتي الجلوس في
المساجد وانتظار الصلاة فقال اريد ان اسيح في الارض فقال سياحة امتي الغزو في سبيل
الله تعالى فقال تحدثني نفسي ان اطلق امراتي فقال المهاجر من امتي من هجر ما حرم الله فقال تحدثني
نفسي ان لا اكل اللحم فقال انا احبه واكله وقد قال بعضهم الجود بالمال جود فيه مكرمة
والجود بالنفس اقصى غاية الجود قال الطيبي وانما خص هذه المرتبة العليا بالباء والاولى بعلى لان هذه
المرتبة اجمع واشمل لان المعنى بامر الدين وهو مشتمل على ابواب الخير وعلى ما قبله من نحو تعبد الله الخ ولهذا
اتى بالباء في المرتبة الثالثة الاتية واكدها بكله لكونه اجمع منها ولهذا الترقي بينهما كذا على هذه الزيادة
في الجواب والسوال ضربان جدلي وتعليمي وحق الاول مطابقة الجواب من غير زيادة ولا نقص وحق الثاني ان
يتحرى المجيب الاصعب كالطبيب الرفيق يتوخى شفاء العليل طلبه ام لا ولما تكلم على جهاد الكفر اخذ يتكلم
على جهاد النفس ومنعها عن الكلام فيما يوذيها ويوذي بها فقوله ثم قال صلى الله عليه وسلم الا اخبرك بملاك ذلك
الامر كله اي بما يملكه ويضبطه او بمقصوده وجماعه او بما يقوم به بمعنى انه اذا وجد كانت تلك الاعمال
كلها على غاية من الكمال ونهاية من صفاء الاحوال لان الجهاد وغيره من اعمال الطاعات غنيمة وكف اللسان
عن المحارم سلامة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا والسلامة في نظر العقلا مقدمة
على الغنيمة قلت بلى يا رسول الله فاخذ بلسانه البارز ابره موكوة والضمير راجع للنبي صلى الله عليه
وسلم اي امسك النبي صلى الله عليه وسلم لسان نفسه بيده ثم قال كف من كفه منعه وفي رواية
الكف وفي رواية امسك عليك اي عنك او خص كف بمعنى احبس عليك لسانك لا يوذيك بالكلام
هذا اي عن الشر فان آفته عظيمة ولذا قال الغزالي اللسان من نعم الله العظيمة ولطايف صنعه
الغريبة فانه صغير جرمه وعظيم طاعته وجرمه اذ لا يتبين الكفر والايمان الا به وكلاهما

يخ م

ما يتناوله القلب يعرب عنه اللسان اما بحق او باطل وهذه خاصية لا توجد في ساير الاعضا فان كل
عضو يقتصر على منفعة ممن اطلق عذبة اللسان ملكه الشيطان ولا ينجو من شره الا من
يلجمه بلجام الشرع فلا يطلقه الا فيما ينفع في الدنيا والاخرة ويكفه عن كل شي يخشى غايلته واعصى
الاعضا من الانسان اللسان فانه لا تعب في تحريكه ولا مونة في اطلاقه وقد تساهل الخلق
في الاحتراز عن افاته وغوايله والحذر عن مصايده وحبايله انتهى وفي الحكمة لسانك اسدك
ان اطلقته فرسك وان امسكته حرسك وكان ابو بكر الصديق رضي الله عنه يمسك لسانه ويقول هذا
الذي اوردني الموارد فلما روي في المنام فقيل له ما الذي اوردك لسانك قال قال لا اله الا الله فاوردني
الجنة وفي الحديث طوبى لمن ملك لسانه ووسعه بيته وبكى على خطيئته وقال بعض الحكما لا شي احق بالسجن
من اللسان وقد جعله الله خلف الشفتين والاسنان ومع ذلك يكسر القفل ويفتح الابواب وقال
بعضهم في الصمت سبعة الاف خير وقد اجتمع ذلك كله في سبع كلمات في كل كلمة منها الف اولها ان الصمت
عبادة من غير عناء والثاني زينة من غير حلي والثالث هيبة من غير سلطان والرابع حصن من غير حائط
والخامس استغناء عن الاعتذار الى الناس والسادس راحة الكرام الكاتبين والسابع ستر لعيوبه
لان الصمت كما قيل زين للعالم وستر للجاهل وقيل ثلاثة اشيا تقسي القلب الضحك من غير عجب والاكل من
غير جوع والكلام من غير حاجة وذكر عن الاوزاعي انه قال المومن يقل الكلام ويكثر العمل والمنافق يكثر الكلام
ويقل العمل وقد قال ابو بكر بن خلف اللخمي يموت الفتى من عثرة بلسانه وليس يموت المر من عثرة الرجل
فعثرته من فيه ترمي براسه وعثرته بالرجل تبرا على مهل وعثر المتوكل بالبساط فجلس وتمثل بهذين البيتين
وقوله كف يحتمل عمومه وخص منه الكلام بخير لحديث من كان يومن بالله واليوم الاخر فليقل خيرا او ليصمت
ويحتمل انه من باب المطلق استعمل في الكف عن الشر فلا يبقى له دلالة على غير ذلك ومنشا الاحتمال ان
الفعل يدل على المصدر لكن هل يقدر المصدر معرفا فيعم او منكر فلا يعم كالكف كفا او على ان المصدر جنس
فيعم اولا فلا قلت يا رسول الله وانا لمواخذون بما نتكلم به اللام للتوكيد وهذا استفهام استثبات وتعجب
واستغراب فدل على ان معاذا لم يكن يعلم ذلك ولا ينافي خفا هذا عليه قوله عليه الصلاة والسلام في حقه اعلمكم
بالحلال والحرام معاذ اما بحمل ذلك على المعاملات الظاهرة بين الناس والمواخذة المذكورة في معاملة العبد
مع ربه او انه انما صار اعلمكم بذلك بعد هذا السوال وامثاله من طريق التعلم فقال ثكلتك بمثلثة وكاف
مكسورة ولام مفتوحة اي فقدتك امك زاد ابن ماجه يا معاذ والثكل بسكون الكاف وفتحها فقد المراة
ولدها وليس المراد به حقيقته من الدعا بالموت بل هو من الالفاظ الذي يجري على الالسنة في المحاورات
للتاديب والتنبيه من الغفلة كتربت يداك او ان الموت لما كان يعم كل احد كان الدعا به عليه كلا دعا
او ان المراد ان قلت هذا كان الموت خيرا لك من الحياة وهل حرف استفهام انكاري بمعنى النفي ومنه هل جزا
الاحسان الا الاحسان يكب بضم الكاف اي يلقي قال الطيبي مضارع كبه بمعنى صرعه على وجهه فاكب سقط
على وجهه وهذا من النوادر فان ثلاثيه متعد ورباعيه لازم تقول كببت الشي فاكب الناس اي اكثرهم
في النار اي نار جهنم على وجوههم او قال شك من الراوي على مناخرهم جمع منخر بفتح الميم وكسر الخا المعجمة
وفتحها

وفتحها نقبة الانف وليس في رواية البزار الا المناخير بلا شك الاحصايد جمع حصيدة بمعنى محصودة من حصد
الزرع اذا قطعه السنتهم اي ما تكلمت به من الاثم كالكبر والقذف والسب والنميمة وغير ذلك واضافه حصايد
واضافة حصايد الي الالسنة من اضافة اسم المفعول الي فاعله اي محصودات الالسنة شبه ما تكتسبه الالسنة
من الكلام الحرام بحصايد الزرع بجامع الكسب والجمع وشبه اللسان في تكلمه بذلك بحد المنجل الذي يحصد
به الناس ففيه استعارة بالكناية من حيث تشبيه ذلك الكلام بالزرع المحصود واللسان
بالمنجل ويتبعها استعارة ترشيحية لان الحصاد يلايم المشبه به دون المشبه والحصر في
ذلك اضافي اذ من الناس من يكبه في النار عمله لا كلامه لكن خرج ذلك مخرج المبالغة في تعظيم جرايم
اللسان كالح عرفة اي معظمه ذلك كما ان معظم اسباب النار الكلام ولان الاعمال يقارنها الكلام
غالبا فله خطيئة من ترتب الجزا عليه عقابا او ثوابا وفي المعجم الكبير للطبراني والبيهقي في الشعب
من حديث ابي وائل عن ابن مسعود قال ارتقى ابن مسعود الصفا فاخذ بلسانه فقال يا لسان
قل خيرا تغنم واسكت عن الشر تسلم من قبل ان تندم سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
اكثر خطايا ابن آدم من لسانه وللشافعي رضي الله عنه احفظ لسانك ايها الانسان
لا يلدغنك انه ثعبان كم في المقابر من قتيل لسانه كانت تهاب لقاءه الشجعان رواه الترمذي
في جامعه وقال حسن صحيح لكن في الجامع زيادة على ما ذكره المص ولفظه عن معاذ قال كنت مع النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر فاصبحت يوما قريبا منه ونحن نسير فقلت يا رسول الله اخبرني بعمل
يدخلني الجنة فذكره الحديث الثلاثون عن ابي ثعلبة بفتح المثلثة الخشني بضم المعجمة الاولى وفتح
الثانية وكسر النون نسبة الي خشينة مصغرا بطن من قضاعة بن مالك بن حمير جرثوم
بفتح الجيم والمثلثة بينهما راء مهملة وقيل جرثوم وقيل جرهم وقيل غير ذلك قال ابن رسلان والاكثر ان
اسمه جرهم بضم الجيم والها ابن ناشر بالنون والشين المعجمة ثم راء مهملة وقيل ناشب بباء موحدة في
اخره وقيل لاسق بالقاف وقيل لاسر وقيل لاشر والاكثر على ان اسمه ناشم بالنون ومعجمة وميم
وقيل جرثوم ابن الاشتر بن النضر ونسبه بعضهم الي الحاف بن قضاعة بن مالك بن حمير وهو مشهور بكنيته
كان ممن بايع تحت الشجرة وضرب له صلى الله عليه وسلم بسهمه يوم خيبر وارسله الي قومه فاسلموا ونزل
الشام ومات اول امرة معاوية وقيل في امرة يزيد وقيل في امرة عبد الله سنة خمس وتسعين
والاول اكثر وكان يقول اني ارجو ان لا يخنقني الله كما اراكم تختنقون عند الموت فبينما هو يصلي
قبض وهو ساجد رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله فرض فرايض
اي مفروضات وافترض بمعنى فرض اي اوجبها والزم العمل بها والفرض لغة القطع والتقدير وا
صطلاحا ما يثاب على فعله ويعاقب على تركه ويرادفه الواجب الا في الحج فان الواجب ما لا يجبر بالدم
والفرض ما لا يجبر بالدم وفرق الحنفية بينهما فان الفرض ما ثبت بدليل قطعي كالصلاة والزكاة
والواجب ما ثبت بدليل ظني كالثابت بالقياس وخبر الواحد كصدقة الفطر وعند الشافعي
ان الفرض والواجب بمعنى ثم الفرايض اما فرايض اعيان كالصلوات الخمس والزكاة والصوم

اوكفاية كصلاة الجنازة ورد السلام والامر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا تضيعوها بالترك او بالتهاون
فيها حتي يخرج وقتها بل قوموا بها كما فرض عليكم وقد صح انه صلى الله عليه وسلم راي ليلة الاسرا قوما ترضخ روسهم
كلما رضخت عادت كما كانت ولا يفتر عنهم ذلك فقال من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين تتثاقل روسهم
عن الصلاة المكتوبة وما ظلمهم الله شيا وحد حدودا جمع حد وهو لغة الحاجز بين الشيئين الذي
يمنع اختلاط احدهما بالاخر وشرعا عقوبة مقدرة من الشارع تزجر عن المعصية وسميت العقوبة حدا
لكونها تحجز الفاعل عن المعاودة اي جعل لكم حواجز وزواجر مقدرة تحجزكم عما لا يرضاه وقد ورد حد يقام في الارض
خير من مطر اربعين صباحا وتطلق الحدود علي الوقوف عند الاوامر كالمواريث المقدرة وتزوج الاربع والنوا هي
فلا تقربوا الفواحش والمراد الاول اذ لو حمل علي الثاني لتكرر مع ماقبله وتكرر معه ما بعده ويصح ارادة الثاني
ويكون ذكره مع ماقبله وما بعده من ذكر العام بعد الخاص وعكسه فلا تعتدوها اي لا تتجاوزوها وقفوا
عندها ومن تجاوز فقد ظلم نفسه واوردها موارد المهالك وجلد عمر رضي الله عنه في الخمر ثمانين ليس فيه
زيادة محضورة وان اقتصر صلى الله عليه وسلم وابوبكر علي اربعين لان الناس لما اكثروا من الشرب زمنه
مالم يكثروه قبله استحقوا ان يزيد في جلدهم تنكيلا وزجرا فكانت الزيادة اجتهادا منه لمعني صحيح مسوغ
له ومن ثم قال علي كرم الله وجهه ان كلا من الزيادة وعدمها سنة اي لان النبي صلى الله عليه وسلم امرنا بالاقتدا
بعمر خصوصا بقوله اقتدوا باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وعموما بقوله عليكم بسنتي وسنة الخلفا الراشدين
السابق وحرم اشيا كالميتة والدم واكل مال اليتيم والربا فلا تنتهكوها اي لا تتناولوها ولو تقربوها
قال الجوهري انتهاك الحرمة تناولها بما لا يحل لان انتهاك الشيى تناوله وحكي عن بعض السلف انه قال رايت المعاصي
نذل فتركتها مروة فصارت ديانة وعن العوام بن حوشب انه قال نزلت مرة حيا والي جانب ذلك الحي
مقبرة فلما كان بعد العصر انشق منها قبر فخرج منه رجل راسه راس حمار وجسده جسد انسان فنهق ثلاث
نهقات ثم انطبق عليه القبر فاذا عجوز تغزل شعرا او صوفا فقالت امراة تري تلك العجوز قلت مالها قالت
تلك ام هذا قلت وما كانت قصته قالت كان يشرب الخمر فاذا اراح قالت له امه اتق الله الي متي تشرب
الخمر فيقول انما انت تنهقين كما ينهق الحمار قالت فمات بعد العصر قالت فهو ينشق عنه القبر بعد العصر كل
يوم فينهق ثلث نهقات ثم يطبق عليه القبر وعن بعضهم ان رجلا قال يا رب اذنبت ولا تعاقبني فاوحي الله
تعالي الي نبي وقته قل لصاحب هذا الكلام كم عاقبتك ولم تشعر اعقوبة اشد من ان خليت بينك وبين مخالفتي
وعن ابن شبرمة انه قال العجب ممن يحتمي من الحلال مخافة الداء ولا يحتمي من الحرام مخافة النار وسكت عن
ذكر حكم اشيا فلم ينص علي وجوبها ولا حلها ولا تحريمها الا انه سكت عنها حقيقة لان الكلام من صفاته القديمة المستمرة
فلا ينقطع كلامه ولا يتناهي لان الانقطاع والتناهي من صفات المحدثات والله تعالي منزه عن ذلك رحمة لكم
مفعول لاجله لاجل رحمته ورافته بكم وتخفيفه عنكم حال كون ذلك غير نسيان لاحكامها لا يضل ربي ولا ينسي
وما كان ربك نسيا والنسيان ترك الفعل بلا قصد بعد حصول حصول العلم فلا تبحثوا عنها لان السوال
عما سكت الله عنه يفضي الي التكاليف الشاقة لان البحث عنها ان كان في زمن المصطفي صلى الله عليه وسلم ربما
افضي الي التشديد بايجاب او تحريم وقد قال صلى الله عليه وسلم ان اعظم الناس جرما من سال عن شي لم يحرم فحرم
لاجل مسيلته وان كان في غيره فهو من التعمق والتنطع والبحث عما لا ينبغي وقد قال عليه الصلاة والسلام
من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه والبحث لغة التفتيش ويفهم من سكوته رحمة لنا مع النهي عن

البحث

البحث عنها انه لا حكم قبل الشرع وهو الاصح عند المحققين لان الحكم عند اهل السنة لا يكون الا بالشرع وقال
وقال ابو الزناد والاعرج على الاباحة لان الله تعالى خلق لنا ما في الارض جميعا فكل ما لم يحرمه فهو مباح
وقال الابهري على الحظر وحكمت المعتزلة العقل فانه لم يقض كاكل الفاكهة فثالثها الوقف على الحظر
والاباحة حديث حسن بل صححه ابن الصلاح وقال قول ابي حاتم وابي زرعة وابن مكحول لم يسمع من
ابي ثعلبة معارض بقول ابن معين سمع والمثبت مقدم على النافي رواه الامام الحافظ علي بن عمر الدارقطني
نسبة الى دار القطن محلة ببغداد وغيره كابي نعيم الحديث الحادي والثلاثون عن ابي العباس وقيل
ابي يحيى سهل وقيل سعد وما قاله المصابيح له ولابيه صحبة ابن سعد بن مالك بن خالد بن ثعلب بن
حارثة بن عمرو بن الخزرج كان اسمه حزنا فسماه النبي صلى الله عليه وسلم سهلا وكان يوم مات النبي صلى الله
عليه وسلم ابن خمس عشرة سنة ومات سنة ثمان وثمانين وله مائة سنة وقيل احدى وتسعون بالمدينة
وهو اخر من مات بها من الصحابة على قول وقيل جابر كما مر واحصن بسبعين امراة وشهد قضاء النبي صلى
الله عليه وسلم بين المتلاعنين رضي الله عنه لان والده سعد بن مالك صحابي ايضا روي له مائة حديث
وثمانية وثلاثون اتفقا منها على ثمانية وعشرين وانفرد البخاري باحد عشر قال جاء رجل الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال يا رسول الله دلني بضم الدال وفتح اللام مشددة على عمل هو فعل من الانسان مع قصد
واختيار كما مر والمراد هنا عمل صالح اذا عملته بكسر الميم احبني الله ومحبة الله تعالى للعبد رضاه عنه واحسانه
اليه لان المحبة ميل طبيعي وهو في حقه تعالى محال فالمراد غايتها واحبني الناس لان محبتهم تابعة لمحبة الله
فاذا احبه الله القى محبته في قلوب خلقه لقوله تعالى ان الذين امنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن
ودا وقوله صلى الله عليه وسلم ان الله اذا احب عبدا دعا جبريل فقال اني احب فلانا فاحبه فيحبه جبريل
ثم ينادي في السما فيقول ان الله يحب فلانا فاحبوه فيحبه اهل السما ثم يوضع له القبول في الارض فقال ازهد
من الزهد بضم اوله وقد يفتح وهو لغة الاعراض عن الشي احتقارا له وشرعا اخذ قدر الضرورة من الحلال المتيقن
الحل فهو اخص من الورع اذ هو ترك المشتبه وقيل ترك الدنيا عن قدرة ولذا قال الطيبي لا يتصور الزهد فيمن
ليس له مال ولا جاه وقيل لابن المبارك يا زاهد فقال الزاهد عمر بن عبد العزيز اذ جاءته الدنيا راغمة فتركها
اما انا ففيم زهدت وقيل تفريق المجموع وترك طلب المفقود والايثار عند القوت قال ابو يزيد ما غلبني الا رجل
من اهل بلخ مر علينا حاجا فقال يا ابا يزيد ما حد الزهد عندكم فقلت اذا وجدنا اكلنا واذا فقدنا صبرنا فقال
هكذا كلاب بلخ قلت وما حد الزهد عندكم فقال اذا فقدنا شكرنا واذا وجدنا اثرنا وقد تقدم هذا
وقيل النظر الى الدنيا بعين الاحتقار فتصغر في عينك فيسهل عليك الاعراض عنها وقيل سلو القلب عن الاسباب
ونفض اليد من الاملاك وقيل قصر الامل والياس مما في ايدي الناس ومن ثم قال الضحاك انه قيل يا رسول
الله من ازهد الناس قال من لم ينس المقابر والبلا وترك فضول زينة الدنيا واثر ما يبقى على ما يفنى ولم يعد
من ايامه غدا وعد نفسه من الموتى وقيل ان لا تاس على ما فات من الدنيا ولا تفرح بما اتاك منها وقيل خلو
اليد من الملك والقلب من التتبع واحسن حدوده كما قال ابن القيم انه فراغ القلب من الدنيا لا فراغ اليد وهذا
زهد العارفين واعلى منه زهد المقربين وهو الزهد فيما سوى الله تعالى من الدنيا والجنة وغيرهما اذ ليس
لصاحب هذا الزهد مقصد الا الوصول اليه تعالى والقرب منه وقال ابراهيم بن ادهم الزهد ثلاثة اصناف

الساعدي نسبة لجده ساعدة بن الخزرج ح

زهد فرض وزهد سلامة وزهد فضل فزهد الفرض الزهد في الحرام وزهد السلامة الزهد في المشتبهات وزهد
الفضل الزهد في الحلال وهو على هذا الزاهد في الحرام ليس زاهدا وقيل لا يسماه الا اذا انضم لذلك الزهد
بنوعيه الاخرين من راس الشبهات راسا وفضول الحلال ومن ثم قال بعضهم لا زهد اليوم لفقد الحلال المحقق
وقال الامام احمد هو على ثلاثة اوجه ترك الحرام وهو زهد العوام وترك الفضول من الحلال وهو زهد الخواص وترك
ما يشغل عن الله وهو زهد العارفين وحكي عن بعض الصوفية انهم كانوا في موضع على التوكل فمضت عليهم مدة ولم
يفتح عليهم شيء فاتفق ان احدهم خرج الى الوضو فخطر ببال احدهم ان في زاوية هذا الفقير شيا من الدنيا
فنهض ففتشها فوجد فيها نصف درهم اسود فقال لاصحابه كيف يفتح علينا ومع صاحبنا شي معلوم قد كتمه
عنا فاشاروا عليه بستره كما كان ثم دخل الرجل من الباب وجمع حوايجه لينصرف فقيل له لم تنصرف قال لانكم
افسدتم حجتي قالوا وكيف قال لاني ادخرت هذا النصف درهم لسبب وذلك ان الله اذا احضر خلقه للحساب
اثبت بذلك النصف درهم اضعه بين يديه واقول هذا ما فتحت به علي من الدنيا واكتفي الحساب فاني لم
يفتح علي من الدنيا بغيره فتعجبت الجماعة من ذلك وطابت قلوبهم في الدنيا باستصغار جملتها والاحتقار
لجميع شانها لتصغير الله تعالى لها وتحقيره اياها وتحذيره من غرورها في غير ما اية من كتابه نحو قوله تعالى
ولا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور وقوله تعالى انما مثل الحيوة الدنيا كماء انزلناه من السما وقوله
تعالى قل متاع الدنيا قليل والاخرة خير لمن اتقى قال بعضهم وصفها بالمتاع لئلا يركنوا اليها وبالقلة ليهون
عليهم تركها والدنيا عبارة عما حواه الليل والنهار واظلته السما واقلته الارض واختلف في المزهود منها
فقيل الدينار والدرهم وقيل المطعم والمشرب والملبس والمسكن وقيل الحياة والاولى ان دنيا كل انسان بحسب
حاله حتى ان كلام الفقيه بين طلبته وكلام الشيخ بين تلامذته وكلام الامير بين اجناده وما اشبه ذلك دنيا
بالنسبة لهم الا ان يقصد بذلك وجه الواحد الاحد الله تعالى والدار الاخرة وهذا لا يكاد يصح الا من موفق
ثم الحامل على الزهد اشيا منها استحضار الاخرة ووقوفه بين يدي مولاه وشاهد ذلك ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم
كان يمشي في طريقه اذ لقيه حارثة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا حارثة قال اصبحت
والله مومنا حقا فقال عليه الصلاة والسلام انظر ما تقول فان لكل حق حقيقة فما حقيقة ايمانك قال اعرضت نفسي
عن الدنيا فاستوى عندها حجرها ومدرها وسهرت ليلي وظمات نهاري وكاني انظر الى عرش ربي بارزا وكاني
انظر الى اهل الجنة في الجنة ينعمون والى اهل النار في النار يعذبون قال يا حارثة عرفت فالزم ثم قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم من سره ان ينظر الى رجل نور الله قلبه بالايمان فلينظر الى هذا ومثل هذا تكون الدنيا سجنه كما
قال صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المومن وجنة الكافر وقيل لبعض النساك ما بال اكثر النساك محتاجين
الى ما بيد غيرهم لان الدنيا سجن المومن وهل ياكل المسجون الا من يد غيره ومنها استحضار ان لذاتها شاغلة قالح
للقلوب عن الله تعالى وموجبة لطول الحبس والوقوف في ذلك الموقف العظيم للحساب والسوال عن شكر نعيمها
ومنها كثرة الذل والتعب في تحصيلها وكثرة غبونها وسرعة تقلبها وفنائها ومزاحمة الارذال في تحصيلها وطلبها
ومنها حقارتها عند الله تعالى ومن ثم قال الفضيل لو ان الدنيا بحذافيرها عرضت علي حلالا لا احاسب بها
لتقذرتها كما تتقذر الجيفة ومنها استحضار انها وما فيها ملعون كما في الحديث الدنيا ملعونة ملعون

ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالم او متعلم وفي رواية الا ما ابتغي به وجه الله تعالى ومنها ان تركها موجب لرفعة
الدرجات وحصول الرضوان الاكبر منه تعالى في دار الكرامات وفي الاثر اذا كان يوم القيمة جمع الله
الذهب والفضة كالجبلين العظيمين ثم يقول هذا ما لنا صار البنا سعد به قوم وشقي به اخرون ومن
ثم قال صلى الله عليه وسلم يحبك بفتح البا المشددة والاصل يحببك بكسر الاولى وسكون الثانية
مجزوم في جواب الامر الذي هو ازهد فاسكنت الاولى عند ارادة الادغام بنقل حركتها الى الساكن قبلها
وهو الحا فاجتمع ساكنان محرك الاخير لالتقايهما بفتح تخفيفا الله لانه تعالى يحب من اطاعه ومر سليمان
عليه الصلاة والسلام على بلبل على شجرة يحرك راسه ويميل ذنبه فقال اتدرون ما يقول قالوا الله
ونبيه اعلم قال يقول اكلت نصف تمرة فعلى الدنيا العفا وفي الحديث ابن ادم اذا اصبحت معافى في جسدك
امنا في سربك عندك قوت يومك فعلى الدنيا العفا وسربك بكسر فسكون نفسك او بفتح فسكون مذهبك
ومسلكك او بفتحتين بيتك والعفا الهلاك ط الدروس وذهاب الاثر وقد صح ما شبع ال محمد من طعام ثلثة
ايام تباعا حتى قبض وخبر كان النبي صلى الله عليه وسلم يبيت الليالي المتتابعة هو واهله طاويا لا يجدون عشاء
وانما كان خبزهم الشعير وخبر النعمان بن بشير لقد رايت نبيكم صلى الله عليه وسلم يظل اليوم يلتوي لا يجد من
الدقل اي بالتحريك اردي التمر ما يملا بطنه وخبر انه كان يعصب الشهراه ولا توقد في ابياته صلى الله عليه
وسلم نار وانما كان طعامهم التمر والما وخبر انه صلى الله عليه وسلم مات ودرعه مرهونة عند يهودي على
ثلاثين صاعا من شعير اخذها قوتا لاهله ودخل عمر بن الخطاب يوما على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
على حصير وقد اثر في جنبه فبكى عمر رضي الله عنه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يبكيك فقال ذكرت كسرى
وقيصر عدوي الله في الخز والقز والحرير والديباج وانت رسول الله وخيرته من خلقه على هذا فقال افي
شك انت يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لهم الدنيا ولنا الاخرة قال بلى قال فهو كذلك وقام الحسن على قبر فقال
ان امرا هذا اخره لحقيق ان يزهد في اوله وان امرا هذا اوله لحقيق ان يخاف اخره وقال الحسن بن محمد
الجريري اسرع المطايا الى الجنة الزهد في الدنيا واسرع المطايا الى النار حب الشهوات وقال الجنيد ما اخذنا التصوف
عن القيل والقال ولكن عن جوع وترك الدنيا وقطع المالوفات والمستحسنات وقال ابو بكر الكتاني قال لي
علي بن سعيد رايت في النوم امراة لا تشبه نسا الدنيا فقلت من انت قالت حورا فقلت زوجيني نفسك
قالت اخطبني الى سيدي قلت فما مهرك قالت حبس نفسك عن مالوفاتها وقال يحيى بن معاذ الرازي ترك
الدنيا شديد وترك الجنة اشد واه مهر الجنة ترك الدنيا وقد قال صلى الله عليه وسلم لو كانت الدنيا تساوي
وفي رواية تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء وقال سفيان بن عيينة الزهد ثلاثة
احرف زاي وهاء ودال فالزاي ترك الزينة والهاء ترك الهوى والدال ترك الدنيا باجمعها وانشد بعضهم
فلو كانت الدنيا جزا لمحسن اذا لم يكن فيها معاش لظالم لقد جاع فيها الانبيا كرامة وقد شبعت فيها بطون البهائم
وسيل معروف الكرخي عن الطايعين بما قدروا على الطاعة قال باخراج الدنيا من قلوبهم وقال الفضيل بن عياض جعل
الله الشر كله في بيت وجعل مفتاحه حب الدنيا وجعل الخير كله في بيت وجعل مفتاحه الزهد وقد اتفق ان

ابراهيم ابن ادهم قال بت ليلة تحت الصخرة ببيت المقدس فلما كان الليل نزل ملكان فقال احدهما للاخر من هذا
قال له الاخر ابراهيم ابن ادهم فقال له الذي حطت درجة من درجاته فقال له لم فقال لانه اشترى بالبصرة تمرا
فوقعت تمرة من تمر البقال على تمره فرجع الى البصرة واشترى تمرا من الرجل ثم انه قلب تمرة على التمر ورجع
وبات في بيت المقدس تحت الصخرة فلما كان بعض الليل نزل الملكان فقال احدهما لصاحبه من ها هنا فقال له
ابراهيم ابن ادهم فقال ذاك الذي رد التمرة ورفعت درجته وازهد فيما عند الناس باعراضك عما في ايديهم منها
يحبك بفتح الموحدة المشددة كما سبق الناس لتركك لهم ما احبوه اذ قلوب اكثرهم مجبولة مطبوعة على
حب الدنيا ومن نازع انسانا في محبوبه كرهه وقلاه ومن لم يعارضه فيه احبه واصطفاه والناس شامل
للانس والجن فيستفاد منه ان الزاهد يحبه الانس والجن قال الحسن لا يزال الرجل كريما على الناس حتى يطمع
في دنياهم فاذا فعل ذلك استخفوا به وكرهوا حديثه وقال اعرابي لاهل البصرة من سيدكم قالوا الحسن قال بما سادكم
قال احتاج الناس الى علمه واستغنى عن دنياهم فقال ما احسن هذا وسال كعب الاحبار وهو تابعي عبد الله بن سلام
بحضرة عمر بن الخطاب ما يذهب العلم من قلوب العلما بعد ما حفظوه وعقلوه قال يذهبه الطمع وشره النفس
وطلب الحاجات الى الناس فقال صدقت وقال ابن عطا الله الزهد فيما في ايدي الناس سبب لمحبة الخلق والزهد
فيما سوى الله سبب لمحبة الحق ممن احب العطا من الخلق دل على بعده من الله تعالى فالعطا منهم حرمان والمنع منهم
احسان وذكر الغزالي ان عيسى عليه السلام مر قبيل الصبح برجل نايم ملتف بعباة فقال يا نايم قم فاذكر الله
فقال اما تريد مني يا روح الله وقد تركت الدنيا لاهلها قال نم اذا حبيبي وقال ابو الحسن الشاذلي دخل علي بالمغرب
بعض الكبراء فقال ما اراك كبير عمل فبم فضلت الناس وعظموك قلت بخصلة واحدة تمسكت بها الاعراض عنهم
وعن دنياهم وذكر المناوي في شرح الجامع الصغير في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم اتخذوا الغنم فانها بركة انه ورد
في بعض الاثار ان الخليل عليه الصلاة والسلام انه كان له اربعة الاف كلب في عنق كل كلب طوق من الذهب الاحمر زنته
الف مثقال فقيل له في ذلك فقال فعلت ذلك لان الدنيا جيفة وطلابها كلاب فدفعتها لطلابها انتهى وذكر
الشيخ زروق ان شعيبا كان في غنمه اثنا عشر القطب قال صاحب الحقايق ابليس عما اخذت منه الدنيا
اغتم لها وقارون لما اعطيها فرح بها فالذي اغتم لها صار ملعونا والذي فرح بها صار تحت الارض
مسجونا ونبينا صلى الله عليه وسلم لما عرضت عليه لم ياخذها ولم يردها لم يغتم لها فصار الى ما صار وانشد الشافعي
ومن يذق الدنيا فاني طعمتها   وسيق الينا عذبها وعذابها   فما هي الا جيفة مستحيلة   عليها كلاب همهن اجتذابها
فان تجتنبها كنت سلما لاهلها   وان تجتذبها نازعتك كلابها   وفي كشف الاسرار كن زاهدا عما حوته يد الورى
تضحي الى كل الانام حبيبا   اولم ترى الخطاف حرم زادهم   فغدى مقيما في الحجور ربيبا   تورع عن سوال الخلق طرا   لبعضهم
وسل ربك بما ذاهبات   ودع زهرات دنياك اللواتي   تراها لا محالة ذاهبات   ولا تجهد
الرزق ياتي وان لم يسع صاحبه   حتما ولكن شقا المرء مكتوب   وفي القناعة كنز لا نفاد له   وكل ما يملك الانسان مسلوب
وسيل عبد الله بن المبارك عن بداية زهده فقال كنت يوما مع اخواني في بستان لنا وذلك حين حملت الاشجار بالثمار
من الوان الفواكه فاكلنا وشربنا حتى جن الليل فنمت وكنت مولعا بضرب العود والطنبور فقمت في بعض الليل
فضربت بصوت وطاير يصيح فوق راسي على شجرة وبيدي العود ولا يجيبني الى ما اريد فاذا به ينطق كما ينطق

الانسان

الانسان يعني الذي بيده ويقول الم يان للذين امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق قلت بلي والله
وكسرت العود وصرفت من كان عندي فقد كان هذا اول زهدي وتشمري وقد قيل من سمي باسم الزهد
فقد سمي بالف اسم ممدوح هذا مع ما للزاهدين من راحة القلب والبدن في الدنيا والاخرة والزهاد
هم ملوك في الحقيقة كما قال بعضهم اري الزهاد في روح وراحة قلوبهم من الدنيا مزاحة اذا ابصرتهم ابصرت قوما
ملوك الارض سيمتهم سماحة وقال الحسن والله ما اعز الدراهم احد الا اذله الله قيل اول ما ضربت الدراهم والدنانير
رفعها ابليس الي جبهته وقبلها وقال من احبكما فهو عبدي حقا ومن ثم قال بعضهم انما ازمة المنافقين يقادون
بها الي النار حديث حسن بل صححه الحاكم في المستدرك رواه الحافظ ابو عبد الله محمد بن يزيد ابن ماجه
القزويني صاحب السنن ولد سنة تسع ومائتين ومات يوم الاثنين لثمان بقين من رمضان سنة ثلاث وسبعين
ومائتين وغيره كالعقيلي وابن عدي والطبراني والحاكم والبيهقي باسانيد حسنة وهو احد الاحاديث الاربعة
التي عليها مدار الاسلام كما مر الحديث الثاني والثلاثون عن ابي سعيد سعد وقيل سنان والمشهور الاول ابن مالك
بن سنان بن عبيد وقيل بن عبد بن ثعلبة بن عبيد بن الابجر وهو خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج الانصاري
وزعم بعضهم ان خدرة هي ام الابجر الخدري بضم الخا المعجمة وسكون الدال المهملة ووهم من اعجم الدال نسبة
الي جده خدرة بن عوف بن الحارث بن الخزرج وقيل نسبة الي حي باليمن اسلم ابو سعيد وبايع المصطفي صلى الله
عليه وسلم علي ان لا تاخذه في الله لومة لائم واستصغر يوم احد فرد فخرج فيمن يتلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم
لما رجع من احد فنظر اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال سعد بن مالك فقال نعم بابي انت وامي يا رسول الله
فدنا منه وقبل ركبته فقال اجرك الله في ابيك لانه قتل يومئذ شهيدا غزا ابو سعيد مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم اثنتي عشرة غزوة اولها الخندق وكان من الرماة المشهورين وهو معدود من اهل الصفة روي عنه انه قال
اصبحت وليس عندنا طعام وقد ربطت حجرا من الجوع فقالت امراتي ائت رسول الله صلى الله عليه وسلم فسئله
فلقد اتاه فلان فاعطاه وفلان فاعطاه فقلت لا حتى لا اجد شيا فطلبت فلم اجد شيا فاتيت النبي صلى الله
عليه وسلم وهو يخطب فادركت من قوله من يستغن يغنه الله ومن يستعفف يعفه الله قال فما سالت احدا
بعده وما زال الله يرزقنا حتى ما اعلم اهل بيت من الانصار اكثر اموالا منا روي له عن رسول الله صلى الله
عليه وسلم الف ومائة وسبعون حديثا اتفقا منها علي ستة واربعين وانفرد البخاري بستة عشر ومسلم باثنين وخمسين
توفي بالمدينة سنة اربع وسبعين وقيل ثلاث وسبعين وقيل ثلاث وستين والمشهور الاول وله اربع وتسعون
سنة ودفن بالبقيع رضي الله عنه ينبغي عنهما لان اباه كان صحابيا ايضا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا ضرر خبر لا محذوف اي في ديننا والخبر بمعنى النهي اي لا يضر احد غيره ولا ضرار فعال بكسر اوله اي لا يجازيه
علي اضراره بل يعفو ويصفح اي لا يضر من لا يضره ولا يضر من يضره فالضرر ابتدا الفعل والضرار الجزا عليه
وقيل الضرر ما يضر به الانسان غيره وينتفع هو به والضرار ان يضره من غير ان ينتفع وقيل بالعكس وقيل
الاول نهي للشخص عن تعاطيه ما يضر نفسه والثاني نهي له عن تعاطي ما يضر غيره وقيل الاول عبارة عن منع
ما ينفع الغير والثاني عبارة عن فعل ما يضر به وقيل معنى الاول لا يضر الشخص اخاه فينتقص شيا من

من حقه ومعنى الثاني لا يضار الرجل جاره بادخال الضرر عليه وقيل معنى الاول لا يلزمه الصبر على الضرر ومعنى الثاني
لا يجوز له اضرار غيره وح فالجمع بينهما للتاسيس وقيل انما بمعنى واحد وجمع بينهما للتاكيد فكانه قال لا تضر لا تضر والاول
اولى لانه اذا دار الامر بين الحمل على التاسيس والتاكيد فحمله على التاسيس اولى لاسيما في كلام الشارع عليه
الصلاة والسلام وفي بعض الروايات اضرار بالهمز قال ابن الصلاح ولا صحة لها وبقية الحديث من ضار ضار
الله به ومن شاق شاق الله عليه وظاهر الحديث تحريم ساير انواع الضرر ما قل منه وما كثر الا لدليل لان النكرة
في سياق النفي تعم فيحرم على الشخص فتح كوة في جداره يطلع منها على عورات جاره او احداث فرن او رحى او معصرة
لوجود الضرر بالدخان وصوت الرحى وما اشبه ذلك ولا يحرم عليه تعلية بنايه على جدار جاره وان اظلم عليه ابواب
غرفة ومنع شمسي ان تقع في حجرته واذا انهار دت بير جاره وكان له فضل ما فانه يجب عليه ارسال فضل ما بيره
الى زرع جاره بشروط ثلاثة احدها ان يكون قد زرع على اصل ما الثاني ان يتشاغل باصلاح بيره الثالث ان
يخشى على زرعه الهلاك حديث حسن لذاته وله طرق متعدده يرتقي بمجموعها الى درجة الصحة رواه ابن ماجة
والدارقطني وغيرهما كالحاكم في مستدركه والبيهقي في شعبه وظاهر ان الكل رووه من حديث ابي سعيد والامر بخلافه
بل ابن ماجة رواه من حديث ابن عباس وعبادة مسندا وهو المتصل الذي لم يحذف من اسناده احد ورواه امام
الايمة وناصر السنة ابو عبد الله مالك بن انس بن ابي مالك بن ابي عامر بن عمرو بن الحارث بن غيمان بن خثيل بن عمرو
بن الحارث وهو ذو اصبح وغيمان بالغين المعجمة المفتوحة والياء اثنتين من اسفله ساكنة وقال ابو الحسن الدارقطني
جثيل بالجيم وحكاه عن الزبيري واما من قال عثمان بن سحبيل فقد صحف وابو عامر جد ابي مالك من اصحاب رسول
الله صلى الله عليه وسلم وشهد المغازي كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم خلا بدرا وابنه مالك جد مالك كنيته
ابو انس من كبار التابعين وهو احد الاربعة الذين حملوا عثمان ليلا الى قبره وغسلوه ودفنوه عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم وفي
رواية يلتمسون العلم فلا يجدون عالما اعلم وفي رواية افقه من عالم المدينة وفي رواية من عالم بالمدينة
وفي بعضها اباط الابل مكان اكباد الابل وقد ذكر السلف ان المراد به مالك لان طلبة العلم لم يضربوا
اكباد الابل من مشرقها ومغربها الى عالم ولا رحلوا من الافاق رحلتهم الى مالك وقال الشافعي مالك
استاذي وعنه اخذنا العلم وما احد امن علي من مالك وجعلت مالكا حجة بيني وبين الله تعالى واذا
ذكر العلما فمالك النجم الثاقب ولم يبلغ احد مبلغ مالك في العلم بحفظه واتقانه وصيانته وقال العلم
يدور على ثلاثة مالك والليث وسفيان بن عيينه وحكي عن الاوزاعي انه كان اذا ذكر قال عالم العلما وعالم
اهل المدينة ومفتي الحرمين وقال ابن معين مالك من حجج الله على خلقه امام من ايمة المسلمين مجمع على
فضله واختلف في حمل امه به فقال ابن نافع الصائغ والواقدي ومعين والضحاك حملت به امه
ثلث سنين وقاله بكار بن عبد الله الزبيري وقال الصحيحة والله الرحم قال ابن المنذر وهو المعروف
وروي عن الواقدي انها حملت به سنتين والاشهر انه ولد سنة ثلاث وتسعين من الهجرة وقيل سنة
اربع في ربيع الاول في خلافة الوليد وقيل سنة تسعين وقيل سنة ست وقيل سنة سبع وكان طويلا

جسيما

جسيما عظيم الهامة شديد البياض الى الصفرة حسن الصورة عظيم اللحية تامها تبلغ صدره ذات سعة وطول وكان
ياخذ اطراف شاربه ولا يحلقه ولا يحفيه ويرى حلقه من المثلة وكان يترك له سبالين طويلين ويحتج بفعل عمر
رضي الله عنه اذا اهمه امر وقال بعضهم كانه ربعة والاول اشهر وساله رجل عن مسيلة فبادره ابن القاسم فافتاه
فاقبل عليه مالك كالمغضب وقال اجسرت على ان تفتي يا ابا عبد الرحمن يكررها عليه ما افتيت حتى سيلت انا للفتيا
موضع فلما سكن غضبه قيل له من سالت قال الزهري وربيعة الراي وذكر الدميري في شرح المنهاج ان امراة غسلت
ميتة فالتصقت يد الغاسلة بفرج الميتة فتحير الناس في امرها هل تقطع يد الغاسلة او فرج الميتة فاستفتي
مالك فقال سلوها ما قالت لما وضعت يدها عليها فسالوها قالت قلت طال ما عصى هذا الفرج ربه
قال مالك هذا قذف اجلدوها ثمانين تخلص يدها فجلدوها ثمانين فتخلصت فمن ثم نودي لا يفتى ومالك بالمدينة
وكان اذا جلس جلسة لم يتحرك عنها حتى يقوم قال عبد الله ابن المبارك كنت عند مالك وهو يحدثنا فلدغته
عقرب ستة عشرة مرة ومالك يتغير لونه ويصفر ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من
المجلس وتفرق الناس عنه قلت يا ابا عبد الله لقد رايت اليوم منك عجبا فقال انما صبرت اجلالا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم وقال الهيثم ابن جميل شهدت مالكا سيل عن اثنين واربعين مسيلة فقال في اثنين وثلاثين
منها لا ادري وكان يقول ينبغي للعالم ان يورث جلساءه قول لا ادري حتى يجعلون ذلك اصلا في ايديهم يفزعون اليه
فاذا سيل احدهم عما لا يدري قال لا ادري وقال احمد بن حنبل كان مالك مهيبا في مجلسه لا يرد عليه اعظاما له
وكان الثوري في مجلسه فلما راى اجلال الناس له واجلاله للعلم انشد يابى الجواب فلا يراجع هيبة فالسايلون
نواكس الاذقان ادب الوقار وعز سلطان التقوى فهو المهاب وليس ذا سلطان قال بشر الحافي من زينة الدنيا
ان يقول الرجل حدثنا مالك وكان كثيرا ما يتمثل الامام بهذا البيت لما سلف وخير امور الدين ما كان سنة
وشر الامور المحدثات البدايع ولما قدم المدينة المهدي جاءه الناس مسلمين عليه فلما اخذوا مجالسهم استاذنه
مالك فقال الناس اليوم يجلس مالك اخر الناس فلما دنى وراى ازدحام الناس قال يا امير المومنين اين
يجلس شيخك مالك فناداه عندي يا ابا عبد الله فتخطى الناس حتى وصل اليه فرفع المهدي ركبته اليمنى
واجلسه ثم اتي المهدي بالطست والابريق فغسل يده ثم قال للغلام قدمه الى ابي عبد الله فقال مالك يا امير
المومنين ليس هذا من الامر المعمول به ارفع يا غلام فاكل مالك غير متوضي وقال القاضي عياض قال الشافعي
قال لي محمد بن الحسن ايهما اعلم صاحبنا او صاحبكم يعني ابا حنيفة ومالكا قال فقلت على الانصاف قال نعم فقلت
انشدك الله من اعلم بالقران صاحبنا او صاحبكم قال اللهم صاحبكم فقلت انشدك الله من اعلم بالسنة صاحبنا ام
صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال فقلت انشدك الله من اعلم باقوال الصحابة صاحبنا ام صاحبكم قال اللهم صاحبكم قال
قلت فلم يبق الا القياس فعلى اي شي تقيس قال في مختصر المدارك قالت لي عمتي ونحن بمكة رايت في هذه الليلة عجبا
قلت وما هو قالت كان قايلا يقول مات الليلة اعلم اهل الارض فحسبنا تلك الليلة فاذا هي الليلة التي مات فيها
مالك وراى عمر بن يحيى بن سعد الانصاري في الليلة التي مات فيها مالك قايلا يقول لقد اصبح الاسلام زعزع ركنه
غداة ثوى الهادي الى ملحد القبر امام هدى ما زال للعلم صاينا عليه سلام الله في اخر الدهر قال فانتبهت فكتبت
البيتين على السراج واذا الصارخ على مالك رضي الله عنه واختلف في تاريخ وفاته والصحيح انها كانت في ربيع الاول
لتمام اثنين وعشرين يوما من مرضه في ربيع الاول سنة تسع وسبعين ومائة وقيل لعشرة مضت منه وقيل
لاربع عشرة ولثلاث عشرة ولاحدى عشرة وقيل لاثنتي عشرة من رجب وغسله ابنه كنانة وابن الزبير وابنه
يحيى وكاتبه حبيب يصب عليهم الما ونزل في قبره جماعة واوصى ان يكفن في ثياب بيض ويصلى عليه في موضع الجنايز
وبلغ كفنه خمسة دنانير قال ابن القاسم مات مالك عن مائة عمامة فضلا عن سواها في كتاب الموطا وانشد بعضهم

اقول لمن يروي الحديث ويكتب ويسلك سبل الفقه فيه ويطلب ان احببت ان تدعى لدى الخلق عالما فلا تعد ما تحوي
من العلم يثرب اتترك دارا بين بيوتها يروح ويغدو جبريل المقرب ومات رسول الله فيها وبعده
بسنته اصحابه قد تادبوا وفرق شمل العلم في تابعيهم فكل امرء منهم له فيه مذهب فخلصه بالسبك للناس مالك
ومنه صحيح في المحسن واجرب فبادر موطا مالك قبل فوته فما بعده ان فات للحق مطلب ودع للموطا
كل علم تريده فان الموطا الشمس والغير كوكب ومن لم يكن كتب الموطا ببيته فذاك من التوفيق بيت مخيب
جزا الله عنا بالموطا مالكا بافضل ما يجزى اللبيب المهذب لقد فاق اهل العلم حيا وميتا فصارت
به الامثال في الناس تضرب فلا زال يسقي قبره كل عارض عند فوظلت عزاليه تسكب مرسلا
وهو عند المحدثين ما حذف من اسناده الصحابي عن عمر بن يحيى المازني عن ابيه يحيى بن عمارة عن النبي
صلى الله عليه وسلم فاسقط من السند ابا سعيد الخدري وله طرق ضعيفة لكن يقوي بعضها بعضا لان
الاسانيد الواهية اذا اجتمعت قوي بعضها بعضا وفي المثل ان القداح اذا اجتمعن فرامها بالكسر ذو
حنق وبطش زايد عزت فلم تكسر وان هي بددت فالكسر والتوهين للمتبدد وقال اخر
لا تخاصم بواحد اهل بيت فضعيفان يغلبان قويا الحديث الثالث والثلاثون عن حبر الامة مفسر
التنزيل ومبين التاويل ابي العباس عبد الله ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لو
حرف امتناع لامتناع اي امتناع الشيء لامتناع غيره اي تقتضي امتناع الجواب لامتناع الجواب الشرط
كما نبه عليه جمهور النحاة او لما كان سيقع لوقوع غيره عليه كما نبه عليه امامهم سيبويه وعليه فلا اشكال لان
دعوى رجال اموال قوم كان سيقع لوقوع اعطا الناس بدعاويهم وكذا لا اشكال على الاول ايضا وان وقع
دعوى بعض الناس مال بعض سوا اعطوا بدعاويهم ام لا لان المراد بدعوى الرجال اموال قوم اعطاؤهم
اياها ودفعها اليهم اي لو يعطي الناس بدعواهم لاخذ رجال اموال قوم وسفكوا دماءهم موضع الدعوى
موضع الاخذ لانها سببه ولا شك ان اخذ المدعي عليه ممتنع لامتناع العطا المدعي بمجرد دعواه وكذلك
اخذه ما سيقع لوقوع اعطا المدعي بدعواه ولا يقع بدون ذلك فصح معنى لو هنا على القولين قال الشارح
الهيتمي يعطى الناس المفعول الثاني محذوف اي الاموال والدما بدعواهم اي لو كان كل من ادعى شيا عند
الحاكم يعطاه بمجرد دعواه بلا بينة لادعى جواب لو ورواية ابن ماجة ادعى بحذف اللام رجال جمع رجل وهو
الذكر البالغ من بني ادم وذكرهم لاخراج النسا بل لان الدعوى غالبا انما تصدر منهم او من باب الاكتفا باحد
القبيلين كسرابيل تقيكم الحر ويويده رواية ناس واتى بصيغة الجمع للاشارة الى اقدام غير واحد على ذلك وا
لدعوى كما قال ابن عرفة هو بحيث لو سلم اجيب لقايله حقا اموال قوم اسم جمع وشذ من جمعه على اقوام
قيل يخص الرجال لقوله تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ولا نسا من نسا فذكرهن
دليل ظاهر على ان القوم لم يشملهن وبه صرح زهير في قوله وما ادري وسوف اخال ادري اقوم ال حصن ام نسا
وسمي الرجال قوما لقيامهم بالمهمات وعظايم الامور وقيل يعم الفريقين اذ هم المراد في نحو كذبت قوم
نوح ليس بارض قومي ورد بان دخولهن هنا ليس لغة بل القرينة نحو التكليف في الاية وحكمة التعبير
برجال ثم قوم على الاول تفننا ودفعا للكراهة احدهما وعلى الثاني ان الغالب في المدعي ان يكون رجلا

اذ المراة لا يليق بها حضور مجالس الحكام والمدعي عليه يكون رجلا او امراة ودماءهم فقدم الاموال على
الدما هنا مع ان الدما اهم واعظم خطرا ولهذا وردانها اول ما يقضى فيه بين الناس لان الخصومات
في الاموال اكثر واغلب اذ اخذها ايسر وامتداد الايدي اليها اسهل ومن ثم ترى العصاة بالتعدي
عليها اضعاف العصاة بالقتل على ان العطف بالواو لا يفيد ترتيبا وفي رواية الصحيحين لادعى ناس
دما رجال واموالهم فقدم الدما عليها لشرفها وعظم خطرها على ان العطف بالواو لا يقتضي الترتيب
لكن هي هنا وان لم تات لفظا على قانونها من وقوعها بين نفي واثبات نحو ما قام زيد لكن عمر هي هنا
بعد اثبات ولا نفي قبلها حتى يصح معنى الاستدراك الذي هو مؤداها لكنه جارية عليه تقديرا اذ
المعنى لا يعطى الناس بدعواهم المجردة لكن البينة وهي على المدعي البينة فعيلة من البيان
على المدعي لان جانب المدعي ضعيف لدعواه خلاف الاصل ولو كان فاضلا شريفا او حقا حقيقا والمدعي
كما قال ابن عرفة من عريت دعواه عن مرجح غير شهادة والمدعى عليه من اقترنت دعواه به والمرجح اما معهود
كدعوى شخص على اخر وديعة او عارية فيدعي الاخر ردها فمدعي الرد هو المدعي عليه لما عهد في الشرع ان الرد لا يحتاج
لاقامة بينة واما اصل كمدعي رق شخص فيجيب الاخر بالحرية فمدعي الحرية هو المدعى عليه لانها الاصل في الناس
وانما عرض لهم الرق بسبب السبي بشرط الكفر ومعنى كون البينة على المدعي انها يستحق لا انها واجبة عليه ثم
ان الدعوى الصحيحة المسموعة هي ان يكون المدعي به محققا معلوما فلو قال لي عليه شيء لم تسمع دعواه وكذا لو قال
اظن ان لي عليه كذا واليمين على من انكر عبر بها هنا دون الاول مع انه كان يمكن ان يوتى باسم الفاعل
فيهما او بمن فيهما لان المدعي يذكر امرا خفيا لعرو دعواه عن المرجح والمدعى عليه يذكر امرا ظاهرا لاقتران دعواه
به ولا شك ان الموصول لاشتراط كون صلته معهودة اظهر من المعرف فاعطي الخفي للخفي والظاهر للظاهر
ويحتمل ان يقال ان في المدعي ضربا من التعريف المعنوي لظهوره واقدامه على الدعوى فاتى فيه بلام التعريف
المناسب له والمنكر فيه ضرب من الابهام والتنكير لاستخفائه وتاخره ولو اذا سكت لا يترك فاتى فيه
بمن اذ فيها ابهام شبيه بحاله وزعم ان ذلك سوال دوري غير صحيح انكر لان جانب المنكر قوي لموافقته
للاصل في البراءة والبينة حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعل القوي في
جانب الضعيف والضعيف في جانب القوي وهو جانب المنكر تعديلا وهو توجيه حسن زاد الدارقطني
الا في القسامة ايلا ان اليمين فيها على المدعي وكذا اليمين مع الشاهد الواحد في جانب المدعي وكذا يمين المدعي
اذا ردها عليه المنكر وكذا يخص بمسئلة الحيازة فان البينة لا تسمع من المدعي ولا تتوجه اليمين على من انكر
لحديث ابن المسيب وزيد بن اسلم من حاز شيئا عشر سنين فهو له وكذا بالطلاق والعتق والنكاح والقذف
فان اليمين لا تتوجه فيها على المنكر بمجرد الدعوى لورود المخصصات بها وقوله واليمين على من انكر سوا كان بينه
وبين المدعي اختلاط ام لا فانه لم يعلم نقيض للطالب حتى تحليف اذا كان الدعوى دعوى تحقيق وان كانت دعوى
اتهام غرم المطلوب بمجرد نكوله فان قلت ما الحكمة في ان البينة على المدعي واليمين على من انكر فالجواب ان جانب
المدعي ضعيف لعرو قوله عن المرجحات وجانب المنكر قوي لموافقة الاصل في براءة ذمته اذ هو المعهود والبينة
حجة قوية لبعدها عن التهمة واليمين حجة ضعيفة لقربها منها فجعلت الحجة القوية وهي البينة في الجانب الضعيف وهو

المدعي والحجة الضعيفة في الجانب القوي وهو جانب المنكر تعديلا قال بعض العلماء ان فصل الخطاب في قوله تعالى واتيناه
الحكمة وفصل الخطاب هو البينة على المدعي واليمين على من انكر نكتة في الحلية في ترجمة عكرمة قال كانت
القضاة في بني اسرائيل ثلاثة فمات احدهم فولي مكانه غيره ثم قضوا ما شاء الله ان يقضوا ثم بعث الله لهم تعالى
ملكا يمتحنهم فوجد رجلا يسقي بقرة على ماء وخلفها عجلة فدعاها وهو راكب فرسا فتبعتها العجلة
فتخاصما فقالا بيننا القاضي فجاء الى القاضي الاول فدفع اليه الملك درة كانت معه وقال احكم بان العجلة لي
قال بماذا احكم قال ارسل البقرة والفرس والعجلة فان تبعت الفرس فهي لي فارسلها فتبعت الفرس فحكم
له بها واتيا القاضي الثاني فحكم له كذلك واخذ درة واما القاضي الثالث فدفع له الملك درة وقال له الملك احكم لي
بها فقال اني حائض فقال الملك سبحان الله ايحيض الذكر فقال له القاضي سبحان الله اتلد الفرس بقرة وحكم
بها لصاحبها حديث حسن وصححه ايضا كما ذكره المولف في موضع اخر وذكره غيره رواه الامام ابو بكر احمد
بن الحسين البيهقي بفتح البا والقاف نسبة الى بيهق قرى مجتمعة بناحية نيسابور بلغت تصانيفه نحو الالف
قال السبكي ولم يتفق ذلك لاحد واعتنى بجمع نصوص الشافعي وتخريج احاديثها حتى قال امام الحرمين
ما من شافعي الا وللشافعي عليه منة الا البيهقي فان له على الشافعي المنة ولد سنة اربع وثمانين وثلثماية ومات
بنيسابور سنة ثمان وخمسين واربعماية وغيره هكذا اي بهذا اللفظ المذكور وبعضه في الصحيحين
اذ لفظهما كما في الجمع بينهما للحميدي عن ابن عباس لو يعطى الناس بدعواهم لادعى اناس دماء رجال واموالهم
ولكن اليمين على المدعى عليه الحديث الرابع والثلاثون عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من راى اي علم سوا ابصر ام لا لان الروية بالبصر لا تشترط ويصح كونها
بصرية ويقاس غير المبصر على حكم المبصر والاول اشبه وهذا الحديث قاله ابو سعيد ابو سعيد الخدري لما قدم
مروان خطبة العيد وقال له رجل الصلاة قبلها فقد ترك ما هنالك فقال ابو سعيد اما هذا فقد قضى
ما عليه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول فذكر الحديث وهو دال دليل على ان اول من فعل هذا مروان
لا عثمان ولا عمر اذ لم يصح ذلك عن علي ابي سعيد في الصحيحين انه هو الذي جذب مروان حين راه يصعد
المنبر فرد عليه مروان بمثل ما رد على الرجل فيجوز ان تكون قصة اخرى منكم معشر المكلفين القادرين
فخرج نحو صبي ومجنون وعاجز والخطاب عام لساير الامة لا للحاضر فقط منكرا اي شيا قبيحا قبحه
الشرع قولا او فعلا ولو صغيرة فليغيره اي يزيله وجوبا عينيا ان انفرد بعلمه وكفاييا ان شاركه
غيره والوجوب بالشرع لا بالعقل خلافا للمعتزلة وله شروط الاول ان يكون عالما بذلك لئلا يعكس
الثاني ان لا يودي نهيه الى مفسدة اعظم كنهيه عن زنا فيودي لقتل الثالث ان يكون مجمعا على تحريمه
او يكون مدرك القايل بحله ضعيفا كشرب النبيذ ونكاح المتعة الرابع ان يكون ظاهرا في الوجود
فلا يتجسس على الناس ولا يقتحم الدور ولا يبحث عما اخفي في كم ونحوه الخامس ان يعلم او يظن انه يفيد
وبانتفاء الشرط الاول ينتفي الجواز وبانتفاء الاخير ينتفي الوجوب ويبقى الجواز او الندب ثم انه
لا يشترط في النهي عن المنكر ان يكون المتلبس به عاصيا كقتال الباغي المتاول وضرب الصبيان على فعل الفوا

وقيل

وقتل الصائل من صبي او مجنون اذا لم يمكن دفعهما الا به وعلم مما سبق ان التجسس غير مطلوب بل هو مذموم
منهي عنه لقوله تعالى ولا تجسسوا واستثنى الماوردي من ذلك ما اذا اخبره من يثق بقوله ان رجلا خلا
برجل ليقتله او امراة ليزني بها فانه يجوز له في مثل هذه الحالة ان يتجسس ويقدم على الكشف والبحث
حذرا من فوات ما لا يستدرك واما العدالة واذن الامام فالمشهور عدم اشتراطهما الا ان يخاف من المفسدة
فلا بد من اذن الامام وروي عن عمر رضي الله عنه انه احس من رجل بالخنا فتسور عليه فرآه على منكر فصاح
عليه فقال يا امير المومنين انا عصيت الله في واحدة وقد عصيته انت في ثلاث قال وما هن فقال التجسس
وقد قال الله تعالى ولا تجسسوا فقد نهى عن التجسس واتيت البيوت من ظهورها وقد امر الله بان تاتيها من
ابوابها ودخلت غير بيتك من غير ان تستاذن وتسلم وقد امر الله بذلك فقال عمر صدقت فاستغفر لنا
فقال غفر الله لنا ولك يا امير المومنين وذكر بعضهم انه مشى عمر رضي الله عنه بالليل فراى نارا في بيت فاتى
اليها فاذا قوم يشربون وشيخ بينهم فاقتحم عليهم وقال يا اعدا الله امكن الله منكم فقال له الشيخ ما نحن باعظم
منك ذنبا يا امير المومنين ان عصينا الله في واحدة فقد عصيته في ثلاث فقال له عمر وما هي فقال التجسس
وقد قال تعالى ولا تجسسوا واتيت البيوت من ظهورها وقد امر الله بان تاتيها من ابوابها ودخلت بيتا غير
بيتك من غير استيذان ولا تسليم وقد امر الله بذلك فاحتشم عمر وقال صدقت استغفر لي فقال الشيخ
غفر الله لنا ولك يا امير المومنين وقد كان الحسن البصري يقول اياكم والتجسس فوالله لقد ادركت
ناسا لا عيوب لهم فتجسسوا على عيوب الناس فاحدث الله لهم عيوبا بيده لانه ابلغ في تغييره كاراقة
الخمر وتفكيك آلة اللهو والحيلولة بين الضارب والمضروب ورد المغصوب الى مالكه ونزع الحرير من لابسه
فان احتاج الى اظهار سلاح او حرب رفع الى السلطان وينبغي ان يقصد بذلك وجه الله تعالى وامتثال امره
وقد حكي ان شجرة كان يعبدها الناس فقصد رجل قطعها فلما شرع في القطع جا الشيطان واراد منعه
فلم يقدر الشيطان عليه فقال له اترك القطع واعطيك كل يوم كذا وكذا من الدراهم تجده في فراشك فامتنع
من القطع فوجد الدراهم يومين او ثلاثة ثم فقدها في اليوم الرابع فغضب واخذ الفاس وتوجه الى الشجرة
فلقيه الشيطان في الطريق فتصارع معه فغلبه الشيطان لانه في المرة الاولى قصده مخلصا لله تعالى وفي
المرة الثانية انما غضب لاجل الدنيا فان لم يستطع الانكار بيده فبلسانه بان يمنعه بالقول وتلاوة ما نزل
الله من الوعيد والقول الصالح والاستغاثة والتوبيخ والتذكير بالله والعقاب مع لين واغلاظ بحسب ما يقتضيه
الحال وقد يبلغ بالرفق والسياسة ما لا يبلغ بالوثوق والرياسة ولذا قال بعض العلما من راى عورة احد
في الحمام ينبغي ان يكون انكاره عليه بهذه الصيغة وهي ان يقول له استر سترك الله وقد روي ان رجلا من
اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثر شرب الخمر بالشام فبلغ ذلك عمر بن الخطاب فكتب له حم
تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب فترك الرجل شرب الخمر
وتاب وحكى التاج السبكي عن ابيه انه كان يجتمع ببعض الامرا وكان الامير يلازم الحرير فقال يا امير
بكم الذراع من هذا فقال بدينار فقال في الصوف ما يساوي كل ذراع منه دنانير ومماليكك وخدمك

بشار كونك في لبس الحرير ولا يليق شرها منك ان يساووك فاعدل الى الصوف فانه اعلى واغلى مع ما فيه من
السلامة من العقاب الاخروي فاستحسن كلامه ولو قال له ابتداء هو حرام لم يغير قال العارف ابن العربي لو
كشف لولي ان فلانا لابد ان يزني بفلانة او يلزم شرب الخمر لزمه النهي ولم يسقط عنه لان نور الكشف لا يطفي
نور الشرع فمشاهدته من طريق الكشف لا تسقط النهي لانه تعالى تعبدنا بازالة المنكر وان شهدنا كشفا انه
متحتم الوقوع ولاظاهره انه يلزمه الامر والنهي وان كان هو لم يتمثل ذلك وبه صرح في رواية الطبراني من حديث
انس قلت يا رسول الله لا نامر بالمعروف حتى نفعله ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه فقال مروا بالمعروف وانتم
تفعلوه وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله لانه يجب ترك المنكر وانكاره فلا يسقط احدهما بترك
الاخر ولهذا قيل للحسن فلان لا يعظ ويقول اخاف ان اقول ما لا افعل فقال واينا يفعل ما يقول ود
الشيطان لو ظفر بهذا فلم يامر احد بمعروف ولم ينه عن منكر ولو توقف الامر والنهي عن اجتناب لرفع
الامر بالمعروف وتعطل النهي عن المنكر وانسد باب النصيحة التي حث الشارع عليها بما في هذا الزمان الذي
صار التلبس فيه بالمعاصي شعار الانام ودثار الخاص والعام ولا يعارض هذا ما صح انه صلى الله عليه وسلم
راى في النار قوما يدور ودونه كما تدور الرحى فسال عنهم فقيل كانوا يامرون بالمعروف ولا يفعلونه وينهون عن
المنكر ويفعلونه لان تعذيبهم انما هو على فعل المنكر لا على انكاره ولا ينافي ما تقرر من الوجوب يا ايها الذين
امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم لانها محمولة على ما اذا عجز المنكر عن ازالة المنكر ولا شك
في سقوط الوجوب ح على ان معناها عند المحققين انكم اذا فعلتم ما كلفتم به لا يضركم تقصير غيركم نحو
ولا تزر وازرة وزر اخرى ومما كلفنا به الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واذا لم يمتثل المخاطب فلا
عتب ح لان الواجب الامر بالمعروف لا القبول فان لم يستطع الانكار بلسانه لوجود مانع كخوف فتنة
او على نفس او مال او عضو محترم فبقلبه اي فينكر بقلبه اذ لا تغير بالقلب وشبه هذا التركيب قوله
صلى الله عليه وسلم لعمران بن حصين صل قائما فان لم تستطع فقاعدا فان لم تستطع فعلى جنب فان لم تستطع
فمستلقيا لا يكلف الله الا نفسا الا وسعها فهو على حد علفتها تبنا وماء باردا لكن فيه انه من خصائص
الواو الاتري الى قول ابن مالك وهي انفردت بعطف عامل مزال قد بقي معموله ومعنى الانكار بالقلب
كراهة الفعل للمنكر وظهور ذلك على جوارحه ان لم يخف على نفسه والعزم على انه لو قدر على تغييره بقول او
فعل فعل وهذا واجب عينا على كل احد بخلاف اللذين قبله فانهما قد يكونان فرض كفاية كما سلف وذكر الشيخ
الشعراني في المنن عن سيدي ابراهيم المتبولي ان تغييره باليد يكون للولاة الذين يضربون ولا يضربون
وتغييره باللسان للعلماء العاملين فيؤثر زجرهم باللسان في قلب مرتكب ذلك المنكر فيرجع عند ذلك المنكر
وتغييره بالقلب على العارفين الذين غلب عليهم شهود احتقارهم نفوسهم ان يكونوا ناهين لغيرهم فيتوجه
احدهم الى الله تعالى في تغيير ذلك المنكر فيكف الظالم عن ظلمه وشارب الخمر عن شربه فهذا هو التغيير
حقيقة. واما قول اللسان اللهم هذا منكر لا ارضاه فليس فيه تغيير قلبي انتهى والحق ان المراتب
الثلاث تكون على واحد من الثلاث فاول المراتب المقاتلة والجهاد فان عجز انكر باللفظ لبقبح ذلك
المنكر

المنكر عند فاعله وعند من راه فان عجز بان خاف ضررا من قتل او جرح او اخراج من وطن فليقل اللهم هذا
منكر لا ارضاه والله اعلم وذلك اي الانكار بالقلب اضعف الايمان اي الاعمال فلا يرد ان المنكر بالقلب
قد يكون اقوى الناس ايمانا والايمان قد يطلق على الاعمال كما اطلق على الصلاة في قوله تعالى ما كان الله ليضيع ايمانكم
اي صلاتكم لبيت المقدس او المراد به الاسلام وهو على حذف مضاف اي خصال الاسلام او باق على حقيقته
والمراد اقل اثار الايمان وثمراته في المنفعة اطلاق الايمان على المعنيين الاول مجاز مرسل على طريق اطلاق
اسم السبب على ان الايمان سبب للامتثال بالشرايع المامور بها وانما كان الانكار بالقلب اضعف الايمان لان
مجرد كراهته له بقلبه لا يحصل به زوال مفسدة المنكر المطلوب زواله وهو قاصر بخلافه باليد واللسان فانه متعد
فانه كراهته وازالته وقد قيل التغيير باليد للامراء وباللسان للعلماء وبالقلب للعامة قال ابن الفاكهاني اعجب
ما في زماننا ان الذين يظن بهم العلم والدين ممن يتعين عليهم الامر بالمعروف والنهي عن المنكر متلبسون بمناكر شتى
يجب انكارها عليهم شرعا ولقد احسن من قال بالملح يصلح ما يخشى تغيره فكيف بالملح ان حلت به الغير وقال اخر
هذا الزمان الذي كنا نحاذره في قول كعب وفي قول ابن مسعود دهر به الحق مردود بالجمع والجور فيه ظاهر غير مردود
ان دام هذا ولم يحدث له غير لم يبك ميت ولم يفرح بمولود رواه مسلم والنسائي الحديث الخامس والثلاثون
عن ابي هريرة رضي الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تحاسدوا الخطاب لكل من يتاتى توجيه الخطاب
اليه واصله تتحاسدوا حذفت احدهما تخفيفا وكذا فيما بعده اي لا يحسد بعضكم بعضا وهو لغة وشرعا تمني زوال نعمة
الغير سواء تمنى انتقالها اليه ام لا وهو قبيح بالاجماع الا ان الثاني اقبح واشد حرمة من الاول وبعضهم خصه بان يتمنى ذلك
لنفسه والحق انه اعم وهو مذموم وصاحبه مغموم وكفاه ذما انه يفسد الطاعات ويبعث على الخطايات وهذا الداء
العضال الذي ابتلي به كثير من العلماء فضلا عن العامة حتى اهلكهم وقال النبي صلى الله عليه وسلم اياكم والحسد فان الحسد
ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب او قال العشب ومن ثم قال صلى الله عليه الحسد يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل
وحسبك ان الله تعالى امر بالاستعاذة من شر الحاسدين كما امر بها من شر الشياطين ويكفيك في قبحه انه اول
ذنب عصي الله به لان ابليس لم يحمله على ترك السجود الا الحسد كما ان قابيل لم يحمله على قتل هابيل الا الحسد
وكان سبب حسده له انه تزوج اخت هابيل التي تسمى لبوذا وكانت ليست كجمال اختها التي تزوجها هابيل فكان
من شريعة ادم ان اختلاف بطون حواء بمنزلة اختلاف الانساب فكان يزوج ذكور كل بطن لاناث الاخرى وبالعكس
وهذا لا يخالف ما في الاية الشريفة لانه جاء في القصة ان ادم عليه السلام لما امر قابيل ان يزوج اخته لهابيل فامتنع
فامرهما ان يقربا قربانا لله تعالى وكانت العلامة على قبوله اذ ذاك نزول نار من السماء تاكله فقرب كل منهما
قربانه فتقبل قربان هابيل فزاد حسده وعلى هذا فيكون حسده بشيئين اخروي وهو ما في الاية ودنيوي
وهو جمال اخته التي تزوجها وجاء في عدة اخبار روايات انه ياكل الحسنات اي يحرقها ويذهب اثرها كما تاكل
النار الحطب اليابس وقال عبد الله ابن مسعود لا تعادوا نعم الله قيل ومن يعادي نعم الله قال الذين
يحسدون الناس على ما اتاهم الله من فضله وفي الحكمة ان الحسود لا يسود وقد روي ان ابليس اتى باب
فرعون فقرع الباب فقال فرعون من هذا فقال ابليس لو كنت الها ما جهلت فلما دخل قال فرعون اتعرف
من في الارض شر منك ومني قال من هو قال الحاسد وبالحسد وقعت في هذه المحنة واما حديث

احد الا في اثنتين رجل اتاه الله مالا فسلطه على هلكته في الخير ورجل اتاه الله الحكمة فهو يقضي بها
ويعلمها الناس فالمراد به الغبطة مجازا وهي ان يتمنى ان يكون له مثل ما للغير من غير ان يريد زواله
عنه وقد قيل ان موسى عليه الصلاة والسلام راى رجلا عند العرش فغبطه وقال ان هذا لكريم على ربه
فسال ربه ان يخبره باسمه فلم يخبره وقال احدثك من عمله بثلاث كان لا يحسد الناس على ما اتاهم
الله من فضله وكان لا يعق والديه وكان لا يمشي بالنميمة والغبطة مباحة في الدنيوي مندوبة في الاخروي
قال بعضهم اصبر على حسد الحسود فان صبرك قاتله النار تاكل بعضها ان لم تجد ما تاكله وقال بعضهم الحاسد
جاحد لانه لا يرضى بقضاء الواحد وفي معناه قال منصور الفقيه الا قل لمن ظل لي حاسدا اتدري على من قد اسات الادب
اسات على الله في حكمه اذا انت لم ترض لي ما وهب ولابي الطيب واظلم من في الارض من كان حاسدا
لمن بات في نعمايه يتقلب ولبعضهم دع الحسود وما يلقاه من كمده يكفيك منه لهيب النار في كبده
ان لمت ذا حسد نفست كربته وان سكت فقد عذبته بيده وقال عمر بن عبد العزيز ما رايت ظالما
اشبه بمظلوم من الحاسد غم دايم ونفس متتابع وفيه قال بعضهم قل للحسود اذا تنفس طبعه يا ظالما وكانه
مظلوم وقال بعضهم ان الغراب كان يمشي مشية فيما مضى من سائر الاحوال حسد القطاة فرام يمشي مشيها
فاصابه ضرب من العقال وروي انه صلى الله عليه وسلم اخبر عن رجل من الانصار انه من اهل الجنة فبات عنده
ابن عمر لينظر عمله فلم ير له كبير عمل فقال له ما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما هو
الا ما رايت غير اني لا اجد في نفسي لاحد من المسلمين غشا ولا احدا على خير اعطاه الله اياه فقال عبد
الله هذه الذي بلغت بك وهي التي لا نطيق وحكي ان بعض الصلحا كان يجلس بجنب ملك ينصحه
ويقول احسن الى المحسن باحسانه ويكفي المسيء فعله فحسده بعض الجهلة على قربه من الملك واعمل الحيلة
على قتله فسعى به الى الملك وقال له انه يزعم انك ابخر وعلامة ذلك انك اذا قربت منه يضع يده على انفه لئلا
يشم رايحة البخر فقال له انصرف حتى انظر فخرج فدعا الرجل لمنزله واطعمه ثوما فخرج الرجل من عنده وجا
وقال للملك مثل قوله السابق احسن الى المحسن باحسانه يكفي المسيء فعله كعادته فقال له الملك ادن مني فدنا
منه ووضع يده على فيه مخافة ان يشم الملك رايحة الثوم فقال الملك في نفسه ما ارى فلانا الا قد
صدق وكان الملك لا يكتب بخطه الا جايزة فكتب له بخطه لبعض عماله اذا اتاك صاحب كتابي هذا فاذبحه
واسلخه واحش جلده تبنا وابعث به الي واخذ الكتاب وخرج فلقيه الرجل الذي سعى به فقال
ما هذا الكتاب قال خط الملك لي بصلة فقال هبه مني قال هو لك فاخذه ومضى به الى العامل فقال
له العامل في كتابك اني اذبحك واسلخك فقال ان الكتاب ليس هو لي الله الله في امري حتى اراجع
الملك فقال ليس لكتاب الملك مراجعة فذبحه وسلخه وحشى جلده تبنا وبعث به ثم عاد الرجل
الى الملك كعادته وقال مثل قوله فعجب الملك وقال ما فعلت بالكتاب قال لقيني فلان فاستوهبه
مني فدفعته له فقال له الملك ذكر لي انك تزعم اني ابخر قال ما قلت ذلك قال فلم وضعت يدك على

رحمهم

انفك

انفك و فيك قال اطعمني ثوبا فخشيت ان تشمه قال صدقت ارجع الى مكانك فقد كفى المسيئ اساءته
كذا ذكره بعض الشراح وذكر في المستطرف انه حكي ان رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه
وادناه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استيذان وكان له وزير حاسد فغار من البدوي
وحسده وقال في نفسه ان لم احتل على هذا البدوي ياخذ بقلب امير المومنين ويبعدني عنه فصار
ذلك الوزير يتلطف بالبدوي حتى انتهى به الى منزله فطبخ له طعاما واكثر فيه من الثوم فلما اكل البدوي
منه قال له احذر ان تقرب من امير المومنين يشم منك رائحة الثوم فيتاذى بذلك فانه يكره رائحته
ثم ذهب الوزير الى امير المومنين فخلا به وقال يا امير المومنين ان البدوي يقول للناس ان امير المومنين
ابخر وهلكت من رائحة فمه فارسل اليه فلما دخل البدوي جعل كمه على فمه مخافة ان يشم منه رائحة
الثوم فلما راه امير المومنين وهو يستر فمه بكمه قال ان الذي قاله الوزير عن هذا البدوي صحيح
فكتب امير المومنين الى بعض عماله يقول اذا وصل اليك كتابي هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا
البدوي فدفع له ما رسم به وخرج به من عنده فبينما هو بالباب فقال الوزير اين تريد فقال اتوجه
بكتاب امير المومنين الى عامله فلان فقال الوزير ان هذا البدوي يحصل له مال جزيل فقال يا بدوي ما تقول
فيمن يريحك من هذا التعب الذي يلحقك في سفرك ويعطيك الفي دينار فقال البدوي انت الكبير
وانت الحاكم ومهما رايته من الراي فافعل فقال اعطني الكتاب فدفعه اليه فاعطاه الوزير الفي دينار
وركب الوزير وسار الى المكان الذي هو قاصده وسلم الكتاب للعامل فلما قرا العامل الكتاب امر بضرب
رقبة الوزير فبعد ايام تفكر الخليفة في امر البدوي وسال عن الوزير فاخبر بان له اياما ما روي وان
البدوي مقيم بالمدينة فتعجب من ذلك وامر باحضار البدوي فسأله عن حاله فاخبره بالقصة التي اتفقت
له مع الوزير من اولها الى اخرها فقال له انت قلت اني ابخر فقال معاذ الله يا امير المومنين انه تحدث
بشيء ليس له به علم وانما كان مكرا منه وحسدا واخبره كيف دخل به بيته واطعمه الثوم وما جرى
له منه فقال له امير المومنين قاتل الله الحسد ما اعدله بدا بصاحبه فقتله ثم خلع على البدوي واتخذه
وزيرا وراح الوزير بحسده فتاملوا رحمكم الله شوم الحسد وما جر اليه وتعلموا من قوله صلى الله
عليه وسلم لا تظهر الشماتة لاخيك فيعافيه الله ويبتليك ولا تناجشوا بجيم وشين معجمتين من
النجش وهو لغة الاغراء والاثارة يقال نجشت الصيد اثرته لانه يثير الرغبات في المبيع ويغري
عليها واصطلاحا الزيادة في المبيع لا لاجل غرور الغير وانما ذكره بصيغة التفاعل لان التجار يتعاضدون
في ذلك فيفعل هذا لصاحبه على ان يكافيه بمثله وهذا النهي لا يقتضي الفساد لانه خارج عنه غير
لازم وتفسير النجش بما ذكر هو ما عليه الاكثر وقيل المراد النهي بالحديث عن اغراء بعضهم بعضا على
الشر والخصومة حكاه القاضي وغيره وقال الاقليشي لا تناجشوا معناه لا يكن بينكم تنافر ولا تباعد
والاصل في النجش تنفير الوحش من مكان الى مكان فكانه ينهى عن ان يسعى الانسان في تنفير قلب

قلبه بالقطيعة للناس حتى يقع بينهم التحاسد ولا تطمئن قلوبهم بالاستيناس الذي جعله الله سبب التحابب
بين الناس ولا تباغضوا اي لا يبغض بعضكم بعضا اي لا تتعاطوا اسباب البغض لانه قهري كالحب
ولا قدرة للانسان على اكتسابه ولا يملك التصرف فيه وهو النفرة عن الشي لمعنى مستقبح فيه ويرادفه
الكراهة كقوله صلى الله عليه وسلم هذا قسمي فيما املك فلا تلمني فيما لا املك ثم هو بين اثنين اما
من جانبيهما او من جانب احدهما وعلى كل فهو لغير الله حرام وهو محل الحديث وله واجب او مندوب كما قال
تعالى لا تتخذوا عدوي وعدوكم اوليا وقال صلى الله عليه وسلم من احب لله وابغض لله واعطى لله
ومنع لله فقد استكمل الايمان وقيل معناه لا توقعوا العداوة والبغضا بين المسلمين ولا تدابروا اي
لا تتكلموا في ادبار اخوانكم بالغيبة والبهتان ويحتمل معناه لا تولوا ادباركم استثقالا بل ابسطوا
وجوهكم وقيل من الادبار وهو الاعراض المودي الى التقاطع والمعاداة لان كل واحد يولي صاحبه دبره
اي لا يعرض بعضكم عن بعض لكراهيته فيه ونفرة منه لانه يودي الى تضييع ما يجب من حقوق الاسلام من
الاعانة والنصح ونحوهما وقيل معناه لا تقاطعوا لانه من قولهم قطع الله دابره اي من بقي بعده وفي الحديث
لا يحل لمسلم ان يهجر اخاه فوق ثلثة ايام وفي رواية لا يحل لرجل ان يهجر اخاه فوق ثلاث ليال يلتقيان فيعرض
هذا ويعرض هذا وخيرهما الذي يبدا بالسلام واخذ منه العلما ان السلام يرفع اثم الهجر وانشد بعضهم
هجرك يليدي يا مظلمه فاستفت فيه ابن ابي خيثمه فانه يرويه عن جده وجده يرويه عن عكرمه
عن ابن عباس عن المصطفى نبينا المبعوث بالمرحمه ان صدود الخل عن خله فوق ثلاث ربنا حرمه
وانت مذ شهر لنا هاجر فما تخاف الله فينا ثم واخرج مسلم وغيره تعرض الاعمال الصالحات في كل اثنين وخميس
فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امري لا يشرك بالله شيا الا امرا كانت بينه وبين اخيه شحنا فيقول اتركوا
هذين حتى يصطلحا وفي رواية تفتح ابواب الجنة يوم الاثنين والخميس فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيا
الا رجلا كانت بينه وبين اخيه شحنا فيقول انظروا هذين حتى يصطلحا انظروا هذين حتى يصطلحا
انظروا هذين حتى يصطلحا واخرج الطبراني وابن حبان في صحيحه والبيهقي يطلع الله الى جميع خلقه ليلة النصف
من شعبان فيغفر لجميع خلقه الا لمشرك او مشاحن ووجه مغايرته لما قبله ان الشخص قد يبغض صاحبه عادة
ويوفيه حقوقه وقد يعرض عنه لنحو تهمة او تاديب وهو يحبه ومن هذا القبيل قول بعضهم لا يكتم الحب الا
خشية التهم ولذا قال عمر بن الخطاب لرجل لا احبك فقال له يا امير المومنين يحملك ذلك على ان تمنعني
حقا هو لي قال لا قال فلا ابالي اذن فان الحب من شان النسا ولا يبع بالجزم على النهي بعضكم
معشر المكلفين من المسلمين والذميين والتقييد بالمسلم في الاخبار للغالب خلافا لمن خصه
بمفهومه على بيع بعض لما فيه من تغير القلوب بان يقول للمشتري سلعة في زمن الخيار رد
هذا المبيع وانا ابيعك مثلها بانقص من ثمنها او اجود منها بمثل ثمنها ومثله الشرا على الشرا بان
يقول للبايع في مدة الخيار افسخه وانا اشتريه منك بازيد وكونوا عباد الله منادي
مضاف

مضاف اي يا عباد الله فحذف حرف النداء اخوانا خبر كان ذا دمتم كما امركم الله ونسبها الى الله لان
الرسول مبلغ عن الله تعالى وهذه الجملة كالتعليل لما قبله كانه قال اذا تركتم التحاسد وما بعده
كنتم اخوانا والا كنتم اعدا ومعنى كونوا اخوانا تعاطوا اسباب المودة واكتسبوا ما تصيرون به
اخوانا من الامور المقتضية لذلك كابتدا السلام ورده وتشميت العاطس وعيادة المرضى وتشييع
الجنايز واجابة الدعوة والمعاونة على البر والتقوى وطلاقة الوجه والمصافحة والنصح وقد قيل
لخالد بن صفوان اي الاخوان احب اليك قال الذي يغفر زللي ويسد خللي ويقبل عللي وقال القرطبي
كونوا كاخوان النسب في الشفقة والرحمة والمودة والمواساة والمعاونة والنصيحة ولبعضهم
من لي بانسان اذا اغضبته   وجهلت كان الحلم رد جوابه   واذا صبوت الى المدام شربت من
اخلاقه وسكرت من ادابه   وتراه يصغي للحديث بطرفه   وبقلبه ولعله ادرى به   وروى الترمذي
تهادوا فان الهدية تذهب وحر الصدر والوحر بفتح الحا المهملة الغش والوسواس وقيل
الحقد والغيظ وقيل العداوة وقيل اشد الغضب المسلم اخو المسلم يجمعهما دين واحد ومن ثم قال تعالى
انما المومنون اخوة فهم كالاخوة الحقيقية لان ثمرتها الاخروية وثمرة تلك دنيوية لا يظلمه اي لا ينقصه
حقه ولا يمنعه اياه لان الظلم حرام ومذهب البركة فقد اخرج ابن مردويه والاصبهاني في الترغيب
والبيهقي عن مجاهد عن ابن عباس ان ملكا من الملوك خرج يسير في مملكته وهو مستخف من الناس
حتى نزل على رجل له بقرة فراحت عليه تلك البقرة فحلبت فاذا حلابها مقدار حلاب ثلاثين بقرة فحدث
الملك نفسه باخذها فلما كان الغد فغدت البقرة الى مرعاها ثم راحت فحلبت فنقص لبنها على النصف
وجا مقدار خمسة عشر بقرة فدعا الملك صاحبها فقال اخبرني عن بقرتك ارعت اليوم في غير مرعاها بالامس
وشربت من غير مشربها بالامس فقال اما رعت في غير مرعاها ولا شربت في غير مشربها بالامس فقال
ما بال حلابها على النصف فقال ارى الملك هم باخذها فنقص لبنها فان الملك اذا ظلم او هم بالظلم
ذهبت البركة قال وانت من اين يعرفك الملك فهو ذاك كما قلت لك فعاهد الملك ربه ان لا يظلم
ولا ياخذ البقرة فغدت فرعت ثم راحت فحلبت فاذا لبنها قد عاد على مقدار ثلثين بقرة فاعتبر
الملك وقال بينه وبين نفسه اري للملك اذا ظلم او هم بالظلم ذهبت البركة لاجرم لاعدلن فلاكونن
على افضل العدل ولبعضهم لا تظلمن اذا ما كنت مقتدرا   فالظلم اخره ياتيك بالندم   نامت عيونك والمظلوم منتبه
يدعو عليك وعين الله لم تنم   ولبعضهم اصبر على الظلم ولا تنتصر   فالظلم مردود على الظالم   وكل الى الله ظلوما فما
ربي عن الظالم بالنايم ولا يخذله اي لا يتركه لمن يظلمه ولا ينصره وقد قال صلى الله عليه وسلم انصر
اخاك ظالما او مظلوما قيل كيف ينصره ظالما قال يمنعه من الظلم قال العراقي بضم الذال المعجمة والخذلان
ترك الاعانة والنصرة ذكره الطيبي والخذلان حرام سواء كان متعلقه دينيا مثل ان يقدر على دفع
عدو ويريد ان يبطش به فلا يدفعه او دينيا مثل ان يقدر على نصحه فيتركه ولا يكذبه
بفتح يا المضارعة وتخفيف الذال المكسورة وبضم فسكون والاول اشهر واكثر بل اقتصر عليه الحافظ

العراقي في شرح الترمذي لكن اقتصر المؤلف على الثاني اي الجزم بامر على خلاف ما هو عليه لانه غش وخيانة وفي
الحديث اذا كذب العبد تباعد عنه الملك ميلا من نتن ما جاء به رواه الترمذي وحسنه وينبغي
لمن اضطر الى الكذب ان يعرض الى المعاريض ما امكن حتى لا يعود نفسه الكذب ففي الخبر ان
في المعاريض لمندوحة عن الكذب وعن ابي بكر انه كان خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم حين هاجر
معه فتلقاه العرب وهم يعرفونه ولا يعرفون النبي صلى الله عليه وسلم فيقولون من هذا فيقول يهديني
السبيل فيظنونه انه يعني هداية الطريق وهو يريد سبيل الخير وكان ابرهيم ابن ادهم اذا طلب في البيت
يقول لخادمه انظره في المسجد وقد ورد ان اعرابيا بايع النبي صلى الله عليه وسلم على ترك خصلة من الخصال المحرمة
كالزنا والسرقة والكذب فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع الكذب فصار كلما هم بزنا او سرقة او غيرهما قال
كيف اصنع ان سالني النبي صلى الله عليه وسلم فان صدقته حدني وان كذبته فقد عاهدني على ترك الكذب
فكان تركه سببا لترك الفواحش كلها قال التادلي والكذب خمسة اقسام واجب لانقاذ مسلم او ماله
وحرام وهو الكذب لغير منفعة شرعية ومندوب وهو الكذب للكفار ان المسلمين اخذوا في اهبة
الحرب اذا قصد بذلك ارهابهم ومكروه وهو الكذب للزوجة تطييبا لنفسها ومباح وهو الكذب
للاصلاح بين الناس وتعقب ابن ناجي القسم الرابع بان السنة جوزت الكذب فيه انتهى وقال قوم الكذب
كله قبيح فقد سيل مالك رضي الله عنه عن الرجل يكذب لزوجته وابنه تطييبا فقال لا خير في الكذب
ولقد احسن القايل اصدق في اقوالنا اقوى لنا والكذب في افعالنا افعى لنا فهم يقولوا انهم اشياخنا
فمالهم قد يفعلوا اشياخنا ولا يحقره بيا مفتوحة وحا مهملة وقاف مكسورة اي لا يستصغر شانه
ويضع من قدره بالترفع عليه ولا ينظره بعين القلة والاستصغار ومن ذلك ان لا يسلم عليه اذا مر به
ولا يرد عليه السلام اذا بدا هو به وهذا انما يصدر في الغالب ممن غلب عليه الكبر والجهل ولا ينتقصه
بالوقيعة فيه بالاستهزا والسخرية وذكر معايبه اذا راه رث الحال او ذا عاهة في بدنه او غير لبق
في محادثته لا يعبا به لو اقسم على الله لابره وفي الحديث لا يحل لمسلم او يشير او ينظر الى اخيه بنظر يوذيه
رواه ابن المبارك في كتاب الزهد ومر بعض اولاد المهلب بمالك بن دينار فقال له مالك لو تركت الخيلاء
لكان اجمل لك فقال اما تعرفني فقال او والله اعرفك معرفة جيدة اولك نطفة مذرة واخرك جيفة قذرة
وانت مع ذلك تحمل العذرة فارخي الفتى راسه وكف عما كان عليه وقال افلاطون لرجل جاهل معجب مختال
في نفسه وددت اني مثلك في ظنك وان اعداي مثلك في الحقيقة وقال في الام عجبت لمن جرى مجرى
البول مرتين كيف يتكبر وروي ان رجلا قال لغلامه اسقني قال نعم قال انما يقول نعم من يقدر ان يقول لا
اصفعوه فصفعوه ثم دعا بما فتمضمض استقذارا لمخاطبته وقد حرم الله الجنة على المتكبرين فقال
تلك الدار الاخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا فقرن الكبر بالفساد واما الحديث
ليس مني من لم يتعاظم بالعلم فمعناه ليس منا من لم يعتقد ان الله جعله عظيما لكونه جعله محلا للعلم
وموصوفا به ولم يسترذله بحيث حظره عليه ومنعه منه كما ورد في الحديث اذا استرذل الله عبدا حظر
عليه العلم والادب او ما هذا معناه وليس المراد التعاظم احتقار غيره ومن جملة احتقار المسلم اغتيابه
وهو ذكرك اياه بما يكره وهي اي الغيبة محرمة بالاجماع الا ما استثناه العلما وقد جمع بعضهم ذلك في بيت
فقال

فقال تظلم واستفت واستعن حذر وعرف واذكرهن فسق المجاهر فذكر ستة ترخص الغيبة فيهم الاول
التظلم لمن يظن ان له قدرة على ازالة ظلمه او تخفيفه الثاني الاستغاثة على تغيير المنكر بذكره لمن يظن
قدرته على ازالته بنحو فلان يعمل كذا فازجره عنه الثالث الاستفتا بان يقول للمفتي ظلمني فلان بكذا
فهل يجوز له وما طريقي في خلاصي منه او تحصيل حقي وقد روي عن هند انها قالت للنبي صلى الله عليه
وسلم ان ابا سفيان رجل شحيح لا يعطيني ما يكفيني وبني افآخذ من غير علمه فقال خذي ما يكفيك
وبنيك بالمعروف فذكرت الشح ولم يزجرها النبي صلى الله عليه وسلم اذ كان قصدها الاستفتا الرابع
تحذير المسلمين من الشر مثل ان يشتري مملوكا وعرفت المملوك بالسرقة او بالفسق او بعيب اخر فلك ان تذكر ذلك
فان في سكوتك ضررا على المشتري وكذلك المستشار في تزويج او ايداع له ان يذكر له ما يعرفه على قصد
النصح للتزويج لا على قصد الوضيعة وان علم انه يترك التزويج مثلا بمجرد قوله لا تصلح لك فهذا الواجب
فان علم انه لا يترك الا بالتصريح بالعيب فله ان يصرح به الخامس ان يكون الانسان معروفا بما فيه نقص
كالاعرج والاعمش والاعور والاصم والافرع فقد فعل العلما ذلك لضرورة التعريف فان امكن تعريفه بعبارة
اخرى فهو اولى ولذا قيل للاعمى البصير عدولا عن النقص السادس ان يكون مبتدعا متجاهرا بالفسق
كالمتجاهر بشرب الخمر ومصادرة الناس واخذ المكس وجباية الاموال ظلما فاذا ذكر منه ما يتظاهر فلا
اثم لما ورد بسند ضعيف من القى جلباب الحيا عن وجهه فلا غيبة له وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه
ليس لفاسق حرمة والمراد المجاهر بفسقه دون المستتر لا بد من مراعاة حرمته وظاهر هذا انه يجوز
غيبته بما تظاهر به وان كان لا يرضى ذلك وقد قال بعضهم لا يكن حظ المومن منك الا ثلاث خصال ان لم
تنفعه فلا تضره وان لم تسره فلا تغمه وان لم تمدحه فلا تذمه وقوله لا يحقره وفي رواية ولا يحتقره وفي
بمعناها وفي رواية بيا مضمومة وخا معجمة ساكنة وفاء مكسورة بمعنى لا يغدره ولا ينقض عهده قال
انس قلما خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قال لا ايمان لمن لا امانة له ولا دين لمن لا عهد له لكن قال
عياض والصواب المعروف هو الاول وهو الموجود في غير كتاب وتخصيص ذلك بالمسلم لمزيد حرمته لا
للاختصاص به من كل وجه لان الذمي يشاركه في حرمة ظلمه وخذلانه بنحو ترك دفع عدوه عنه والكذب
واما احتقاره من حيث الكفر القايم به فجايز قال تعالى ومن يهن الله فما له من مكرم التقوى ههنا اي محل
سببها الذي هو الخوف الحامل عليها القلب الذي في الصدر لا حقيقتها التي هي الاتقا من العذاب بفعل
المامور واجتناب المحظور وفي الحديث ان الله لا ينظر الى صوركم واموالكم ولكن ينظر الى قلوبكم واعمالكم
ومعنى نظر الله مجازاته ويصح ان يراد بالتقوى هنا الاخلاص نحو قوله تعالى فانها من تقوى القلوب
اي من اخلاص القلوب وقد تقدم في حديث اتق الله حيثما كنت انها ترد لمعان ويشير رسول
الله صلى الله عليه وسلم الى صدره فعل ذلك ثلاث مرات من كلام الراوي بحسب بالسكان
السين يستوي فيه الواحد والمثنى والجمع والمونث والمذكر قال النحاة اذا كان ما بعده معرفة رفع
على الخبرية فالاضافة لفظية بدليل الابتدا وان كان ما بعده نكرة فرفع على الابتدا فقط فالاضافة
معنوية ولما كان هنا مظنة سؤال وهو ان يقال كم التحقير لماذا احراما او لا فقال امر من الشر اي كافيه منه

ان يحقر اخاه المسلم بالنصيحة لاخاه وكونه لحرمة المسلم ففيه تحذير شديد من احتقاره قال تعالى يا ايها الذين
امنوا لا يسخر قوم من قوم الى قوله الظالمون اي لا تحتقر غيرك عسى ان يكون عند الله خيرا منك ويحتمل ان المراد بعسى
يصير اي لا تحتقر غيرك فانه ربما يصير عزيزا او صرت ذليلا فينتقم منك ولذا قال بعضهم لا تهين الفقير علك ان
تركع يوما والدهر قد رفعه ولا تلمزوا انفسكم اي لا يعب بعضكم على بعض واللمز بالقول وغيره والهمز بالقول فقط
وروى البيهقي عن ابن جريج اذا الهمز بالعين والشدق واليد واللمز باللسان فقط قال البيهقي وبلغني عن الليث انه قال اللمز
الذي يعيبك في وجهك والهمز الذي يعيبك بالغيب ولا تنابزوا بالالقاب اي لا تنادوهم بما يكرهون من الالقاب
من النبز وهو الطرح ونبه تعالى بقوله انفسكم على دقيقة ينبغي التفطن لها وهي ان المومنين كلهم بمنزلة البدن الواحد
اذا اشتكى اشتكى كله فمن عاب غيره ففي الحقيقة انما عاب نفسه ومعنى بيس الاسم الفسوق الخ ان من فعل واحدا من الثلاث
استحق اسم الفسوق وهو غاية النقص غيراه كان كاملا كل المسلم مبتدا واضافته لما هنا الى المعرفة دليل على جوازه
خلافا لمن زعم انها لا تضاف الا الى نكرة على المسلم حرام يقال احرم الرجل اذا اعتصم بحرمة تمنع منه اي ان المسلم معتصم بحرمة
الاسلام ممتنع به ممن اراده وقوله حرام خبر المبتدا دمه بدل بعض من كل وماله الذي خصه الله به وجعله ملكا
له فلا يحل لاحد اخذه الا بحقه وقد اخرج ابن حبان في صحيحه عن ابي حميد الساعدي لا يحل لمسلم ان ياخذ عصى اخيه بغير طيب
نفس منه وعرضه وقوله دمه الخ هذا هو المقصود من الحديث وما سبق كالمهد له وقد ورد انه صلى الله عليه وسلم
لما اسري به مر بقوم لهم اظفار من نحاس يخمشون وجوههم وصدورهم فقال من هولاء يا جبريل قال هولاء الذين ياكلون
لحوم الناس ويقعون في اعراضهم وقال بعضهم ادركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف
عن اعراض الناس وجعل هذه الثلاثة كل المسلم لشدة احتياجه اليها واقتصر عليها لان ما سواها فرع عنها وراجع اليها
ولما كانت حرمتها هي الاصل والغالب لم يحتج الى تقييدها بما اذا لم يعرض ما يبيحها شرعا كالقتل قودا واخذ مال المرتد وفيئا
وتوبيخ المسلم تعزيرا ونحو ذلك رواه مسلم وهو حديث كثير الفوائد الحديث السادس والثلاثون
عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من نفس اى ازال وكشف وفرج من تنفيس الخناق
اي ارخاه حتى ياخذ له نفسا عن مومن بنفسه او ماله او جاهه او دعائه له بظهر الغيب والا فالذمي
كذلك وعبر هنا بمومن على ما في اكثر النسخ وفيما ياتي بمسلم اما للتفنن واما لان الكربة تتعلق بالباطن فناسب
الايمان المتعلق به ايضا كربة اي شدة عظيمة لانها ما اهم النفس وغم القلب من كرب التي للمقاربة لان
الكربة تقارب ان تزهق الروح فكانها لشدة همها عطلت مجاري التنفس منه وبه يعلم حكمة ايثار نفس على
رديفه من ازال وكشف وفرج اخرج الطبراني من فرج عن مسلم كربة جعل الله له يوم القيمة شعبتين من
نور على الصراط يستضيء بضوئها عالم لا يحصيهم الا رب العزة وروى ابن بشكوال عن عبد الله بن المبارك
انه كان خرج الى الجهاد ومعي فرس فبينا انا في الطريق اذ صرع الفرس فمر بي رجل حسن الوجه طيب الرائحة
فقال اتحب ان تركب فرسك قلت نعم فوضع يده على جبهة الفرس حتى انتهى الى مؤخره وقال اقسمت عليك
هذه العلة بعزة عزة الله وبعظمة عظمة الله وبسلطان سلطان الله وبلا اله الا الله وبما جرى به القلم
عند الله وبما جرى به القلم ولا حول ولا قوة الا بالله الا انصرفت قال فانتفض الفرس واخذ الرجل بركابي
وقال اركب فركبت ولحقت باصحابي فلما كان غداة غد ظهر العدو واذا هو بين ايدينا فقلت

الست

الست صاحبنا بالامس فقال بلي فقال اسالتك بالله من انت فوثب قايما فاهتزت الارض تحته خضراء فاذا
هو الخضر عليه السلام قال ابن المبارك فما قلت هذه الكلمات على عليل الا شفي باذن الله تعالى وذكر بعضهم انه يقول
لا اله الا الله العظيم الكريم لا اله الا الله العلي العظيم لا اله الا الله رب السموات ورب العرش العظيم الله ربي لا شريك
له يا من لا يغفر الذنوب الا هو يا من لا يعرف كيف هو الا هو يا من لا يعرف قدرته الا هو فرج عني كربتي وصلى الله
على سيدنا محمد وعلى اله وصحبه وسلم واكمل ادعية الكرب لا اله الا الله العظيم الحليم لا اله الا الله رب العرش العظيم
لا اله الا الله رب السموات ورب الارض ورب العرش الكريم لا اله الا الله الحليم الكريم سبحان الله وتبارك الله رب
العرش العظيم والحمد لله رب العالمين يا حي يا قيوم برحمتك استغيث اللهم برحمتك ارجو فلا تكلني الى نفسي
طرفة عين واصلح لي شاني كله لا اله الا انت لا اشرك به شيا لا اله الا انت سبحانك اني كنت من الظالمين
توكلت على الحي الذي لا يموت والحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل
وكبره تكبيرا وبقراة اية الكرسي وخواتيم البقرة وقال بعض الفضلا من توسل بهذه السادة في قضا حاجة
ودفع كربة استجيب له وقد جرب ذلك وهم سعيد ابن المسيب وابو سليمان الداراني وابو جابر وسليمان التيمي
ومالك ابن دينار وبشر الحافي وحبيب العجمي ويحيى البكاء وكهمس ورابعة العدوية قال الشافعي في شرح
الجلاب ومن خطه نقلت ورايت في بعض المجاميع عن ابن عبد البر ان من كتب هذه الاسما وجعلها في قرمت
حاجته عنه الملكين وهي اويس القرني معروف الكرخي ابو مسلم الخولاني عامر بن عبد قيس مسروق ابن
الاجدع هرم ابن حيان الاسود بن يزيد الربيع بن خثيم الحسن ابن ابي الحسين البصري وقد نظم بعضهم اسما هولا لقضا
الحوايج فقال توسل الى الرحمن في كل حاجة يروم قضاها بالكرام ذوي الزهد اويس ومعروف الربيع وهارم
بلي الحسن البصري عامر ذي الرفد ابو مسلم الخولاني مسروق اسود غام الثقات الزاهدين ذوي المجد من كرب
الدنيا فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيمة مجازاة ومكافاة له على فعله بجنسه فان قيل قال الثعالبي من
جا بالحسنة فله عشر امثالها وهذا الحديث يدل على ان الحسنة عشلها الا انها قوبلت بتنفيس كربة واحدة ولم تقابل
بعشر كرب يوم القيمة فالجواب من وجهين اه هذا مفهوم عدد وهو لا يفيد حصرا بمعنى انه يمنع النقص ولا يمنع الزيادة
الثاني ان كل كربة من كرب يوم القيمة تشتمل على اهوال كثيرة واحوال صعبة ومخاوف جمة وتلك الاهوال اما عشرة
او ازيد عليها وفي الحديث سر اخر مكتوم يظهر بطريق فهم اللازم للملزوم وذلك ان فيه وعدا بطريق اخبار الصادق
ان من نفس الكربة عن المومن يختم له بالخير ويموت مسلما لان الكافر لا يرحم في الدار الاخرة ولا ينفس عنه من كربها
وخص الجزا هنا بكرب يوم القيمة وعمم في الستر الاتي لان الدنيا لما كانت محل العورات والمعاصي احتيج الى الستر
فيها واما الكرب فهو وان كانت الدنيا محلا له ايضا لكن لا نسبة لكربها الى كرب الاخرة حتى تذكر معه ومن يسر
بابرا او هبة او صدقة او نظرة الى ميسرة او نحو ذلك على معسر اموره ومطالبه وهو من عليه دين وتعسر
عليه اداوه من العسر وهو الضيق والشدة يسر الله عليه اموره ومطالبه في الدنيا والاخرة مجازاة له
عليه بجنسه لانه احسان الى عيال الله تعالى واحب خلقه اليه انفعهم لعياله وفي الحديث من انظر معسرا

الله ذو الكرم

او وضع عنه اظله الله في ظله يوم لا ظل الا ظله وفي رواية وقاه الله من فيح جهنم وفي حديث حسن من نفس عن غريمه
او محا عنه كان في ظل العرش يوم القيمة وصح من انظر معسرا فله كل يوم مثله صدقة قبل ان يحل اجل الدين فاذا
حل اجل الدين فانظره بعد ذلك فله كل يوم مثلاه صدقة وروى الشيخان ان رجلا كان يداين الناس وكان يقول
لفتاه اذا اتيت معسرا فتجاوز عنه لعل الله ان يتجاوز عنا فلقي الله عز وجل فتجاوز عنه وفي اخرى للنسائي فاذا
بعثته يتقاضى قلت له خذ ما تيسر واترك ما تعسر لعل الله يتجاوز عنا قال الله تعالى قد تجاوزت عنك
واخرج ابن ابي الدنيا انه عليه الصلاة والسلام قال من اراد ان تستجاب دعوته وتكشف كربته فليفرج عن المعسر
تنبيه ورد في الحديث سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل الا ظله امام عادل وشاب نشأ في عبادة الله
ورجل قلبه معلق بالمساجد اذا خرج منه حتى يعود اليه ورجلان تحابا في الله اجتمعا عليه وتفرقا عليه ورجل
دعته امراة ذات منصب وجمال فقال اني اخاف الله ورجل تصدق بصدقة فاخفاها حتى لا تعلم شماله
ما تنفق يمينه ورجل ذكر الله خاليا ففاضت عيناه بالدموع ونظمها بعضهم فقال

امام محب ناشئ متصدق ... مصل وباك خائف سطوة الباس
يظلهم الله العظيم بظله ... اذا كان يوم الحشر لا ظل للناس

وجاءت اخبار بالزيادة على ذلك كمن انظر معسرا او وضع عنه ومن اوفى دين الغارم ومن اعان مكاتبا ومن
قتله اهل الكتاب على الاسلام ومن اعاد صلاته في جماعة ومن مات غريقا في البحر ومن طلب علما فادركه الموت
دونه ومسبغ الوضوء في وقت البرد ومن اشترى امة فادبها واحسن تاديبها ثم اعتقها وتزوجها ومن
انفرد في عمره بحفظ السنة والامام والمؤذن احتسابا ومن اخفى عمل الخير واذا ظهر عليه فرح واستبشر
بتوفيق الله له ومن جامع يوم الجمعة من حليل جماعة واغتسل وراح للصلاة ومن ذهب ماشيا الى صلاة الجمعة
ومن عاد عليه سلاحه في الجهاد فقتله ومن اعجله فعل الخير عن لبس نعليه والماشي لتشييع الجنازة ومن شيع
جنازة لاستحيائه من اهلها والمجاهد لاعلاء كلمة الله ومستمع قراءة القراء والقارئ في المصحف ومن قرأ
القراءة فاعربه اي تفهمه وتدبره والعبد المؤدي لحق الله وحق مواليه ومن جدد الوضوء على الوضوء من
غير نقض للاول وازواج النبي صلى الله عليه وسلم والمتصدقة على زوجها ومن صدق في تجارته ومن حسن خلقه
ورجل تعلم القراءة في صغره ويتلوه في كبره ورجل يراعي الشمس لمواقيت الصلاة ورجل ان تكلم تكلم بعلم
وان سكت سكت عن علم وغير ذلك مما استوفاه الحافظ السخاوي في كتابه المسمى بالخصال الموجبة
للظلال حيث نقل عن شيخه ابن حجر ثلاث سبعات زيادة على السبعة المذكورة واكملها هو اثنين وسبعين
تقديم التاء على السين ولا يبعد ان يدخل في قوله ومن يسر الخ التيسير بالعلم مثل ان يقع في مسيلة بحسن
التخلص منها شرعا فيبين له حكمها ويهديه الى الصواب فيها فينشرح صدره لذلك بتخلصه منها ومن
ستر مسلما اي ستر عورته الحسية بان يرى عورة شخص بادية لعدم ما يسترها به فيعطيه ما يسترها به
والمعنوية باعانته على ستر دينه بان يكون محتاجا لنكاح فيتوسل له في التزويج او الكسب فيتوسل له
في بضاعة يتجر فيها او نحو ذلك وقوله ومن ستر مسلما اي ستر بدنه باللباس او عيوبه بعدم الغيبة
والذب عن معايبه قال ابن فرح الاندلسي والمراد الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفا
بالاذى

بالاذي والفساد واما المعروف بذلك فيستحب ان لا يستر عليه بل يرفع قضيته الى ولي الامر ان لم يخف من ذلك مفسدة
لان الستر على هذا يطمعه في الايذا والفساد وانتهاك الحرمات او جسارة غيره على مثل فعله هذا كله في ستر معصية
وقعت وانقضت اما معصية راه عليها وهو بعد متلبس بها فتجب المبادرة بانكارها عليه ومنعه منها
على من قدر على ذلك ولا يحل تاخيرها فان عجز لزمه رفعها الى ولي الامر ان لم يترتب على ذلك مفسدة قال
واما جرحة الرواة والشهود والامنا على الصدقات والوقوف والايتام ونحوهم فيجب جرحهم ولا يحل الستر
عليهم اذا راى منهم ما يقدح في اهليتهم وليس هذا من الغيبة المحرمة بل من النصيحة الواجبة وهذا
مجمع عليه ه ستره الله في الدنيا والاخرة بان لا يعاقبه على ما فرط منه وقال عليه الصلاة والسلام من راى
عورة فسترها فكانما احيا موءودة رواه النسائي وابو داوود من حديث عقبة بن عامر زاد الحاكم من قبرها
وقال صحيح الاسناد وقال عليه الصلاة والسلام لا يرى امرؤ من اخيه عورة فيسترها عليه الا دخل الجنة رواه
الطبراني والله في عون العبد الواو للاستيناف وما عدى هذه والاخيرة للعطف وهو تذييل لما قبله لشموله
لدفع المضرة وهو ما في الاولين وجلب المنفعة وهو ما في الثالث ولهذا عدل به عن سياق ما قبله من الشرطية الى
الجملة الاسمية ليقوي حكمها ببنا الخبر فيها على المبتدا ما كان العبد اي مدة دوام كونه في عون اخيه بقلبه
او بدنه او بهما او بمال او غيرها كجاهه كما اذا كان محتاجا الى النكاح فيزوجه او الى مال فيشتري له بضاعة يكتسب
فيها لان المجازاة من جنس العمل وتامل قصة موسى لما خرج لحاجة اهله كلمه الله في عين حاجته وهي النار وسببه
ان موسى عليه الصلاة والسلام لما قضى الاجل الذي بينه وبين شعيب استاذنه في الرجوع الى مصر لزيارة
والدته واخيه هارون فخرج باهله واخذ على غير طريق مخافة ملوك الشام فولدت امراته في ليلة شاتية
وكانت ليلة جمعة فالجاه السير الى جانب الطور الغربي الايمن فقدح زنده فلم يور فبينما هو من ايلة اذ
ابصر نارا من بعد عن يسار الطريق من جانب الطور قال السدي ظن انها نار من نار الرعاة فاتاها فاذا هي
شجرة خضراء النار من اعلاها الى سفلها تتقدح بيضا كاضوء ما يكون فدنا منها فسمع تسبيح الملائكة
وراى نورا عظيما فظن انها نار فاخذ من الحشيش اليابس ليقتبس من لهبها فمالت اليه كانها تريده
فتاخر عنها وهابها ثم لم يكن باسرع من خمودها كانها لم تكن فرفع راسه الى فروعها فاذا خضرتها
ساقطة من السما وكذلك الخضر بعثه امير الجيش الذي كان فيه يرتاد لهم ماء وكانوا قد فقدوا الما
فوقع بعين الحياة فشرب منها فعاش الى الآن وهو لا يعرف ما خص الله به شاربه ذلك الما من الحياة
وعن مجاهد ان مريم مرت في طلبها لعيسى بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها غير الطريق فقالت
اللهم انزع من كسبهم البركة وامتهم فقرا وحقرهم في اعين الناس فاستجيب دعاوها وقد ورد
في الحديث من سعى في حاجة اخيه المسلم قضيت له او لم تقض غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر
وكتبت له براءتان براءة من النار وبراءة من النفاق وبعث الحسن البصري جماعة من اصحابه في حاجة
لرجل وقال لهم مروا بثابت البناني فخذوه معكم فاتوا ثابتا فقال انا معتكف فرجعوا الى الحسن
فاخبروه فقال قولوا له يا اعمش اما تعلم ان مشيك في حاجة اخيك المسلم خير لك من حجة بعد
حجة فرجعوا الى ثابت فاخبروه فترك اعتكافه وذهب معهم ومن سلك اي دخل طريقا فعيلا
من الطرق لانه الارجل ونحوها تطرقه والطريق يذكر ويونث والجمع اطرق وطرق انتهى لكن جمع

على اطرق مخصوص بحالة التانيث كما اه جمع على افعل مخصوص بحالة التذكير واما على فعل في الحالتين والتنوين
فيه للشيوع اذ النكرة في الاثبات تفيد العموم كقوله تعالى علمت نفس ما احضرت يلتمس اي يطلب فيه اي في غايته
او سببه او فيه حقيقة لكنه نادر جدا فلا يحمل الحديث عليه علما شرعيا باي سبب كان من التعلم والتعليم والتصنيف
وقوله علما حصل اولم يحصل لان الاعمال بالنيات ونكره ليتناول انواع العلوم الدينية ويندرج فيه
القليل والكثير سهل الله له به اي بذلك السلوك على حد اعدلوا هو اقرب للتقوى اي العدل طريقا الى الجنة
يحتمل في الدنيا بان يوفق للاعمال الصالحة ويحتمل في الاخرة بان يجازي على طلب العلم وتحصيله بتسهيل دخول
الجنة بحيث لا يرى من مشاق الموقف الشاقة من العقاب والجواز على الصراط لما يراه غيره وذلك بان يسهل
عليه الموقف في الحشر والجواز على الصراط وهذا اقرب لظاهر الحديث وقد روى انس بن مالك رضي الله عنه
عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال من احب ان ينظر الى عتقا الله من النار فلينظر الى المتعلمين فوالذي نفس
محمد بيده ما من متعلم يختلف الى باب عالم الا كتب له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي
على الارض والارض تستغفر له ويمسي ويصبح مغفورا له وما اجتمع قوم هم الرجال فقط او مع النساء ما سر
من الخلاف ويذكرونه مثل رهط ونفر قال تعالى وكذب به قومك وقال كذبت قوم نوح واستفيد من
تنكيره ان كل قوم اجتمعوا لما ذكر حصل لهم الاجر من غير اشتراط وصف خاص فيهم من علم او صلاح او زهد وكره الامام
مالك الاجتماع على القراة والذكر الا ان يكون كل واحد يقرا لنفسه على انفراده او يذكر وعليه حمل الحديث وما اشبهه من
الاحاديث الدالة على الاجتماع على التلاوة والذكر في بيت من بيوت الله مما بني لنيل ثوابه ورضاه من نحو
مسجد ورباط ومدرسة وقوله من بيوت الله ليس قيدا اذ غيرها كهي لكنه خرج مخرج الغالب اظهارا
لشرفها اذ العبادة فيها افضل من غيرها يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم يحتمل ان يكون ذلك جملة
واحدة كما هو الواقع في غالب البلاد ويحتمل ان يقرا كل واحد منفردا شيا منه وعلى هذا حمل امامنا مالك
رضي الله عنه الحديث لكراهة الاجتماع على القراة جملة واحدة واصل الدراسة التعهد للشي تدارسوا القران
اي تعاهدوه وتعدوه وقوله يتلون الى حال حتى قوم لتخصيصه الا نزلت عليهم السكينة فعيلة من السكون والمراد
هنا بها الوقار والطمانينة وكل ما يطمين به القلب ويسكن وايضا اسم ملك ينزل لتسكين الرعب والخوف
اذ بذكره تعالى تطمين القلوب لا ضد الحركة وقيل هي الرحمة واختاره القاضي عياض وفيه نظر لعطف
الرحمة عليه المقتضي للمغايرة واما السكينة في قوله تعالى فيه سكينة من ربكم قال ابن عطية قال علي بن ابي
طالب كرم الله وجهه انها ريح هفافة لها وجه كوجه الانسان وروي انه قال ريح خجوج سريعة والخجوج كما
قال الجوهري هي التي تلتوي في صوبها وقال مجاهد السكينة شي يشبه الهرة له راس كراس الهرة وجناحان
وذنب وقيل له عينان لهما شعاع وجناحان من زمرد وزبرجد وقال وهب بن منبه عن بعض علما بني
اسرايل انها راس هرة ميتة كانت اذا صرخت في التابوت بصراخ الهر ايقنوا بالنصر وقيل صورة هرة
مع بني اسرايل اذا ظهرت انهزمت اعداؤهم وقال ابن عباس والسدي انها طست من ذهب من
الجنة كان يغسل فيه قلوب الانبيا وقيل انها روح من الله تتكلم اذا اختلفوا في شي اخبرتهم
ببيان ما يريدون وقال عطا ابن ابي رباح هي ما يعرفونه من الايات فيسكنون اليها هي شي من خلق

الله

الله فيه طمانينة ورحمة وقال السيوطي انها اسم ملك مخصوص وقيل هي شي كان يلقي موسى فيه الالواح والعصي وقيل
غير ذلك وغشيتهم الرحمة اي علتهم وسترتهم وغطتهم وشملتهم من كل جهة وحفتهم الملائكة اي احدقت وطافت
بهم ورفرفت عليهم واحاطت بهم ملائكة الرحمة المتنزلة لاستماع الذكر تعظيما له واكراما للذاكرين
على ما غاية من القرب والملاصقة بهم بحيث لم يدعوا للشيطان فرجة يتوصل منها اليهم ومنه حافة
الطريق اي جانبه وقوله تعالى حافين من حول العرش اي محدقين به واما قوله تعالى كان بي حفيا اي لطيفا وقيل
بارا وذكرهم الله اي اثنى عليهم او اثابهم كما يقول الانسان لاخيه اذكرني بخير في كتابك او اثابهم كما
قيل به في تفسير قوله تعالى فاذكروني اذكركم اي اذكروني بالطاعة اذكركم بالجزا عليها والمتبادر الى
الذهن الاول فيمن عنده من الانبيا والملائكة الكروبيين والروحانيين مباهاة بهم لقوله تعالى في الحديث
القدسي من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي ومن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه فالعندية هنا
عندية شرف ومكانة لا عندية مكان لاستحالتها عليه تعالى عما يقول الظالمون علوا كبيرا وقد اجتمع مالك
بن دينار بالبهلول فقال اخبرني عن الاوليا فقال هم الذين لا يلفظون بغير ذكر الله لفظا ولا ينظرون
الى غيره نظرة ومن بطا من البطء نقيض السرعة اي قصر به عمله يعني من اخره عمله السيء وتفريطه
في العمل الصالح لم يسرع به نسبه اي لم ينفعه شرف نسبه ولم يجبر نقصه به فلا يلحقه برتبة اصحاب
الاعمال الكاملة لان المسارعة الى السعادة انما هي بالاعمال لا بالانساب لقوله عز وجل ان اكرمكم عند
الله اتقاكم فاخبر تعالى ان الفضل عنده بالتقوى دون النسب وقوله صلى الله عليه وسلم ايتوني باعمالكم
ولا تاتوني بانسابكم وانشد الحريري وما الفخر بالعظم الرميم وانما فخار الذي يبغي الفخار بنفسه
فان قلت قوله تعالى والذين امنوا واتبعناهم ذريتهم بايمان الحقنا بهم ذرياتهم وما التناهم من عملهم
من شيء يدل على ان شرف النسب ينفع فان المفسرين فسروه بان ذريات المومنين صغارا كانوا
او كبارا يلحقون باباءهم في المراتب من غير ان ينقص من مراتبهم شي وفي الحديث ان الله يرفع ذرية
المومن في درجته وان كانوا دونه لتقر به عينه انتهى ويوخذ منه ان الاب اذا كان دون ولده
في الدرجة انه يرفع في درجة ولده للعلة المذكورة فما وجه التوفيق بين هذا وبين ما في الحديث هنا قال م
فالجواب ان المذكور في الاية الشريفة يكون في الجنة والحديث محمول على الصراط وفي لفظ الابطا والا
سراع اشارة اليه ويويده ما روي ان النبي صلى الله عليه وسلم يكون رجل هو اخر من يجوز على الصراط
فيلتفت فلا يرى وراءه احدا فيقول يا رب ابطات بي غينا دبه يا عبدي لم ابطا بك وانما
ابطا بك عملك او ان ما في الحديث هنا محمول على شرف النسب من جهة الدنيا رواه مسلم بهذا اللفظ
وهو حديث جليل جامع لكثير من الفوايد الحديث السابع والثلاثون عن ابن عباس رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يروي عن ربه ظاهره انه من الاحاديث القدسية المنسوبة
الى كلام الله عز وجل نحو انا عند ظن عبدي بي ويحتمل ان المراد فيما يحكيه عن فضل ربه او حكمه
او نحو ذلك تبارك تفاعل فعل ماض لا يتصرف ولا يجيء منه مضارع ولا اسم فاعل ولا مصدر ومعناه

تعاظم وتقدس وهو جامع لانواع الخير ومخصوص بالباري كسبحان وتعالى اي تنزه عما لا يليق بعليائه كما له
الاقدس قال ان الله كتب من الكتابة وهي تنقيش ما في الذهن من العلوم بالخط بواسطة تركيب
الحروف الحسنات اي ما يتعلق به الثواب والسيات اي ما يستحق فاعلها العقاب والمراد اي امر
الحفظة بكتابتهما او قدرهما في علمه على وفق الواقع ثم بين ذلك المكتتب والضمير في قوله بين راجع
الى الله تعالى ان قلنا انه من الاحاديث القدسية اي بين مقدارهما للكرام الكاتبين من التضعيف في
الحسنات من عشرة او سبعين او سبعمائة او غير ذلك والتخفيف في السيات او للمبلغ التنزيل اي
الى النبي صلى الله عليه وسلم على الاحتمال الثاني اي فصل ذلك الذي اجمله بقوله كتب الحسنات والسيات بقوله
فمن هم بحسنة اي قصد فعلها الا ان الهم قصدا لفعل والغا تفصيلية لان ما ذكر مجمل لا يفهم منه كيفية الكتابة
فلم يعملها بجوارحه وهو بفتح الميم كتبها الله عنده هذه عندية شرف ومكانة لتنزهه عن عندية المكان
وفي هذا رد لمقالة من زعم ان الحفظة انما تكتب ما ظهر من اعمال العباد وهم من اقوالهم واحتجوا بما روي عن
عايشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم انها قالت لان اذكر الله في قلبي مرة احب الي من ان اذكره بلساني سبعين
مرة وذلك لانه لا يكتبها ولا يسمعها واطلاع الملكين الموكلين بالعبد على الهم اما بكشف
عن القلب وما يحدث فيه كما يقع لبعض الاوليا واما باعلام الله اياهما بذلك ويؤيده ما وقع في حديث
ابن عمر فينادي الملك اكتب لفلان كذا او كذا فيقول يارب انه لم يعمل فيقول انه نواه واما بريح تظهر لهما
من القلب فريح الحسنة طيبة وريح السيئة خبيثة تمتاز بها حسنة لان الهم بالحسنة سبب الى
عملها وهي خير وسبب الخير خير فالهم بها خير كاملة مفعول ثان باعتبار تضمين كتب معنى التصيير
او حال موطية اي لا نقص فيها وليس المراد بكمالها مضاعفتها لان التضعيف مختص بالعمل ولو مع عليه
ازمنة متعدده وهو يحدث نفسه بعمل تلك الحسنة فانه يكتب له حسنات بعدد تلك الحسنات
الازمنة وان هم بها فعملها بكسر الميم كتبها الله عنده عشر حسنات لانه اخرجها من الهم الى ديوان
العمل فكتب له بالهم حسنة ثم ضوعفت فصارت عشرا قال تعالى من جا بالحسنة فله عشر امثالها
وهذا اقل ما وعد به من التضعيف وقد تضاعف مضاعفة اخرى الى سبعمائة ضعف بكسر الصاد
اي مثل وقيل مثلين على حسب ما يكون فيها من خلوص النية وايقاعها في مواضعها التي هي اولى بها الى
اضعاف كثيرة بحسب الزيادة في الاخلاص وصدق العزم وحضور القلب وتعدي النفع كالصدقة
الجارية والعلم النافع والسنة الحسنة ونحو ذلك وذكر بعضهم ان اختلاف المضاعفة باختلاف الاعمال
فنوع تضاعف بعشرة امثاله كسبحان الله كما ياتي بيانه ونوع بخمسة عشر كصوم يومين من الشهر لقوله عليه
الصلاة والسلام لعبد الله بن عمرو بن العاص صم يومين ولك ما بقي من الشهر ونوع بعشرين ونوع بثلاثين
كقوله عليه الصلاة والسلام من قال سبحان الله فله عشر حسنات ومن قال لا اله الا الله فله عشرون حسنة
ومن قال الحمد لله كتب له ثلاثون حسنة ونوع بخمسين لخبر من قرا القران باعرابه فله بكل حرف خمسون
حسنة لا اقول الم حرف ولكن الف حرف ولام حرف وميم حرف قال الغزالي ولاه نظر ما المراد باعرابه
هل المراد به عدم الخطا في الاعراب او الاتيان به مجودا او الاول فقط وعد الحافظ السيوطي فيمن يوفي

اجر

كراس ١٤
١٣٧

اجرع مرتين من يقرا القران باعرابه قالوا والمراد باعرابه معرفة المعاني وليس المراد المصطلح عليه
في النحو وهو ما يقابل اللحن لان القراة مع فقده ليست بقراة ولا يثاب عليها انتهي وقد ذكر الثعالبي
رحمه الله تعالى في تفسير الاعراب في حديث من قرا القران باعرابه فله بكل حرف الخ نحو ما تقدم عن
السيوطي ومن هذا النوع حديث من قراء القران بوضوء فله بكل حرف خمسون حسنة ونوع بخمسماية
لحديث صلاة الرجل في بيته بصلاة وصلاته في المسجد الذي يجمع فيه بخمسماية صلاة ونوع بسبعماية
وهو نفقة الاموال في سبيل الله تعالى قال تعالى مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة
انبتت سبع سنابل في كل سنبلة ماية حبة والله يضاعف لمن يشا وفي صحيح مسلم من حديث ابن مسعود
رضي الله عنه قال جا رجل بناقة مخطومة فقال يا رسول الله هذه في سبيل الله فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم لك بها يوم القيمة سبعماية ناقة كلها مخطومة ونوع بسبعماية الف لما رواه ابن ماجه انه صلى الله
عليه وسلم قال من ارسل بنفقة في سبيل الله واقام في بيته فله بكل درهم سبعماية ومن غزى بنفسه في
سبيل الله وانفق في وجهه فله بكل درهم سبعماية الف وذكر الحطاب في حاشية الرسالة القيراوانية
ان الصلاة في جماعة بمايتين وخمس حسنة فانه كانت بمسجد رسول الله صلى الله عليه فبماتين الف وخمسين
الفا والله يضاعف لمن يشا ونوع بالف الف لقوله عليه الصلاة والسلام من دخل السوق فقال بالصوت
مرتفع لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شي قدير
كتب الله له الف الف حسنة ومحى عنه الف الف سيئة ورفع له الف الف درجة رواه الترمذي من حديث
ابن عمر وقد قيل لابي هريرة اسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة
الف الف حسنة فقال سمعته يقول ان الله ليجزي على الحسنة الواحدة الفي الف حسنة وقد روي عن ابن
عباس ان التضعيف ينتهي لمن يشا الله الى الفي الف قال ابن عطية وليس هذا بثابت الاسناد عنه وقال الشارح
الهيتمي ومن الفضل ايضا ان الله تعالى اذا حاسب لمن له حسنات متفاوتة المقدار جازاه باجر
ارفعها كلا اله الا الله وحده لا شريك له الخ اذا قيلت في سوق مع رفع الصوت فان فيها الفي الف حسنة
ومحوا الفي الف سيئة مع مناصب في الجنة لقايلها كما ورد فانه كانت في حسنات عبد جوزي في سائر حسناته
باجرها كما قال تعالى ولنجزينهم اجرهم باحسن ما كانوا يعملون وهذا بحسب مقدار معرفتنا والا ففضله تعالى
لا يمكن احدا ان يحصره انتهي وان هم بسيئة فلم يعملها اي تركها امتثالا مع القدرة عليها كتبها الله
له حسنة كاملة لانه انما تركها بعد ان هم بها خوفا من الله عز وجل وكذا جا في بعض طرق الحديث
انما تركها من جراي اي من اجلي واما لو حال بينه وبينها حايل كان من ذهب الى امراة ليزني بها فيجد
الباب مغلقا ويتعسر عليه فتحه فلا يكتب له حسنة ومثله من تمكن من الزنا فلم ينتشر او طرقه
من يخاف اذاه وحينئذ فان ترك السيئة امتثالا كتبت له حسنة والا فلا وان هم بسيئة وفعلها كتبها
الله سيئة واحدة قال تعالى ومن جا بالسيئة فلا يجزى الا مثلها وهم لا يظلمون وظاهر قوله واحدة
انه لا يكتب الهم معها لكن مفهوم الحديث الذي رواه الشيخان خلافه وهو قوله صلى الله عليه وسلم

وعنه صلى الله عليه وسلم من رواية
الشافعي في المسند ان الله
يحب تقبل عذر واحد
الغني بكرم حديث صحيح
وهو في كلاهم وله
نافع في قولهم ان الكبير او
لا يكفر بها الا التوبة او
فضل الله لانه مخصوص
بكم بر به نضخ ان الشارع
كالحج المبرور وصلاة
التسبيح والاستغفار
عقب الصلاة وغير ذلك
مما نص عليه

ان الله تجاوز عن امتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به فمقتضيه انه اذا تكلم بما هم به كالغيبة او
عمل كشرب المسكر انضم اليه المواخذة بالهم واعتمده التقي ابن رزين وتناقض فيه كلام السبكي
ورجح ولده ما يوافق كلام ابن رزين ثم ان جعل قوله في حديث النفس ما لم تتكلم او تعمل به
ليس له مفهوم فلا يقال انها اذا تكلمت او عملت يكتب عليها حديث النفس لانه اذا كان
الهم لا يكتب فحديث النفس اولى وافق الحديث الذي هنا الا ان فيه بعدا واستثنى بعضهم
الحرم المكي فقال ان السيئة فيه تضاعف وفيه ما فيه واعلم ان ما يقع في النفس من قصد المعصية
له خمس مراتب الاول الهاجس وهو ما يلقي فيها ولا يواخذ به اجماعا لانه ليس من فعل العبد وانما
هو وارد لا يستطيع دفعه الثانية الخاطر وهو جريانه فيها وهو مرفوع ايضا الثالثة حديث
النفس وهو ما يقع فيها من التردد هل يفعل ام لا وهو مرفوع ايضا لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله
تجاوز لامتي ما حدثت به انفسها ما لم تتكلم او تعمل به الرابع الهم وهو قصد الفعل وهو مرفوع
ايضا وفي هذه المرتبة تفترق الحسنة والسيئة فان الحسنة تكتب له والسيئة لا تكتب عليه بخلاف الثلاث
الاول فانها لا يترتب عليها ثواب ولا عقاب الخامسة العزم وهو قوة القصد والجزم به قال بعضهم
وهو كالاقسام السابقة والمحكي عن المحققين المواخذة به وهو الصحيح وممن قال بذلك القاضي ابو
بكر قال القاضي عياض في الاكمال عامة السلف واهل العلم من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين على ما ذهب
اليه القاضي ابو بكر انتهى ويدل للمواخذة به حديث اذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول
في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال انه كان حريصا على قتل صاحبه ثم ان العزم على الكبيرة
وان كان سيئة فهو دون فعل الكبيرة المعزوم عليها وتردد في ذلك القاضي ابو بكر رواه البخاري ومسلم
بهذه الحروف وهو حديث عظيم فانظر من النظر وهو كما قال الجوهري تامل الشيء يا اخي بذا استعطاف
وشفقة ليكون ادعى الى الامتثال لدعا لقبول وفقنا الله دعا بالتوفيق لعزته اذ لم يذكر في القران الا مرة
واحدة في قوله تعالى وما توفيقي الا بالله واما قوله تعالى ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما فهو من الموافقة
وقوله وفقنا يحتمل ان يريد بالضمير نفسه فقط او هو وغيره وعلى الاول اتى بنون العظمة لانه يجوز
للانسان ان يعظم نفسه اذا بلغ درجة التاليف كما نص عليه شراح الرسالة القيرواني وفي الحديث
ليس منا من لم يتعاظم بالعلم والعلم اشبه الناس بالجماعة وتقدم المراد به عند قوله ولا يحتقره واياكم
بدا بنفسه لانه يندب للانسان ان يقدم نفسه في الامور الدينية ومن هنا يعلم ان قول بعض
الناس وبارك بكم بعد قول من قال تقبل الله منكم ونحوه مخالف للسنة قال ابو الحسن اثر ذلك بعد
ان ذكر انه يبدا بنفسه في الدعا ندبا ما نصه هذا في الدعاء في الكتاب واما ان كتب كتابا الى قوم
واراد ان يدعو فانه يبدا بالمكتوب اليه وقيل يبدا بنفسه وقيل يخير وجاء عن الامام مالك رضي
الله عنه انه قال ان كان المكتوب له اكبر من الكاتب بدا به وان كان الكاتب اكبر بدا بنفسه وهي
فايدة حسنة انتهى وقوله هذا في الدعاء في الكتاب اي في الكتاب الذي يؤلفه وكذا اذا لفظ

بالدعا

بالدعا بغير كتاب كرب اغفر لي ولوالدي كما في الاية الشريفة فان قلت قلت يرد على هذا قوله من
سمع العاطس يحمد يرحمك الله فانه لم يبدا بنفسه فالجواب عن ذلك من وجهين الاول لما كان
وسيلة لدعا الاخ له اغتفر ذلك الثاني ان الاول يحمل على من دعي لنفسه ولغيره والثاني على
من دعي لغيره وانظر ما المراد بكونه اكبر هل في السن او في النسب او في العلم والظاهر ان المراد
في واحد منها وربما يشعر به قوله صلى الله عليه وسلم لا توسع المجالس الا لثلاث لذي علم او ذي
سن او ذي نسب وان كان مساويا له يخير وذكر في العقيدة البرهانية انه يقدم الدعا للاخوان
ايثارا لهم لما ورد في الحديث ان العبد اذا دعا لاخيه المسلم قال الله تعالى عبدي وبك ابداء
واي فضيلة تلتمس وراء هذه وهي كونه مبدوا به في الاجابة وقد يجمع بان ذلك بحسب المقام
ولكل امرء ما نوي اي عظم لطفنا الله قال اهل اللغة اللطف بضم اللام واسكان الطا واللطف بفتحهما لغتان
كما صرح به النووي وهو لغة الرفق وضوف البر على في النهاية يقال لطف به وله اذا رفق به واليه اشار من قال هو
اجتماع الرفق في الفعل والعلم بدقايق المصالح وايصالها لمن سورت له ويطلق على الاقدار على الطاعة وهو بهذا
المعنى مرادف للتوفيق مفهوما وما صدقا ويطلق اصطلاحا على ما يقع به صلاح العبد اخرة بان تقع منه الطاعة
دون المعصية اي بدل المعصية وعليه فهو مرادف له ما صدقا لا مفهوما وقوله اخرة على وزن درجة ومعناه انه
اذا هم بالمعصية يحصل له اللطف فيوقع بدلها طاعة ولطف بالضم بمعنى صغر ودق وتامل هذه الالفاظ النبوية
وقوله عنده اشارة الى الاعتناء بها او شرف فاعلها وقوله كاملة تاكيد اي صفة موكدة وشدة الاعتناء بها
وقال في السيئة التي هم بها ثم تركها كتبها الله حسنة كاملة فاكدها بكاملة وان عملها كتبها سيئة واحدة
فاكد تقليلها بواحدة لان مفهوم الواحدة مشعر بالقلة ولم يوكدها بكاملة فلله دون غيره الحمد
على هذا الفضل العظيم والمنة اي النعمة المتقبلة من المن وهو الانعام مطلقا او على ما لم يطلب ويطلق
على تعداد النعم استكثارا لها وهو غير محمود الا من الله قال تعالى قل لا تمنوا على اسلامكم بل الله يمن عليكم
ان هداكم للايمان لانه ينبه بذكرها العبد فيبعثه على الشكر ومن الخلق قبيح مطلقا ولهذا قيل المنة تهدم
الصدقة كما قال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذى وقال بعضهم وان امرا اهدي الي صنيعة
وذكرنيها انه لبخيل وما احسن قول الزمخشري طعم الالاء احلى من المن وهو امر من الالاء عند المن
واراد بالالاء الاولى النعم وبالثانية الشجر المر وبالمن الاول ما ذكر في قوله تعالى المن والسلوى
وبالثانية تعديد النعم وروي عن علي كرم الله وجهه انه سيل عن الحنان المنان فقال الحنان هو الذي
يقبل على من اعرض عنه والمنان هو الذي يبدا بالنوال قبل السوال سبحانه وتعالى وهو مفعول مطلق
اي انزهه عن النقايص وهو علم على التسبيح لا يستعمل غالبا الا مضافا لا يحصي معشر الخلق ثنا عليه
موعيا جميعا نعمة من نعمه والثنا بتقديم المثلثة والمد والمشهور في اللغة قصر استعماله في الخير واستعماله
في الشر مجاز واما بتقديم النون فلا يستعمل الا في الشر وذكر صاحب المفتاح انه يستعمل فيهما وبالله
التوفيق على مرضاته الحديث الثامن والثلاثون عن ابي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله

صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى قال علم بهذا انه من الاحاديث القدسية وو قع في حديث
انس انه النبي صلى الله عليه وسلم حدث به عن جبريل عن الله عز وجل من عادي من المعاداة ضد الموالاة
والمصادقة والعدو ضد الولي والانثى عدوة وهو من النوادر لانه فعول اذا كان بمعنى فاعل لا تلحقه التا
لاستوا المذكر والمونث فيه كصبور وجمعه عدا بالضم اوله وكسره وعداة بالضم لا غير وفي رواية من اهان
وفي رواية احمد من اذي اي واغضب بالقول او الفعل لي متعلق بقوله وليا من اجل كونه وليا لله
فانه جرى بين الصديق والفاروق خصومة وبين العباس وعلي وكثير من الصحابة ما جري ولذا
قال الكرماني قوله لي هو في الاصل صفة لقوله وليا لكنه لما تقدم صار حالا والولي ماخوذ من الولي
بسكون اللام وهو القرب والدنو يقال وليه اذا قرب منه ومنه كل مما يليك وهو فعيل بمعني
فاعل لانه من والي الله بالطاعة والتقوي من غير تخلل عصيان او بمعني مفعول لان الله والاه بالحفظ
ومزيد الامداد ولم يكله الي نفسه لحظة وضابط الولي انه المواظب علي فعل الطاعات واجتناب المنهيات
المعرض عن الانهماك في اللذات فان قلت المعاداة لا تكون الا من جانبين ومن شان الولي الحلم
والصفح عمن يجهل عليه واجيب بان المعاداة لا تنحصر في الخصومة والمعاملة الدنيوية بل قد
تقع عن بغض ينشا عن التعصب كالرافضي في بغضه لابي بكر رضي الله عنه والمبتدع في بغضه السني
فتقع المعاداة من الجانبين اما من جانب الولي فلله وفي الله واما من الجانب الاخر فلما تقدم وكذا
الفاسق المتجاهر يبغضه الولي في الله ويبغضه الاخر لانكاره عليه وملازمته لنهيه عن شهواته
وايضا المفاعلة قد تاتي للواحد كسافر وعافاه الله قال علي بن ابي طالب الاوليا قوم صفر الوجوه من
السهر عمش العيون من العبر خمص البطون من الجوع يبس الشفاة من الذكر وعن عمر رضي الله عنه قال
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان من عباد الله عبادا ما هم بانبياء ولا شهداء يغبطهم الانبيا وا
لشهداء يوم القيمة لمكانهم من الله تعالى قيل يا رسول الله اخبرنا من هم وما اعمالهم فلعلنا نحبهم قال هم قوم
تحابوا في الله علي غير ارحام بينهم ولا اموال يتعاطونها فوالله ان وجوههم لتنور وانهم علي منابر
من نور لا يخافون اذا خاف الناس ولا يحزنون اذا حزن الناس ثم تلا الا ان اولياء الله لا خوف عليهم
ولا هم يحزنون ويتجه ان ذلك في الولي الكامل واما اصل الولاية فيحصل بالشهادتين ولذا قال بعض
العارفين اياك ومعاداة اهل لا اله الا الله فان لهم من الله الولاية العامة وهم اوليا الله وان اخطاوا
وجاوا بقراب الارض خطايا لا يشركون بالله شيا فان الله تعالى يتلقاهم بمثلها مغفرة تنبيه
ولي ورد في القران بمعان الاول الولد كقوله تعالى في سورة مريم فهب لي من لدنك وليا يعني ولدا الثاني الصاحب
من غير قرابة كقوله تعالى في بني اسرايل ولم يكن له ولي من الذل الثالث القريب كقوله تعالى يوم لا يغني
مولي عن مولي شيا اي لا ينفع الكافر القريب قريبه الكافر الرابع العصبة كما في قوله تعالى في سورة
مريم واني خفت الموالي من وراي يعني العصبة الخامس الولاية في الدين كقوله تعالى في المايدة لا تتخذوا
اليهود والنصاري اوليا بعضهم اوليا بعض السادس الولي الذي يعتقه كقوله تعالى في ال عمران

لايتخذ المومنون الكافرين اوليا من دون المومنين فقد آذنته بالمد وفتح المعجمة بعدها نون اي
اعلمته والايذان الاعلام ونظيره قوله اذناك اي اعلمناك واذ تاذن ربك اي اعلم فان لم تفعلوا فاذنوا بحرب
من الله ورسوله بالحرب اي اعلمته باني محارب له واللام في قوله بالحرب للجنس فينصرف الى الكمله فان قلت
المحاربة مفاعلة ولا تكون الا من الجانبين مع ان المخلوق في اسر الخالق فالجواب انه هذا من باب المخاطبة بما
يفهم فان الحرب ينشا عن العداوة والعداوة تنشا عن المخالفة وغاية الحرب الهلاك والله تعالى لا يغلبه
غالب فكان المعنى فقد تعرض لاهلاكي اياه فاطلق الحرب واراد به لازمه او اعمل به ما يعامله المحارب
من التجلي عليه بمظاهر القهر والجلال والعدل والانتقام واذا ثبت هذا في جانب المعاداة ثبت ضده
في جانب الموالاة فمن والى اوليا الله اكرمه الله وفي الحديث القدسي اين المتحابون لجلالي اليوم اظلهم تحت
ظلي يوم لا ظل الا ظلي وقوله من عادى لي وليا اي من اجل ولايته ومرده من الله تعالى لا مطلقا فلا تدخل
منازعة في محاكمة او خصومة راجعة الى استخراج حق او كشف غامض لجريانه نوع ما من الخصومة
بين ابي بكر وعمر وبين العلي والعباس وبين كثير من الصحابة رضي الله عنهم مع ان الكل اوليا الله تعالى
وما تقرب الي بتشديد اليا عبدي بالاضافة للتشريف من التقرب وهو طلب القرب من غير تخلل معصية
قال ابو القاسم القشيري رحمه الله تعالى قرب العبد من ربه يقع اولا بايمانه ثم باحسانه وقرب الرب من
عبده ما يخصه في الدنيا من عرفانه وفي الاخرة من رضوانه وفيما بين ذلك من وجوه لطفه وامتنانه
ولا يتم قرب العبد من الحق الا ببعده عن الخلق وقرب الرب بالعلم والقدرة عام للناس وباللطف
والنصرة خاص بالخواص وبالتانيس خاص بالاوليا ووقع في حديث ابي امامة تحبب
بدل تقرب بشي اي عمل احب يجوز فيه الرفع والنصب فالنصب على انه صفة لشي المجرور نابت
فيه الفتحة عن الكسرة والرفع على انه خبر مبتدا محذوف اي هو احب الي مما ما موصولة او موصوفة
والعايد محذوف وفيه حذف مضاف اي من ادا ما افترضت عليه عينا كان او كفاية كالطهارة
والصلاة والصوم والحج واداء الحقوق الى اربابها وبر الوالدين والجهاد والامر بالمعروف والنهي عن
المنكر والحرف المهمة لان الامر بها جازم فيتضمن امرين الثواب على فعلها والعقاب على تركها بخلاف
النوافل لان الامر بها غير جازم فيثاب على فعلها ولا يعاقب على تركها وكذا كانت الفرايض اجل واحب
الى الله واشد تقريبا وروي ان ثواب الفرض يعدل ثواب النفل بسبعين درجة وبالجملة فالفرض
كالاس والنفل كالبناء على ذلك الاس وما يزال بلفظ المضارع وفي رواية بلفظ الماضي عبدي
يتقرب الي اي يداوم على التقرب الي بزيادة على ما افترضته عليه بالنوافل الزايدة على الفرايض اي
التطوعات من سائر اصناف العبادات من صلاة في الليل او في النهار ولا سيما الموكدات وصدقة وحج
تطوع او اصلاح بين الناس او جبر خاطر بينهم او اعانة مسلم او تيسير على معسر او نحو ذلك ولفظ
الطبراني ولا يزال عبدي يتحبب الي وفي رواية له لا يزال عبدي يتنفل الي حتى احبه بضم الهمزة وفتح
البا الموحدة ويجوز في حتى وجهان احدهما ان تكون بمعنى الى والثاني ان تكون بمعنى كي التي للتعليل
فاذا احببته بتقربه الي باداء الفرايض وكثرة النوافل حتى امتلا قلبه من معرفتي واشرقت

عليه انوار ولايتي كنت سمعه السمع قوة رتبت في العصب المفروش على سطح باطن الصماخين
حتى يدرك بها صورة ما يأتي اليه بتموج الهواء الذي يسمع به وبصره البصر قوة رتبت
في العصبتين المجوفتين اللتين تتلاقيان فتفترقان الى العينين يدرك بها صورة ما ينطبع في
الرطوبة الجليدية من اشباح الاجسام المتكونة الذي يبصر بضم اوله به ويده التي يبطش بفتح
اوله وكسر ثالثه او ضمه والكسر اشهر بها ورجله التي يمشي بها زاد عبد الواحد عن عروة عن عائشة
واحمد والبيهقي في الزهد وفؤاده الذي يعقل به ولسانه الذي يتكلم به فان قلت كيف
يكون الباري جل وعلا سمع العبد وبصره الخ فالجواب من اوجه احدها على حذف مضاف اي كنت
حافظ سمعه الذي يسمع به فلا يسمع الا ما يحل سماعه وحافظ بصره فلا يبصر الا ما يحل ابصاره وحافظ
يده فلا يبطش بها فيما لا يحل وحافظ رجله فلا يمشي فيها الا فيما يحل المشي اليه اما ايجابا او ندبا او اباحة وهذا
هو المعتمد ثانيها قال الفاكهاني يحتمل معنى اخر ادق من الذي قبله وهو ان يكون معنى سمعه مسموعه لان
المصدر قد جاء بمعنى المفعول نحو انت رجائي بمعنى مرجوي وفلان املي بمعنى مأمولي والمعنى لا يسمع الا ذكري
ولا يتلذذ الا بتلاوة كتابي ولا يأنس الا بمناجاتي ولا ينظر الا في عجائب ملكوتي ولا يمد يده الا فيما فيه
رضاي ومحبتي ولا يمشي برجله الا لذلك ثالثها كنت له في النصرة كسمعه وبصره ورجله ويده في المعاونة
رابعها قال ابو عثمان الجيزي احد ائمة الطريق معناه كنت الى قضاء حوائجه اسرع من سمعه في الاسماع
وعينه في النظر ويده في اللمس ورجله في المشي خامسها انه ورد على سبيل التمثيل والمعنى
كنت كسمعه وبصره في ايثاره امري فهو يحب طاعتي ويؤثر خدمتي كما يحب هذه الجوارح سادسها
ان المعنى اجعل له مقاصده كانه ينالها بسمعه وبصره الخ سابعها قد يكون عبر بذلك عن سرعة اجابة الدعاء
والنجح في الطلب وذلك ان مساعي الانسان كلها انما تكون بهذه الجوارح المذكورة وحمله بعض متأخري
الصوفية على ما يذكرونه من مقام الفناء والمحو وانه الغاية التي لا شيء وراءها وهو ان يكون قائما
باقامة الله تعالى محبا بمحبته له ناظرا بنظره له من غير ان يبقى معه بقية تناط باسم او تقف على رسم
او تتعلق بامر او توصف بوصف والتحقيق انه مجاز وكناية عن نصرة الله لعبده المتقرب اليه بما
ذكر وتأييده واعانته وتوليته في جميع اموره حتى كانه تعالى نزل نفسه من عبده منزلة الآلات
والجوارح التي يستعين بها ولهذا جاء في رواية اخرى فبي يسمع وبي يبصر وبي يبطش وبي يمشي
اي انا الذي اقدرته على هذه الافعال وخلقتها فيه فانا الفاعل لذلك لا انه يخلق افعال نفسه
خلافا للمعتزلة وزعم الاتحادية والحلولية ان الحديث على حقيقته وان الحق عين العبد او حال فيه
وهو ضلال مكفر اجماعا ويرد حملهم قوله في بقية الحديث وليس سالني لاعطينه ولئن استعاذني

لاعيذنه

لاعيذنه ولين بلام القسم سالني شيا من امور والاخرة فحذف المفعول للتعميم وكذا فيما بعده لاعطينه
ما سال وقد كان العلا بن الحضرمي في سرية فعطشوا فصلي وقال اللهم يا عليم يا علي يا عظيم انا عبيدك
وفي سبيلك نقاتل عدوك فاسقنا غيثا نشرب منه ونتوضا ولا تجعل لاحد فيه نصيبا غيرنا فساروا
قليلا فوجدوا نهرا من ماء السما يتدفق فشربوا وملاوا اوعيتهم ثم ساروا فرجع بعض اصحابه
الي موضع النهر فلم ير شيا وكانه لم يكن في موضعه ماء قط وخرج قوم غزاة في سبيل الله تعالي وكان
لبعضهم حمار فمات الحمار وارتحل الناس فقام لصاحبه وتوضا وصلي وقال اللهم اني خرجت مجاهدا
في سبيلك وابتغاء مرضاتك واشهد انك تحيي وتميت وتبعث من في القبور فاحي لي حماري فقام
الحمار وضربه فقام الحمار ينتفض اذ نبه فركبه ولحق اصحابه ثم باع الحمار بعد ذلك بالكوفة فان
قلت جماعة من العباد والصلحا دعوا وبالغوا فلم يجابوا فالجواب ان الاجابة تتنوع فتارة يقع المطلوب
بعينه علي الفور وتارة يتاخر لحكمة فيه وتارة تقع الاجابة بغير المطلوب حيث لا يكون في المطلوب
مصلحة ناجزة وفي الواقع مصلحة ناجزة او اصلح منها ولين استعاذني بالنون بعد الذال المعجمة
وفي رواية بالبا الموحدة والاول اشهر واستعاذ بمعني اعتصم واستجار لاعيذنه مما خاف
واللام موطية للقسم ودخل قوم علي الحسن فشكوا الشيطان فقال خرج من عندي الساعة وشكا
منكم وقال قل لهم يتركون لي دنياي اترك لهم دينهم وقد ورد ان الشيطان يغوص في باطن الانسان
ويضع راسه علي حبة قلبه ويلقي اليه الوسوسة ويدل لذلك ما روي ان النبي صلي الله عليه وسلم
قال ان الشيطان يجري من ابن ادم مجري الدم فضيقوا عليه مجاريه بالجوع وقال عليه الصلاة والسلام
لولا ان الشياطين يحومون علي قلوب بني ادم لنظروا الي ملكوت السموات واختلف الناس في الجن
هل لهم اطلاع علي بواطن البشر ونفوذ فيها فالمشهور ان لهم ذلك وانكر اكثر المعتزلة ذلك قال
شرف الدين المرسي رحمه الله اعلم ان الذي يستعيذ العبد لاجله يجري مجري ما لا نهاية له اولها
الجهل وثانيها الفسق ثالثها المخالفات والافات والمكروهات وفي الحديث ما منكم احد الا وله
شيطان قيل ولا انت يا رسول الله قال ولا انا الا ان الله تعالي اعانني عليه فاسلم بفتح الميم في رواية
بضمها فالاول من الاسلام والثاني من السلامة اي اسلم من كيده وعن معقل بن يسار عن النبي صلي الله
عليه وسلم انه قال من قال حين يصبح ثلاث مرات اعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقرا ثلاث
ايات من اخر الحشر وكل الله به سبعين الف ملك يصلون عليه حتي يمسي فان مات من ذلك
اليوم مات شهيدا ومن قالها حين يمسي كان بتلك المنزلة وروت خولة بنت حكيم عن النبي صلي
الله عليه وسلم انه قال من نزل منزلا فقال اعوذ بكلمات الله التامات لم يضره شي حتي يرتحل من ذلك
المنزل وقد ذكر القرطبي في تفسير قوله تعالي واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله
الاية انه حكي عن بعض السلف انه قال لتلميذه ما تصنع بالشيطان اذا سول لك الخطايا قال
اجاهده قال فان عاد قال اجاهده قال هذا يطول ولكن ارايت لو مررت بغنم فنبحك كلبها

ومنعك من العبود ما نصنع قال الا بده وارد عليم جهلك قال هذا يطول عليك ولكن استغث بصاحب
الغنم يكفه عنه والمستعاذ منه الشيطان واعوانه والنفس والهوى والدنيا واقتصر في الاستعاذة على
الشيطان لان هذه الاشيا كلها من جنوده واشياعه واتباعه يصرفها في اغوائه ووسوسته ومما قيل في
الاولياء سادة من عزهم اقدامهم فوق الجباه ان لم اكن منهم فلي في ذكرهم عز وجاه رواه الامام البخاري
وهو اصل في السلوك الى الله تعالى والوصول الى معرفته ومحبته وطريقته الحديث التاسع
والثلاثون عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله تجاوز اي عفى وسامح
وصفح وفي رواية عفى لامتي عن الخطا وهو بمعنى فعل الى اي لاجلي عن امتي اي امة الاجابة الخطا
هذا يرجع الى قوله تعالى وليس عليكم جناح فيما اخطاتم به والخطا بفتحتين مهموز مقصور المراد به ضد
العمد وهو ان يقصد شيا فيصادف غير ما قصد لا ضد الصواب خلافا لزاعمه لان تعمد الاثم يسمى خطا
بالمعنى الثاني ولا يمكن ارادته هنا وقد عبر وقري بهما في قوله تعالى وما كان لمؤمن ان يقتل مومنا الا
خطا ويطلق على الذنب ايضا قال ابو عبيدة خطى خطا من باب علم واخطا بمعنى واحد لمن يذنب
على غير عمد وقال غيره خطى في الدين واخطا في كل شي عامدا او غير عامد وقال الاموي الخاطي من
فعل ما لا ينبغي والمخطي من اراد الصواب فصار الى غيره وفي الحديث لا يحتكر الا خاطي وفي رواية
ان الله تجاوز لامتي عن الخطا وهي اظهر ووجه الاولى ان تجاوز ضمن معنى ترك اي ترك لي عن امتي الخطا
وقوله تجاوز عن امتي الخ اي عن الاثم فقط في الخطا لا في حكمه من الضمان لا يرتفع اذ الخطا والعمد
في اموال الناس سواء واما عن النسيان والاكراه فتارة عن الاثم فقط لان من حلف لا افعل كذا ففعله
ناسيا يحنث وكذا لو اكره على فعله حيث كانت الصيغة صيغة حنث وتارة على الاثم والحكم معا
كمن اكره على الطلاق والعتق لقوله عليه الصلاة والسلام لا طلاق في اغلاق وكذا على فعل المحلوف
عليه حيث كانت الصيغة صيغة بر والنسيان بكسر النون وهو ترك التفكر بلا قصد بعد حصول العلم
فان قلت اذا كان الخطا والنسيان متجاوزا عنهما فما الحكمة في الامر بالدعاء في قوله تعالى ربنا لا تواخذنا
ان نسينا او اخطانا فالجواب الامر للاستدامة وقد يطلق على الترك ومنه قوله تعالى نسوا الله
فنسيهم ولا تنسوا الفضل بينكم ويطلق على التاخير كقوله تعالى ما ننسخ من اية او ننسها
اي نوخرها واختلف في الخطا والنسيان المذكورين في قوله تعالى ان نسينا او اخطانا قيل النسيان
بمعنى الترك اي تركنا شيا من طاعتك وقيل الذهول والخطا عن المتعمد وقال ابن زيد المعنى
ان نسينا المامور واخطانا في المنهي عنه وقال عطا جهلنا وتعمدنا والمراد هنا الاول قال في المصباح
ونسيت الشي انساه نسيانا مشترك بين معنيين احدهما ترك الشي على ذهول وغفلة وذلك
خلاف الذكر والثاني الترك على تعمد وعليه ولا تنسوا الفضل بينكم اي لا تقصدوا الترك والاهمال
ويتعدى الى ثان بالهمزة والتضعيف ونسيت ركعة اهملتها ذهولا ورجل نسيان وزان سكران
والفرق بين النسيان والسهو ان النسيان زوال عن الحافظة والمدركة لانه جهل بعد العلم
والسهو

والسهو زوال عن الحافظة فقط والفرق بين السهو والخطا ان السهو ما يتنبه صاحبه بادنى تنبيه والخطا
ما لا يتنبه به ويقال الماتي به ان كان على جهة ما ينبغي فهو الصواب وان كان لا على ما ينبغي نظر فان كان
مع قصد من الاتي به يسمى الغلط وان كان من غير قصد منه فان كان يتنبه بايسر تنبيه فهو السهو
والا فهو الخطا والنسيان حالة تعتري الانسان من غير اختياره توجب غفلته عن الحفظ والغفلة ترك
الالتفات بسبب امر عارض وقيل الغفلة تكون عما لا يكون والسهو تكون عما يكون تقول غفلت عن هذا
الشي حتى كان ولا تقول سهوت عنه حتى كان وفرق اخر وهو ان الغفلة تكون عن فعل الغير تقول كنت غافلا
عما كان من فلان ولا يجوز ان يسهو عن فعل الغير وما استكرهوا عليه اي من تصور منه الاكراه فلا يكفر
من اكره على الردة ولا يصح اعتاقه ولا طلاقه ولا شي من تصرفاته وهو مذهب مالك والشافعي واحمد خلافا
لابي حنيفة في الطلاق والحديث مخصوص بما اذا لم يكن بمحرم فانه اكره بالقتل وجب القصاص على المكره
بالكسر والمكره بالفتح او بالزنا وغير ذلك وتجب العقوبة على من اكرهته على كرا اذا حملته عليه قهرا والكره
بالضم المشقة يقال قمت على كره بالضم اي على مشقة وبالفتح الاكراه يقال اقامني فلان على كره بالفتح اذا اكر
هك عليه وقال الكسائي هما لغتان ومفهوم هذا الخبر ان الخطا والنسيان والاكراه كان يواخذ بها اولا
اذ لا تمتنع المواخذة بها عقلا فان الذنوب كالسموم فكما ان تناولها يودي الى الهلاك وان كان خطا فتناول
الذنوب لا يبعد ان يفضي الى العقاب وان لم تكن عزيمة لكنه تعالى وعدنا التجاوز عنه رحمة وفضلا
ومن ثم امر الانسان بالدعا به استدامة واعتدادا بالنعمة حديث حسن رواه محمد بن ماجة وابو بكر البيهقي
وغيرهما فايدة لما نزل قوله تعالى وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه يحاسبكم به الله شق على الصحابة ذلك
فجاء جماعة منهم للنبي صلى الله عليه وسلم وقالوا كلفنا من العمل ما لا نطيق ان احدنا ليحدث نفسه بما لا يحب
ان يثبت في قلبه وان له الدنيا فقال لهم صلى الله عليه وسلم فلعلكم تقولون كما قالت بنو اسرائيل سمعنا
وعصينا قولوا سمعنا واطعنا فقالوا فلما ذلت بها السنتهم واطمانت اليها نفوسهم انزل الله
تعالى قوله آمن الرسول بما انزل اليه الى قوله لا يكلف الله نفسا الا وسعها لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت
فتعلق بالكسب دون العزم كذا في اكثر التفاسير وفي بعضها انها نسخت بهذه واكثر المحققين من اهل
الاصول ان النسخ انما يكون في الاحكام دون الاخبار وهذا اخر الحديث الاربعين عن ابن عمر رضي
الله عنهما قال اخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بمنكبي بفتح الميم وكسر الكاف مجمع العضد والكتف
يروى بالتثنية والافراد وفيه مس المعلم بعض اعضا المتعلم عند التعليم او الموعوظ عند الوعظ
ليعي ما يقال له فيكون ابعد لنسيانه وهذا كقول عبد الله ابن مسعود علمني رسول الله صلى الله عليه
وسلم التشهد كفي بين كفيه وقد يضمه اليه كما فعل جبريل بالنبي صلى الله عليه وسلم حين قال له اقرا
وذلك لاحضار القلب والتنبيه والتذكير اذ محال عليه عادة ان ينسى من فعل معه ذلك
ما يقال له معه ولا يفعل هذا في الغالب الا مع من يميل اليه الفاعل ففيه دليل على محبته عليه الصلاة
والسلام لهما فقال كن في الدنيا كانك غريب في محل النصب خبر كن اي كن في
الدنيا مشبها بالغريب الذي قاسى الذل والمسكنة في غربته وعلق قلبه بالرجوع الى وطنه

اي لا تركن اليها ولا تتخذها وطنا ولا تتعلق بها الا بما يتعلق الغريب في غير وطنه او عابر سبيل اي طريق
معطوف على غريب عطف خاص على عام واو فيه بمعنى بل كما ذكره الجوهري وفيه معنى الترقي والمعنى
كن في الدنيا كغريب بل عابر سبيل اي لا تركن الى الدنيا ولا تتخذها وطنا ولا تحدث نفسك بالبقا فيها
ولا تتعلق بها الا بما يتعلق به الغريب في غير وطنه فهو حث على احتقار الدنيا والفراغ عنها والزهد
فيها ولا ياخذ منها الا مقدار الضرورة المعينة على الاخرة فان الغريب منكمش مستوحش لا يجد من يعرفه
فينبسط اليه ولا ياتنس به ولا مقصد له الا الخروج من غربته الى وطنه وموضع اقامته لا يبالي
ان يرى على خلاف عادته في ملبوسه ونحو ذلك ولا يجد ولا يعادي ولا يحقد ولا ينافس احدا في مجلس
ولا غيره لقلة اقامته وكذلك عابر السبيل اي المار في الطريق وهو اتما فراذ ليس له ارب الا فيما يعينه
على سفره وقفوله الى بلده واجتماعه باهله فلا يتخذ في بعض المراحل دارا ولا مسكنا ولا بستانا ولا احاما
ونحو ذلك لعلمه بقلة اقامته في سفره وانه لو امكنه الطيران لطار فهو لا يعرج على غير ما يكون سببا
لرحيله ومعينا على سفره ووصوله الى وطنه وايضا فان الانسان انما اوجد ليمتحن بالطاعة والمعصية
فيكون مثابا او معاقبا بدليل انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وقال ابن
بطال لما كان الغريب قليل الانبساط الى الناس بل مستوحش منهم لا يكاد يمر بمن يعرفه ويستانس به
فهو ذليل في نفسه خايف وكذلك عابر السبيل لا ينفذ في سفره الا بقوته عليه وتخفيفه من الاثقال غير
متشبث بما يمنعه من سفره معه زاده وراحلته يبلغانه الى بغيته من قصده شبهه بهما وفي
ذلك اشارة الى ايثار الزهد في الدنيا واخذ البلغة منها والكفاف وكما لا يحتاج الى اكثر مما يبلغه
الى غاية سفره فكذلك لا يحتاج المومن في الدنيا الى اكثر مما يبلغه الى المحل انتهى ح فهو كعبد
ارسله سيده في حاجة الى غير بلده فشانه ان يبادر بفعل ما ارسله سيده فيه ثم يعود الى وطنه
ولا يتعلق بشي غير ما هو فيه ودخل رجل على ابي ذر رضي الله عنه فقال يا ابا ذر اين متاعكم فقال ان لنا
بيتا نوجه اليه متاعنا فقال لا بد لك من متاع ما دمت هاهنا قال ان صاحب المنزل لا يدعنا
فيه وقال الحسن رضي الله عنه المومن في الدنيا كغريب لا يجزع من ذلها ولا ينافس في عزها
ولذا اوصى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من اصحابه ان يكون بلاغهم من الدنيا كزاد الراكب
وقيل لمحمد بن واسع كيف اصبحت قال ما ظنك برجل يرتحل الى الاخرة كل يوم مرحلة وقال داوود
الطائي انما الليل والنهار مراحل ينزلها الناس مرحلة مرحلة حتى ينتهي ذلك بهم الى اخر
سفرهم فان استطعت ان تقدم كل يوم زادا لما بين يديك فافعل واقض ما انت قاض
من امرك فكانك بالرحيل وقد بغتك فكيف يركن الى الدنيا من يومه يهدم شهره وشهره
يهدم سنته وسنته تهدم عمره كما قيل وما هذه الايام الا مراحل تمر وتطوي والمسافر قاعد

وقيل

وقيل وما هذه الايام الا مراحل تمر وتطوي والمسافر قاعد وقيل نسير الي الاجال في كل لحظة وايامنا
تطوي وهن مراحل ولم ار مثل الموت حقا كانه اذا ما تخطته الاماني باطل وقال الشبلي من ركن الي الدنيا
احرقته بنارها فصار رمادا تذروه الرياح ومن ركن الي الاخرة احرقته بنورها فصار ذهبا احمر
ينتفع به ومن ركن الي الله احرقه بنور التوحيد فصار جوهرا لا قيمة له وروي ابن ابي الدنيا والبيهقي
من حديث عايشة انه عليه الصلاة والسلام قال الدنيا دار من لا دار له ومال من لا مال له يجمعها من
لا عقل له وقال عليه الصلاة والسلام مثل الدنيا لمثل ثوب شق من اوله الي اخره فبقي معلقا بخيط في
اخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع رواه ابو نعيم والبيهقي من حديث انس رضي الله وانشد بعضهم
ايا من لم يزل في باطن الارض مضجع انا نسي بالدنيا وانت غريب وما الدهر الا كر يوم وليلة وما الموت الا نازل وقريب
وانشد لحز الموت في طلحين نشر الكفنا ونحن في غفلة عما يراد بنا لا تطمئن الي الدنيا وزينتها
ولو توشحت من اثوابها الحسنا اين الاحبة والجيران ما فعلوا اين الذين هم كانوا لنا سكنا سقاهم
الموت كاسا غير صافية فصيرتهم لاصاق الثري رهنا وقال علي بن ابي طالب رضي الله عنه من جمع
ستة خصال لم يدع للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا يعني لم يترك الجهد في طلب الجنة والهرب من النار عرف
الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل فاتقاه وعرف الدنيا
فرفضها وعرف الاخرة فطلبها وقال ايضا ارتحلت الدنيا مدبرة وارتحلت الاخرة مقبلة ولكل منهما
بنون فكونوا من ابناء الاخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا فان اليوم عمل ولا حساب وغدا حساب
ولا عمل وعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعا يوتي بالدنيا يوم القيمة علي صورة عجوز شمطا زرقاء انيابها
بادية مشوه خلقها لا يراها احد الا كرهها فتشرف علي الخلايق فيقال لهم اتعرفون هذه فيقولون
نعوذ بالله من معرفتها فيقال لهم هذه الدنيا التي تفاخرتم بها وتقاتلتم عليها وروي في خبرانها
يوحي بها فتلقي في النار فتقول يا رب اين اتباعي واصحابي فيلحقون بها وكان عبد الله بن عمر يقول
في بعض وصاياه اذا امسيت اي دخلت في وقت المسا فلا تنتظر بعمل من اعمال البر الصباح
وهو اول ما يبدو من النهار واذا اصبحت دخلت في وقت الصباح فلا تنتظر بعمل من اعمال
البر المسا لانه ربما يكون تاخيرها سببا لفواتها وعدم استدراكها وقدم المسا علي الصباح
لان في المسا النوم الذي هو اخو الوفاة تبين لقوله تعالي وهو الذي يتوفاكم بالليل فالتراخي
فيه اكثر والمراد اذا امسيت فلا تحدث نفسك بالبقا الي الصباح واذا اصبحت فلا تحدث
نفسك بالبقا الي المسا وانتظر الموت في كل وقت واجعله نصب عينيك وعقب به المص ما قبله
لان ذلك للحث علي ترك الدنيا وهذا للحث علي تقصير الامل وذلك متوقف علي هذا لانه المصلح
للعمل والمنجي من افات التراخي والكسل وقد قيل لبعضهم ما قدر املك في الدنيا فقال لهل
لمن نفسه في يد غيره امل وكان محمد ابن واسع اذا اراد النوم قال لاهله استودعكم الله

الله فلعلي لا اقوم من نومي ولهذا جاء في الحديث لا يبيت احدكم الا ووصيته عند راسه فلعله ان
يبيت من اهل الدنيا ويصبح من اهل الآخرة فكم من مستقبل يوما لا يستكمله قال ابو نصر بن ودعان
قصر الامل اصل كل خير كما ان تطويله اصل كل شر فان من لا يقدر في نفسه انه لا يعيش غدا لا يسعى في كفاية
غد ولا يهتم لها فيصير حرا من رق الحرص والطمع والذل وخدمة ابناء الدنيا ويكفيه كل شيء ومن قدر انه
يعيش عشر سنين مثلا فانه يصير عبدا لهذه الاوصاف الذميمة ولا يكفيه شيء من الدنيا ولا يملا بطنه وعينه
الا التراب ولبعضهم تقنع بما يكفيك واستعمل الرضا فانك لا تدري اتصبح ام تمسي فليس الغنى عن
كثرة المال انما يكون الغنى والفقر من قبل النفس ولبعضهم تبغي من الدنيا الكثير وانما
يكفيك منها مثل زاد الراكب لا تعجبن بما ترى فكانه قد زال عنك زوال امس الذاهب والحق انه
سبب للزهد في الدنيا وقول بعض الشراح انه نفي الزهد فيها اراد به ان بينهما تلازما صيرهما كالشيء
الواحد فمن قصر امله زهد ومن طال امله طمع ورغب في الدنيا وترك الطاعة وسوف بالتوبة ونسي
الآخرة ومقدماتها من الموت وما بعده من الاهوال فيقسو قلبه ضرورة لان رقة القلب وصفاه انما
يكون بذكر ذلك قال الله تعالى فطال عليهم الامد فقست قلوبهم وقال تعالى ذرهم ياكلوا ويتمتعوا ويلههم
الامل فسوف يعلمون وقال ابن الجوزي اذا رايت قبرا فتوهمه قبرك وعد باقي الحياة ربحا وعن ابي
زكريا التيمي قال بينما سليمان بن عبد الملك في المسجد الحرام اذ اتي بحجر منقور فطلب من يقراه
فاتي بوهب بن منبه فقراه فاذا فيه ابن آدم انك لو رايت ما بقي من اجلك لزهدت في طول
املك ولرغبت في الزيادة من عملك ولقصرت من حرصك وحيلك فانما يلقاك ندمك اذا زلت
بك قدمك واسلمك اهلك وحشمك فبان منك الولد القريب ورفضك الوالد والنسيب
فلا انت الى دنياك عايد ولا في حسناتك زايد فاعمل ليوم القيمة قبل الحسرة والندامة ولبعضهم
اذا هبت رياحك فاغتنمها فان لكل خافقة سكون ولا تغفل عن الاحسان فيها فما تدري السكون
متى يكون اذا ظفرت يداك فلا تقصر فان الدهر عادته يخون وخذ من العمل زمن صحتك
قبل ان يحال بينك وبينها لمرضك اي اغتنم العمل حال الصحة فانه ربما عرض لك مرض وسقم مانع
منه فاذا كنت تعمل في حال الصحة جرا لك ثوابه في حال المرض لخبر ابن عساكر عن مكحول اذا مرض
العبد اي الانسان المسلم يقال لصاحب الشمال ارفع عنه القلم اي عن الضعيف ويقال لصاحب
اليمين اكتب له احسن ما كان يعمل فاني اعلم به لانه لم يحصل منه تقصير وخذ من العمل زمن
حياتك لموتك اي اغتنم ما تلقى نفعه بعد موتك ما دمت حيا فاذا مات انقطع عمله قال عز وجل
فاستبقوا الخيرات وقال تعالى سارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدت
للمتقين وما ذكره ابن عمر منتزع مما ورد انه عليه الصلاة والسلام قال لرجل وهو يعظه اغتنم
خمسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك

قبل موتك رواه البخاري وخرجه ابن ماجه ولم يذكر قول ابن عمر الحديث الحادي والاربعون عن
ابي محمد ويقال ابو نصر ويقال ابو عبد الرحمن عبد الله بن عمرو بن العاصي باثبات اليا واكثر المحد
ثين يحذفونها واقلهم يثبتها قال النووي والصواب جواز الوجهين قال بعضهم واثباتها يدل على
انه من العصيان ويدل له ان عمر بن الخطاب كان يناديه بقوله يا عاصي يا ابن العاصي وحذفها
يدل على انه من العوص وهو شريك السهمي بن وايل بن هاشم بن سعيد بن سعد بن سهل بن عمرو بن
كعيص بن كعب بن لوي بن غالب القرشي السهمي وامه ربطة بنت منبه بن الحجاج بن عامر
بن سعد بن سهل ولم يسلم عمرو الا بعد الحديبية لانه جلس في الحجر مع خالد بن الوليد وعثمان
الحجبي وقالوا الا ترى امر محمد الا في ازدياد وامر قريش في انتقاص ثم اتفقوا على الاسلام وقيل انه
اسلم على يد النجاشي ويلغز بها فيقال صحابي اسلم على يد تابعي ولما احتضر عمرو قال لولده عبد
الله اني قبل الاسلام كنت لا ارفع طرفي للنبي صلى الله عليه وسلم حيا منه رضي الله عنهما اسلم
قبل ابيه وكان النبي صلى الله عليه وسلم يفضله على ابيه وكان ابوه اكبر منه باثنتي عشرة سنة وقيل
باحدى عشرة وقيل بثلاث عشرة سنة وهو من اجل العبادلة وكان غزير العلم مجتهدا في العبادة
وكان من زهاد الصحابة وكان يقول لئن تدمع عيني دمعة من خشية الله عز وجل احب الي من ان
اتصدق بالف دينار وكان يقول لو تعلمون حق العلم لسجدتم حتى تنقصف ظهوركم ولصرختم
حتى تنقطع اصواتكم فابكوا فان لم تجدوا البكا فتباكوا وكان واسع الرواية قال ابو هريرة رضي
الله عنه ما احد اكثر حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مني الا عبد الله بن عمرو بن العاص
فانه كان يكتب ولا اكتب روي له عن رسول الله صلى الله عليه وسلم سبعمايه حديث اتفقا على
سبعة عشر حديثا وانفرد البخاري بثمانية ومسلم بعشرين حديثا وروايته اكثر من ذلك كما تقدم
وانما نوعت الطرق في الروايه عنه فجاء ذلك في قلة ما نقل وصح عنه وكان عبد الله بن عمرو
هذا قد استاذن النبي صلى الله عليه وسلم في الكتابة عنه في حالة الرضا والغضب فاذن له حتى كان
يسمي صحيفته الصادقة ويقال انه حفظ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الف مثل وكان قد قرا
الكتب وكان يصوم النهار ويقوم الليل ويرغب عن غشيان النسا زوجه ابوه بامراة من قريش
ثم دخل عليها ابوه فقال لها كيف وجدت بعلك فقالت خير الرجال او خير البعولة من رجل لم يفتش
لنا كنفا ولم يعرف لنا فراشا فاقبل عليه والده يعظه وقال زوجتك من قريش فعضلتها انطلق
الى النبي صلى الله عليه وسلم فشكاه له فارسل له النبي صلى الله عليه وسلم فاتاه فقال له اتصوم النهار قال
نعم قال وتقوم الليل قال نعم فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لكني اصوم وافطر واقوم وانام وامس
النسا فمن رغب عن سنتي فليس مني وكان مع ابيه الى ان توفي ابوه بمصر ثم انتقل الى الشام

الي نوفي بزبيد ثم انتقل الي مكة ومات بها وقيل بالشام وقيل مات بالطايف وقيل مات بمصر سنة خمس او سبع
او تسع وستين عن المتيقن وسبعين او اثنين وتسعين سنة وكان قد عمي في اخر عمره ولما حضرته الوفاه قال
انه قد خطب مني ابنتي رجل من قريش وقد كان مني اليه شبيه بالوعد فوالله لا القي الله بثلث النفاق
اشهدوا اني قد زوجتها له قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يومن احدكم اي ايمانا كاملا حتي يكون
هواه بالقصر وهو مصدر هواه اي احبه وشرعا ميل النفس الي خلاف ما يقتضيه الشرع اي ما تحبه نفسه
وتميل اليه وتدعوا اليه شهوته ويجمع علي اهواء واما الممدود وهو ما بين السما والارض فجمعه اهوية
وجمعهما قول بعضهم سكن الهواء مع الهوي في اضلعي فاستجمعا وسط الحشا نارا ان فقصرت بالممدود
عن نيل المني ومددت سيرف المقصور في اكفاني تابعا لما اي لجميع ما جيت به من الاوامر والنواهي والغالب
والغالب ان الهوي لا يطلق الا علي الميل الي خلاف الحق كما قال تعالى ونهي النفس عن الهوي ويطلق علي مطلق
الميل فيدخل فيه الميل الي الحق وغيره ولا يحصل الرجوع عن هوي النفس وحبوبا بها الشهوانية المطبوعة
عليها الا بمجاهدة وتصبر واحتمال مشقة حتي تطمين النفس فاذا اطمانت احبت ما يحبه الله ورح
فعول حتي يكون هواه تابعا لما جيت به اي بان يميل قلبه وطبعه اليه كميله لمحبوباته الدنيوية
التي جبلت النفس علي الميل اليها من غير مجاهدة وتصبر واحتمال مشقة او بعض كراهة ما بل تهواه
كما تهوي المحبوبات والمشتهيات فان من احب شيا تبعه هواه ومال عن غيره اليه ووالاه ولذلك لم يقل
صلي الله عليه وسلم لا يومن احدكم حتي ياتمر بما امرته وحتي ياتي بكل ما جيت به او حتي يتبع ما جيت به
ونحو ذلك لان المامور بالشي المكروه به او المتبع له قد يفعله اضطرارا واعلم ان الهوي يميل الانسان
بطبعه الي مقتضاه ولا يقدر علي جعله تابعا لما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم الا كل صابر مهزول اذ
الهوي لغلبة الشهوة الطبيعية يملك الانسان لقوله صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار والدرهم تعس
عبد الخميصة وقد يتغالي الشخص في اتباعه حتي يجعله آلهه قال تعالى ارايت من اتخذ الهه
هواه اي مهوية قال ابو الدرداء اذا اصبح الرجل اجتمع هواه وعمله فان كان عمله تبعا لهواه فيومه
يوم سوء وان كان هواه تبعا لعمله فيومه يوم صالح وفي الحديث الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد
الموت والعاجز من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الاماني وفي رواية والفاجر بدل العاجز وعن
سليمان بن داوود الغالب لهواه اشد من الذي يفتح المدينة وحده وعن حذيفة بن قتادة قال
كنت في مركب فكسرت فوقعت انا وامراة في لوح فمكثنا سبع ايام فقالت المراة انا عطشى
فسالت الله ان يسقيها فنزل عليها من السما سلسلة فيها كوز معلق فيه ماء فشربت
فرفعت راسي الي السلسلة فرايت رجلا جالسا في الهوا فقلت ممن انت فقال من الانس
قلت فما الذي بلغك هذه المنزلة قال اثرت مراد الله علي مرادي فاجلسني كما ترى وعن وهب
ابن منبه قال كان في بني اسرائيل رجلان بلغت بهما عبادتهما الي ان مشيا علي الما فبينما هما يمشيان
علي البحر اذا هما برجل يمشي في الهواء فقالا يا عبد الله باي شي ادركت هذه المنزلة قال بيسير
من

من الدنيا فطمت نفسي عن الشهوات وكففت لساني عما لا يعنيني ورغبت فيما دعاني اليه ولزمت
الصمت فانا اقسمت على الله بر قسمي وان سالته اعطاني وعن عبد الواحد بن محمد الفارسي قال
سمعت بعض اصحابنا يقول رايت غرفة في الهوا وفيها رجل فسالته عن حاله التي بلغت الى تلك المنزلة
قال تركت الهوى فادخلت في الهواء وقال رجل للحسن يا ابا سعيد اي الجهاد افضل قال جهاد هواك
وقال الاصمعي مررت باعرابي به رمد شديد ودموعه تسيل فقلت الا تمسح عينيك فقال زجرني
الطبيب ولا خير فيمن اذا زجر لا ينزجر واذا امر لا ياتمر فقلت اما تشتهي شيا فقال اشتهي ولكن
احتمي لان اهل النار غلبت شهواتهم فلم يحتموا فهلكوا وقيل ليحيى ابن معاذ من اصح الناس عزما
فقال الغالب لهواه ودخل خلف بن خليفة على سليمان ابن حبيب وعنده جارية يقال لها البدر من
احسن الجواري وجها واكمله فقال سليمان لخلف كيف ترى هذه الجارية فقال اصلح الله الامير ما رايت
احسن منها قال خذ بيدها فقال خلف ما كنت لافعل ولا اسلبها للامير وقد عرفت عجبه بها فقال
خذها على عجبي بها ليعلم هواي اني غالب له فاخذ بيدها وخرج وهو يقول لقد حباني واعطاني وفضلني
من غير مسيلة مني سليمان اعطاني البدر جودا في محاسنها والبدر لم يعطه انس ولا جان
ولست حقا بناسي عرفه ابدا حتى يغيبني لحدي واكفاني ودخل الوليد بن اليزيد بعض كنايس
الشام فكتب في حيطانيها ما اري العيش غير ان تتبع النفس هواها مخطئا او مصيبا فراي ذلك
عبد الله بن علي فكتب تحته ان كنت تعلم حين تصبح امنا ان المنايا ان اقمت تقيم فالزم هواك لما رضيت فانه
لا مثل ذلك في النعيم نعيم وبعضهم رب مستور سبته صورة فتعرى ستره فانهتكا صاحب الشهوة عبد فاذا
غلب الشهوة صار الملكا وكان عبد الله بن الحسن يطوف بالبيت فنظر الى امراة فاعجبته
فمشى الى جانبها ثم قال اهوى هوى الدين واللذات تعجبني فكيف لي بهوى اللذات والدين فقالت له
دع احدهما تنل الاخر وقيل ان سبب ذلك ان عبد الله بن حسن لقي امراة جميلة في الطواف فلما
نظرت اليه والى جماله مالت نحوه وطمعت فيه فاقبل عليها وانشد البيت المذكور فتركته وانصرفت
وقال الجنيد اذا خالفت النفس هواها صار داؤها دواها وقال بعض الحكما اعص هواك والنسا
واطع من شيت ويروى واصنع ما شيت وقال ابن دريد آفة العقل الهوى فمن علا على هواه عقله فقد نجا
ويقال ان هشام ابن عبد الملك لم يقل في عمره الا بيتا واحدا اذا انت لم تعص الهوى قادك الهوى
الى بعض ما فيه عليك مقال وقال غيره ان الهوان هو الهوى قصر اسمه فاذا هويت لقيت هوانا
وقال اخر نون الهوان من الهوى مسروقة وصريع كل هوى صريع هوانه ثم اعلم ان من كان هواه تابعا
لجميع ما جا به النبي صلى الله عليه وسلم كان مومنا كاملا وضده الكافر وهو من اعرض عن جميع ما جا به
ومنه الايمان واما من تبع البعض فان كان ما تبعه اصل الدين وهو الايمان دون ما سواه فهو فاسق
وعكسه المنافق في حديث صحيح رويناه حالكونه في كتاب الحجة في اتباع المحجة تاليف الفقيه الزاهد ابي
القاسم اسماعيل بن محمد بن الفضل الاصفهاني نزيل دمشق وصنف هذا الكتاب في عقيدة اهل السنة

باسناد صحيح وخرجه الطبراني عن عقبة ابن اوس عن عبد الله بن عمرو ولكن زاد بعد ما جيت به لا يزيغ
عنه قال ابن عبد البر وعقبة ابن اوس مجهول الحديث الثالث والاربعون عن انس رضي الله عنه
قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله تعالى يا ابن ادم اصله أأدم بهمزتين على وزن
افعل لكنهم سهلوا الثانية بقلبها الفا تخفيفا لاستثقال جمع الهمزتين وهو غير منصرف للعلمية ووزن الفعل
مشتق من الادمة بالسكون والفتح وهي حمرة تميل الى سواد او من اديم الارض وهو ظاهر وجهها
كما صح عن ابن عباس وورد عن علي وابن مسعود رضي الله عنهم ولا ينافي هذا ما ورد عن براعة جماله
وان يوسف عليه السلام كان على الثلث من جماله لان الجمال لا ينافي السمرة اذ سمرته بين البياض والحمرة واختلف
هل هو اعجمي ام لا فذهب ابو البقا وغيره الى انه ليس باعجمي وان منع صرفه للعلمية ووزن الفعل والاشتقاقه
مما ذكر يرد القول بانه اعجمي وبه صرح الجواليقي وغيره وذهب الثعالبي الى انه اعجمي وان منع صرفه
للعلمية والعجمة وصح انه كان يتكلم بكل لسان ولكن الغالب انه يتكلم بالسرياني وفي الحديث خلق الله ادم
من اديم الارض كلها فخرجت ذريته على نحو ذلك منهم الابيض والاسود والاحمر والسهل والحزن والطيب
والخبيث وقال وهب خلق راس ادم من الارض الاولى وعنقه من الثانية وصدره من الثالثة ويديه من
الرابعة وبطنه من الخامس وعجزه ومذاكيره وفخذيه من الارض السادسة وساقه وقدمه من
السابعة ونقل ابو الحسن لشرح الرسالة القيروانية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه قال رفعت تربة
ادم من ستة ارضين واكثرها من السادسة ولم يكن فيها من الارض السابعة شي لان فيها نار جهنم
انتهى وروي عنه ايضا انه قال خلقه الله تعالى من اقاليم الدنيا فراسه من تربة الكعبة وصدره
من تربة الدهنا وظهره وبطنه من تربة الهند ويداه من تربة المشرق ورجلاه من تربة المغرب
وقال غيره خلق الله ادم من ستين نوعا من انواع الارض وطبايعها فجاءت الوانه مختلفي الالوان
والطبايع قيل ولهذا المعنى اوجب الله في الكفارة اطعام ستين مسكينا بعدد انواع بني ادم
ليعم الجميع بالصدقة وكان طوله ستين ذراعا والذراع ثمانية اشبار بهذا الشبر هكذا ذكر والجملة
الاشبار اربعماية وثمانون شبرا وعاش الف سنة انك ما دعوتني ليلا او نهارا وسرا وعلانية
وما مصدرية ظرفية اي مدة دوام دعائك اياي كما تقول لا احسن اليك ما خدمتني اي مدة دوام
خدمتك اياي وغلط من جعلها شرطية والدعا رفع الحاجات الى عظيم الدرجات ويقال هو اظهار العجز
والمسكنة بلسان التضرع وهو بلا واسطة من خصوصيات هذه الامة واما الامم الماضية
فكانت تفزع في حوايجهم الى الانبيا تسالهم الله تعالى وقد روى معمر عن قتادة انه قال اعطيت
هذه الامة ثلاثا لم يعطها الا نبي كان يقال للنبي اذهب فليس عليك حرج وقال لهذه الامة وما
جعل عليكم في الدين من حرج وكان يقال للنبي انت شهيد على قومك وقال لهذه الامة لتكونوا شهداء
على

على الناس وكان يقال للنبي صل فقط وقال لهذه الامة ادعوني استجب لكم واعلم ان المذهب المختار الذي
عليه الفقها والمحدثون وجماهير العلما من الطوايف كلها من السلف والخلف ان الدعا مستحب قال
الله تعالى ادعوني استجب لكم وقال تعالى ادعوا ربكم تضرعا وخفية والايات في هذا اكثر واما الاحاديث
الصحيحة فهي اشهر من ان تذكر وقد سيل الشيخ عز الدين بن عبد السلام في الفتاوي الموصلية هل
يعصي من يقول لا حاجة بنا الى الدعا لانه لا يرد ما قدر وقضي فاجاب من زعم انه لا يحتاج الى الدعا
فقد كذب وعصي ويلزمه ان يقول لا حاجة بنا الى الطاعة والايمان لان ما قضاه الله من الثواب
والعقاب لا بد منه وما يدري هذا الاخرق الاحمق ان الله تعالى قد رتب مصالح الدنيا على الاسباب
ومن ترك الاسباب وبني على ان ما سبق به القضا لا يغير يلزمه ان لا ياكل اذا جاع ولا يشرب اذا
عطش ولا يلبس اذا برد ولا يتداوى اذا مرض وان يلقي الكفار بلا سلاح ويقول في ذلك كله ما قضاه
الله لا يرد وهذا لا يقوله مسلم ولا عاقل وقوله ما دعوتني اي ما دمت تعبدني او تسيلني لان الدعا
قد فسر في القران بالعبادة والسوال وقيل ما دعوتني ورجوتني لاجابة دعايك لانه تعالى يقول
انا عند ظن عبدي بي وعند ذلك تتوجه رحمة الله الى العبد واذا توجهت لا يتعاظمها شيء لانها وسعت
كل شيء والرجا بالمد لغة الامل واصطلاحا تعلق القلب بمرغوب في حصوله في المستقبل مع الاخذ
في اسباب الحصول فان لم ياخذ بالاسباب فهو طمع ولذا قال ابن الجوزي رحمه الله تعالى ان مثل
الراجي مع الاصرار على المعصية كمثل من رجا حصادا وما زرع او ولدا وما نكح وقال عبد الله ابن
المبارك ما بال دينك ترضى ان تدنسه وثوبك الدهر مغسول من الدنس ترجو النجاة ولم تسلك
طرايقها ان السفينة لا تجري على اليبس ويطلق الرجا على الخوف ومنه قوله تعالى وارجوا اليوم
الاخر ما لكم لا ترجون لله وقارا اي لا تخافون عظمة الله تعالى وقال في عم يتسالون انهم كانوا لا يرجون
حسابا اي لا يخافونه ويصح ارادته هنا ايضا وقد يستعمل الطمع بمعنى الرجا كما في قوله
تعالى والذي اطمع ان يغفر لي خطيتي واما الرجا بالقصر فهو الناحية ومنه رجى البير اي ناحيتها
وهل الافضل للشخص تغليب الرجا لئلا يغلب عليه دا الياس من رحمة الله عز وجل او الخوف لئلا
يغلب عليه دا الامن من مكر الله تعالى وان كان عاصيا فالخوف افضل وان كان مطيعا فالرجا افضل
وان كان قبل الذنب فالخوف افضل وان كان بعده فالرجا افضل وان كان صحيحا فالخوف وهو المختار
عندنا ولكن الراجح عند الشافعية ان يكون رجاوه وخوفه مستويين وان كان مريضا فالرجا لقوله
صلى الله عليه وسلم لا يموتن احدكم الا وهو يحسن الظن بالله ومن مقطعات شعر عبد القاهر
ابن طاهر يا فاتحا لي كل باب مرتج اني لعفوك منذ عمري مرتجي فامنن علي بما ينيل سعادتي
فسعادتي طوعا متى تامر تجي قال الدميري وفي مروج الذهب عن نعيم بن مسكين قال دخلت
على الشافعي اعوده في مرض موته فقلت له كيف اصبحت يا ابا عبد الله قال اصبحت من الدنيا
راحلا ولاخواني مفارقا ولكاس المنية شاربا ولا ادري الى الجنة تصير روحي فاهنيها او الى

الى النار فاعن بهائم قال ولما قسى قلبي وضاقت مذاهبي جعلت الرجا مني لعفوك سلما تعاظمني ذنبي فلما قرنته
بعفوك ربي كان عفوك اعظما غفرت لك ذنوبك اي سترتها عليك بعدم العقاب عليها في الاخرة
ويرادفه العفو ومقتضى كلام ابن عطية ان بينهما فرقا وهو ان الغفران لما لم يطلع عليه احد والعفو
لما اطلع عليه فانه قال في تفسير قوله تعالى واعف عنا اي فيما واقفناه وانكشف واغفر لنا استر لنا
ما علمت منا قال بعضهم وهو بالتحكم اشبه انتهى وقال بعضهم ان بين مفهوميهما بحسب الوضع عموما
وخصوصا من وجه فان المغفرة من الغفر وهو الستر والعفو بمعنى المحو ولا يلزم من الستر المحو ولا
عكسه بان يحاسبه بذنبه على روس الاشهاد ثم يعفو عنه ويستره ويجازيه عليه اما بالنظر الى كرم
الله تعالى فهو اذا ستر عفا فبينهما عموم وخصوص مطلق ولذا يتعاقبان في مقام الملاطفة الاكثر
عفا الله عنك على ما كان منك من المعاصي وان تكررت ولا ابالي اي لا اكترث بذنوبك ولو كثرت
لانه تعالى لا حجر عليه فيما يفعل ولا معقب لحكمه ولا مانع لعطاياه ومعنى لا ابالي لا يشتغل بالي به فان
اجرام العباد في جنب رحمته كذرة حقيرة بل اقل منها فان قلت هذا ثبت انه جف القلم بما
هو كاين فالدعا لا يزيد ولا ينقص شيا وايضا المطلوب ان كان من مصالح العبد فالجواد المطلق
لا يبخل به وان لم يكن منها لم يجز طلبه ولان الرضا بالقضا باب الله الاعظم والاشتغال بالدعا ينافيه
فالجواب الدعا من شعار المرسلين ودثار الصالحين ودأب العبد يقين يا ابن ادم انك لو بلغت
اي وصلت ذنوبك ان فرضتها اجراما عنان السما بان ملات ما بينها وبين الارض والعنان
بفتح العين المهملة وتخفيف النون السحاب الواحدة عنانة وهل هو اسم للسحاب مطلقا او
بقيد كونه ممتليا بالما قولان وقيل العنان اسم لما عن لك من السما اي ظهر لك اذا رفعت راسك
اليها ويروى اعنان السما اي نواحيها وما اعترض من اقطارها لانه جمع عنن واما العنان بكسر العين
فهو اسم لما تقاد به الدابة الاسفل للاسفل والاعلى للاعلى كالملك بكسر اللام وبفتحها والجنازة
بكسر الجيم اسم للسرير الذي يحمل عليه الميت وبفتحها اسم للميت المحمول تنبيه نقل عن بعضهم ان
السما الدنيا افضل مما سواها لقوله تعالى ولقد زينا السما الدنيا بمصابيح قال السيوطي قلت قد
ورد الاثر بخلافه اخرج عثمان بن سعيد الدارمي في كتاب الرد على الجهمية عن ابن عباس قال سيد
السموات السما التي فيها العرش وسيد الارضين التي نحن عليها انتهى وههنا فوايد الاولى مذهب
اهل السنة والاشاعرة كما دلت عليه الاحاديث ان السحاب من شجرة مثمرة في الجنة والمطر بحر
تحت العرش خلافا للحكما والمعتزلة في ان منشا المطر البحر وان السحاب اجسام ذوات حرارة
تاخذ الما من البحر الملح ويقصره الريح فيعذب الثانية قال الحكما الارض طبق واحد ومذهب
الاشاعرة ان الارض طبقات متفاصلة بالذات بين كل طبقتين مسيرة خمسماية عام كما ورد
به الاخبار وعليه انما جمعت السما وافردت الارض لان السما مختلفة الاجناس بخلاف الارضين
لاتحاد جنسها وهو التراب وذكر بعضهم ان الحكمة في افراد الارض تعلق جمعها لفظا وهو ارضون
الثالثة الارض العليا افضل مما تحتها لاستقرار ذرية ادم فيها ولانتفاعنا بها وهي مهبط

الوحي وغيره من الملائكة قاله في كشف الاسرار ثم استغفرتني من هذه الذنوب الكثيرة استغفارا اثبت معناه
في القلب ويحصل معه الندم ليتحلل به عقد الاصرار وح فالمراد به التوبة وهي لغة الرجوع عن الشي يقال تاب
وثاب بالمثلثة بمعنى الرجوع وشرعا الرجوع عما لا يرضي الله تعالى الى ما يرضيه مما هو محمود شرعا ولها اركان
ثلاثة اثنان عامان الاول الندم على الذنب من حيث هو ذنب وخوف عقابه بخلاف الندم لنحو هتك او
صرف مال او تعب بدن او لكونه مقتولا ولده او ندم على شرب الخمر لما فيه من الصداع والاخلال بالمال او العرض
فان ذلك لا يعتد به ومعنى الندم تحزن وتوجع على ان فعل وتمنى انه لم يفعل الثاني العزم على ان لا يعود اليه
ما عاش كما لا يعود اللبن الى الضرع لا لنحو عدم انتشار ذكره بعد الزنا الثالث وهو خاص الاقلاع عن
الذنب في الحال بان يتركه ان كان متلبسا به او مصرا على المعاودة اليه فان كان المعصية تتعلق بادمي
فلها شرط رابع وهو رد الظلامة او تحصيل البراءة منه ان قدر فيرد المظالم ويتحلل في الاعراض ويسلم نفسه
للقصاص ان امكن وفي الحديث المستغفر من الذنب وهو مقيم عليه كالمستهزئ بربه وقوله في
الحديث الندم توبة اي معظم شروطها الندم كما في الحديث الاخر الحج عرفة ولان الندم يستلزم
الشرطين الاخرين عادة قال الحطاب في حاشيته على الرسالة القيروانية اذا لم يرد المظالم الى اهلها
فصحح الامام توبته مع الجمهور انتهى وفي شرح العقيدة للسنوسي التوبة من الغصب والسرقة
والحرام ونحو ذلك يشترط في صحتها رد المغصوب الموجود الذي لم يتعلق بالذمة اما ما تعلق بالذمة
لاستهلاكه ونحوه فرد عوضه ليس شرطا في صحة التوبة عند الجمهور وانما هو واجب اخر مستقل بنفسه
يحتاج الى توبة ومعنى الندم تحزن وتوجع على ما فعل وتمنى كونه لم يفعل لا مجرد قوله ندمت ويطلق الا
ستغفار على الصلاة كقوله تعالى في ال عمران والمستغفرين بالاسحار يعني المصلين بالاسحار كقوله في
سورة الذاريات وبالاسحار هم يستغفرون يعني يصلون وكقوله في الانفال وما كان الله ليعذبهم وانت
فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون اي يصلون قال العلامة ابن العماد وشروطها المذكورة ماخوذة
من القران اما الندم فماخوذ من قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة او ظلموا انفسهم ذكروا الله فاستغفروا
لذنوبهم وذلك ان العبد اذا اذنب ذنبا وذكر الله ندم على ما فعل ما يستوجب العقوبة واما الاقلاع
وترك العود ورد المظلمة فمستفاد من قوله ولم يصروا على ما فعلوا لان من لم يقلع عن الذنب
مصر عليه ومن اقلع وعزم على العود بعد مدة فهو مصر ايضا وكذا من عزم على ترك العود مطلقا لكن
امسك ما غصبه مثلا ولم يرده فهو قد اصر على ما فعل وزاد بعضهم في الشروط وقوع التوبة في وقتها
وهو ما قبل الغرغرة لما رواه الترمذي وحسنه عنه صلى الله عليه وسلم ان الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر
اي تبلغ روحه حلقومه وهي حالة النزع لان الغرغرة ان يجعل المشروب في فم المريض فيردد في الحلق
ولا يصل اليه ولا يقدر على بلعه هذا عند الاشاعرة واما عند الماتريدية فانما شرط عدم الغرغرة
في الكافر دون المومن العاصي عملا بالاستصحاب في الموضعين وقبل طلوع الايات كطلوع الشمس
من مغربها ولا يشترط التلفظ بالاستغفار لما رواه الحاكم وصححه لكن فيه ساقط ما علم الله من عبد
ندامة على ذنب الا غفر له قبل ان يستغفر منه خلافا للبلقيني القايل بانه لا بد ان يقول استغفر

الله من ذنبي او رب اغفر لي ذنبي او نحو ذلك وكذا لا يشترط مفارقة مكان المعصية خلافا للزمخشري ولا تجديد التوبة
كلما ذكر المعصية خلافا للقاضي ابي بكر الباقلاني واما التوبة النصوح فانها اخص من ذلك لانها تكفر السيئات
وتبدلها حسنات وقد اختلف فيها فقال بعضهم التوبة النصوح يجمعها اربعة اشيا الاستغفار باللسان
والاقلاع بالابدان واضمار ترك العود بالجنان ومهاجرة سيئ الخلان وهو قريب من قول بعضهم هي ندم
اربعة اشيا الندم بالقلب والاستغفار باللسان واضمار ان لا يعود ومجانبة اخلاط السو وقال ابو بكر
الوراق هي ان تضيق عليك الارض بما رحبت وتضيق عليك نفسك كالثلاثة الذين خلفوا وقال بعضهم هي
ان يكون لصاحبها دمع مسفوح وقلب عن المعاصي جموح وقال ذو النون علامتها ثلاثة قلة الطعام
وقلة الكلام وقلة المنام وقال فتح الموصلي علامتها ثلاثة مخالفة الهوى وكثرة البكا ومكابدة الجوع
والظما وقال عمر وابي ومعاذ التوبة النصوح ان يتوب ثم لا يعود الى الذنب كما لا يعود اللبن الى
الضرع وقال الكلبي ان يستغفر باللسان ويندم بالقلب ويمسكه بالبدن غفرت لك وان تكرر الذنب
والتوبة منك مرارا في اليوم الواحد لان معاودة الذنب لا تبطل التوبة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم
ما اصر من استغفر اي تاب ولو عاد في اليوم سبعين مرة واخرج الاصفهاني انه صلى الله عليه وسلم قال
اذا تاب العبد من ذنوبه انسى الله حفظته ذنوبه وانسى ذلك جوارحه ومعالمه من الارض حتى يلقى
الله يوم القيمة وليس عليه شاهد من الله بذنب وتصح التوبة من الذنب ولو كان مصرا على الاخر وخا
لفت المعتزلة فيهما ثم ان توبة الكافر من كفره مقطوع بقبولها وما سواها من انواع التوبة هل قبوله
قطعي او ظني خلاف بين اهل السنة والاصح كما اختاره امام الحرمين انه ظني وكان سبب توبة الفضل بن
عياض انه عشق جارية فواعدته ليلة فبينما هو يرتقي الجدران اليها اذ سمع قاريا يقرا الم يان للذين
امنوا ان تخشع قلوبهم لذكر الله فرجع القهقري وهو يقول بلى والله قد ان فاواه الليل الى خربة وفيها
جماعة سابلة وبعضهم يقول لبعض ان فضيلا يقطع الطريق فقال الفضيل اراني في الليل اسعى في معصية
الله وقوم من المسلمين يخافونني اللهم اني تبت اليك وجعلت توبتي اليك جوار بيتك الحرام وانما حملنا
الاستغفار على التوبة لان الاستغفار المطلوب هو الذي يحل عقد الاصرار ويثبت معناه في الجنان لا مجرد
التلفظ باللسان من غير ان يكون للقلب فيه شركة ولذا روي عن الحسن البصري انه قال استغفارنا يحتاج لاستغفار
لكن قال الغزالي لا تظن انه يذم حركة اللسان من حيث انها ذكر بل يذم غفلة القلب فهو يحتاج الى استغفار من
غفلة قلبه لا من حركة لسانه وفي الحديث من استغفر للمومنين والمومنات كتب له بكل مومن ومومنة حسنة
وفيه ايضا من لازم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ومن كل ضيق مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب
رواه ابو داوود والنسائي وابن ماجه وروى الترمذي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال من قال استغفر الله
الذي لا اله الا هو الحي القيوم غفر له وان كان قد فر من الزحف يا ابن ادم انك لو اتيتني بقراب الارض
بضم القاف وكسرها والضم اشهر اي بقرب ملئها او ملئها وهذا ابلغ مما قبله خطايا ثم لقيتني اي مت حال كونك
لا تشرك بي شيا ابذاتي وصفاتي وافعالي اي تموت على الايمان لاعتقادك توحيدي والتصديق برسلي
وما جاوا به لاتيتك بقرابها مغفرة عبر به للمشاكلة والا فمغفرة الله اعظم واوسع من ذلك وفي
خبر مسند ان رجلا يومر به الى النار فاذا بلغ ثلث الطريق التفت فاذا بلغ نصف الطريق التفت

التفت

التفت فاذا بلغ ثلثي الطريق التفت فيقول الله تعالى ردوه ثم يسئله فيقول لما التفت فيقول لما بلغت ثلث الطريق ذكرت قولك وربك الغفور ذو الرحمة فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت نصف الطريق تذكرت قولك ومن يغفر الذنوب الا الله فقلت لعلك تغفر لي فلما بلغت ثلثي الطريق تذكرت قولك يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وازددت طمعا فيقول الله عز وجل اذهب فقد غفرت لك رواه الترمذي في الدعوات وخرجه الطبراني من حديث ابن عباس والترمذي بتثليث الفوقية وكسر الميم او ضمها واعجام الذال وقال حديث حسن صحيح واخرجه ابو عوانة في مسنده ايضا من حديث ابي ذر قال بعض الشراح ويظهر ان معاني هذه الاحاديث كلها وان كثر تعدادها وجل مقدارها وعظم محلها واشتمل على كل الشريعة المحمدية كلها ترجع الى تقوى الله في السر والعلانية مع قصر الامل والزهد في الدنيا وترك ما لا يعني من فضولها والشغل بذكر الله تعالى وحسن التخلق مع الخلق بما يقتضيه الشرع الشريف والانقباض عنهم عما لا يعني وارادة الخير لهم بالباطن ومساعدتهم بالظاهر فيما امكن من ذلك ونسأل الله حسن الختام وان تغفر لنا ولوالدينا ومحبينا والمسلمين اجمعين والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات وصلى الله على سيدنا محمد عبده ورسوله كلما ذكره الذاكرون وغفل عن ذكره الغافلون والحمد لله رب العالمين

م م

زهرات افنان تبرجن بالزهر ... وحفت باعلام الرياحين كالبدر

والحان قينات الشحارير غردت ... على البان قد تاهت حلت بربة الخدر

مروج بدت تجلي وانهارها تجري ... على عبقري النبت تفتك بالسحر

لبست برياض الحسن كل ملابس ... لاغصان ايكي ماس كالعقد بالنحر

تباهت بروض السعد اغصانه التي ... تضاهي نجوم الداج في رهج الفجر

وطابت بطيب فاح من ارج لها ... تعطر ارواح الكيس بلا نشر

لقد سامت بالمجد من كل طارق ... وفاقت برياض الانس في عنصر الدهر

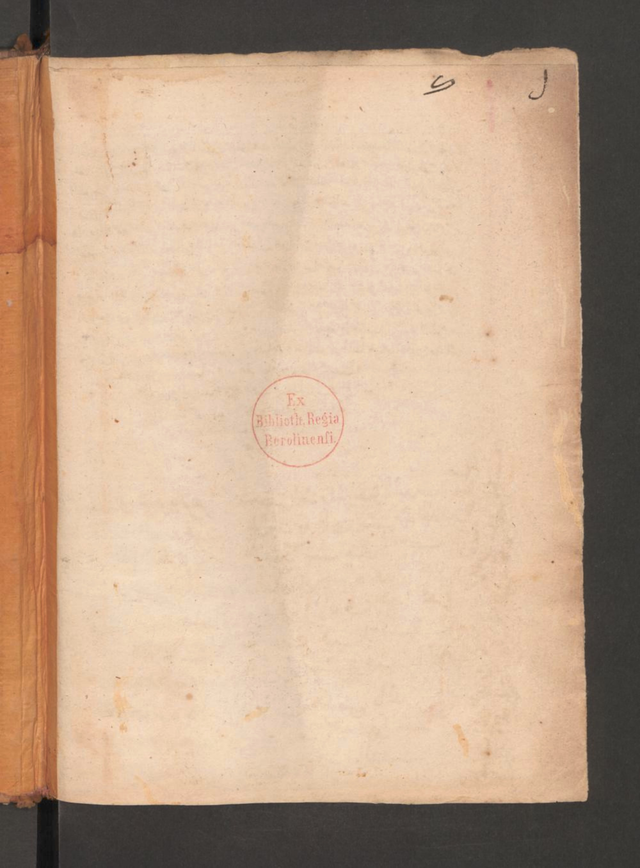
تلالا لها نجم السماك بجانبها ... تراها كاصداف تلفعن بالدر

حماها ربها مع حماها مليكها ... واضحى محياها من الباسها الضر

على دوران الدهر ما فوق منشد ... زهيرات افنان تبرجن بالزهر

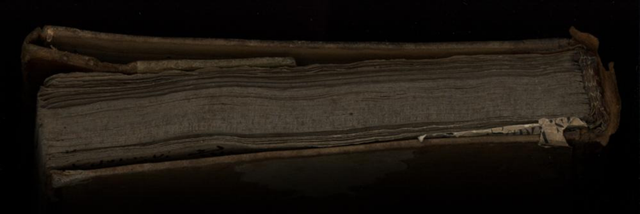
حمامات ايك الروض بالرصد غردنا ... ترقص اغصانا بلحن بلا لحن

على نغمات ألين في وتر بها ... تقينة الحان تلفظن بالحسن


Ex
Biblioth. Regia
Berolinensi.












Ldbg
987


IT8.7/2-1993
2010:02
Printed on FUJICOLOR Crystal Archive Paper - Made by Wolf Faust (www.coloraid.de)
Charge: R100205-4